كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد السادس عشر

القسم ٦١ - ٦٥

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد السادس عشر

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد السادس عشر

من كتاب الاغانى

أخبار النعمان بن بشير و نسبه

هو النعمان بن بشير بن سعد بن حصين [1] بن ثعلبة بن جُلاس [2] بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وأمه عَمْرَةُ بنت رَوَاحة أختُ عبد الله بن رواحة التى يقول فيها قَيْسُ بن الخَطِيم :

أَجَدَّ بعمْرَةَ غُنْيانُها [3] فتهجُرَ أمْ شانُنا شانُها
وَعَمْرَةُ من سَرَوَاتِ النسا ءِ تَنْفَحُ بالمسك أرْدانُها

وله صحبة بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم، ولأبيه بَشِيرِ بن سعد.

وكان جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه رجل آخرُ ليشهدا معه غزوةً له فيا قيل فاستصغرهما فردّهما.

وأبوه بشير بن سعد أوّل من قام يوم السَّقيفةِ من الأنصار إلى أبى بكر رضى

---

(١) فى المطبوع : نصر . ولا يوجد فى الإصابة ولا أسد الغابة ولا طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٨٣ القسم الثانى، ولا تهذيب التهذيب : نصر ولا حصين فى ترجمة النعمان وترجمة أبيه .

(٢) فى الإصابة فى ترجمة بشير بن سعد : جلاس بضم الجيم مخففا، وضبطه الدارقطنى بفتح الخاء المعجمة وتثقيل اللام . وضبط كذلك فى طبقات ابن سعد .

(٣) غنيانها : اغتناؤها واكتفاؤها .

الله عنه فبايعه ، ثم توالت الأنصار فبايعته ، وشهد بشير بيعة [١] العقبة وبدرًا وأُحُدًا والخَنْدق والمَشاهِدَ كلَّها . قال : واستُشْهد يوم عَيْنِ التمْر مع خالد ابن الوليد .

وكان النعمان عُثْمانياً وشهد مع معاوية بصِفِّينَ ، ولم يكن معه من الأنصار غيره ، وكان كريما عليه رفيعا عنده وعند يزيدَ ابنه بعدَه ، وعُمِّرَ إلى خلافة مروانَ بنِ الحكم ، وكان يتولَّى حِمْصَ ، فلما بويع لمروان دعا إلى ابن الزبير وخالف علَى مروان بن الحكم وذلك بعد قتل الضَّحَّاك بن قيسٍ بمَرْجِ رَاهِط فلم يُجِبْه أهلُ حمص إلى ذلك ، فهرب منهم وتبعوه فأدركوه فقتلوه ، وذلك فى سنة خمس وستين . ويقال : إن النعمان بن بشير أوّلُ مولودٍ وُلد بالمدينة بعد قُدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إيَّاها ، وقد قيل ذلك فى عبد الله بن الزبير ، إلاَّ أن النعمان أول مولود ولد بعد مَقْدَمه عليه السلام من الأنصار ، روى ذلك عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

وروى النعمانُ بن بشير عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم حديثا كثيرا .

حدثنى أحمد بن محمد بن الجَعْد الوشَّاءُ قال : حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة قال : حدثنا عبَّاد بن العوَّام عن الحصين :

عن الشَّعبِيِّ قال : سمعت النعمان بن بشير يقول : أعطانى أبى عَطيَّةً ، فقالت أُمى عَمْرَةُ : لاأرضى حتى تُشْهِد رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال [فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم] فقال : ابنى من عمرة أعطيته فأمرتنى أن أُشهدك ، فقال : أعطيت كلَّ ولَدِك مثل هذا ؟ قال : لا ، فقال : فاتقوا الله واعدِلوا بين أولادكم .

أخبرنى محمد بن خلف وكيعٌ قال : حدثنا محمد بن سعد [٢] قال : حدثنا العُمَرى ، عن الهيثم بن عدىّ ، عن مُجالد ، عن الشَّعبىّ قال :

---

(١) فى مخطوط : معه العقبة .

(٢) فى مخطوط : سعيد .

أمر معاويةُ لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير فى أَعْطياتهم ، وعاملُه يومئذ على الكوفة وأرضها النُّعمانُ بنُ بشير ، وكان عثمانيا ، وكان يُبْغض أهلَ الكوفة لرأيهم فى علىٍّ عليه السلام ، فأبى النعمانُ أن يُنْفِذها لهم ، فكلّموه وسألوه بالله ، فأبى أن يفعل ، وكان إذا خطب على المنبر أكثر من قراءة القرآن ، وكان يقول : لا تَرَوْنَ على منبركم هذا أحدًا بعدى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فصعدَ المنبر يوما فقام أهل الكوفة إليه فصاحوا : ننشدك اللهَ والزيادة ، فقال : اسكتوا ، فلما أكثروا قال : أتدرون ما مثلى ومثلكم ؟ مثلُ الضبع والضبِّ والثعلب ، فإن الضبع والثعلب أتيا الضبَّ فى وِجارِه فنادياه : أبا الحِسْل ، فقال : سميعا دعوتما ، قالا : أتيناك لتحكُم بيننا ، قال : فى بيته يُؤْتى الحَكَم . قالت الضبع : إنى حللت عَيْبَتى[1] قال : فعلَ الحُرَّة فعلتِ . قالت : فلقَطْتُ تَمْرة ، قال : طيِّبا لقطْتِ ، قالت : فأكلها الثعلب ، قال : لنفسه نَظَر ، قالت : فلطمتُه ، قال : بِجُرْمه ، قالت : فلطمنى ، قال : حُرٌّ انتصر ، قالت : فاقْضِ بيننا ، قال : حَدِّث امرأةً حديثين ، فإن أبتْ فعشرة ، فقال عبد الله بن هَمّام السَّلولىّ :

زيادتنا نعمانُ لا تَحْبِسَنَّها[2] ... خَفِ اللهَ فينا والكتابَ الذى تَتلو
فإنك قد حُمِّلْتَ منّا أمانــــةً ... بما عَجِزت عنه الصَّلاخِمَةُ البُزْلُ[3]
فلا يكُ بابُ الشرِّ تُحْسِنُ فتحه ... لدينا وبابُ الخير أنت له قُفْلُ[4]
وقد نِلْتَ سلطانا عظيما فلا تكن ... لغيرك جَمّاتُ النَّدَى ولك البُخْلُ[5]
وأنت امرؤٌ حُلْوُ اللِّسان بليغُــه ... فما بالُه عند الزيادةِ لا يَحْلُو
وقَبْلَكَ قد كانوا علينا أئمــة ... يُهِمُّهُمُ تَقْوِيمُنا وهُمُ عُصْلُ[6]

(١) العيبة : ما تجعل فيه الثياب كالصندوق .

(٢) فى المطبوع : لاتحرمننا .

(٣) الصلاخمة : الإبل الشديدة . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل الذى دخل فى السنة التاسعة .

(٤) فى المطبوع : فإن يك باب الشعر تحسن فتحه ... فلا يك باب الخير ليس له قفل
هذا ؛ وفى هامش مخطوط : يقول لاتفتح باب الشر وافتح باب الخير .

(٥) الجمات : جمع جمة ، وهى مجتمع ماء البئر ، أو البئر الكثير الماء .

(٦) عصل : جمع أعصل ، وهو الشديد .

إذا أنصتوا للقول قالوا فأحسنوا ... ولكنّ حسن القول خالفَه الفِعْلُ
يَذُمُّون دنيانا وهم يَرْضِعُونها ... أفاويقَ حتى ما يَدِرُّلها ثُعْلُ[1]
فيامعشر الأنصارِ إنى أخوكمُ ... وإنى لمعروفٌ أبى مِنكمُ أهْلُ
ومن أجل إيواء النبيّ ونَصْرِهِ ... يُحِبُّكمُ قلبى وغيركمُ الأصْلُ

فقال النعمان بن بشير : لاعليه أن لايتقرّبَ فوالله لا أُجيزها ولا أُنفذها أبدا ؛

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا [الأصمعىّ قال : حدثنى شيخ قديم من أهل المدينة.وأخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعىّ قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا] أبو غسَّان ، عن أبى السائب المخزومى . وأخبرنى الحسين بن يحيى المِرْدَاسِىُّ عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه قال : ذُكر لى عن جعفر بن مُحرز الدَّوْسِىّ قال :

دخل النعمان بن بشير المدينة فى أيام يزيد بنِ معاوية وابنِ الزُّبير فقال : والله لقد أخفقتْ[2] أذُنایَ من الغناء فأسمعونى ، فقيل له : لووجّهت إلى عزَّةَ المَيْلاءِ ، فإنَّها مَنْ قد عرفتَ،فقال إى وربّ البَنِيَّة [3] إنها لممن يزيد النفسَ طيبا والعقلَ شحذًا ، ابعثوا إليها رسالتى ، فإن أبَتْ صِرْتُ إليها ، فقال له بعض القوم : إن النُّقْلةَ تشتدُّ عليها لثقل بدنها ، وما بالمدينة دابّةٌ تحملها ، فقال النعمان : وأين النجائبُ عليها الهوادج ؟ فوجّه إليها بنجيب ، فذكرَتْ عِلَّةً ، فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه : أنت كنتَ أخبَرَ بها ، قوموا إليها ، فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طرقوها ، فأذنتْ وأكرمت واعتذرت ، فقبل النعمان عذرها وقال لها : غنينى ، فغنت :

أجَدَّ بعَمْرةَ غُنْيانُها ... فتهجُرَ أم شانُنا شانُها
وعمرةُ من سَرَوَاتِ النسا ... ءِ تَنْفَحُ بالمسك أردانُها

قال : فأُشير إليها أنها أُمُّه ، فأمسكت،فقال لها : غنينى ، فو الله ما ذكَرَ إلاّ

(١) الثعل : خلف زائد فى ضرع الشاة وأخلاف الناقة ، وانظر رواية البيت فى اللسان : ثعل .
(٢) أخفقت : يريد أنه طلب الغناء فلم يدركه .
(٣) فى المطبوع : الكعبة ، وهما بمعنى .

كَرَماً وطيباً ولا تُغَنِّى سائرَ اليوم غيرَه ، فلم تزل تغنيه هذا اللحنَ فقط حتى انصرف . قال إسحاق : فتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عديّ فقال : ألا أزيدكم فيه طريفة ؟ فقلنا : بلى يا أبا عبد الرحمن ، فقال : قال لَقيط ونحن عند سعيد الزبيدى [١] : قال عامر الشَّعْبيُّ : اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء ، فصار إلى منزلِ عَزَّة ، فلما انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة ، فلما خرج شكتْ إليه كثرةَ غِشْيانِ زوجها إياها ، فقال لها النعمان : لأقضينَّ بينكما بقضية لا تُرَدُّ علىَّ ، قد أحل الله له من النساء أربعا : مثنى وثلاث ورباع ، له مرّتان بالنهار ومرّتان بالليل .

أخبرنى محمد بن الحَسَن بن دُرَيد قال : حدثنى عمى ، عن العباس بن هشام عن أبيه ، وأخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن ابن الكلبيّ ، وأخبرنى عمى قال : حدثنا الكُرّانى قال : حدثنا العُمَرىّ ، عن الهيثم بن عديّ ، قالوا .

خرج أعشى هَمْدَان إلى الشام فى ولاية مروان بن الحكم ، فلم ينل فيها حظّاً ، فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عاملُ حمص ، فشكا إليه حاله ، فكلم له النُّعمان اليمانيةَ وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانهم ، واستماحهم له ، فقالوا : نعم ، يُعطيه كل رجل منا دينارين من عطائه ، قال : لا بل أعطوه ديناراً واجعلوا ذلك مُعَجَّلاً ، فقالوا له : أعطه إياه من بيت المال واحْسُب ذلك على كل رجلٍ من عطائه ، ففعل النعمان . وكانوا عشرين ألفا ، فأعطاه عشرين ألف دينار ، وارتجعها منهم عند العطاء ، فقال الأعشى يمدح النعمان :

لم أرَ للحاجات عند التماسها ... كنُعْمانَ نُعمانِ النَّدَى ابن بشير
إذا قال أوْفَى ما يقول ولم يكنْ ... كمُدْلٍ إلى الأقوام حَبْلَ غُرور
متى أكفرِ النُّعمانَ لا أُلْفَ شاكراً ... وما خيرُ من لا يقتدى بشكُورِ
فلولا أخو الأنصارِ كنتُ كنازل ... ثوَى ما ثوى لم يَنْقلِبْ بنقيرِ [٢]

(١) فى المطبوع : معبد الزبيرى .

(٢) النقير : النكتة فى ظهر النواة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلّبي قالا : حدثنا عمر ابن شبة قال : حدثني أبو يحيى الزهري [١] قال : حدثني ابن أبي زُريق قال :

شَبَّبَ عبدُ الرحمن بن حسان برَمْلَةَ بنتِ معاوية فقال :

رمْلُ هل تذكرينَ يوم غزَالٍ ... إذ قطعْنا مسيرنا بالتَّمنِّى

إذ تقولين عَمْرَكَ اللهَ هل شى ... ءٌ وإن جَلَّ سوف يُسْليكَ عنِّى

أمهَل اطْمِعْتُ منهواكابنَ حَسَّا ... نَ كما قد أراك أُطْمِعتَ منِّى [٢]

قال : فبلغ ذلك يزيدَ بن معاوية فغضب ، ودخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا تَرَى إلى هذا العِلْج من أهل يَثرِب يتهكَّم بأعراضنا ويُشَبِّب بنسائنا ؟ فقال : ومن هو؟ قال : عبدالرحمن بن حسان وأنشده ماقال ، فقال : يايزيد ليست العقوبةُ من أحد أقبح منها بذوى المقدرة ، ولكن أمهل حتى يَقْدَمَ وفْدُ الأنصار ثم ذكِّرنى به ، قال : فلما قدموا ذكَّره به فلما دخلوا عليه قال : ياعبد الرحمن ، ألم يبلغنى أنك تُشَبِّب بِرَمْلَةَ بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولو علمتُ أن أحدا أشرَفَ لشعرى منها لذكرتُه . قال : فأين أنت عن أختها هند؟ قال : وإنَّ لها لأُختا يقال لها هند ؟ قال نعم ، وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعا فيُكذِّب نفسه ، قال : فلم يرض يزيد ما كان من معاوية فى ذلك [٣] فأرسل إلى كَعْبِ بن جُعَيل فقال له : اهْجُ الأنصار ، فقال : أفْرَق من أمير المؤمنين ، ولكن أدُلُّك على الشاعر الكافر الماهر الأخطل ، قال : فدعاه فقال له : اهْجُ الأنصار ، فقال : أفرق من أمير المؤمنين ، قال : لاتخف شيئا ، أنا لك بذلك ، فهجاهم فقال [٤] :

وإذا نسبْتَ ابنَ الفُرَيْعَةِ خِلْتَهُ ... كالجَحْش بين حِمارة وحمارِ

لعنَ الإلهُ من اليهود عصابةً ... بالجزْع بين صُلَيْصِل وصِرَارِ

(١) فى المطبوع : يحيى الزبيرى .
(٢) فى المطبوع : أم هل اطمعت يا ابن حسان فى ذاك كما قد . . . .
(٣) فى المطبوع : فلم يرض ذلك يزيد بن معاوية وما كان منه معه .
(٤) انظر القصيدة وشرحها فى المجلد الخامس عشر . واختلاف الرواية فى الديوان ٣١٤ .

قومٌ إذا هدر العصيرُ رأيتهم ... حُمْرًا عيونُهم من المُصْطارِ
خلّوا المكارم لستمُ من أهلها ... وخذوا مساحيَكُمْ بنى النّجارِ
إن الفوارس يعرفون ظهوركم ... أولادَ كلِّ مُقَبَّحٍ أكّارِ
ذهبتْ قريشٌ بالمكارم كلّها ... واللُّؤْمُ تحت عمائم الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمانَ بنَ بشير فدخل على معاوية فحسر عمامته عن رأسه وقال : يا أمير المؤمنين ، أترى لؤما ؟ قال : لا بل أرى كرما وخيرا ، فما ذاك ؟ قال : زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار ، قال : أوفعلَ ذلك ؟ قال : نعم ، قال : لك لسانه ، وكتب فيه أن يؤتى به ، فلما أُتِىَ به سأل الرسول أن يُدخله إلى يزيدَ أوّلا ، فأدخله عليه فقال : هذا الذى كنتُ أخافه ، قال : لا تخف شيئا ، ودخل على معاوية فقال : علامَ أُرْسِل إلى هذا الرجل الذى يمدحُنا ويَرْمى من وراء جَمْرَتنا ؟ قال : هجا الأنصار ، قال : ومن زعم ذاك ؟ قال : النعمان بن بشير ، قال : لا يُقْبَلُ قوله وهو المدّعِى لنفسه ، ولكن تدعوه بالبيِّنة ، فإن أثبت شيئا أخذْتَ له ، فدعاه بالبيِّنة فلم يأت بها ، فخلاّه فقال الأخطل [١] :

وإنى غداة استعبرتْ أمُّ مالكٍ ... لراضٍ من السلطان أن يتهدّدا
ولولا يزيدُ ابنُ الملوك وسَعْيُه ... تجلّلْتُ حِدْبارًا من الشرِّ أنكدا
فكم أنقذَتْنى من خطوبٍ حِبالُه ... وخرساءَ لو يُرْمَى بها الفيلُ بلّدا
ودافع عنى يومَ جِلِّقَ غَمْرَةً ... وهمًّا يُنَسِّينى السُّلافَ المُبَرَّدا
وبات نَجِيًّا فى دمشقٍ لحيّةٍ ... إذا همَّ لَمْ يَنَمِ السليمُ وأقْصدا
[يخافته طَوْرًا وطورًا إذا رأى ... من الوجه إقبالا ألحَّ وأجْهَدا]
أبا خالدٍ دافعتَ عنى عظيمةً ... وأدركتَ لحمى قبل أن يتبدّدا
وأطفأتَ عنى نارَ نعمانَ بعدما ... أعدَّ لأمرٍ فاجرٍ وتجرّدا
[ولما رأى النعمانُ دونى ابنَ حُرَّةٍ ... طوى الكَشْحَ إذ لم يَسْتطعْنى وعرّدا]

(١) انظر القصيدة وشرحها فى المجلد الخامس عشر . واختلاف الرواية فى الديوان ٩٣

حدثني عمي قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائني ، عن أبي بكر الهُذَلِيّ قال :

لما أمر يزيدُ بن معاوية كعبَ بنَ جُعَيل بهجاء الأنصار قال له : أرادّي أنت إلى الكفر بعد الإسلام ؟ أأهجو قوما آوَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ونصروه ؟ قال : أمّا إذ كنت غير فاعل فأرْشِدني إلى من يفعل ذلك . قال : غلامٌ منّا خبيث الدِّين نصرانيّ ، فدلّه على الأخطل .

أخبرنا محمد بن الحَسَن بن دُرَيد قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن أبي الخطّاب قال :

لما كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي وتفاحشا كتب معاوية بن أبي سفيان إلى سعيد بن العاصي وهو عامله على المدينة أن يَجْلِدَ كلّ واحد منهما مائةَ سوطٍ ، وكان ابن حسان صديقا لسعيد ، وما مدح أحدا غيره قطّ فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه ، فأمسك عنهما ، ثم وَلِي مروانُ ، فلما قدم أخذ ابنَ حسان فضربه مائة سوط ولم يضرب أخاه ، فكتب ابنُ حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام وكان كبيرا أثيرا مكينا عند معاوية قال[١] :

ليت شعري أغائب ليس بالشا … م خليلي أم شاهدٌ[٢] نعمانُ
أيّةٌ ما تكن فقد يرجع الغا … ئبُ يوما ويُوقَظ الوسنانُ
إنّ عمرًا وعامرا أبوَيْنا … وحرَاما قِدْمًا على العَهْد كانوا
أفهمْ ما نعوك أم قلّة الكُتْ … ب أم أنت عاتبٌ غضبانُ
أم جفاء أم أعوزتك القراطيـ … ـس أم أمرِي به عليك هوانُ
يوم أُنْبِئْتَ أنّ ساقيَ رُضّتْ … وأتتكم بذلك الرُّكْبانُ
ثم قالوا إنّ ابن عمّك في بَلْـ … ـوى أمورٍ أتى بها الحَدَثانُ
فتَنَشِطُ الأرحامُ والودُّ والصحـ … ـبةُ فيما أتت به الأزمانُ

(١) القصيدة في المجلد الخامس عشر .

(٢) في المطبوع : عاتب . وفي المجلد الخامس عشر : راقد ، وهو أقرب لما بعده .

إنما الرمح فاعلمنّ قنــــاةٌ أو كبعضِ العيدان لولا السِّنانُ

وهى قصيدة طويلة ، فدخل النعمان بن بشير على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إنك أمرت سعيداً بأن يضرب ابن حسان وابن الحكم مائة سوط ، فلم يفعل، ثم وليت مروان فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه . قال : فتريد ما ذا ؟ قال : أريد أن تكتب إليه بمثل ماكتبت به إلى سعيد . فكتب إليه معاوية يعزم عليه أن يضرب أخاه مائة ، فضربه خمسين ، وبعث إلى ابن حسان بحُلّة وسأله أن يعفو عن خمسين ، ففعل وقال لأهل المدينة : إنما ضربنى حَدّ الحرّ مائةً وضربه حدَّ العبد خمسين ، فشاعت الكلمة حتى بلغت ابن الحكم ، فجاء إلى أخيه فأخبره وقال : لاحاجة لى فيما عفا عنه ابن حسان ، فبعث إليه مروان : لا حاجة لنا فيما تركت فهلُمَّ فاقتص من صاحبك ، فحضر فضربه مروان خمسين أخرى .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا أحمد بن الحارث قال : حدثنا المدائنى ، عن يعقوب بن داود الثقفى ، ومسلمة [1] بن محارب :

أن معاوية تزوج امرأة من كَلْب ، فقال لامرأته ميسون أمّ يزيد بن معاوية : ادخلى فانظرى إلى ابنة عمك هذه ، فأتتها فنظرت إليها ثم رجعت فقالت : مارأيت مثلها ، ولقد رأيت خالاً تحت سُرّتها ليُوضعَنّ مكانه فى حِجْرها رأسُ زوجها . فتطـيَّرَ من ذلك فطلقها ، فتزوجها حَبيب بن مسلمة، ثم طلقها فتزوجها النعمان بن بشير ، فلما قُتِل وُضع رأسُه فى حجرها . قالوا : وكان النعمان ابن بشير ، لما قُتِلَ الضحّاكُ بن قيس بمرْج راهط فى خلافة مروان بن الحكم ، أراد النعمان أن يهرب من حمص وكان عاملاً عليها فخالف ودعا لابن الزبير ، فطلبه أهل حمص فقتلوه واحتزّوا رأسه ، فقالت امرأته هذه الكلبيّةُ : ألقُوا رأسه فى حجرى فأنا أحقُّ به ، فألقَوْه فى حجرها فضمّته إلى جسده فكفنته ودفنته .

(١) فى مخطوط : معاوية بن محارب.

أخبرني هاشم بن محمد أبو دُلف الخزاعيّ قال : حدثنا أبو غسّان دماذ قال : حدثنا أبو عبيدة قال :

نظر معاوية إلى رجل في مجلسه فرَاقَه حُسْنا وشارةً وجسما ، قال : فاستنطقه فوجده سَدِيدا فقال له : ممن أنت ؟ قال : ممن أنعم الله عليه بالإسلام فاجعلني حيث شئتَ يا أمير المؤمنين ، قال : عليك بهذه الأَزْد الطويلة العريضة الكثيرِ عَدَدُها التي لا تَمْنَع من دخل فيهم ولا تُبالى من خرج منهم . فغضب النعمان بن بشير ووثب من بين يديه وقال : أما واللهِ إنكِ ما علمتُ لسيّءُ المجالسة لجليسك ، عاقٌّ بِزَوْرك ، قليلُ الرِّعايةِ لأهل الحُرْمة بك . فأقسَم عليه إلاّ جلس ، فجلس فضاحكه معاوية طويلا ثم قال له : إن قوما أوّلهم غسانُ وآخرهم الأنصار لكرام ، وسأله عن حوائجه فقضاها حتى رضى .

أول قول نعمان للشعر :

نسخت من كتاب أبي سعيد السُّكريّ بخطه .

[أخبرني ابن حبيب قال : قال خالد بن كلثوم :

خرج النعمان بن بشير] في ركب من قومه ، وهو يومئذ حديث السن ، حتى نزلوا بأرضٍ من الأُرْدُنّ يقال لها حَفِير وحاضرتَها بنو القَين ، فأهدت لهم امرأةٌ من بني القين يقال لها ليلى هديةً ، فبينا القوم يتحدثون ويذكرون الشعراء إذ قال بعضهم : يا نعمان هل قلت شعرا ؟ قال : لا واللهِ ما فعلت ، فقال شيخ من بني الحارث بن الخزرج يقال له ثابت بن سِماك : لم تقل شعرا قط ، قال : لا ، قال : فأُقسم لتُرْبَطَنَّ إلى هذه السَّرْحة فلا تفارقها حتى يرتحلَ القومُ أوتقولَ شعرا ، فقال عند ذلك وهو أول شعر قاله :

يا خليليَّ وَدِّعا دار ليلى … ليس مثلي يَحُلُّ دارَ الهوانِ
[إنَّ قَيْنِيَّةً تَحُلُّ مَحلاًّ [1] … فَحَفيرًا فجنبَيْ تَرْفُلانِ]

(١) في معجم البلدان : « حفير وترفلان » : محيا . وفي مخطوط : فجنبي ترفلان . (والأبيات في ترفلان) .

لا تُوَاتيكَ فى المَغيب إذا ما ... حال[1] من دونها فُرُوعُ قنانِ
إنَّ ليلى ولو كَلِفْتَ بليلى ... عاقَها عنكَ عائقٌ غيرُ وانى

قال : وضَرَبَ الدهرُ على ذلك وأتى له زمن طويل ، ثم إن ليلى القَيْنِيَّة قدمتْ عليه بعد ذلك وهو أمير على حِمْصَ . فلما رآها عرفها فأنشأ يقول :

ألا استأذنَتْ ليلى فقلنا لها ٱجِىِ ... وما لَكِ أنْ لا تَدْخلى بِسلامِ
فإنَّ أناسا زُرْتِهِمْ ثم حَرَّمُوا ... عليكِ دخولَ البيتِ غيرُ كِرامِ

فأحْسَنَ صِلتَها ، ورَفَدَها[2] طول مقامها إلى أن رحلت عنه .

أخبرنى عمى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى محمد بن الحسن ابن مسعود عن أبيه ، عن مَشْيخة من الأنصار قالوا :

حضرتْ وفودُ الأنصار بابَ معاوية بن أبى سفيان ، فخرج إليهم حاجبه سَعْدٌ أبو دُرَّة ، وقد حجب بعده عبد الملك بن مروان ، فقالوا له : استأذن للأنصار ، فدخل إليه وعنده عَمْرُو بنُ العاص ، فاستأذن لهم ، فقال له عمرو : ما هذا اللَّقَبُ يا أمير المؤمنين ؟ ارْدُدِ القوم إلى أنسابهم . فقال [له معاوية ؛ إنى أخاف من ذلك الشُّنْعَةَ . فقال] : هى كلمة تقولها إنْ مضتْ عرَّتْهم ونقصتهم[3] وإلاَّ فهذا الاسم راجع إليهم ، فقال له : اخرج فقل : من كان هاهُنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل ، فقالها الحاجب ، فدخل ولد عمرو بن عامر كلُّهم إلاَّ الأنصار ، فنظر معاوية إلى عَمْرو نَظَرَ مُنكر ، فقال له : باعَدْتَ جدًّا . فقال : اخرج فقل : من كان هاهنا من الأوس والخزرج فليدخل . فخرج فقالها [فلم يدخل أحدٌ ، فقال معاوية : اخرجْ فقل : من كان هاهنا من الأنصار فليدخل فخرج فقالها] فدخلوا يَقْدُمُهم النعمانُ بن بشير وهو يقول :

يا سَعْدُ لا تُعِدِ الدعاء فما لنا ... نَسَبٌ نجيب به سوى الأنصارِ

(١) فى الأصل : خان . والتصويب من معجم البلدان .
(٢) فى المطبوع : وزودها .
(٣) فى مخطوط : غضضتهم .

نسبٌ تخيره الإلهُ لقومنا ... أثقِلْ به نسبا على الكفَّارِ
إنّ الذين ثوَوْا ببدْرٍ منكمُ ... يوْمَ القليبِ هُمُ وقودُ النارِ

فقال معاوية لعمرو : قد كنا أغنياءَ عن هذا .

والنعمان بن بشير من المُعْرِقين فى الشعر سلفا وخلفا ، جده شاعر ، وأبوه وعمه شاعران ، وهو شاعر ، وأولاده وألاد أولاده شعراء .

سعد بن الحصين :

فأما جدّه سعد بن الحُصَين فهو القائل :

إن كنتِ سائلةً والحقّ مُعْتبِةٌ[1] ... فالأزْدُ نِسْبَتنا والماءُ غسَّانُ
شُمُّ الأنوفِ لهم عزٌّ ومكرمَةٌ ... كانت لهم من جبال الطَّوْدِ أركان[2]

الحصين بن سعد :

وعمه الحُصَين [3] بن سعد أخو بشير بن سعد القائل :

إذا لم أزُرْ إلاّ لِآكُلَ أكْلةً ... فلا رفعتْ كَفّى إلىّ طعامى
فما أكلةٌ إن نِلْتُها بغنيمةٍ ... ولاجَوْعَةٌ إن جُعْتُها بغرامِ

بشير بن سعد :

وأبوه بشير بن سعد الذى يقول :

لِعَمْرَةَ بالبطحاء بين مُعَرَّفٍ ... وبين النِّطاقِ مسكنٌ ومحاضرُ
لَعَمْرِى لَحىٌّ بين دارِ مُزاحِمٍ ... وبين الجُثا لا يَجْشَمُ السَّيْرَ حاضرُ
وَحىّ حِلالٌ لايُكَمَّشُ سِرْبُهمْ ... لهم من وراء القاصياتِ زوافِرُ[4]

(١) فى معجم البلدان : « غسان » إما سألت فإنا معشر نجب ،هذا ومعتبة : مرضيه .
(٢) فى مخطوط : من جبال الطور . وأثبتنا ما فى المطبوع ومعجم البلدان .
(٣) فى المطبوع : الحسين .
(٤) لايكمش : لايعجل . والقاصيات تكون بمعنى النواحى . وفى مخطوط : القاضيات ، وهى من الإبل ما تكون جائزة فى الدية .

أحقُّ بها من فتيةٍ وركائبٍ   يُقَطِّعُ عنها الليلَ عُوجٌ ضَوامرُ
تقول وتُذرِي الدمع عن حُرِّ وجهها   لعلَّكَ نفسي قبل نفسك باكرُ
أباح لها بِطريقُ فارسَ غائطا   لهمن ذُرَا الجولان بَقْلٌ وزاهرُ[1]
فَقَرَّبْتُها للرَّحْل وهْيَ كأنَّها   ظَليمُ نَعامٍ بالسَّماوةِ نافرُ
فأوردتُها ماءً فما شربَتْ به   سوى أنه قد بُلَّ منها المشافرُ
فباتتْ سُرَاها ليلةً ثم عرَّسَتْ   بيثرِبَ والأعرابُ بادٍ وحاضرُ

عود للنعمان:

قال خالد بن كلثوم: دخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الأخطلُ الأنصارُ، فلما مثَل بين يديه أنشأ يقول:

مُعاوِيَ إلاَّ تُعطنا الحقَّ تعترِف   لِحَى الأزدِ مشدودًا عليها العمائمُ
أيشتُمُنا عبدُ الأراقمِ ضَلَّةً   وما ذا الذى تُجْدِى عليكَ الأراقمُ
فما لىَ ثأرٌ دون قطع لسانه   فدونَكَ مَن تُرضيه عنكَ الدراهمُ
وأرْعِ[2] رُوَيدًا لاتسُمْنا دَنيَّةً   لعلك فى غِبِّ الحوادث نادمُ
متى تَلْقَ منَّا عُصبةً خزرجيَّةً   أوالأوسَ يوماتَخترِمْكَ المخارِمُ
وتلقاكَ خيلٌ كالقطا مُسْبَطِرَّةٌ   شَماطيطُ أرسالٌ عليها الشكائمُ[3]
يُسَوِّمها العَمْرَانِ عَمْرُو بن عامرٍ   وعِمرانُ حتى تُستَباح المحارِمُ
ويبدو من الخَوْدِ الغَريرةِ حِجلُها   وتَبْيَضُّ من هَوْل السيوف المقادمُ
فتطلب شَعْبَ الصَّدع بعد انبثاقه   فَتَعْيا به فالآنَ والأمرُ سالمُ
وإلاَّ فَبزِّى[4] لأمةٌ تُبَّعيَّةٌ   مَوَاريثُ آبائى وأبيضُ صارمُ

(١) الغائط: المطمئن الواسع من الأرض. والذرا: الفناء. والجولان: جبل.
(٢) أرع: أبق علينا وترحم. وفى المطبوع: وراع.
(٣) مسبطرة: مسرعة. وشماطيط: جماعات. وأرسال: جماعات أيضا. والشكائم: جمع شكيمة وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس من لجامه.
(٤) بزى: سلاحى.

وأسمرُ خطّيٌّ كأنّ كعوبَهُ نوى القسْبِ فيه لهذمٌ مِخْتارمُ[1]

[وأجردُ خوّارُ العِنان كأنــهُ بدومة مَوْشِيّ الذراعين صارِمُ[2]]

فإن كنتَ لم تشهدْ ببدْرٍ وقيعةً أذلّتْ قريشا والأنوفُ رواغمُ

فسائلْ بنا حَيَّيْ لُؤَيّ بن غالب وأنت بما تخفى من الأمر عالمُ

ألم تبتدرْكُمْ يوم بدرٍ سيوفُنا وليلُكَ عمّا نابَ قومكَ نائمُ

ضربناكُمُ حتى تفرّق جمعكمْ وطاوتْ أكفٌّ منكم وجماجمُ

وعادتْ على البيتِ الحرام عوابسٌ وأنتَ على خوفٍ، عليكَ التمائمُ

وعضّتْ قريشٌ بالأنامل بغضةً ومن قبلُ ماعضّت علينا الأباهمُ

فكنا لها فى كل أمرٍ تكيدُه مكانَ الشجا والأمرُ فيه تفاقمُ

فما إن رَمى رامٍ فأوْهى صفاتَنا ولا ضامَنا يوما من الدهر ضائمُ

وإنى لأغضِي عن أمورٍ كثيرةٍ سَتُرْقى بها يوما إليك السلالمُ

أُصانعُ فيها عبدَ شمس وإنّنِى لتلكَ التى فى النفس منى أكاتمُ

[فلا تَشْتُمنّا يا ابن حَرْبٍ فإنما تَرَقَّى إلى تلك الأمورِ الأشائمُ]

فما أنتَ والأمرُ الذى لستَ أهلَه ولكن وَلِىُّ الحقِّ والأمرِ هاشمُ

إليهمْ يصيرُ الأمرُ بعد شَتاتِه فمَنْ لك بالأمرِ الذى هو لازمُ

بهم شَرَعَ اللهُ الهُدى فاهتُدِىَ به ومنهم له هادٍ إمامٌ وحاكمُ[3]

قال : فلما بلغت هذه القصيدةُ إلى معاويةَ أمر بدفع الأخطل إليه ليقطع لسانه ؛ فاستجار بيزيد بن معاوية ، فمنع منه ، وأرضوا النعمان حتى رضى وكفّ عنه .

وقال عمرو بن أبى عمرٍو الشيبانى عن أبيه : لما ضرب مروانُ بنُ الحكم عبدَ الرحمن بن حسان الحدَّ ولم يضرب أخاه ، حين تهاجيا وتقاذفا ، كتب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشتكى ذلك إليه فدخل إلى معاوية وأنشأ يقول :

يا ابن أبى سُفيانَ ما مِثْلُنا جارَ عليه مَلِكٌ أو أَمِـيرُ

(١) القسب : تمر يابس . واللهذم : القاطع . والختارم : الغليظ الشفة : ولعله شبه به سنان الرمح . وفى المطبوع : حيازم .

(٢) فرس صارم : مسرع فى عدوه فوق الإهاب . ودومة موضع .

(٣) فى المطبوع : وخاتم .

اذكُرْ بنا مُقْدَمَ أفراسِنا بالِحنْوِ إذ أنت إلينا فقير[١]
واذكرْ غداةَ السَّاعِدىَّ الذى آثركم بالأمر فيها بشير[٢]
فاحذَرْ عليهم مِثل َبدْرٍ فقد مرَّ بكمْ يومٌ ببدرٍ عسير
إنَّ ابنَ حسانَ له ثائرٌ فأعطِه الحقَّ تصِحَّ الصُّدور
ومثلُ أيامٍ لنا سبَّبَتْ مُلْكًا لكم، أمرُكَ فيها صَغِير
أما ترى الأزْدَ وأشياعَها تحُوكَ َخزْرًا كاظماتٍ تزور
يطوف حولى منهمُ معشَرٌ إن صُلتُ صالوا وهمُ لى نصير
يأبى لنا الضَّيمَ فلا نُعْتَلى عزٌّ منيعٌ وعديدٌ كثير
وعُنصرٌ فى عزِّ جرْثومةٍ عادِيَّةٍ تُنقلُ عنها الصُّخورُ

أخبرنى محمد بن خلف قال : حدثنى أحمد بن الهيثم الفِراسىُّ قال : حدثنى العُمرىُّ ، عن [الهيثم بن عدى] قال :

حضرت الأنصارُ بابَ معاوية ومعهم النعمان بن بشير ، فخرج إليهم سَعدُ ابن أبى دُرَّة [٣] ، وكان حاجبَ معاوية ثم حجب عبد الملك بن مروان ، فقال له : استأذن لنا ، فدخل فقال لمعاوية : الأنصار بالباب ، فقال له عمرو بن العاص : ما هذا اللقب الذى قد جعلوه نسبا ، اردُدهم إلى نسبهم ، فقال له معاوية : إن علينا فى ذلك شناعة ، قال : وما فى ذلك ؟ إنما هى كلمة مكان كلمة ولا مردَّ لها ، فقال له معاوية : اخرج فناد : من كان بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل ، فخرج فنادى بذلك ، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار ، فقال له اخرج فناد : من كان هنا من الأوس والخزرج فليدخل [٤] ، فخرج فنادى ذلك ، فوثب النعمان بن بشير فأنشأ يقول :

(١) الحنو : موضع نسب إليه يوم من أيام العرب .

(٢) يشير بذلك إلى سقيفة بنى ساعدة ، وأن والده بشيرا هو أول من بايع لقريش فى شخص أبى بكر .

(٣) كتب سعد بن أبى درة . وسبق أنه سعد أبو درة ، وقد مرت القصة بنصها ، وهى ساقطة من مخطوط .

(٤) انظر القصة سابقا .

يا سعد لا تُعِدِ الدُّعاءَ فما لنا ... نسبٌ نُجيب به سوى الأنصارِ
نسبٌ تخيَّرَه الإله لقومنا ... أثقِل به نسبا إلى الكُفّارِ
إنّ الذين ثَوَوْا ببدرٍ منكُمُ ... يوم القَليب هُمُ وقودُ النارِ

وقام مغضبا فانصرف ، فبعث معاوية فردّه وترضّاه ، وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار .

ومن مختار شعر النعمان قوله ، رواها خالد بن كلثوم فاخترت منها :

إذا ذُكِرَتْ أمُّ الحُويرث أخضلتْ ... دموعى على السِّربال أربعةٌ سكْبا
كأنّىَ لمّا فرّقتْ بيننا النّوى ... أجاور فى الأغلال تَغْلِبَ أو كلبا
وكُنّا كماءِ العَينِ والجفْنِ لا تَرى ... لواشٍ بغَى نقضَ الهوى بيننا إربا
فأمسى الوشاةُ غيّرُوا وُدَّ بيْننا ... فلا صِلةٌ تَرْعى لدىَّ ولا قُرْبا
جرَى بيننا سَعْىُ الوُشاةِ فأصبحتْ ... كأنى ولم أُذنبْ جنَيتُ لها ذَنْبا
فإنْ تَصْرِمينى تَصْرِمى بِىَ واصِلا ... لدى الودّ مِعْراضًا إذا ما النّوى صَعْبا
عَزوفاً - إذا خاف الهوان - عن الهوى ... ويأبى فلا يُعطِى مَودّته غَصْبا
فإنْ أستطعْ أصبرْ وإن يغلبِ الهوى ... فمِثلُ الذى لاقيتُ كلّفنى نُصْبا[1]

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أخرى :

أهيّج دمعَكَ رَسْمُ الطّلَلْ ... عفَا غيرَ مُطّرِدٍ كالخلَلْ
نَعمْ فاستهلَّ لِعِرْفانهِ ... يَسُحُّ ويهمى بفَيْضٍ سبَلْ[2]
ديارُ الألوفِ وأترابِها ... وإذْ أنت بالحبِّ كالمُختبَلْ[3]
ليالىَ تَسْبِى قلوبَ الرجا ... لِ تحت الخدور بحُسنِ الغزَلْ
من الناهضات بأعجازه ... نّ حين يقوم جزِيلُ الكفَلْ

---

(١) النصب : الداء والبلاء .
(٢) السبل : اسم من إسبال الدمع ، أى إرساله .
(٣) فى المطبوع : وأنت من الحب كالمختبل .

كأنَّ الرُّضابَ وصَوْبَ السحا ... بِ باتَ يُشابُ بذَوْبِ العَسَلْ
من اللّيلِ خالط أنيابَها ... بُعَيْدَ الكرى واختلاف العَلَل[١]

أخذ هذا المعنى منه جميلٌ فقال :

وكأنَّ طارقَها على عَلَلِ الكرَى ... والنَّجْمُ وهْنا قد دنا لتغَوُّرِ
يَشْتمُّ رِيحَ مُدامةٍ مَعْلُولةٍ ... بِسَحيق مسكٍ فى ذكىِّ العنبرِ

وفى هذه القصيدة يقول النعمان :

وأروَعَ ذى شرَفٍ حازمٍ ... صرومٍ وَصُولٍ حِبالَ الخُلُلْ
كريمِ البلاءِ صبورِ اللقا ... ءِ صافى الثناء قليلِ العَذَلْ
عظيمِ الرَّماد طويلِ العما ... دِ وارِى الزناد بَعيدِ القَفَلْ[٢]
أقمتُ له ولأصحابِهِ ... عمودَ السُّرَى بذَمُولٍ الرَّمَلْ[٣]
مُدَاخلَةٍ سَرْحةٍ جسْرةٍ ... علَى الأيْنِ ذو شِرَّةٍ كالجملْ[٤]

عبد الله بن النعمان :

ومن شعراء ولد النعمان بن بشير عبدُ الله بن النعمان وهو القائل :

ماذا رجاؤُك غائبا ... من لايَسُرُّك شاهدا
وإذا دنوتَ يزيدُهُ ... منك الدنُوُّ تباعُدا

عبد الخالق بن أبان :

ومنهم عبد الخالق بن أبان بن النعمان بن بشير ، شاعرٌ مكثِر ،وهو القائل فى قصيدة طويلة :

(١) ضبطت فى مخطوط بكسر العين ، والعلل : الشرب مرة بعد مرة .

(٢) القفل : القفول : واسم لجميع قافل ، وهو الراجع .

(٣) الذمول : صفة للناقة السريعة ، والرمل : ضرب من السير .

(٤) السرحة : السهلة السير السريعة . والجسرة : الطويلة الضخمة ، والأين : الإعياء . والشرة : الحدة . واستعمل هنا : « ذو » بمعنى « ذات » ، ورفعها كأنه قال : هى ذات شرة .

وشاد أبونا الشيخُ عمرُو بنُ عامرٍ ... بأعلى ذُرا العلياءِ رُكْنا تأثّلا
وخَطّ حِياضَ المجدِ مُترَعةً لنا ... مِلاءً فعلَّ الصَّفْوَ منها وأنهلا
وأشرعَ فيها الناسَ بعدُ فما لهُمْ ... من المجد إلاّ سُؤْرُه حين أفضلا
وفى غيرنا مجدٌ من الناسِ كلِّهمْ ... فأمّا كمثلِ العُشْرِ من مَجْدنا فلا

وله أشعار كثيرة لم أحبّ الإطالة بذكرها .

شبيب بن يزيد :

ومنهم شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير ، شاعر مكثر مجيد ، وهو القائل من قصيدة طويلة يُعاتب فيها بنى أمية عند اختلاف أمرهم أيامَ الوليدِ بنِ يزيد وبعده ، وأولها :

يا قلبُ صبراً جميلا لاتمُتْ حزَنا ... قد كُنتَ من أن ترى جَلْدَ القوى قَمِنا

يقول فيها :

بل أيها الراكب المزجى مَطيّتَهُ ... لُقّيتَ حيث توجّهتَ الثنا الحَسَنا
أبلغْ أُميّةَ أعلاها وأسفلَها ... قولاً يُنَفّرُ عن ألبابها (١) الوَسَنا
إنّ الخلافة أمرٌ كان يُعظِمه ... خيارُ أوّلكمْ قِدْماً وأوّلُنا
فقد بَقَرْتمْ بأيديكمْ بطونَكُمُ ... وقد وُعِظتمْ فما أحسنتمُ الأذُنا
لمّا سفكتمْ بأيديكمْ دماءكُمُ ... بغْياً وغشّيتمُ أبوابكمْ دَرَنا

إبراهيم بن بشير :

ومنهم إبراهيم بن بشير بن سعد أخو النعمان ، شاعر مكثر ، وهو القائل فى قصيدة أوّلها :

أشاقَكَ أظعان الحُدُوجِ البواكِرِ ... كنخلِ النُّجَيرِ (٢) السابحاتِ المواقِرِ

(١) فى المطبوع : نوامها .
(٢) النجير : موضع .

على كل فتلاءِ الذارعَين جَسْرَةٍ وأعْيَسَ نَضَّاحِ المَقَذِّ عُذافِرِ [١]
نعم فاستدرَّتْ عَبْرَةَ العينِ لوعةٌ وماأنتَ عن ذِكرَى سُليمى بصابرِ
ولم أرسلمى بعدَ إذْ نحن جيرةٌ من الدَّهرِ إلاَّ وقفةً بالمَشاعرِ
ألا رُبَّ ليلٍ قد سريتُ سَوادَهُ إلى رُجَّحِ الأعجازِ غُرِّ المَحاجرِ
ليالىَ يدعونى الصِّبا فأُجيبه أجرُّ إزارى عاصيا أمْرَ زاجرى
وإذْ لِمَّتى مثلُ الجَناحِ أثيثَةٌ أُمَشِّى الهُوَيْنا لايُرَوَّعُ طائرى
فأصبحتُ قدودَّعتُ ذاكمْ بعَبْرةٍ مخافةَ ربى يوم تُبْلَى سرائرى

بنت النعمان:

وبنت النعمان بن بشير واسمها حُميدة[٢]، وكانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشرّ، فكانت تهجو أزواجها، وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومى، وقيل: بل كانت تحت المُهاجربن عبد الله بن خالد فقالت فيه:

كُهولُ دِمشقَ وشُبَّانُها أحبُّ إلىَّ منَ الجالِيَهْ
صُناحُهُمُ كصُناحِ التُّيُو سِ أعيْا على المِسكِ والغالِيَهْ
وقملٌ يَدِبُّ دَبِيبَ الجرا دِ أعيْا الغداةَ على الفالِيَهْ

فطلّقها فتزوجها رَوْحُ بن زِنْباع، فهجته وقالت تخاطب أخاها الذى زوّجها من روح وتقول:

أضلَّ اللهُ حِلْمكَ من غُلامٍ متى كانت مناكِحنا جُذامُ
أترضى بالأكارعِ والذُّنابَى وقد كُنَّا يَقرُّ لنا السَّنامُ

وقالت تهجو روحا:

بكى الخزُّ من رَوْحٍ وأنكر جِلْدَه وعجَّتْ عجيجامن جُذامَ المطارفُ

(١) المقذ: ما بين الأذنين من خلف. والأعيس، يراد به الجمل الذى يخالط بياضه سواد. والعذافر: الشديد من الإبل.

(٢) انظر المجلد التاسع، ترجمة الحارث بن خالد، ففيه أشعار حميدة وقصتها.

وقال العَباءُ نحن كُنَّا ثيابهَمْ وأكسيةٌ كُدْرِيَّةٌ وقطائفُ[١]

فطلَّقها رَوح وقال : سلط الله عليك بغلا يشرب الخمر وَيقيئها فى حِجرك ، فتزوجت بعده الفَيْض َبن [محمد بن الحكم بن] أبى عَقيلٍ الثقفى ،فكان يسكر ويقىء فى حجرها ، فكانت تقول : أجيبت فىّ دعوةُ روح ، وقالت فى الفيض :

سُمِّيتَ فيضاً وما شىءٌ تفيض به إلاَّ بِسَلحِك بين الباب والدارِ

وقالت فيه :

وهل أنا إلاَّ مُهرةٌ عربيَّــــةٌ سليلةُ أفراس تجَلَّلها[٢] بَغلُ

فإن نُتِجَتْ مُهراً كريما فبالحرى وإن كان إقرافٌ فما أنجبَ الفحل[٣]

هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها ، وغيره يرويهما لمالك بن أسماء لمَّا تزوج الحجَّاج أُختَهُ هنداً .

وهى القائلة لما تزوج الحجاج أختها أُمَّ أبان :

قد كُنت أرجو بعض ما يرجو الراجِ أنْ تَنكحيه ملكا ذا تاجِ

إذا تذكَّرْتُ نكاحَ الحجَّــــاجِ تَضرَّمَ القلب بحُزْنٍ وهَّاجِ

وفاضت العينُ بماءٍ ثجَّـــاجِ لو كان نُعمانُ قتيل الأعــلاجِ

مُستَوِىَ الخَلْق صحيحَ الأوْداجِ مانلتَ مانلتَ بختلِ الدرَّاجِ

فأخرجها الحجاج من العراق إلى الشام :

صوت

نفرَتْ قَلُوصِى من حجارة حَرَّةٍ بُنِيتْ على طَلْقِ اليدين وَهُوبِ

لاتَنْفرى يا ناقَ منــه فإنَّــهُ شِرِّيبُ خمرٍ مِسْعَرٌ لحــروبِ

(١) فى المطبوع : وأكسية كردية . هذا والكدرية : نقيض الصافية . والقطائف : جمع قطيفة ، وهى دثار مخمل يلقيه الرجل على نفسه . والعباء : جمع عباءة . وتريد أنهم ليسوا من أهل التنعم الذين يلبسون الحرير والمطارف ، بل هم أصحاب عباء وغيره .

(٢) تجللها : علاها . وفى المطبوع : تحللها هذا وقد نسب هذا القول فى روح .

(٣) نتجت مهرا : ولدها مهرا « بتشديد اللام » والإقراف : أن يكون أبوه غير عربى .

لاتَبْعَدَنَّ ربيعةُ بنَ مُكَدَّمٍ ... وسَقى الغَوادِى قَبْرَه بذَنُوبِ
لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لتركتُها تحبو على العُرْقوبِ

الغناء لمالك خفيف ثقيل . بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر .

يقال : إن الشعر لحسان بن ثابت ، وقيل أيضا : إنه لضِرار بنِ الخطاب الفِهْرى . وأخبرنى أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلام قال : الصحيح أن هذه الأبيات لعمرو بن شَقِيقٍ أحدِ بنى فِهْر بن مالك ، قال: ومن الناس من يرويها لمكَرَّز[1] بن حفص بن الأخيف العامرىّ . وعمرُو بنُ شَقِيق أولى بها .

(١) انظر معجم الشعراء ص ٤٧٠ ، وهذا الضبط لمكرز عن مخطوط ، ولعله من معنى المكرز كمحدث : اللئيم ، أما الأسماء فهى مكرز كمنبر ومكرز كمهم وكريز وكارز وكرز . انظر اللسان وتاج العروس مادة « كرز » ، وانظر الإصابة حرف الميم ترجمة مكرز .

ذكر ربيعة بن مكدم ونسبه وخبره

وهذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مُكَدَّم بن عامر بن حُرْثان بن جَذِيمة بن عَلْقَمة بن جِذْلِ الطِّعان بن فِراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين ، قتله نُبَيْشَةُ بنُ حبيبٍ السُّلَمىُّ في يوم الكَدِيد . وكان السبب في ذلك فيما ذكره لنا محمد بن الحسن بن دريد إجازة ، عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، ونسخت أيضا من رواية الأصمعي وحماد صاحبِ أبي غسان دماذ والأثرم ، فجمعتها هاهنا .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : وقع تَدارُؤ [1] بين نفر من بني سُلَيم بن منصور وبين نفر من بني فِراس بن مالك بن كنانة، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سُلَيم بن منصور ، ثم إنهم وَدَوْهما ، ثم ضرب الدَّهرُ من ضربِه فخرج نُبَيْشَةُ بن حبيب السُّلَمىُّ غازيا ، فلقى ظُعنا من بني كنانة بالكَدِيد ، في رَكْبٍ من قومه، وبَصُرَ بهم نفرٌ من بني فراس بن مالك ، فيهم عبدُ الله بن جِذْل الطِّعان [2] بن فراس والحارث بنُ مكدَّم أبو الفارعة ، وقال بعضهم : أبو الفَرْعَة ، وأخوه ربيعةُ بنُ مكدَّم ، قال : وهو مجدورٌ يومئذ يُحْمل في مِحَفَّة ، فلما رآهم أبو الفارعة قال : هؤلاء بنو سُلَيم يطلبون دماءهم ، فقال أخوه ربيعة بن مكدَّم : أنا أذهب حتى أعلم عِلْمَ القوم فآتيكم بخبرهم ، فتوجه نحوهم ، فلما ولَّى قال بعض الظُّعن : هرب ربيعةُ ، فقالت أخته أمُّ عَزَّة بنت مكدَّم : أين تنتهي فَرَّةُ الفتى ؟ فعطَف وقد سمع قولَ النساء فقال :

لقد عَلِمَتْ أنِّى غيرُ فَرِق ... لأَطْعَنَنَّ طعنةً وأعْتَنِقْ

---

(١) التدارؤ : التدافع في الخصومة .

(٢) جذل الطعان : لقب علقمة بن فراس ، كما في شرح القاموس .

أُعمِلُ فيهم حين تحمرُّ الحدَق(١) عَضْباً حُساما وسِنانا يأتلِقْ

قال : ثم انطلق يعدو به فرسه ، فحمل عليه بعض القوم ، فاستطرد له فى طريق الظعن وانفرد به رجل من القوم ، فقتله ربيعةُ ، ثم رماه نُبَيْشَة أو طعنه ، فلحق بالظعن يَستدمِى حتى انتهى إلى أمه أمّ سيَّار فقال : شُدّى على يدى عِصابةً وهو يرتجز ويقول :

شُدّى علَىّ العَصْبَ أمّ سيّارْ فقد رُزِيتِ فارسا كالدِّينارْ

• يَطعَنُ بالرمح أمام الأدْبارْ •

فقالت أمه :

إنَّا بنو ثعلبةَ بنِ مالكِ مُرَزَّؤٌ خيارُنا كذلكِ

من بين مقتول وبين هالكِ ولا يكون الرُّزْءُ إلاّ ذلكِ

قال أبو عبيدة : وشدّت أمه عليه عصابة ، فاستسقاها ماء ، فقالت : إن شربت الماء متَّ فكُرَّ على القوم . فكَرَّ راجعا يشدّ على القوم ويُذَبِّبهُم ونَزَفه الدمُ حتى أُثخِنَ ، فقال للظُّعن : أوْضِعْنَ(٢) ركابكنْ خلفى حتى تنتهين إلى أدنى البيوت من الحىّ فإنى لِما بى(٣) وسوف أقف دونكن لهم على العقبة ، وأعتمدُ على رمحى ، فلن يُقدِموا عليكنّ لمكانى ، ففعلن ذلك فنجون إلى مأمنهن .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : ولا نعلم قتيلا ولاميتا حمى ظعائن غيرَه . قال : وإنه يومئذ لغلامٌ له ذُؤابة ، قال : فاعتمد على رمحه وهو واقف لهنَّ على متن فرسه حتى بلغن مأمنهن وما يُقدمُ القوم عليه ، فقال نبيشة بن حبيب : إنه لمائل العنقِ وما أظنه إلاّ قد مات ، فأمر رجلا من خُزاعة كان معه أن يرمى فرسه ، فرماها فقَمَصَت وزالت ، فمال عنها ميتا . قال : ويقال : بل الذى رمى فرسه نُبَيْشة ، قال : فانصرفوا عنه وقد فاتهم الظعن . قال أبو عبيدة : ولحقوا يومئذ أبا الفرعة الحارثَ ابن مكدَّم فقتلوه ، وألقوا على ربيعة أحجارا ، فمرّ به رجل من بنى الحارث بن

(١) فى المطبوع : أصبحهم صاحى بمحمر الحدق .

(٢) يذببهم : يكثر دفعهم . ونزفه الدم : أضعفه بكثرة سيلانه . وأوضعن : أسرعن .

(٣) فإنى لما بى : يقصد منه صائر إلى الهلاك لما بى .

فهر ، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التى أُهيلت على رَبيعة ، فقال يرثيه ويعتذر أن لا يكون عقر ناقته على قبره ، وحضّ على قَتَلَته وعيّر مَن فرّ وأسلمه من قومه :

نفرتْ قَلوصى من حجارة حرَّة ... بُنيتْ على طَلْق اليدين وهوبِ
لاتَنفُرى يا ناقَ منه فإنه ... سَبّاءُ خمرٍ مِسْعَرٌ لحروبِ
لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهمهٍ ... لتركتُها تَحبو على العُرقوبِ
فرَّ الفوارسُ من ربيعةَ بعدما ... نَجّاهمُ من غُمَّة المكروب[1]
يدعو علَيًّا حين أسلمَ ظهره ... فلقد دَعوْتَ هناك غيرَ مجيبِ
[لله دَرُّ بنى علىّ إن هُمُ ... لم يَحْمِشُوا غزْوا كوَلْغ الذيب
نِعْمَ الفتى أدّى نبيشةُ بزَّهُ ... يوم الكديد نبيشةُ بنُ حَبيبِ]
لايَبْعَدَنَّ ربيعةُ بنُ مُكدَّمٍ ... وسقَى الغوادِى قبرَه بذَنُوبِ

قال أبو عبيدة : ويقال : إن الذى قال هذا الشعر هو ضِرارُ بنُ الخطاب بن مِرْداس أحدُ بنى مُحارب بن فِهْر ، وقال آخر : هو حسانُ بن ثابت ، قال الأثرم : أنشدنى أبو عبيدة مرّة أخرى هذا البيت :

• وسقَى الغوادى قبره بذَنُوب •

واحتج به فى قول الله عزّ وجل « ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أصْحابِهِم »[2] وسألته : لمن هذا البيت ؟ فقال : لمِكرَز بن حفص بن الأخْيَف أحدِ بنى عامر ابن لُؤَىّ رجلٍ من قريش الظواهر ، ولم يسمه هاهنا .

وقال عبد الله بن جِذْل الطّعانِ واسمه بَلْعاء :

لأطلُبَنْ بربيعةَ بنِ مكدَّمٍ ... حتى أنال عُصَيَّةَ بنَ مَعَيصِ

يقال : إن عُصَيّةَ من بنى سُلَيم ، وهو عُصَيّةُ بنُ مَعَيص بن عامر بن لُؤَىّ :

يَقْتادُ كلَّ طِمِرّةٍ مَمْحوصة ... ومُقلِّصٍ عَبْلِ الشَّوَى مَمْحوصِ[3]

(١) فى المطبوع : غمرة . (٢) سورة الذاريات ٥٩ .

(٣) الطمر : الفرس الجواد الطويل القوائم . والممحوص : المخلص من كل عيب . والمقلص : الطويل القوائم . وعبل الشوى : ضخم الأطراف .

وقال رجل من بنى الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثى ربيعة بن مكدم ، فقال أبو عبيدة : زعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت يَحُضُّ على قتَلَتِه :

ولأَصْرِفَنَّ سوَى حُذَيفةَ مِدْحَتى ... لفتَى الشتاء وفارسِ الأجراف[1]

مأوى الضَّرِيكِ إذا الرياحُ تناوحت ... ضخمِ الدَّسيعةِ مُخْلِفٍ مِتلافِ[2]

من لايزال يكُبُّ كلَّ ثَقيلةٍ ... كَوْماءَ غيرَ مسائكٍ مِنْزَافِ[3]

رحْبِ المَباءَةِ والجنابِ موطَّأٍ ... مأوًى لكلِّ مُدَفَّعٍ مِسْوَافِ[4]

فسقى الغوادى رمْسَك ابنَ مُكدَّمٍ ... من صَوْب كلِّ مُجَلجِلٍ وكّافِ

أبلغْ بنى بكرٍ وخُصَّ فوارسا ... لحِقُوا الملامةَ دون كلِّ لِحافِ

أسلمتُمُ جِذْلَ الطِّعان أخاكمُ ... بين الكَدِيدِ وقُلَّةِ الأعرافِ

الأعراف : رمل . قال الأثرم : الأعراف : كلُّ ما ارتفع ، ومنه قول الله تعالى « وَنَادَى أَصْحَابُ الأعْرَافِ » .[5] وقال تعالى « وَعَلَى الأعْرَافِ رِجالٌ »[6] :

حتى هوى مُتَزَايلا أوصالُهُ ... لِلْخَدِّ بين جنادلٍ وقِفافِ[7]

لله دَرُّ بنى علىّ إنهُمُ ... لم يثأَروا عوْفا وحىَّ خُفافِ

(١) فى المطبوع : ولأصدقن إلى حذيفة . . . لفتى اليسار . الأجراف : لعلها جمع جرف ، وهو الطين الواسع . وفى ديوان : قيس بن الخطيم : ص ٣٤ لفتى المثنى .

(٢) الضريك : الفقير السيىء الحال . والدسيعة : العطية الجزيلة .

(٣) الثقيلة : الناقة العظيمة . والكوماء : الناقة الضخمة السنام . والمنزاف : لعلها صيغة مبالغة من نزف ويكون صفة للممدوح . وفى المطبوع : منزاف . والمطبوع : غير مسائل . هذا والمسائك : التى تسير سيرا ضعيفا . وفى ديوان قيس بن الخطيم : « غير محاول الإنزاف » ، وفسر : أنه يفنى ماعنده ، وروى الإنزاف . وشرح ثقيلة هو من ديوان ابن الخطيم . وفى المطبوع : ثقيلة .

(٤) المدفع : الفقير الذليل . والمسواف : من قد أساف ماله : أى هلك . وفى المطبوع : لكل معتق بسواف . ولعلها معتق : أى محيب .

(٥) سورة الأعراف ٤٨ .

(٦) سورة الأعراف ٤٦ .

(٧) متزايلا : متفرقا . والقفاف : جمع قف ، وهى حجارة غاص بعضها ببعض .

قال الأثرم : وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرّة لقيس بن الخَطيم [1] حين قَتَل قاتِلَ أبيه .

• تذكَّر ليلى حُسْنَها وصَفاءَها •

وقال ابن جِذْلِ الطعان فى ذلك أيضا :

ألا لله دَرُّ بنى فِــراسٍ ... لقد أُورثتمُ حُزْنا وَجيعا
غداة ثوى ربيعةُ فى مَكَرٍّ ... تمجُّ عروقُه عَلَقا نَجيعا
فلن أنسى ربيعةَ إذ تَعالى ... بُكاءُ الظُّعْنِ تَدْعو يا ربيعا

وقال كعب بن زهير ، وأمه من بنى أشجع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة، يرثى ربيعةَ بن مكدم ويحضُّ على بنى سُلَيم ويُعَيِّر بالدماء التى أدَّوْها إلى بنى سُلَيم وهم لا يُدركون قتلاهم عندهم بِدَرَكِ قَتْلٍ ولا دِيَةٍ :

بان الشبابُ وكلُّ إلْفٍ بائنٌ ... ظَعَنَ الشبابُ مع الخليط الظاعنِ
قالت أُميمةُ ما لجسمك شاحبا ... وأراك ذا بَثٍّ ولستَ بداثنِ
غُضِّى ملامَكِ إنَّ بى من لومكم ... داءً أظنُّ مُماطِلى أو فاتنِى
أبلغْ كنانةَ غثَّها وسمينَها ... النازلين رِباعها بالقاطنِ
إنَّ المذلَّة أن تُطَلَّ دماؤُكُمْ ... ودماءُ عوفٍ ضامنٌ فى العاهنِ [2]
أموالكم عِوَضٌ لهم بدمائهم ... ودماؤكم طَلْفٌ لهم بظعائنِ [3]
طلبوا فأدركَ وِتْرَهم مولاهمُ ... وأبتْ مَحامِلُكُمْ إباءَ الحارنِ [4]

(١) وتمام الشطر لقيس بن الخطيم فى ديوانه ص ٢ :

• وبانت فأمسى ما ينال لقاءها •

هذا وفى ديوان قيس أن القصيدة الفائية يقولها فى إغاثة خداش بن زهير إياه يمدحه ويذم حذيفة ابن بدر .

(٢) العاهن : الحاضر .

(٣) الطلف : الهدر .

(٤) المحامل : لعله يراد بها هنا جمع محمل ، وهو علاقة السيف . وفى مخطوط : محاصلكم . وفى ديوان كعب بن زهير ص ٢٢٩ : سماتكم .

شُدُّوا المآزر وائاروا بأخيكمُ إن الحفائظ نِعْمَ رِبْحُ الثامن
كيف الحياة ربيعةَ بنَ مكدَّمٍ بعدى عليك بمزهر وأقاتن[١]
رَهَنَ العَرِيكةَ بالعَراء وحارثٌ فِقْعُ القَراقِرِ بالمكان الواتن[٢]
كم غادروا بك من أرامِلَ عُيَّلٍ جزَرَ الضِّباع ومن ضريك واكنِ[٣]

وقالت أم عمرو أختُ ربيعة ترثى أخاها ربيعة :

ما بال عينك منها الدمعُ مُهراقُ سَحًّا فلا عازبٌ كَلاَّ ولا راقِ
أبكى على هالكٍ أوْدَى وأوْرَدنى بعد التفرُّقِ حُزْنًا بعده باقِ
لو كان يُرْجِع ميْتًا وَجْدُ ذى رَحِمٍ أبقَى أخى سالما وَجدِى وإشفاقِ
لو كان يُفْدَى لكان الأهلُ كلُّهمُ وما أُثَمِّرُ من مالٍ له واقِ
لكنْ سهامُ المنايا من نَصَبْنَ[٤] له لم يُغْنِه طِبُّ ذى طِبٍّ ولا راقِ
فاذهبْ فلا يبْعُدَنْك اللهُ من رجلٍ لاقى الذى كلُّ حىٍّ مثلَه لاقِ
فسوف أبكيك ما ناحتْ مطوَّقةٌ وما سريتُ مع السارى على ساقِ
أبكى لذِكْرَتِه عَبْرَى مفجَّعةً ما إنْ يجِفُّ لها من ذكرِه ماقِ

وقال عبد الله أيضا يرثيه :

خلَّى علَىَّ ربيعةُ بنُ مكدَّمٍ حُزْنًا يكاد له الفؤادُ يزولُ
فإذا ذكرتُ ربيعةَ بنَ مكدَّم ظلَّتْ لذكراه الدُّموعُ تَسيلُ
نعمَ الفتى حيًّا وفارسُ بُهْمَةٍ يُرْدِى بشِكَّتِه أقبُّ دَءُولُ[٥]

(١) الأقاتن : جمع قتين ، وهو الرمح . وفى مخطوط : وأقانن ، ولعله جمع قن . وفى الديوان : وأفاتن . وفى المطبوع : أو كائن .

(٢) العريكة : النفس ، ويريد أنه رهن نفسه . هكذا فسر بهامش مخطوط . وفى المطبوع : ومن العريكة . وفى الديوان : وهو التريكة بالمكر ، والتريكة : بيضة النعام ، يعنى نفسه . وفقع القراقر الذليل . والواتن : الثابت .

(٣) الضريك : الفقير السيئ الحال . والواكن : الجالس ، وهو كناية عن العجز . وفى الديوان : حاجن ، وهو المقيم بالدار .

(٤) نصبن له : عادينه . وضبطت فى الأمالى جـ ٣ ص ١٢ بالبناء للمجهول .

(٥) البهمة : الشجاع الذى يستبهم على أقرانه . والشكة : السلاح . والأقب : الذى يصخب فى الخصومة ، أو الذى تسمع قعقعته . والدءول « بالذال والدال » : الذى يسرع أو يمشى فى خفة وميس .

سقتِ الكديدَ ومن بهِ رَجَبيَّةٌ ‏ والناسُ إمّا هالكٌ وقتيلُ
فإذا لقيتَ ربيعةَ بنَ مُكدَّمٍ ‏ فعلى ربيعةَ من نداهُ قبولُ
كيف العزاءُ ولا تزالُ خريدةٌ ‏ تبكى ربيعة - غادةٌ عطبولُ [١]
يأبى لِىَ اللهُ المذلّةَ إنّما ‏ يُعطى المذلّةَ عاجزٌ تِنْبيلُ [٢]

وقال عبد الله أيضا يرثيه :

دعتِ الظعينةُ يا ربيعةُ بعدما ‏ لم يبقَ غيرُ حُشاشةٍ وفُواقِ [٣]
فأجابها والرمحُ فى حيزومه ‏ علقًا بطعنٍ كالسعيبِ دُفاقِ [٤]
يا ريْطَ إنَّ ربيعةَ بنَ مكدَّمٍ ‏ وربيعَ قومك آذنا بفراقِ
ولئنْ هلكتَ لرُبَّ فارسِ بهمةٍ ‏ فرّجتَ كُربتَه وضيقَ خناقِ

وقال أيضا يتوعّد بنى سُليم :

ولستُ لحاصنٍ إن لمْ أزُرْكمْ ‏ كتائبَ من كنانةَ كالصَّريمِ [٥]
على قُبِّ البطون مُضمَّراتٍ ‏ أضرَّ بنَيِّها علْكُ الشَّكيمِ [٦]

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال : حدثنى الطَّلْحِىُّ قال : أخبرنا عبد الله بن إبراهيم الجُمحىُّ ومحمد بن الحسن بن زُبالة فى مجلس واحد ، قالا ،

مرّ حسان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكنانى بثَنِيَّة غزال ويقال بثنيَّة كعب فحاصت به [٧] راحلته فقال :

(١) العطبول : المرأة الفتية الجميلة . (٢) التنبيل لعله القصير . والموجود فى اللغة التنبول .
(٣) الفواق : ما يأخذ المحتضر عند النزع . وفى مخطوط : نادى الظعائن .
(٤) السعيب . ولعله بالتصغير أصح : ماسال . والحيزوم : وسط الصدر . ودفاق : متدفق منصب . وفى المطبوع : أنفا بطعن كالمشيب .
(٥) الصريم : القطعة من الليل . وفى المطبوع : ولست لصاحبى إن لم تجئكم . والحاصن : العفيفة .
(٦) بنيها : بنيّتها . والعلك : المضغ واللوك . والشكيم : جمع شكيمة ، وهى حديدة اللجام فى فم الفرس .
(٧) حاصت : عدلت وحادت . وانظر معجم البلدان « غزال » .

نفرت قلوصى من حجارة حَرَّةٍ ... بُنِيَتْ على طَلْقِ اليدين وهوبِ
لا تنفرى يا ناقَ منه فإنه ... شِرِّيبُ خمرٍ مِسْعَرٌ لحروب
لولا السِّفار وبُعد خرقٍ مَهمهٍ ... لتركتها تحبو على العرقوب

فبلغ شعرُه بنى كنانة فقالوا : والله لو عقرها لسُقنا إليه ألف ناقة سُودَ الحدقِ .

ربيعة ودريد :

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حاتم السجستانى ، قال : حدثنا أبو عبيدة قال :

خرج دُرَيدُ بن الصِّمَّة فى فوارسِ بنى جُشَمَ حتى إذا كانوا بوادٍ لبنى كِنانة يقال له الأخرَم، وهو يريد الغارةَ على بنى كنانة، رُفِع له رجلٌ من ناحية الوادى معه ظعينة ، فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه : صِحْ به أنْ خلِّ عن الظعينة وانجُ بنفسك ، وهو لا يعرفه ، فانتهى إليه الرجل وألحَّ عليه ، فلما أبى ألقى زمام الراحلة وقال للظعينة :

سيرى على رِسْلِك سَيْرَ الآمنِ ... سيرَ رَداحٍ ذاتِ جأشٍ ساكنِ[1]
إنَّ انثنائى دونَ قِرْنى شائنى ... وَابلِى بلائى واخْبُرى وعايِنى

ثم حمل على الفارس فصرعه وأخذ فرسه فأعطاه الظعينةَ ، فبعث دريدٌ فارسا آخر لينظر ما صنع صاحبه فرآه صريعا فصاح به ، فتصامم عنه ، فظنَّ أنه لم يسمع فغَشِيَه ، فألقى الزمام إليها ثم حمل على الفارس فصرعه وهو يقول :

خلِّ سبيلَ الحُرَّةِ المَنيعَهْ ... إنك لاقٍ دونها ربيعهْ
فى كَفِّه خَطِّيَّةٌ مُطيعهْ[2] ... أوْلا فخُذْها طعنةً سريعهْ
فالطعنُ منِّى فى الوَغَى شريعهْ

فلما أبطأ على دريد بعث فارسا آخر لينظر ما صنعا ، فانتهى إليهما فرآهما صريعين ونظر إليه يقود ظعينته ويجر رمحه ، فقال له الفارس : خلِّ عن الظعينة ، فقال لها ربيعة : اقْصِدِى قصْدَ البيوت ، ثم أقبل عليه فقال :

(١) الرداح : المرأة الثقيلة الأوراك .
(٢) فى المطبوع : منيعة . والأمالى جـ ٢ ص ٢٧١ يتفق مع المخطوط .

ماذا تُريد من شَتيمٍ عابسٍ ألمْ ترَ الفارس بعد الفارسِ
أرداهما عاملُ رُمحٍ يابسِ[١]

ثم طعنه فصرعه فانكسر رمحه . فارتاب دريد وظنّ أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل ، فلحق بهم فوجد ربيعة لارمحَ معه ، وقد دنا من الحيّ ، ووجد القوم قد قُتلوا ، فقال له دريد : أيها الفارس إن مثلك لايُقتل ، وإن الخيل ثائرة بأصحابها ، ولا أرى معك رمحا ، وأراك حديث السنّ ، فدونك هذا الرمح فإنى راجع إلى أصحابى فمثبّطٌ عنك . فأتى دريد أصحابه فقال : إن فارس الظعينة قد حماها وقتل فوارسكم وانتزع رمحى ولا طمع لكم فيه ، فانصرف القوم وقال دريد :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله حامى الظعينة فارساً لمْ يُقتَلِ
أردى فوارسَ لم يكونوا نُهْزَةً ثم استمرَّ كأنه لم يَفعَلِ
متهلّلٌ تبدو أسرّةُ وجههِ مثلَ الحسامِ جلتْه كفُّ الصَّيْقل[٢]
يُزْجِى ظعينتَه ويسحب رُمحه متوجِّها يُمناه نحو المَنزلِ
وترى الفوارس من مخافة رُمحه مثل البُغاثِ خَشِينَ وَقْعَ الأجدل[٣]
يا ليت شعرى من أبوه وأمُّه يا صاحِ من يكُ مِثلَه لم يُجْهَلِ

فقال ربيعة :

إن كان ينفعُكَ اليقينُ فسائلَنْ عنِ الظعينةَ يوم وادى الأخرمِ
هلْ هيِ لأوّل من أتاها نُهْزَةٌ لولا طِعانُ ربيعةَ بنِ مكدَّمِ
إذْ قال لى أدنى الفوارس مِنَّةً[٤] خلِّ الظعينةَ طائعا لاتَندَمِ
فصرفتُ راحلةَ الظعينةِ نحوه عمْداً ليعلم بعض مالم يَعلمِ
وهتكْتُ بالرُّمح الطويلِ إهابه فهوَى صريعا لليدين وللفمِ

(١) الشتيم : الأسد العابس . وعامل الرمح : صدره ، وهو ما يلى السنان .

(٢) فى المطبوع : أيدى .

(٣) البغاث : شرار الطير ومالا يصيد منها . والأجدل : الصقر .

(٤) أى بمن على . وفى المطبوع : سبة . وفى الأمالى ٢/٢٧٢ : ميتة .

ومُنَحتُ آخرَ بعده جيّاشةً نجلاءَ فاغرةً[١] كشِدْقِ الأضجم
ولقد شفعتُهما بآخرَ ثالثٍ وأبَى الفِرارَ لىَ الغداةَ تكرُّمى

قال : فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهطُ ربيعة بن مكدم أن أغاروا على بنى جُشَم رهطِ دريد فقتلوا وأسروا وغنموا وأسروا دريد بن الصِّمَّة ، فأخفى نسبه ، فبينا هو عندهم محبوس إذ جاء نسوة يتهادين إليه ، فصرخت امرأة منهن فقالت : هلكتُم وأهلكتم ، ماذا جرَّ علينا قومُنا ؟ هذا والله الذى أعطى ربيعةَ رمحه يوم الظعينة ، ثم ألقت عليه ثوبها وقالت : يا آل فراس ، أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادى ، فسألوه من هو ؟ فقال : أنا دريد بن الصمة فمن صاحبى ؟ قالوا : ربيعة ابن مكدم ، قال : فما فعل ؟ قالوا : قتلته بنو سُلَيم . قال : فمن الظعينة التى كانت معه ؟ قالت المرأة : رَيْطَةُ بنتُ جِذْلِ الطِّعان وأنا هى وأنا امرأته ، فحبسه القوم وآمروا أنفسهم وقالوا : لاينبغى أن تُكْفَر نعمةُ دريد على صاحبنا ، وقال بعضهم : والله لايخرج من أيدينا إلاّ بِرِضا المُخارِق الذى أسره ، وانبعثت المرأة فى الليل فقالت :

سَنَجْزِى دريدا عن ربيعةَ نعمةً وكلُّ فتىً يُجْزَى بما كان قدّما
فإن كان خيرًا كان خيرًا جزاؤه وإن كان شرًّا كان شرًّا مُذَمَّما
سَنَجْزِيه نُعْمى لم تكن بصغيرةٍ بإعطائه الرمح السديدَ المُقوَّما
فقد أدركتْ كفّاه فينا جزاءَهُ وأهلٌ بأن يُجْزَى الذى كان أنعما
فلا تكفروه حقَّ نُعْماهُ فيكمُ ولا تركبوا تلك التى تَمْلأُ الفما
فلو كان حيًّا لم يَضِقْ بثوابه ذِراعا غنيًّا كان أو كان مُعْدِما
ففُكُّوا دريدًا من إسار مُخارقٍ ولاتجعلوا البُؤْسَى إلى الشرّ سُلَّما

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم فأطلقوه ، وكسته رَيْطةُ وجهّزته ولحق بقومه ، ولم يزل كافًّا عن غزو بنى فِراس حتى هلك .

(١) فى المطبوع : فخلا فأهواه لشدق . هذا والمخطوط يتفق مع الأمالى ٢ / ٢٧٢ .

ربيعة وعمرو بن معد يكرب :

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدثنى محمد بن يعقوب بن أبى مريم العَدَوِىّ [١] البصرىّ قال : حدثنى محمد الأزدى قال : حدثنى أبو البلاد [٢] الغطفانى وقبيصة بن ميمون [٣] الصادرىّ قالا :

سأل عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه عَمْرَو بن معد يكرب الزبيدىَّ : من أشجعُ من رأيت ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لأخبرنَّك عن أحْيَلِ الناسِ ، وعن أشجع الناس ، وعن أجبن الناس ، فقال له عمر : هات ، قال : خرجت كأحسن ما رأيت ، وكانت لى فرس شمقمقة [٤] طويلة سريعة الإنفاذ ، تَمَطَّقُ بالعَرَق تمطُّقَ الشيخ بالمَرَق ، فركبتها ثم آليتُ لا ألقى أحدا إلا قتلته ، فخرجت [وهى تعدَّى بى] فإذا أنا بفتى بين عُرْضَيْن [٥] فقلت له : خذ حذرك ، فإنى قاتلك ، فقال : والله ما أنصفتنى يا أبا ثَوْر ، أنا كما ترى أعزلُ أمْيَلُ عُوَّارة ، والعُوَّارة : الذى لا تَتَرَّس معه ، فأنْظِرنى حتى آخذ نَبْلى ، فقلت وما غَناؤُها عنك ؟ قال : أمتنع بها ، قلت : خذها ، قال : لا والله ، أو تعطينى من العهود ما يُثلجنى أنك لا تَرُوعنى حتى آخذها ، قال : فأثلجته ، فقال : وإله قريش لا آخذها أبدا ، فسَلِمَ والله منى وذهبتُ ، فهذا أحيلُ الناس ، فمضيت حتى اشتمل علىَّ الليل ، فوالله ِ إنى لأسيرُ فى قمَرٍ باهر ، كالنور الظاهر ، إذا بفتى على فرس يقود ظعينة وهو يقول :

بالُدَيْنا يا لُدَيْنا   ليتنا يُعْدَى علينا   ثم يُبْلى ما لَدَيْنا

ثم يُخرج حَنظلةً من مِخلاته ، ثم يرمى بها فى السماء فلا تبلغ الأرضَ حتى يَنتظمها

(١) فى المطبوع : العذرى .
(٢) فى المطبوع : أبو العلاء .
(٣) فى المطبوع : مهور .
(٤) الشمقمة : الطويلة النشيطة . وفى مخطوط : ما رأيت شغامقا طويلة الأنقاد .
(٥) العرض ، من معانيه : سفح الجبل . وفى المطبوع عرضين .

بمشقص من نبله ، فصحتُ به : خذ حذرك ثكلتك أمك فإنى قاتلك ، فمال عن فرسه فإذا هو فى الأرض ، فقلت : إنّ هذا إلاّ استخفافٌ ، فدنوت منه وصحت به : ويلك ما أجهلك : فما تحلحل ولا زال عن موضعه ، فشككت بالرمح فى إهابه فإذا هو كأنه قد مات منذ سنة . فضيت وتركته ، فهذا أجبنُ الناس ثم مضيت فأصبحت بين دكادك هرشى إلى غزال ، فنظرت إلى أبيات ، فعدلت إليها ، فاذا فيها جوارٍ ثلاث كأنهن نجوم الثريّا ، فبكين حين رأيننى ، فقلت : ما يبكيكنّ ؟ فقلن : لما ابتلينا به منك ، ومن ورائنا أختٌ لنا هى أجملُ منّا ، فأشرفت من فدفدٍ ، فإذا بشخصٍ لم أر شيئا قط أجمل من وجهه ، فإذا بغلام يخصف نعله عليه ذؤابة يسحبها ، فلما نظر إلىّ وثب على الفرس مبادرا ، ثم ركض فسبقنى إلى البيوت فوجدهن قد ارتعن ، فسمعته يقول لهن :

مهلاً نُسيّاتى لا تُرَوّعْنَ[1] ... إنْ يَمنعِ اليَوْمَ نساءٌ تُمنَعْنْ

أرْخينَ أذيالَ المُروطِ وارْتعنْ

قال : فلما دنوت منه قال : أتطرُدنى أو أطردك ؟ قلت : بل أطردك ، فركض وركضت فى أثره ، حتى إذا أمكنت السّنان من لِفْتِه ، واللِّفْتَةُ أسفلُ من الكتف[2] ، اتكأت عليه ، فإذا هو واللهِ مع لَبَب فرسه ، ثم استوى فى سرجه فقلت : أقلنى ، فقال اطرُدْ ، فتبعته حتى إذا ظننت أن السنان بين ناغضيه[3] اعتمدت عليه فإذا هو والله قائم على الأرض والسّنان زالج ، ثم استوى على فرسه فقلت : أقِلنى ، قال : اطرُدْ ، فطردته حتى إذا أمكنت السنان من مَتْنِه اتكأت عليه وأنا أظن أنى قد فرغت منه ، فمال فى سرجه حتى نظرت إلى بدنه فى الأرض ، ومضى السنان زالجا ، ثم استوى على فرسه وقال : أبعد ثلاث تريد ماذا؟ أطرِدنى ثكلتك أمك ، فوليت وأنا مرعوب منه ، فلما غشينى وجدت مَسّ السنان ،

(١) فى المطبوع : مهلا نسياتى إذا لا ترتمن .
(٢) فى اللسان المتلفتة أعلى عظم العاتق مما يلى الرأس .
(٣) الناغض : أصل العنق . وفى المطبوع : ناصيته .

فالتفت فإذا هو يَطرُدنى بالرمح بلا سنان ، فكفَّ عنى واستنزلنى فنزلت ، ونزل والله فجزّ ناصيتى وقال : انطلق فإنى أنفَسُ بك عن القتل ، فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندى أشدّ من الموت ، فذلك أشجع من رأيت ، وسألت عن الفتى فقيل : ربيعةُ بن مكدّم الفِراسىُّ من بنى كنانة .

وقد أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى هذا الخبر ، وفيه خلاف للأول قال : حدثنا عمر بن [أ]شبة قال : حدثنى محمد بن موسى الهذلى [١] قال : حدثنى سُكَينُ بن محمد قال :

دخل عمرو بن مَعْد يكربَ على عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه فقال له : يا أبا ثور ، من أين أقبلت ؟ قال : من عند سيد بنى مخزوم أعظمِها هامةً ، وأمدّها قامة وأقلّها ملامةً ، وأفضلها حِلْما ، وأقدمها سِلْما ، وأجرئها مُقْدَما ، قال : ومن هو ؟ قال : سيف الله وسيف رسوله ، قال : وأىَّ شىء صنعتَ عنده ؟ قال : أتيته زائرا فدعا لى بِكَعْبٍ وقَوس وثور [٢] . فقال عُمَرُ : وأبيك إن فى هذا لِشبَعاً . قال : لى أولك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لى ولك ، قال أما والله إنى لآكل الجَذَعة وأشرب اللبن رثيئةً [٣] وصِرفا ، فلمَ تقول هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : أىّ أحياء قومك خير ؟ قال : مَذْحِج وكلٌّ قد كان فيه خير [شداد فوارسها . فوارسُ أبطالُها] أهل الرِّباح والرماح ، قال عمر : فأين سَعْد العَشيرة ؟ قال : هم أشدُّنا شَرِيسا [٤] ، وأكثرنا خَميسا [٥] ، وأكرمنا رئيسا ، هم الأوفياءُ البرَرَة ، المَساعير الفَجرة . قال عمر : يا أبا ثور ، ألك عِلْمٌ بالسلاح ؟ قال : على الخبير سقطت ، سَلْ عما بدا لك ، قال : أخبرنى عن النَّبْل ، قال :

---

(١) فى المطبوع : الهمدانى .

(٢) الكعب : قطعة من سمن . والقوس : بقية التمر فى أسفل الجلة . والثور : قطعة من الأقط ، وهو لبن جامد .

(٣) الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو .

(٤) الشريس : الشراسة ، ويراد بها الشدة .

(٥) الخميس : الجيش .

مَنايا تُخطىء وتُصيب ، قال : فأخبرنى عن الرُمح ، قال : أخوك وربما خانَك ، قال : أخبرنى عن التُرْس ، قال : ذاك مِجَنّ وعليه تدور الدوائر ، قال : أخبرنى عن الدِّرع ، قال : مَشْغَلَةٌ للفارس مَتْعَبَةٌ للراجل . قال : أخبرنى عن السيف قال : عنه قارعتَك أمُّك ، فقال له عمر : لا بل أمُّك ، قال له عمرو : لا بل أمُّك[١] فرفع عُمَرُ الدِّرة فضرب بها عَمْرًا وكان مُحتبيا فانحلَّت حَبْوته ، فاستوى قائما وأنشأ يقول :

أتضربنى كأنَّك ذُو رُعَيْنٍ   بخير مَعيشةٍ أوذو نُوَاسِ
فكم ملكٍ كريمٍ قد رأينـا   وعزٍّ ظاهرِ الجبروتِ قاسى
فأضحى أهلُه بادُوا وأضحى   تنقَّل من أناس فى أُناس

قال : صدقت يا أبا ثور ، وقد هدم ذلك كلَّه الإسلامُ ، أقسمت عليك إلاَّ جلست ، فجلس فقال له عمر رضى الله عنه : هل كِعْتَ[٢] من فارس قط ممن لقيت ؟ قال : اعلم يا أمير المؤمنين أنى لم أستحلّ الكذب فى الجاهلية فكيف أستحلُّه فى الإسلام ؟ ولقد قلت لجبهة من خيلى خيلِ بنى زُبيد : أغيروا بنا على بنى البَكّاء ، فقالوا : بعيد علينا المغارُ ، فقلت ، فعلى بنى مالك بن كنانة ، قال : فأتينا على قوم سَرَاة ، فقال عُمَر : وما علمك بأنهم سراة؟ قال : رأيت مزَاوِدَ خيلٍ كثيرة وقُدورًا مُثفاةً ، وقبابَ أدَمٍ ، فعرفت أن القوم سراة فكمنْتُ خيلى حَجْرَةً[٣] ، وجلست فى موضع أسمع كلامهم ، وإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمة لها فجلستْ بين صواحبَ لها ، ثم دعتْ وليدة من ولائدها فقالت : ادعى فلانا ، فدعت لها رجلا من الحىّ فقالت له : إن نفسى تحدثنى أن خيلا تُغير على الحىّ ، فكيف أنت إن زوجتك نفسى؟ فقال : أفعل وأصنع ، فجعل يصف نفسه فيُفرط ، فقالت . له : انصرف حتى أرى رأيِى ، وأقبلت على

(١) فى المطبوع : « قال : عنه قارعتك لأمك الهبل » ، فقال له عمر : لا بل لأمك . قال له عمرو : بل لأمك » . هذا وما فى عيون الأخبار ٢/١٣٠ والعقد الفريد ١/٢١٠ « طبعة لجنة التأليف » يقارب ما أثبتناه عن مخطوط .

(٢) كاع يكيع : جبن .   (٣) الحجرة : الناحية .

صواحباتها فقالت : ما عنده خيرٌ ،ادعى لى فلانا ، فدعت آخر فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه ، فأجابها بنحو جوابه ، فقالت له : انصرف حتى أرى رأيي وقالت لصواحباتها : ولا عند هذا خير أيضا ، ثم قالت للوليدة : ادعى لى ربيعة بن مكدّم ، فدعته فقالت له مثل قولها للرجلين ، فقال لها : إنَّ أعْجَزَ العجز وَصْفُ الرجلِ نفسَهُ ، ولكنى إن لقيت أعْذَرْت ، وحسبُ المرء غَنَاءً أن يُعْذِر ، فقالت له : قد زوّجتك نفسي فاحْضُرغدًا مجلس الحيّ ليعلموا ذلك ، فانصرف من عندها . وانتظرتُ حتى ذهب الليل ولاح الفجر ، فخرجت من مكمنى فركبت فرسى وقلت لخيلى : أغيرى ، فأغارت وتركتها ، وقصدت نحو النسوة ومجلسهن ، فكشفت عن خيمة المرأة ، فإذا أنا بامرأة تامّة ، فلما ملأتْ عينها منى أهوت إلى درعها فشقته وقالت : واثُكْلاه ، والله ما أبكى على مال ولا على تلاد ، ولكن على أخت لى من وراء هذا القَوْزِ تبقى بعدى فى مثل هذا الغائط فتهلك ضَيْعَةً . وأهوت بيدها إلى قَوْز [1] رمل إلى جانبهم . فقلت : هذه غنيمة من وراء غنيمة ، فدفعت فرسى حتى أوفيت على الأنقاء [2] فإذا أنا برجل جَلْدٍ نجْد أهْلبَ أغلب يخصف [3] نعله ، وإلى جانبه فرسه وسلاحه ، فلما رآنى رمى بنعله ثم استوى على فرسه وأخذ رمحه ومضى وما يحفل بى ، فطفقت أشجُرُه بالرمح خَفَقًا [4] وأقول له : يا هذا استأسِرْ ، فمضى ما يحفِلُ بى حتى أشرف على الوادِى ، فلما رأى الخيل تحوِى نَعمَه استعبر باكيا وأنشأ يقول :

قد علمتْ إذ مَنَحَتْنِي فاها ... أنى سأحْوِى اليوم مَنْ حَوَاها

---

(١) القوز : العالى من الرمل كأنه جبل . وفى مخطوط : قور . والقور : جمع قارة ، وهى الأكمة ، أو أرض ذات حجارة سود . وفى المطبوع : « من وراء هذا القور ، وأهوت إلى غور رمل إلى جانبهم تبقى بعدى فى مثل هذا الحائط فتهلك ضيعة » . هذا والغائط : المطمئن الواسع من الأرض .

(٢) الأنقاء : جمع نقا ، وهى القطعة من الرمل .

(٣) النجد : الشجاع . والأهلب : الكثير الشجاعة .

(٤) أشجره : أطعنه . وخفقا : ضربا خفيفا .

• بل ليت شعرى اليوم من دهاها •

فأجبته فقلت :

عَمْرٌو على طول الوَجَى دهاها بالخيل يحميها على وَجاها[١]
• حتى إذا حلَّ بها احتواها •

فحمل علىَّ وهو يقول :

أهنَّ نُضْرُ العيش فى دار نَدَمْ[٢] أُفيض دَمْعا كلّما فاض انسجمْ
أنا ابنُ عبد الله محمود الشِّيَمْ مُؤتَمَنُ الغيب وَفِىٌّ بالذِّمَمْ
أكرم من يمشى بساقٍ وقــدم كالليث إن همَّ بتقْصام قَصَمْ[٣]

فحملت عليه وأنا أقول :

أنا ابن ذى التقليد فى الشهر الأصَمّ أنا ابنُ ذى الأكّالِ قتّال البُهَمْ
مَنْ يلْقَنِى يُودِ كما أودَتْ إرَمْ أتركه لحمًا على ظهر وَضَمْ

فحمل علىَّ وهو يقول :

هذا حمًى قد غاب عنه ذائدُهْ الموت وِرْدٌ والأنام وارِدُهْ

وحمل علىَّ فضربنى ، فَرَغْتُ وأخطأنى ، فوقع سيفُه فى قَرَبُوسِ السَّرْج فقطعه وما تحته حتى هجم على مَتْنسج الفرس ، ثم ثنَّى بضربة أخرى فرُغت وأخطأنى فوقع سيفه على مُؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس وصرت راجلا فقلت له : ويحك من أنت ؟ فوالله ما ظننت أحدا من العرب يُقدِم علىَّ إلا ثلاثة الحارث بن ظالم للعُجْب والخُيَلاء ، وعامر بن الطفيل للسِّنّ والتجْرِبة ، وربيعة بن مُكدَّم للحداثة والغِرَّة[٤] ، فمن أنت ويلك ؟ قال : بل الويل لك فمن أنت ؟ قلت : عمرو بن معد يكرب ، قال : وأنا ربيعة بن مكدَّم . قلت : يا هذا إنى قد

(١) الوجى : وجع حافر الخيول . وقد تكون الوحى أى العجلة .
(٢) فى المطبوع : أهز . . . . قدم .
(٣) قصمه : كسره وأبانه .
(٤) فى المطبوع : والصرامة .

صرت راجلا فاختر منى إحدى ثلاث : إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجزُ منا ، وإن شئت اصطرعنا فأينا صرع صاحبه حكم فيه ، ، وإن شئت سالمتك وسالمتنى ، قال : فالصلح إذًا إن كان لقومك فيك حاجة ، وما بى أيضا على قومى هوان، قلت : فذلك لك ، وأخذت بيده حتى أتيت أصحابى وقد حازوا نعَمه فقلت : هل تعلمون أنى كِعْت عن فارس قطّ من الأبطال إذا لقيتُه ؟ قالوا : نعيذك من ذلك ، قلت فانظروا هذا النعم الذى حزتموه فخذوه منى غدًا فى بنى زُبَيد فإنه نَعَمُ هذا الفتى ووالله لايُوصل إلى شىء منه وأنا حىّ ، فقالوا : لحاك الله من فارس قومٍ أشقيتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فثأتنا ١ عنها ، فقلت : إنه لابدّ لكم من ذاك وأن تَهبوها لى ولربيعة بن مكدَّم ، فقالوا : وإنه لَهوَ ؟ فقلت : نعم . فردّوها وسالمتُه فأمِن حربى وأمنت حربه حتى هلك ٢ .

وفى بعض الأراجيز التى جرت بين عمرو بن معد يكرب وربيعة بن مكدم غناء وقد جُمع شعرا هما معا فى لحن واحد وهو :

صوت

أنا ابن ذى التقليد فى الشهر الأصم ... أنا ابن عبد الله قتَّال البُهَم ٣

أكرم من يمشى بساق وقَـدَم ... مَن يلقَنِى يُودِ كما أودت إرَم

أتركه لحما على ظهر وَضَم ... كالليث إن هَمّ بتقْصام قَصَمْ

مؤتَمَنُ الغيبِ وَفىّ بالذِّمَم

(١) فثأتنا : كففتنا .

(٢) هنا فى المطبوع نقص كبير ، وبعد أن انتهى المخطوط من ترجمة ربيعة بن مكدم بدأ فى ترجمة عنترة التى وضعت فى النسخ المطبوعة فى المجلد السابع طبعة بولاق بنصها . وأغلب النسخ الخطية الموثوق بها جعلت ترجمة عنترة بعد ترجمة ربيعة بن مكدم .

ونحن نسوق بقية أخبار ربيعة بن مكدم وما نقص من أول ترجمة المنذرة بن شعبة نقلا عن المخطوطات تاركين ترجمة عنترة لأنها وردت فى المجلد الثامن من طبعتنا هذه بكاملها . مع نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجمى .

(٣) البهم : الشجعان .

ذكر أحمد بن يحيى أن الغناء فى هذا الشعر لحنين: خفيف ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر ، وذكر الهشامى أنه لابن سَرْجِسَ الملقَّب قراريط .

حدثنى قُمْرِيَّة جارية عمرو بن بانة أنها أخذت عن أحمد بن العلاء هذا اللحن فقال : انظرى أىَّ صوتٍ أخذْتِ ، فوالله لقد أخذتُه عن مُخارق ، فلما استوى لى قال لى مخارق : انظر أى صوت أخذتَ ، فوالله لقد أخذته عن يحيى المكىّ ، فلما غنيته الرشيدَ أطربه فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم .

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنى محمد بن الحسن الأحول ، عن الطَّرَسُوسِيّ .

عن ابن الأعرابىّ قال : أجود بيتٍ وُصِفتْ به الطعنة قولُ أُهْبان بن عاديا قاتلِ ربيعة بن مكدَّم حيث يقول :

ولقد طعنتُ ربيعة بنَ مُكَدَّمٍ ... يومَ الكَدِيد فخرَّ غير موسَّد

فى ناقعٍ شَرِقَتْ بما فى جَوْفِه ... منه بأحمر كالعقيق المُجْسَدِ[1]

صوت

أدْرَكْتِ ما منَّيْتُ نفسى خالياً ... لله درُّكِ يا ابنةَ النُّعْمانِ

إنى لَحلْفِكِ بالصَّليب مُصَدِّقٌ ... والصُّلْبُ أصدقُ حلْفَةِ الرُّهبانِ

ولقد ردَدْتِ على المُغيرةِ ذِهنَه ... إنَّ الملوكَ بطيئةُ الإذعانِ

الشعر للمغيرة بن شُعبة الثقفى يقوله فى هند بنت النعمان بن المنذر لما خطبها فردته ، وخبره فى ذلك وغيره يُذْكر هاهنا إن شاء الله .

والغناء لحنين ثانى ثقيل بالبنْصر عن الهشامى .

---

(١) المجسد : المخلوط بالزعفران . كما فى هامش المخطوط .
هذا وبعد هذا الكلام فى المخطوط .

صوت من المائة المختارة

يادارعبلة من مشارق مأسل ... درس الشؤون وعهدها لم ينجل

إلى آخر ترجمة عنترة ، ونبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجمى ، انظر المجلد الثامن من طبعتنا .

أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه

هو المغيرة بن شُعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مُعتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسِيّ وهو ثقيف. ويكنى أبا عبد الله [١]، وكان يكنى أبا عيسى، فغيّرها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكناه أبا عبد الله.
وأمه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظُويلم بن جُعَيل بن عمرو بن دُهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وكان المغيرة من دُهاة العرب وحزَمتها وذوى الرأى منها والحِيَل الثاقبة، وكان يقال له فى الجاهلية والإسلام: مُغيرة الرأى. وكان يقال: ما اعتلَج فى صدر المغيرة أمرانِ إلاّ اختار أحزمهما.

وصحب النبيَّ صلى الله عليه وسلم وشهد معه الحديبية وما بعدها، وبعثه أبو بكر رضوان الله عليه إلى أهل البُحَيْر. وشهد فتح اليمامة وفتوح الشام. وكان أعور. أصيبت عينه فى يوم اليرموك، وشهد القادسية مع سعد بن أبى وقاص، فلما أراد مراسلة رُسْتم لم يجد فى العرب أدهى منه ولا أعقل، فبعث به إليه، وكان السَّفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب. وولاه عمر رضى الله عنه عِدّة ولايات أحدها البصرة، فَفَتَحَ - وهو واليها - مَيْسانُ ودَسْتُمِيسانَ وأبزَقُباذُ. وقاتل الفُرْس بالمرَعات [٢] فهزَمهم ونهض إلى من كان بسوق الأهواز فقاتلهم وهزمهم وفتحها، وانحازوا إلى نَهْرِ تِيرَى ومَاذَرَ الكبرى، فزحف إليهم فقاتلهم وخرج إلى المشرق مع النعمان بن مُقَرِّن. وكان المغيرةُ على ميسرته، وكان عمر قد عهد إن هلك النعمان فالأمير حُذيفة، فإن هلك حذيفة فالأمير المغيرة بن شعبة. ولما

(١) فى الإصابة: أبو عيسى أو أبو محمد. وقال الطبرى: يكنى أبا عبد الله.
(٢) كذا بالأصل، ولعل صوابها: المرغاب «بفتح فسكون» ذكره ياقوت ولم يذكر المرعات.

فُتحت نَهاوَنْدُ سار المغيرة فى جيش إلى هَمَذَانَ ففتحها ، وولاه عمر بعد ذلك الكوفة، فقُتل عمر وهو واليها ، وولاه إياها معاوية بن أبى سفيان فكان عليها إلى أن مات بها .

وهو أول من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ورتّب الناسَ فيه ، فأعطاهم على الديوان ، ثم صار رَسْمًا لهم بعد ذلك يحتَذونه .

قال محمد بن سعد كاتب الواقدىّ : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنى محمد ابن سعيد الثقفىّ وعبد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفى وعبد الله بن عبد الرحمن بن يَعْلى بن كعب ومحمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه وغيرهم قالوا :

قال المغيرة بن شعبة كُنّا قومٌ [1] من العرب متمسكين بديننا ونحن سَدَنَةُ اللاّتِ ، فأُرانى لو رأيت قوما [2] قد أسلموا ما تبعتهم ، فأجمع نَفَرٌ من بنى مالكٍ الوُفُودَ على المُقَوقِس وأهدَوْا إليه هدايا ، فأجمعتُ الخروج معهم ، فاستشرت عمى عُرْوَةَ بن مسعود ، فنهانى وقال لى : ليس معك من بنى أبيك أحد ، فأبيتُ إلاّ الخروجَ وخرجت معهم وليس معهم أحد من الأحلاف غيرى ، حتى دخلنا الإسكندرية فإذا المقوقس فى مجلس يُطِلّ على البحر ، فركبت قاربا حتى حاذيت مجلسه ، فنظر إلىّ فأنكرنى وأمر من يُسائلنى : ما أنا وما أريد ؟ فسألنى المأمورُ فأخبرته بأمرنا وقدومنا عليه ، فأمر بنا أن نُنْزَلَ فى الكنيسة وأجرى علينا ضيافة ، ثم دعا بنا فنظر إلى رأس بنى مالكٍ فأدناه وأجلسه معه ، ثم سأله : أكُلُّ القوم من بنى مالك ؟ فقال : نعم إلاّ رجلا واحدا من الأحلاف ، فعرّفه إيّاى ، فكنتُ أهونَ القوم عليه . ووضعوا هداياهم بين يديه فسُرّ بها وأمر بقبضها وأمر لهم بجوائز ، وفضّل بعضهم على بعض وقَصَّر بى فأعطانى شيئا قليلاً لاذِكْرَ له وخرجنا ، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهليهم وهم مسرورون ولم يَعْرِض أحدٌ منهم علىّ مواساةً . وخرجوا وحملوا معهم خمرًا . فكانوا يشربون منها وأشرب معهم ونفسى تأبَى أن تدعنى معهم ، وقلت : ينصرفون إلى الطائف بما

(١) قوم بدل من ضمير الجماعة . وفى طبقات ابن سعد : «كنا قوما» . وهو الأحسن .
(٢) فى طبقات ابن سعد ج ٤ القسم الثانى ص ٢٥ : قومنا .

أصابوا وما حَبَاهم به الملك ويخبرون قومى بتقصيره بى وازدرائه إياى ، فأجمعت على قتلهم ، فقلت : أنا أجد صُداعا . فوضعوا شرابهم ودعونى فقلت : رأسى يَصَدَّع ، ولكنى أجلس وأسقيكم ، فلم يُنكروا شيئا ، وجلست أسقيهم وأشرب القدح ، فلما دبَّت الكأس فيهم اشتهوا الشراب فجعلت أُصَرِّف [١] لهم وأُتْرِعُ الكأسَ فأهمَدَتْهم الكأسُ حتى ناموا وما يَعقِلون ، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعا وأخذت جميع ما كان معهم ، فقدمت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوجدته جالسا فى المسجد مع أصحابه ، وعلىَّ ثياب السفر ، فسلمت بسلام الإسلام ، فنظر إلىَّ أبو بكر بن أبى قُحافَة وكان بى عارفا فقال : ابن أخى عُروة ؟ فقلت : نعم جئتُ أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الحمد لله الذى هداك إلى الإسلام . فقال أبو بكر : أمِنْ مصر أقبلتم ؟ قلت : نعم ، قال : فما فعل المالكيُّون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان بينى وبينهم بعضُ ما يكون بين العرب ونحن على دين الشِّرك فقتلتهم وأخذت أسلابهم وجئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَخْمُسَهَا ويرى فيها رأيه فإنما هى غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدِّق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أما إسلامك فنقبله ، ولا نأخذ من أموالهم شيئا ولا نَخمُسُها لأن هذا غَدْرٌ والغدرُ لاخير فيه . فأخذنى ما قرب وما بعُدَ ، فقلت : يا رسول الله إنما قتلتهم وأنا على دين قومى ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة : فقال : إنَّ الإسلام [٢] يَجُبُّ ما كان قبله ، وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنسانا ، فبلغ ذلك ثقيفا بالطائف فتداعوا للقتال ثم اصطلحوا على أن يحمل عمى عروة بنُ مسعودٍ ثلاثَ عشرةَ ديةً . قال المغيرة : وأقمت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اعتمر عُمْرة الحُدَيْبِيَة فى ذى القعدة سنة ستّ من الهجرة ، فكانت أوّلَ سَفْرَةٍ خرجتُ معه فيها ، وكنت أكون مع أبى بكر رضى الله عنه ، وألزم النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يلزم ، وبعثتْ قريشٌ عامَ

(١) أصرف : أسقيهم الخمر صرفا .

(٢) إلى هنا نهاية ما زدناه عن المخطوط ، وكان ساقطا من المطبوع . وبه يتصل الكلام وافيا .

الحديبية عروةَ بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه فكلمه وجعل يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا قائم على رأسه صلى الله عليه وسلم — مقنعٌ فى الحديد — فقلت لعروة وهو يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اكفف يدك قبل أن لاتصل إليك، فقال عروة: يا محمد من هذا؟ ما أفظّه وأغلظه: فقال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، فقال عروة: يا عدو الله ما غسلتُ عنّى سَوأتَك إلاّ بالأمس يا غُدَر.

أخبرنى محمد بن خلف قال: حدثنا أحمد بن الهيثم الفِراسى قال: حدثنا العُمَرِىّ، عن الهيثم بن عدىّ، عن مجالد، عن الشعبى قال:

قال المغيرة بن شعبة: أول ما عرفتنى به العرب من الحزم والدّهاء أنى كنت فى ركب من قومى فى طريق لنا إلى الحيرة فقالوا لى: قد اشتهينا الخمرة، وما معنا إلا درهم زائف، فقلت: هاتوه وهَلُمُّوا زِقَّين، فقالوا: وما يكفيك بدرهم واحد زائف زِقٌ واحد؟ قلت: أعطونى ما طلبت وخلاكُم ذمٌّ، ففعلوا وهم يهزءون من قولى، فصببت فى أحد الزقين شيئا من ماء ثم جئت إلى خمار بالحيرة فقلت له: كِلْ لى مِلْءَ هذا الزقّ. فملأه، فأخرجت الدرهم الزائف فأعطيته إياه، فقال لى: ما هذا ويحك أمجنون أنت؟ فقلت: مالك؟ فقال: إن ثمن هذا الزق عشرون درهما جيادا، وهذا درهم زائف، فقلت له: أنا رجل بدَوِىّ وظننت أن هذا يصلح [1] فإن صلح وإلاّ فخذ شرابك، فاكتال منى ما كاله وبقى فى زِقّى من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء، فأفرغته فى الزق الآخر وحملتهما على ظهرى وخرجت، فصببت فى الزق الأول ماء ودخلت إلى خمار آخر فقلت إنى أريد ملء هذا الزق خمرا، فانظر إلى ما معى منه، فإن كان عندك مثله فأعطنى فنظر إليه، وإنما أردت أن لايسترِيب بى إذا رَدَدت الخمر عليه، فلما رآه قال: عندى أجود منه، قلت: هاتِ، فأخرج إلىّ شرابا فاكتلته فى الزق الذى فيه الماء، ثم دفعت إليه الدرهم الزائف، فقال لى مثلَ قول صاحبه، فقلت: خذ

(١) فى المطبوع: أن هذا يصلح كما ترى.

خمرك ، فأخذ ما كان لى وهو يرى أنى خلطته بالشراب الذى أريته إياه ، وخرجت فجعلته مع الخمر الأول ، ثم لم أزل أفعل ذلك بكل خمار فى الحيرة حتى ملأت زقى الأول وبعض الآخر ، ثم رجعت إلى أصحابى فوضعت الزقين بين أيديهم ورددت درهمهم ، فقالوا : ويحك أى شىء صنعت ؟ فحدثتهم ، فجعلوا يعجبون ، وشاع لى الذكر فى العرب بالدهاء حتى اليوم .

أول من خضب بالسواد :

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن معاوية النَّيْسابورى قال : حدثنا داود بن خالد ، عن العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس قال :

أول من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة ، خرج على الناس وكان عهدهم به أبيضَ الشعر ، فعجب الناس منه .

قال محمد : وأخبرنى شهاب بن عبَّاد قال : حدثنا إبراهيم بن حميد الرُّؤَاسىُّ ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم .

عن المغيرة بن شعبة قال : كنت جالسا عند أبى بكر رضى الله عنه إذ عُرِض عليه فرس له ، فقال له رجل من الأنصار : احملنى عليها ، فقال أبو بكر : لأنْ أحمل غلاما قد ركب الخيل أحبُّ إلىَّ من أن أحملك عليها ، فقال له الأنصارى : أنا خير منك ومن أبيك . قال المغيرة : فغضبت لمَّا قال ذلك لأبى بكر رضى الله عنه ، فقمت إليه فأخذت برأسه فركبته وسقط على أنفه ، فكأنما كان عِدْلَى [١] مَزَادة ، فتوعدنى الأنصار أن يَستقيدوا منى ، فبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه فقام فقال : إنه بلغنى عن رجال زعموا أنى مُقيدهم من المغيرة ، ووالله لأن أخرجهم من ديارهم أقرب إليهم من أن أُقيدهم [٢] وَزَعَةَ الله الذين يَزَعُون إليه .

---

(١) فى مخطوط كان عزلى مزادة هذا والعزلاء : فم القربة ، فلو صح أن العزلة بمعنى العزلاء لكان المعنى أحسن من رواية المطبوع . هذا وانظر اللسان مادة غرل أيضا .

(٢) هكذا فى الأصل . وفى النهاية لابن الأثير « وزع » : أقيد من وزعة الله .

وأخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعى وحبيب بن نصر المهلبى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا محمد بن سلام الجُمحىُّ قال : حدثنا حسان بن أبى العلاء الرِّياحى ، عن أبيه ، عن الشَّعبىِّ قال :

ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر ، وهى بدير هند متنصرة عمياء بنت تسعين سنة ، فقالت له : من أنت ؟ قال : أنا المغيرة بن شعبة ، قالت : أنت عامل هذه المَدَرة ؟ تعنى الكوفة قال : نعم ،قالت : فما حاجتُك ؟ قال : جئتك خاطبا إليك نفسك ، فقالت : أمَا واللهِ لو كنتَ جئت تبغى جمالا أو دينا أوحَسَبا لتزوجناك ولكنك أردتَ أن تجلس فى موسم مِن مواسم العرب فتقول : تزوجت بنت النعمان بن المنذر ، وهذا والصَّلِيبِ أمرٌ لايكون أبدا ، أوْ ما يكفيك فخرا أن تكون فى ملك النعمان وبلاده تُدبرَّها كما تريد ، وبكت ، فقال لها : أى العرب كان أحبَّ إلى أبيك ؟ قالت : ربيعة ، قال : فأين كان يجعل قيسا ؟ قال : بحيث كان يراهم [1] من طاعته ، قال : فأين كان يجعل ثقيفا ؟ قالت : رويدك لاتعجل ، بينا أنا ذات يوم جالسة فى خِدْرٍ لى إلى جنب أبى إذ دخل عليه رجلان : أحدهما من هَوازن والآخر من بنى مازن ، كل واحد منهما يقول : إن ثقيفا منا فأنشأ أبى يقول :

إن ثقيفا لم تكن هَوَازنـــا ولم تُناسب عامرًا وما زنا

إلا قريبا فانشروا المحـــاسنا

فخرج المغيرة وهو يقول :

أدْركْتِ ما منَّيتُ نفسى خاليا لله دَرُّك يا ابنةَ النُّعمان

وذكر الأبيات التى مضت وذكرت الغناء فيها .

أخبرنى محمد بن خلف قال : أخبرنى الحارث بن محمد قال : قال أبو عبيدة قال العلاء بن جرير العنبرى :

(١) فى المطبوع : قالت كان يستعفيهم .

بينا حسان بن ثابت ذات يوم جالس بالخَيْفِ من مِنى وهو مكفوف إذ زفر زفرة ثم أنشأ يقول :

وكأنّ حافِرَها بكلّ خَميلةٍ صاعٌ يكيل به شَحيحٌ مُعْدِمُ
عارِى الأشاجع من ثقيفٍ أصلُه عبدٌ ويزعم أنه مِنْ يَقْدُمِ [1]

قال : والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم ، فلما أتاه بها الرسول قال : من بعث بهذه ؟ قال : المغيرة بن شعبة سمع ما قلتَ ، فقال : واسوأتاه . وقبِلها .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال : حدثنا إسماعيل بن عيسى العَتَكىّ قال : حدثنا محمد بن سلام الجمحىّ قال :

أحْصَنَ المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة ، فيهن ثلاث بنات لأبى سفيان ابن حرب ، وفيهن حفصة بنت سعد بن أبى وقاص وهى أمّ ابنه حمزة بن المغيرة ، وعائشة بنت جرير بن عبد الله .

وقال أبواليقظان : صلى المغيرة بن شعبة بالناس سنة أربعين فى العام الذى مات فيه علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فجعل يوم الأضحى يوم عرفة وأظنه خاف أن يُعْزَل فسبق ذلك ، فقال الراجز :

سِيرِى رُوَيدا وابتغى المغيرَهْ كلَّفْتِها الإدلاجَ بالظّهيرَهْ

قال : وكان المغيرة مِطْلاقا ، فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال : إنكن لطويلات الأعناق ، كريمات الأخلاق ، ولكنى رجل مطلاق ، فاعتدِدْنَ .

أقسام النساء :

وكان يقول : النساء أربع ، والرجال أربعة : رجل مُذَكَّر وامرأة مُؤنثة فهو قوام عليها ، ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهى قوامة عليه ، ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوَعِلَين ينتطحان ، ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لايأتيان بخير ولا يفلحان .

(١) فى الاشتقاق ١٠٥ يقدم من إياد . ويقال إن ثقيفا من بنى يقدم . هذا وفى الشعر إقواء .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا الأصمعىّ قال : حدثنا أبو هلال عن مطير [١] الوراق قال :

قال المغيرة بن شعبة : نكحت تسعا وثمانين امرأة أو قال : أكثر من ثمانين امرأة ، فما أمسكت امرأة منهن على حُبٍّ ، أمسكها لولدها ولحسنها ، ولكذا وكذا ، قال أبو زيد : وبلغنى أنهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة فقال : أنا أعلمكم بهنّ ، تزوجت ثلاثا وتسعين امرأة ، منهن سبعون بكرا ، فوجدت اليمانية كثوبك ، أخذت بجانبه فاتبعك بقيته ، ووجدت الرَّبعيَّة أمَتَك ، أمرتها فأطاعتك ، ووجدت المُضرية قِرْنا إنْ ساورتَه غلبته أو غلبك .

حدثنا ابن عمار قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أبو عاصم قال :

رأى المغيرة امرأة له تَخَلَّلُ بعد صلاة الصبح فطلقها ، فقالت : علامَ طلّقنى ؟ قيل : رآكِ تخلَّلين فظن أنك أكلتِ ، فقالت : أبعده اللهُ واللهِ ما أتخلل إلاّ من السواك .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى موسى بن إسماعيل قال : حدثنا حمَّاد بن سلمة ، عن زيد بن أسلم .

أن رجلا جاء فنادى يستأذن لأبى عيسى على أمير المؤمنين ، فقال عمر رضى الله عنه : أيكم أبو عيسى ؟ قال المغيرة بن شعبة : أنا ، فقال له عمر هل لعيسى من أب ؟ أما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبى عبد الله وأبى عبد الرحمن ؟ فقال له رجل من القوم : أشهد أن النبى صلى الله عليه وسلم كنَّاه بها ، فقال له عمر : إن النبى صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأنا لا أدرى ما يُفعل بى . فكناه أبا عبد الله .

أخبرنى هاشم بن محمد قال : حدثنى أبو غسَّان دماذ ، عن أبى عبيدة قال ، وحدثنى [٢] عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ قال : كان الجمال بالكوفة ينتهى إلى

(١) فى مخطوط : مطر. (٢) الذى حدثه الجاحظ هنا هشام أو دماذ لا أبو الفرج .

أربعة نفر : المغيرة بن شعبة ، وجرير بن عبد الله ، والأشعث بن قيس، وحُجر ابن عديّ ، وكلهم كان أعور ، وكان المغيرة والأشعث وجرير يوما متواقفين بالكُناسة، فطلع عليهم أعرابيّ فقال لهم المغيرة : دعوني أُحرّكه ، قالوا : لاتفعل فإن للأعراب جوابا يُؤْثَر ، قال : لابد ، قالوا : فأنت أعلم ، قال له : يا أعرابي هل تعرف المغيرة بن شعبة ؟ قال نعم : أعرفه زانيا ، فوَجَم ثم تجلّد فقال : هل تعرف الأشعث بن قيس ؟ قال: نعم أعرفه ، ذاكَ رجل لايَعْرَى قومُهُ ، قال: وكيف ذاك ؟ قال : لأنه حائكٌ ابنُ حائك . قال : فهل تعرف جرير بن عبد الله ؟ قال : وكيف لا أعرف رجلا لولاه ما عُرِفَتْ عشيرتُه . قالوا له : قبّحك اللهُ فإنك شرّ جليس، فهل تحبّ أن يُوقَر بعيرك هذا مالاً وتموتَ أكرم العرب ؟ قال : فمن يُبْلِغُه أهلي إذَنْ . فانصرفوا عنه وتركوه .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدثني أبوسعيد السكريّ قال : حدثنا محمد بن أبي السريّ[١] — واسم أبي السري سهل بن سلام الأزدي — قال : حدثني هشام بن محمد قال : أخبرنا عوانة بن الحكم قال :

خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذ ومعه الهيثم بن الأسود النَّخَعيّ بعد غِبِّ مطر يَسيرُ في ظهر الكوفة والنَّجَفِ فلقي ابنَ لِسانِ الحُمَّرة[٢] أحدَ بني تيم الله بن ثعلبة ، وهو لا يعرف المغيرة ، فقال له المغيرة : من أين أقبلت يا أعرابي؟ قال من السَّماوَة ، قال : كيف تركت الأرض خلفك ؟ قال عريضة أريضة ، قال : وكيف كان المطر ؟ قال: عفَّى الأثر ، وملأ الحُفر ، قال : ممن أنت ؟ قال: من بكر بن وائل ، قال: كيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتُهم لم أعرف غيرهم، قال : فما تقول في بني شيبان ؟ قال : سادتنا وسادةُ غيرنا ، قال : فما تقول في بني ذُهْل؟ قال: سادة نَوْكى ، قال: فقيس بن ثعلبة ؟ قال: إن جاورتَهم سرقوك، وإن ائتمنتَهم خانوك . قال: فبنو تيم الله بن ثعلبة ؟ قال : رعاءُ النَّقَد[٣] وعراقيب

(١) في مخطوط : ابن السري واسم ابن السري .

(٢) هو عبد الله بن حصن النسابة « جمهرة أنساب العرب ٢٩٦ » . وفي « اللسان: حمر » : من خطباء العرب . وفي « حياة الحيوان » : الحمر : اسمه ورقاء بن الأشعر .

(٣) النقد : السفل من الناس والرعاع كذلك ، فهم سفل السفل ، لكن ضبطت الكلمة في مخطوط بسكون القاف ، أما في المطبوع : قال : رعاء البقر .

الكلاب. قال : فما تقول فى بنى يَشْكُر؟ قال : صريح تحبسه مولى بمنظره ، قال هشام : لأن فى ألوانهم حُمْرة ، قال فَعِجْل ؟ قال : أحلاس الخيل ، قال فحَنيفة ؟ قال : يطعمون الطعام : ويضربون الهام ، قال : فعَنَزَة ؟ قال : لاتلتقى بهم الشفتان لؤما ، قال : فضُبَيْعة أضجم ؟ قال : جدْعا وعقْرًا ، قال : فأخبرنى عن النساء ، قال : النساء أربع : رَبيع مَربع ، وجميعٌ يجمع ، وشيطان سَمَعْمَع ، وغُلٌّ لا يُخلع ، قال : فسِّرْ ، قال : أمَّا الربيع المربَعَ فالتى إذا نظرت إليها سرّتك ، وإذا أقسمت عليها أبرَّتك . وأما التى هى جميع يجمع فالمرأة تتزوجها ولها نشب فتجمع نشبك إلى نشبها [١] وأما الشيطان السَّمَعْمَع فالكالحة فى وجهك إذا دخلت ، والمُولولة فى إثرك إذا خرجت ، وأما الغُلُّ الذى لايخلع فبنت عمك السوداء القصيرة الفوهاء الدَّميمة [٢] التى قد نَثَرَتْ لك بطنها ، إن طلّقتها ضاع ولدك : وإن أمسكتها فعلى جدع أنفك [٣] . فقال له المغيرة : بل أنفك ثم قال له : ما تقول فى أميرك المغيرة بن شعبة ؟ قال أعور زَنَّاء ، فقال الهيثم : فض اللهُ فاك ، ويلك هذا الأمير المغيرة ، فقال : إنها كلمة والله تقال . فانطلَقَ به المغيرةُ إلى منزله وعنده يومئذ أربعُ نسوة وستون أو سبعون أمةً فقال له : ويحك هل يزنى الحرُّ وعنده مثلُ هؤلاء ؟ ثم قال لهن المغيرة : ارمين إليه بحليكُنَّ فقعلن ، فخرج الأعرابى بملء كسائه ذهبا وفضة .

أخبرنى عبيد الله بن محمد قال : حدثنا الخرّاز ، عن المدائنى ، عن أبى مِخْنَف ، وأخبرنى أحمد بن عيسى العِجلىّ قال : حدثنا الحسين بن نصر قال : حدثنى أبى نَصْرُ بن مزاحم قال : حدثنا عمر بن سعد [٤] عن أبى مِخْنَف عن رجاله .

---

(١) فى مخلوط : نسب فتجمع نسبك إلى نسبها . وأثبتنا ما يتفق مع اللسان فى مادة «سمع» .

(٢) فى اللسان : القصيرة الفوهاء ، الدميمة السوداء . وفى المطبوع : القصيرة الورهاء .

(٣) فى اللسان : التى نثرت لك ذا بطنها ، فإن طلقتها ضاع ولدك ، وإن أمسكتها أمسكتها على مثل جدع أنفك .

(٤) فى مخطوط : حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم عمر بن سعد عن أبى مخنف .

أن المغيرة بن شعبة جاء إلى عليّ بن أبى طالب عليه السلام فقال له : اكتب إلى معاوية فوَلِّه الشام ومُرْه بأخذ البيعة لك ، فإنك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك . فقال علىّ عليه السلام : ما كنت متَّخِذَ المُضِلِّين عَضُدًا . فانصرف المغيرة وتركه ، فلما كان من غد جاءه فقال : إنى فكرت فيما أشرتُ به عليك أمسِ فوجدته خطأ ووجدت رأيك أصوب ، فقال له علىّ : لم يخفَ علىّ ما أردتَ ، قد نصحتنى فى الأولى وغششتنى فى الآخرة ، ولكنى والله لا آتى أمرًا أجد فيه فسادًا لدينى طلبا لصلاح دنياى . فانصرف المغيرة .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى إبراهيم بن سعيد بن شاهين قال : حدثنى عبد الله قال : [1] حدثنى محمد بن يونس الشِّيرازىّ قال : حدثنى محمد ابن غسان الضَّبّىّ قال : حدثنى زاجرُ بن عبدالله الثقفىّ مولى الحجاج بن يوسف قال :

كان بين المغيرة بن شعبة وبين مَصْقَلة بن هُبيرة الشيبانىّ تنازعٌ ، فتضرع له المغيرة وتواضع فى كلامه حتى طمع فيه مصقلة واستعلى عليه فشتمه وقذفه ، فقدَّمه المغيرةُ إلى شُرَيحٍ وهو القاضى يومئذ وأقام عليه البينة ، فضربه الحدّ ، فآلى مصقلة أن لا يُقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيًّا ، وخرج إلى بادية بنى شيبان فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة ، ثم دخل الكوفة فتلقاه قومه وسلَّموا عليه ، فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثقيف ، فأرشدوه إليها ، فجعل قوم من مواليه يلتقطون الحجارة فقال : ما هذا ؟ قالوا ، ظننا أنك تريد أن ترجم قبره ، فقال : ألقوا ما فى أيديكم ، فألقوه ، وانطلق حتى وقف على قبره ثم قال : والله لقد كنتَ ما علمتُ نافعا لصديقك ، ضائرًا لعدوّك ، وما مثلك إلاّ كما قال مُهَلْهِل فى أخيه كُليب :

إنّ تحت الأحجار حَزْمًا وعزما وخصيما ألدّ ذا مِعلاق [2]

(١) جملة : « حدثنى عبد الله قال » لا توجد فى المطبوع .

(٢) المعلاق : اللسان البليغ .

حيّةٌ فى الوِجارِ أرْبَــــد لاينـ ـفع منه السليمَ نفثُ الراقى

وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان ، عن أحمد بن القاسم ، عن العُمرىّ عن الهيثم ، عن مجالد عن الشّعبىّ .

أن مصقلة قال له : والله إنى لأعرف شبهى فى عُروة [1] ابنِك ، فأشهد عليه بذلك وجلده الحد . وذكر باقى الخبر مثل الذى قبله .

أخبرنى محمد بن عبد الله الرّازى قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنى عن مسلمة بن محارب قال :

قال : رجل من قريش لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه : ألا تتزوّج أم كلثوم بنت أبى بكر فتحفظه بعد وفاته وتَخْلُفَه [2] فى أهله ؟ فقال عمر : بلى إنى لأحب ذاك ، فاذهب إلى عائشة فاذكر ذلك لها وعُدْ إلىّ بجوابها ، فمضى الرسول إلى عائشة فأخبرها ما قال عمر ، فأجابته إلى ذلك وقالت : نعم وكرامة ، ودخل عليها بعقب ذلك المغيرة بن شعبة فرآها مهمومة فقال لها : مالك يا أم المؤمنين ؟ فأخبرته برسالة عمر وقالت : إنّ هذه جاريةٌ حَدَثَةٌ وأردتُ لها ألْيَنَ عيشا من عمر ، فقال لها : علىّ أن أكفيكِ ، وخرج من عندها فدخل على عمر فقال : بالرّفاء والبنين ، قد بلغنى ما أتيته من صِلَةِ أبى بكر فى أهله وخِطْبتك أمّ كُلثوم ، فقال : قد كان ذاك ، قال : إلاّ أنك يا أمير المؤمنين رجل شديد الخُلق على أهلك ، وهذه صبية حديثة السّنّ فلا تزال تُنكر عليها الشىء فتضربها فتصيح يا أبتاه فيغمك ذلك ، وتتألم له عائشة ويتذكّرون أبا بكر فيبكون عليه ، فتُجدّد لهم المصيبة مع قرب عهدها فى كل يوم ، فقال له : متى كنت عند عائشة وأصدقنى ؟ فقال : آنفا ، فقال عمر : أشهد أنهم كرهونى فتضَمَّنْتَ لهم أن تَصرفنى عما طلبتُ ، وقد أعفيتُهم ، فعاد إلى عائشة فأخبرها بالخبر ، وأمسك عمر عن معاودتها .

(١) فى المطبوع : فى غرة ابنك .

(٢) ضبطت فى مخطوط : تخلفه « من أخلفه » .

قصة اتهامه بامرأة :

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وأحمد بن عبيد اللهُ بن عمار قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى علىّ بن محمد عن سليمان [١] الباقِلانىّ ، عن قتادة ، عن غُنيم بن قيس قال :

كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرقطاء ، فلقيه أبو بكرة فقال له : أين تريد ؟ قال : أزور آل فلان ، فأخذ بتلابيبه وقال : إن الأمير يُزَار ولا يزُور .

وحدثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضى الله عنه أحمد بن عبيدالله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز قالا : حدثنا عمر بن شبة ، فرواه عن جماعة من رجاله بحكايات متفرقة [فذكرت أسانيدها أجمع هاهنا ، وجمعتُ ماتفرق من الحكايات] قال عمر بن شبة : حدثنى أبو بكر العُلَيْمِىُّ قال : أخبرنا هشام عن [٢] عيينة ابن عبد الرحمن بن جَوْشن ، عن أبيه ، عن أبى بكْرة ، قال عمر بن شبة ، وحدثنا أيضا عمرو بن عاصم قال : حدثنى حماد بن سلمة ، عن على بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة. قال أبو زيد عمر بن شبة [وحدثنا على بن محمد عن حِبان ابن موسى عن مجالد عن الشعبى ، قال] : وحدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى قال : حدثنا عوف ، عن قَسَامة بن زُهير ، قال أبو زيد عمر بن شبة : قال الواقدى حدثنى عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر [٣] ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس بن الحدَثان .

قال : وحدثنى على بن أبى هاشم [٤] ، عن إسماعيل بن أبى عبلة عن عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس بن مالك .

أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار ، وكان أبو بكرة

---

(١) فى المطبوع : بن سليمان .
(٢) فى مخطوط : بن عيينة . هذا وعيينة روى عنه هشيم ، انظر تهذيب التهذيب .
(٣) فى المطبوع : حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن أبى بكرة .
(٤) فى المطبوع : وحدثنى محمد بن على بن هاشم . هذا وابن أبى عبلة لعله بن علية .

يلقاه فيقول له : أين يذهب الأمير ؟ فيقول له : آتي حاجةً . فيقول له : حاجة
ماذا ؟ إن الأمير يُزار ولا يَزور ، قال : وكانت المرأة التى يأتيها جارةً لأبى بكرة .
قال : فبينا أبو بكرة فى غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد ورجل آخر يقال له
شبل بن معبد وكانت غرفة جارتِه تلك بحذاء غرفة أبى بكرة ، فضربت الريح
باب غرفة المرأة ففتحته ، فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها ، فقال أبو بكرة :
هذه بليّة ابتُليتم بها فانظروا ، فنظروا حتى أثبتوا ، فنزل أبو بكرة حتى خرج عليه
المغيرة من بيت المرأة فقال له : إنه قد كان من أمرك ما قد علمتَ فاعتزلنا ، قال :
وذهب ليصلى بالناس الظهر فمنعه أبو بكرة وقال له : والله لا تصلى بنا وقد فعلت
ما فعلت ، فقال الناس : دعوه فليصلِّ فإنه الأمير واكتبوا بذلكم إلى عمر ،
فكتبوا إليه ، فورد كتابه بأن يقدموا عليه جميعا ، المغيرة والشهود ، وقال المدائنى
فى حديثه عن حبان بن موسى : وبعث عمر بأبى موسى الأشعرى على البصرة ،
وعزم عليه أن لا يضع كتابه عن يده حتى يُرْحِل المغيرةَ بنَ شعبة ، قال علىّ بن
أبى هشام فى حديثه : إن أبا موسى قال لعمر لمّا أمره أن يُرحله من وقته : أوخير من
ذاك يا أمير المؤمنين ، تتركه يتجهز ثلاثا ثم يخرج ، قال : فصلينا صلاة الغداة بظهر
المِرْبد ودخلنا المسجد ، فإذا هم يصلون : الرجالُ والنساءُ مختلطين ، فدخل رجل
على المغيرة فقال له : إنى رأيت أبا موسى فى جانب المسجد عليه بُرْنس ، فقال
له المغيرة : ما جاء زائرا ولا تاجرا ، فدخلنا عليه ومعه صحيفة مثل هذه ؛ فلما رآنا
قال : أمير ؟ فأعطاه أبو موسى الأميرُ الكتابَ ، فلما قرأه ذهب يتحرك عن سريره
فقال له أبو موسى : مكانك تجهّز ثلاثا ، وقال آخرون : إن أبا موسى أمره أن
يرحل من وقته ، فقال له المغيرة : لقد علمتَ ما وُجِّهتَ له فَأَلاّ تقدمْتَ فصليتَ ،
فقال له أبو موسى ؛ : ما أنا وأنت فى هذا الأمر إلا سواء ، فقال له المغيرة : فإنى
أحب أن أقيم ثلاثا لأتجهّز ، فقال : قد عزم علىّ أميرُ المؤمنين أن لا أضع عهدى
من يدى إذا قرأتهُ عليك حتى أُرحِّلك إليه ، قال : إن شئت شفّعتنى وأبررت
قسم أمير المؤمنين ، قال : فكيف ؟ قال : تؤجلنى إلى الظهر وتمسك الكتاب فى يدك ،
قال : فلقد رُئى أبو موسى يمشى مقبلا ومدبرا وإن الكتاب لفى يده معلّق بخيط ،
فتجهز المغيرة ، وبعث إلى أبى موسى بعقيلةَ جاريةٍ عربيةٍ من سَبْىِ اليمامة من

بنى حَنيفة ، ويقال : إنها مولَّدةُ الطائفِ ومعها خادم لها . وسار المغيرة حين صلى الظهر حتى قدم على عمر رضى الله عنه . قال فى حديث محمد بن عبد الله الأنصارى : فلما قدم على عمر قال له : إنه قد شُهِدَ عليك بأمرٍ إن كان حقا لأنْ تكونَ مِتَّ قبل ذلك كان خيرا لك .

قال أبو زيد : وحدثنى الحَكَمُ بن موسى قال : حدثنا يحيى بن حمزة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن عبد الله بن عبد الرحمن [1] الأنصارى عن مصعب بن سعد .

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جلس ودعا بالمغيرة والشهود [2] ، فتقدم أبو بكرة فقال له : أرأيته بين فخذيها ؟ قال : نعم والله لكأنى أنظر إلى تَشْرِيمِ جُدَرِىٍّ بفخذيها ، فقال له المغيرة : لقد ألطفتَ النظر ، فقال له : ألم أكُ قد أثبتُّ ما يخزيك الله به ؟ [3] فقال له عمر : لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المِرْوَدُ فى المكْحلة ، فقال : نعم أشهد على ذلك ، فقال له : اذْهَبْ عنك مغيرةُ ، ذهب ربعك ، ثم دعا نافعا فقال له : علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة أبى بكرة . قال : لا حتى تشهد أنه يلج فيه ولوج المرود فى المكحلة .

فقال : نعم حتى بلغ قُذَذَه [4] ، فقال : اذْهب عنك مغيرة ، ذهب نصفك ، ثم دعا الثالث فقال : علام تشهد ؟ فقال : على مثل شهادة صاحِبَىَّ ، فقال له علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه : اذهب عنك مغيرة ، ذهب ثلاثة أرباعك ، قال : حتى مكث يبكى إلى المهاجرين فبكوا ، وبكى إلى أمهات المؤمنين [5] حتى

---

(١) فى مخطوط : . . . فروة ، عن عبد الله عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصارى .

(٢) فى الطبرى حوادث سنة ١٧ أن المغيرة قال : «سل هؤلاء الأعبد كيف رأونى ، مستقبلهم أو مستدبرهم ، وكيف رأوا المرأة أو عرفوها ، فإن كانوا مستقبلى فكيف لم أستتر ، أو مستدبرى. فبأى شىء استحلوا النظر إلى فى منزلى على امرأتى والله ما أتيت إلا امرأتى ، وكانت شبهها» . وذكر أن أبا بكرة قال : رأيتهما مستدبرهما وأن شبل بن معبد قال استقبلتهما .

(٣) فى مخطوط : ألم أر أن أثبت بما يخزيك الله به .

(٤) القذذ : جوانب الفرج .

(٥) فى مخطوط ، وبكى أمهات المؤمنين .

بكين معه، وحتى لايجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة ، قال : ثم كتب إلى زياد فقدم على عمر ، فلما رآه جلس له فى المسجد ، واجتمع له رءوس المهاجرين والأنصار ، قال المغيرة : ومعى كلمة قد رفعتُها لأكلّم القوم ، قال : فلما رآه عمر مقبلا قال : إنى لأرى رجلا لن يخزى الله على لسانه رجلا من المهاجرين .

قال أبو زيد : وحدثنا عفّان قال : حدثنا السرىّ بن يحيى قال : حدثنا عبد الكريم بن رشيد ، عن أبى عثمان النّهدىّ قال :

لما شهد عند عمر الشاهد الأول على المغيرة تغير لذلك لون عمر ، ثم جاء آخر فشهد فانكسر لذلك انكسارا شديدا ، ثم جاء رجل شاب يخطر بين يديه ، فرفع عمر رأسه إليه وقال له : ما عندك يا سَلْحَ العُقاب – وصاح أبو عثمان صيحةً تحكى صيحة عمر – قال عبد الكريم : لقد كدت أن يغشى علىّ . وقال الآخرون قال المغيرة : فقمت إلى زياد فقلت : لامخبأ لعِطْر بعد عروس ، ثم قمت فقلت : يا زياد اذكر الله واذكر موقفك يوم القيامة فإن الله وكتابه ورسله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمى إلاّ أن تتجاوزَ إلى مالم تر [مارأيت ، فلا يحملك شرّ منظرٍ رأيته على أن تتجاوز إلى مالم] تر ، فوالله لو كنتَ بين بطنى وبطنها مارأيت أين سلك ذكرى منها، قال فبرقت [1] عيناه واحمرّ وجهه وقال : يا أمير المؤمنين : أمّا أنْ أحُقّ ما حقّ القومُ فليس ذلك عندى ، ولكنى رأيت مجلسا قبيحا ، وسمعت نفسا حثيثا وانبهارا ، ورأيته متبطّنها ، فقال له : أرأيته يدخله كالميلِ فى المكحلة ؟ فقال : لا. وقال غيرُ هؤلاء : إن زيادا قال له : رأيته رافعا برجليها ، ورأيت خصيتيه تتردّدان بين فخذيها ، ورأيت حفزًا شديدا وسمعت نفسًا عاليا ، فقال له : أرأيته يُدخله ويخرجه كالميل فى المكحلة ؟ فقال : لا ، فقال عمر : اللهُ أكبر ، قم إليهم فاضربهم ، فقام إلى أبى بكرة فضربه ثمانين ، وضرب الباقين ، وأعجبه قولُ زياد ، ودرأ عن المغيرة الرجم [2] فقال أبو بكرة بعد أن ضُرِب : فإنى أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا ، فهمّ عمر بضربه ، فقال له علىّ عليه السلام : إن ضربته

(١) فى مخلوط : فرنقت : ويكون معناها لطفت حدتها ولم تعنف .
(٢) فى مخلوط : الحد .

رَجَمْتَ صاحبك ، ونهاه عن ذلك ، قال : يعنى أنه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين فوجب بذلك الرَّجْمُ على المغيرة .

قال : واستتاب عمر أبا بكرة ، فقال : إنما تستتيبنى لتَقْبَلَ شهادتى . قال : أجل ، قال : لاأشهد بين اثنين ما بقيت فى الدنيا . قال : فلما ضُرِبوا الحدّ قال المغيرة : الله أكبر ، الحمد لله الذى أخزاكم ، فقال له عمر : اسكت ، أخزى الله مكانا رأوك فيه ، قال : وأقام أبو بكرة على قوله ، وكان يقول : والله ما أنسى رَقَطَ فخذيها ، قال : وتاب الاثنان فقبلت شهادتهما ، قال : وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دُعى إلى شهادة يقول : اطلب غيرى فإن زيادا قد أفسد علىّ شهادتى .

قال أبو زيد : وحدثنى سليمان بن داود بن على قال : حدثنى إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده قال :

لما ضُرب أبو بكرة أمرتْ أمُّه بشاةٍ فذُبحتْ وجَعَلَتْ جلدها على ظهره ، قال : فكان أبى يقول : ما ذاك إلاّ من ضرب شديد .

حدثنا ابن عمار والجوهرىّ قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا على بن محمد عن يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن الشعبى قال :

كانت أمُّ جَميل بنت عَمْرو التى رُمى بها المغيرة بن شعبة بالكوفة تختلف إلى المغيرة فى حوائجها فيقضيها لها ، قال : ووافقتْ عمرَ بالموسم والمغيرة هناك ، فقال له عمر : أتعرف هذه ؟ قال : نعم هذه أم كلثوم بنت علىّ [١] فقال له عمر : أتتجاهل علىّ ؟ والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك ، وما رأيتك إلاّ خفتُ أن أُرْمى بحجارة من السماء .

حدثنى أحمد بن الجعد قال : حدثنا محمد بن عبّاد قال : حدثنا سفيان بن عُيَيْنَة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبى جعفر قال :

(١) فى مخطوط : هذه عاتكة بنت معاوية .

قال على بن أبي طالب عليه السلام : لئن لم يَنْتَه المغيرةُ لأُتبعنّه أحجارَه، وقال غيره : لئن أحْدَث [١] المغيرة لأُتبعنه أحجاره .

أخبرنى ابن عمار والجوهرى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا المدائنى قال :

قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة فى هذه القصة :

لو آن اللؤمَ يُنسب كان عبدًا قبيحَ الوجه أعورَ من ثقيفِ
تركتَ الدّين والإسلام لمّا بدت لك غُدوةً ذاتُ النّصيفِ
وراجَعْتَ الصبا وذكرْتَ لهوًا من القينات والقَمرِ اللطيفِ [٢]

أخبرنى الجوهرى وابن عمار قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى المدائنى ، عن عبد الله بن سَلْم الفِهرىّ قال :

لما شخص المغيرة إلى عمر رأى فى طريقه جارية فأعجبته فخطبها إلى أبيها فقال له : أنت على هذه الحال؟ قال : وما عليك أنْ أعفّ فهو الذى نريد، وإنْ أُقتلْ تَرِثْنى ، فزوّجه، قال أبوزيد : قال الواقدى : تزوجها بالرَّقم [٣] وهى امرأة من بنى مُرّة ، فلما قدم بها على عمر قال له : إنك لفارغ القلب طويل الشَّبَق .

وقال محمد بن سعد : أخبرنى محمد بن عبد الله الأسدىُّ قال : حدثنا مِسْعَرٌ عن زياد بن عِلاقة قال :

سمعت جرير بن عبد الله الأسدىّ حين مات المغيرة بن شعبة يقول : استغفروا لأميركم هذا فإنه كان يحِبُّ العافية [٤] ، قال :

وكان المغيرة أصهب الشعر جدًّا أكشف [٥] بفَرْق رأسه قرونٌ أربعة أقلص الشفتين مهتوما ، ضخم الهامة عبْل الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين .

---

(١) فى المطبوع : « أخذت » ويراد بقوله : أحدث أى أتى أمرا .
(٢) فى المطبوع : والعمر . وفى ديوان حسان : والخصر اللطيف .
(٣) الرقم : بفتح القاف وقد تسكن ، موضع ذكره ياقوت .
(٤) فى مخطوط : العاقبة .
(٥) الأكشف : الذى انحسر مقدم رأسه . وفى المطبوع : أكشف مفرقا رأسه قرونا .

قال : وقال الواقدى : حدثنى محمد بن أبى موسى الثقفى عن أبيه قال : مات المغيرة بن شعبة بالكوفة فى سنة خمسين[2] فى خلافة معاوية وهو ابن سبعين سنة ، وكان رجلا طُوالاً أُصيبت عينه يوم اليرموك .

صوت

جِنِّيَّةٌ أوْ لها جِنٌّ يعلِّمها رَمْىَ القلوب بقَوْسٍ مالها وَتَرُ
إن كانَ ذا قدرًا يعطيك نافلةً منا ويحرمنا ما أنصف القدَرُ

الشعر لمحمد بن بشير الخارجى[1] ، والغناء لإبراهيم هزج بالبنصر عن الهشامى .

---

(١) فى تهذيب التهذيب ترجمة المغيرة : سنة تسع وأربعين . . . سنة خمسين . . . سنة إحدى وخمسين ، وضعفه .

(٢) فى اللسان مادة « أجر » أورد سبعة أبيات ، وذكر أنه نسب لأبى دهبل الجمحى ، وقال : والصحيح أنه لمحمد بن بشير الخارجى .

أخبار محمد بن بشير ونسبه

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عُقَيل بن أسعد بن حبيب بن سيّار[١] بن عدىّ بن عوف بن بكر بن يشكر بن عَدْوان الخارجى من بنى خارجة بن عدوان بن عمرو بن عوف [٢] بن قيس عيلان بن مضر [ويقال لعدوان وفهم: ابنا جديلة يُنسبا إلى أمهما جديلة بنت مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضر] [٣] ويكنى محمد بن بشير أبا سليمان ، شاعر فصيح حجازىّ مطبوع من شعراء الدولة الأموية ، وكان منقطعا إلى أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَة القرشىّ أحد بنى أسد ابن عبد العزى ، وهو جد ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن لأمهم هند بنت أبى عبيدة . ولدت لعبد الله محمدا وإبراهيم وموسى ، وكان لمحمد بن بشير فيه مدائحُ ومراثٍ مختارةٌ هى عيون شعره ، وكان يَبْدُو فى أكثر زمانه ويقيم فى بوادى المدينة فلا يكاد يحضر مع الناس .

أخبرنى بقطعة من أخباره الحسن بن على قال : حدثنى أحمد بن زهير قال : حدثنى مصعب الزبيرى ، قال أحمد : وحدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى سليمان بن عيّاش السعدى وعمى مصعب . وحدثنى بقطعة أخرى منها عيسى بن الحسن الوراق ، عن الزبير ، عن سليمان بن عياش ، وقد ذكرت كل ذلك فى مواضعه قال ابن أبى خَيْثَمة فى روايته عن مصعب وعن الزبير عن سليمان بن عياش :

كان الخارجى واسمه محمد بشير بن عبد الله بن عُقَيْل بن سعد بن حبيب ابن سيّار بن عدى [٤] بن عوف بن بكر شاعرا فصيحا ، ويكنى أبا سليمان ، فقدم

(١) فى المطبوع : ابن سعد بن حبيب بن سنان .
(٢) لا يوجد : ابن عوف . لا فى مخطوط ولا فى الاشتقاق .
(٣) فى اللسان « جدل » جديلة بنت سبيع بن عمرو بن حير .
(٣) لا يوجد : ابن عدى . فى المخطوط : فى هذا الموضع .

البصرة فى طلب ميراث له ، فخطب عائشة بنت يحيى بن يَعْمُرَ الخارجيّة من عَدْوان فأبت أن تتزوجه إلا بعد أن يقيم معها بالبصرة ويترك الحجاز أو يكون أمرها فى الفرقة إليها ، فأبى أن يفعل ذلك وقال :

أرِقَ الحزينُ وعاده سُهُدُهُ ... لطوارقِ الهمّ التى تَرِدُهْ
وذكرتُ من لانتْ له كَبِدِى ... فأبى فليس تَلِينُ لى كَبِدُهْ
وأبى[1] فليس بنازلٍ بلدى ... أبدًا وليس بمُصْلحى بَلَدُهْ
فصدَعْتُ — حين أبى — مودّتَه ... صَدْعَ الزجاجة دائمٌ أبَدُهْ
وعرفتُ أن الطَّيرَ قد صدقتْ ... يوم الكُدَايَة شرٌّ ما تَعِدُهْ[2]
فاصبرْ فإنّ لكل ذى أَجَلٍ ... يوما يجىء فينقضى عَدَدُهْ
ماذا تعاتب من زمانك إذْ ... ظعن الحبيبُ وحلّ بى كَمَدُهْ

قالا : وخاطب أباها يحيى بنَ يعمر فى ذلك فقال له : إنها امرأة بَرْزَةٌ عاقلة ولا يُفْتَاتُ على مثلها بأمرها ، وما عنك من رغبة ، ولكنها امرأة فى خُلقها شدة ولها غَيْرة ، وقد بلغنى أن لك زوجتين وما أُراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما فانظرْ فى أمرك وشاورْ فيه ، فإما أنْ أقمت بالبصرة معها فعفَتْ لك عن صاحبتيك إذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عِشْرَة ، وإن شئت ففارقهما وأخرجها معك . فصار إلى رَحْله مغموما ، وشاور ابنَ عمّ له يقال له وَرّادُ بنُ عمرو فى ذلك ، فقال له : إن فى يحيى بن يعمر لرغبةً لثروته وكثرة ماله وما ذكرته من جمال ابنته وما نحب أن تفارق زوجتيك، وكانت إحداهما ابنة عمه والأخرى من أشجع ، فتقيم معها هذه السنةَ بالبصرة ونمضى نحن ، فإن رغبتَ فيها تمسّكت بها وأقمت بمكانك وإن رغبت فى العَوْد إلى بلدك كتبتَ إلينا فجئناك حتى تنصرف معنا . ففكر ليلتَه أجمع فى ذلك ، ثم غدا عازما على الرجوع إلى الحجاز وقال :

لئن أقمتُ بحيث الفيضُ فى رَجبٍ[3] ... حتى أُهِلَّ به من قابلٍ رَجَبا

(١) فى مخطوط : ونأى .
(٢) لا يوجد الكداية فى معجم البلدان ، وإنما توجد الكدادة . وفى المطبوع الكدانة .
(٣) فى مهذب الأغانى ٤/٥٥ « لقد أقمت بجنب الفيض » والفيض نهر بالبصرة أو محلة .

وراح فى السَّفْرِ وُرَّادٌ وهيَّجنى ... إنَّ الغريب إذا هيَّجتَه طَرِبا
إن الغريب يَهيجُ الُحزْنُ صبوتَهُ ... إذا المصاحبُ حيَّاه وقد ركِبا
قد قلتُ أمسِ لورَّادٍ وصاحبِه ... عُوجا على الخارجىِّ اليومَ واحتسبا
أوْ أبلِغا أمَّ سعدٍ أنَّ غائبها[1] ... أعنيا على شفعاء الناس فاجتنبا
لما رأيتَ نَجِىَّ القوم قلت لهمْ ... هل يَعْدُوَنَّ نجىُّ القومِ ما كُتِبا
وقلت إنى متى أجلُبْ شفاعتكمْ ... أندمْ وإنَّ أشَقَّ الغَىِّ ما اجتُلبا
وإنَّ مثلى متى يَسمعْ مقالتكمْ ... ويعرفِ العينَ يَنزِعْ قبل أنْ يَجِبا[2]
إنى وما كَبَّر الُحجَّاج تحملهمْ ... بُزْلُ المطايا بجنْبَىْ نخلةٍ عُصَبا
وما أهلَّ به الداعى وما وقفتْ ... عُلْيا ربيعةَ ترمى بالحصا الَحصَبا
جَهْدَ المُنَ ظنَّ أنى سوف أقطعها ... عن رَبْعِ غانيةٍ أُخرى لقد كذبا
أأبتغى الُحسن فى أخرى وأتركها ... فذاك حين تركتُ الدِّين والحسبا
ولاانقضى الهم من سُعدى وما علقتْ ... منِّى الحبائل حتَّى رمتُها حِقَبا
وما خلوت بها يوما فتعجبنى ... إلاَّ غداً أكثرَ اليومَين لى عجبا
يا أيها السائلى ما ليس يُدركه ... مهلاً فإنك قد كلَّفتنى تَعبا
كم من شفيع أتانى وهو يحسب بى ... حَسْبا فأقصِره أُمن دون ماحسبا
فإنْ يكن لهواها أو قرابتها ... حبٌّ قديم فما غابا ولا ذهَبا
هما علىَّ فإن أرضيتُها رضيتْ ... عنى وإن غضبتْ فى باطل غَضِبا
كائنْ ذهبْتُ فردَّانى بكيدهما ... عما طلبتُ وجاءاها بما طَلَبا
وقد دُهِيتُ[3] فلم أُصبحْ بمنزلة ... إلاَّ أُنازع من أسبابها سَبَبا
وَيلُ امِّها خُلَّةً لوكنتِ مُسجِجَةً[4] ... أوكنتَ تَرجِعُ من عصرَيك ماذهبا
أنتِ الظعينةُ لايُرمى برُمَّتِها ... ولايُفجَعها ابنُ العمِّ ما اصطحبا

(١) ويعرف العين ، لعلها : ويعرف الغبن .
(٢) فى المطبوع : وبلغا أم سعد أن عاتبها .
(٣) فى المطبوع : ذهبت . وفى مخطوط : وهبت .
(٤) مسجحة . مسهلة كلامها ولطيفة .

أخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى سليمان ابن عياش السعدى قال :

قدم أعرابٌ من بنى سُلَيم أقحمتهم السَّنةُ إلى الرَّوْحاء ، فخطب إلى بعضهم رجلٌ من الموالى من أهل الروحاء فزوّجه . فركب محمد بن بشيرالخارجى إلى المدينة وواليها يومئذ إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل ابن هشام بن الوليد بن المغيرة، فاستعداه الخارجىُّ على المولى، فأرسل إليه إبراهيم وإلى النَّفَر السُّلَميِّين ، ففرّق بين المولى وزوجته ، وضربه مائتى سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه ، فقال محمد بن بشير فى ذلك :

شهدت [1] غداة خَصْمِ بنى سُلَيمٍ ... وُجوها من قضائك غيرَ سُودِ
قضيتَ بسُنَّةٍ وحكمت عدلاً ... ولم ترِثِ الحكومةَ من بعيدِ
إذا غُمِزَ القَنا وُجِدَتْ لعمرى ... قَناتُك حين تُغْمَز خيرَ عُودِ
إذا عضَّ الثِّقافُ [2] بها اشمأزَّت ... أَبِيَّ القَسْرِ بائنةَ الصُّعودِ
حمى حَدَبًا لحومَ بنات قومٍ ... وهم تحت التراب أبو الوليدِ
وفى المائتين للمولى نَكالٌ ... وفى سَلْبِ الحواجب والخُدودِ
إذا كافأتَهمْ ببنات كسرى ... فهل يجدُ الموالى من مَزِيدِ
فأىُّ الحقِّ أنصفُ للموالى ... مِنِ اصْهار العبيد إلى العبيدِ

وحدثنى عيسى بن الحسين [3] قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنى سليمان ابن عياش قال :

كان للخارجىِّ عبدٌ ، فكان يتلطف له ويخدمه حتى أعتقه وأعطاه مالا ، فعمل به وربح فيه، ثم احتاج الخارجىُّ بعد ذلك إلى معونة أوقرض فى نائبةٍ لحقته ،

(١) فى مخطوط وضعت كلمة « قضيت » فوق كلمة شهدت .

(٢) الثقاف : آلة تسوى بها الرماح .

(٣) فى المطبوع : حدثنى عمى .

فبعث إلى مولاه فى ذلك ، وقد كان المولى أثرى واتسعت حاله ، فحلف له أنه لايملك شيئا ، فقال الخارجىُّ فى ذلك :

يسعى لك المولى ذليلاً مُدَقَّعًا ويخذلك المولى إذا اشتدَّ كاهله[1]
فأمسِكْ عليك العبْدَ أوّلَ وَهْلَة ولاتَنفلتْ من راحتَيْكَ حبائلُه

وقال أيضا :

إذا افتقر المولى سعى لك جاهدا لِيَرْضى وإن نال الغِنى عنك أدبرا

حدثنا محمد بن عيسى قال : حدثنا الزبير قال : حدثنا سليمان بن عياش السعدى قال :

كان محمد بن بشير الخارجى بين زوجتين له ، وكان يسكن الرَّوحاء، فأجدب عليه منزله، فوجَّه غَنَماً له إلى سحابة وقعتْ برجفان، وهو جبل مُطِلٌ على مضيق [يَلَيْلَ ، فشقَّت عينيها عنه[2]] فقال لزوجتيه : لو تحوّلتما إلى غنمنا، فقالتا له : بل تذهب فتطلع إليها وتصرفها إلى موضع قريب حتى نوافيك فيه ، فمضى وزوّدتاه وَطْبين وقالتا : اجمع لنا اللبن ووعَدَتاه موضعا من رجفان يقال له ذو القِشْع ، فانطلق فصرف غنمه إلى ذلك الموضع ، ثم انتظرهما فأبطأتا عليه ، وخالفته سحابة إليهما فأقامتا وقالتا : يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا ، فجعل يَصْعَد فى الجبل وينزل ويتبصَّرهما فلا يراهما ، فبينا هو كذلك إذ أبصر امرأتين قد نزلتا[3] فقال : أنزل فأتحدث إليهما ، فإذا هو بامرأة مُسِنَّة ومعها بنت لها شابَّة ، فأعجبته فقال لها : أتزَوِّجِينى ابنتكِ هذه ؟ قالت : إن كنت كُفوًا فعلتُ، فانتسب لها فقالت : أعرف النسب ولا أعرف الوجه ، ولكن يأتى أبوها ، فجاء أبوها فعرفه . وأخبرته امرأته بما طلب

(١) لعلها أيضا استد : أى استقام .

(٢) هكذا الجملة فى مخطوط ، ولعله يراد به أنها أسبلت كا تسبل العينان : أى أمطرت ، هذا ورجفان لا يوجد فى معجم البلدان ؛ ولكن يوجد رخمان ، وهو موضع فى ديار هذيل .

(٣) فى مخطوط : قوما قد نزلوا .

فقال : نعَم ، وزوّجه إياها ، فساق إليها قطعة من غنمه ثم بنى بها وانتظر ، فلم ير زوجتيه تقدمان عليه ، فارتحل إليهما بزوجته وبقية غنمه ، فلما طلع عليهما وقف فأخذ بيدها ثم أنشأ يقول :

كأنّىَ مُوفٍ للهلاك عشيّةً ... بأسفل ذات القِشْعِ منتظر القَطْرِ
وأننّ تَلبسنَ الحديدةَ بعدما ... طُردتُ بِبطنىَ الوَطْب فى البُلق والقفر
فكان الذى قلتنّ أعْدِدْ بضاعة ... لتأخُذَ [1] بيضاء الترائب والنحر
كأنّ سُموط الدُّرّ منها معلّقٌ ... بجيداء فى ضَالٍ بِوَجْرَةَ أوسِدرِ
تكون بلاغا ثم لست بمخبر ... إذا وُديتُ لى ما وُدِينّ ما أمرى

حدثنا الحسين بن على قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا مصعب . قال أحمد بن زهير : وحدثنى الزبير بن بكار قال : حدثنى سليمان بن عياش ، قال :

كان محمد بن بشير يتحدث إلى امرأة من مزُيَنة وكان قومها قد جاوروهم ، ثم جاء الربيع وأخصبت بلاد مزينة فارتحلوا ، فقال محمد بن بشير :

لو بيَّنَتْ لك قبل يوم فراقها ... أنّ التفرق من عَشِيَّةَ أوغَدِ
لشكوت إذ علق الفؤاد بهائمٍ ... علِقٍ حبائلَ هائمٍ لم يَعْهَدِ
[وتبرَّجتْ لك فاستبتْكَ بواضح ... صَلْتٍ وأسودَ فى النَّصيف معقَّدِ]
بيضاءُ خالصةُ البياض كأنها ... قمرٌ توسَّط ليل صيف مُبْرِد
موسومةٌ بالحسن ذات حواسد ... إن الجمال مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ
لم يُطْغِها شَرَفُ الشَّباب ولم تَضِعْ ... فيها مُعاهَدَةُ النَّصيح المُرْشِدِ
خَوْدٌ إذا كثر الكلام تعوّذت ... بِحمى الحياء وإن تكلَّمْ تقْصِد [2]
وكأنَّ طعْمَ سلافةٍ مشمولةٍ ... تنصبُّ فى إثر السِّواك الأغيدِ

(١) فى المطبوع : لتاهد . وفى مخطوط ليأخذن .

(٢) تقصد ، من القصد : وهو الإيجاز ، ويصح أن تكون تقصد ، من الإقصاد : وهو الطعن الذى لا يخطىء .

وترى مدامعها تُرَقرِق مُقْلَةً حوراءَ ترغب عن سواد الإثمد

ماذا إذا برزتْ غداةَ رَحيلها م الحسْنِ تحت رِقاق تلك الأبْرُد

وُلِدتْ بأسعد أنجُمٍ فتحلُّها ومَسِيرها أبدًا بطَلْق الأسْعُد

الله يَصْحَبُها [1] ويَسقِى دارها خَضِلَ الرَّباب سَرَى ولمّا يَرْعُدِ

أخبرنى الحسن بن على : قال : حدثنى أحمد بن زهير قال : حدثنى الزبير قال : حدثنى سليمان بن عياش قال :

صحب محمد بن بشير رفقة من قُضاعة إلى مكة ، وكانت فيهم امرأة جميلة ، فكان يسايرها ويحادثها ، ثم خطبها إلى نفسه فقالت : لا سبيل إلى ذلك لأنك لست بعشيرى ولا جارى فى بلدى ولا أنا ممن تُظْعِنُه رغبةٌ من بلده ووطنه ، فلم يزل يحادثها ويسايرها حتى انقضى الحج ، ففرق بينهما نزوعهما إلى أوطانهما فقال فى ذلك :

أستغفر الله ربى من مُخَدَّرةٍ يوما بدَا لىَ منها الكَشْحُ والكَتَدُ [2]

من رفقة صاحبونا فى ندائهم كلٌّ حرامٌ فما ذمُّوا ولا حَمِدُوا

حتى إذا البُدْنُ كاستْ فى مناحرها يعلو المناسمَ منها مُزْبِدٌ جَسِدُ [3]

وحلّقَ القومُ واعتمُّوا عمائمهم فحلّ كلٌّ حرامٍ رأسُه لَبِدُ

أقبلتُ أسألها ما بالُ رفقتها وما أُبالى أغاب القوم أم شَهِدوا

فقرّبتْ لىَ واحلولتْ مقالتُها وخوّفتنى وقالت بعض ما تجِدُ

أنّى ينالُ حجازىٌّ بحاجته إحدى بنى القَيْنِ أدْنى دارها بَرَدُ [4]

أخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدثنا الزبير قال : حدثنا سليمان بن عياش قال :

---

(١) فى المطبوع : يسعدها .

(٢) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان . والكشح : ما بين السرة ووسط الظهر .

(٣) كاست : مشت على ثلاث قوائم وهى معرقبة . والجسد : اللاصق . وروى : جمد .

(٤) فى المطبوع : إذ ما دارها يرد . هذا وبرد : موضع .

خطب محمد بن بشير امرأة من قومه فقالت له : طلق امرأتك حتى أتزوجك ، فأبى وانصرف عنها وقال فى ذلك :

أأطلب الحسن فى أخرى وأتركها فذاك حين تركت الدين والحسبا

هى الظعينة لا يُرمى ببرمتها ولا يُفجّعها ابنُ العم ما اصطحبا

فما خلوتُ بها يوما فتعجبنى إلاّ غداً أكثر اليومين لى عجبا

حدثنى عيسى بن الحسين قال : حدثنى الزبير بن بكار قال : بلغنى أن صالح بن قدامة بن إبراهيم بن محمد بن حاطب الجُمحىّ يروى شيئا من أخبار الخارجىّ وأشعاره ، فأرسلت إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى كان من الكتاب ، وسألته أن يكتب إلى ماعنده ، فكان فيما كتب لنا قال :

زعم الخارجىّ واسمه محمد بن بشير ، وكنيته أبو سليمان ، وهو رجل من عَدْوان ، وكان يسكن الرّوحاء قال : بينا نحن بالروحاء فى عام جَدْب قليل الأمطار ، ومعنا سليمان بن الحُصَين وابنُ أخيه ، وإذا بقِطار ضخم كثير الثقل يَهوِى ، قادم من المدينة ، حتى نزلوا جانب الروحاء الغربى ، بيننا وبينهم الوادى ، وإذا هم من الأنصار ، وفيهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فلبثنا أياما ثم أنا بسليمانَ بنِ الحُصين يقول لى : أرسلَ إلىّ النساءُ يقلن : أما لكم حاجة (١) فى الحديث ؟ فقلت لهن : فكيف برجالكن ؟ قلن : بلغنا أن لكم صاحبا يُعرف بالخارجى صاحبَ صيد ، فإن أتاهم فحدّثهم عن الصيد انطلقوا معه وخلونا وتحدثنا ، قال : فقلت لسليمان : بئس لعمرُو اللهِ ما أردتَ بى ، أذهب إلى القوم فأغرُّهم وآثم وأتعب ، وتنالون أنتم حاجتكم دونى ؟ ما هذا رأىٌ ، فقال لى سليمان : فأنظِرنى إذًا أُرسل إلى النساءِ وأُخبرهن بقولك ، فأرسل إليهن فأخبرهن بما قلت ، فقلن : قل له : احتل لنا عليهم هذه المرة بما قلنا لك ، وعلينا أن نحتال لك المرة الأخرى . قال الخارجى : فخرجت حتى أتيت القوم فحدّثهم وذكرت لهم الصيد ، فطارت إليه أنفسهم ، فخرجت بهم وأخذت لهم كلابا وشباكا وتزوّدوا

(١) لعلها أيضا : ثم إذا بسليمان . وفى المطبوع : ثم أتى سليمان .

ثلاث ، وانطلقتُ أُحدثهم وألهيهم ، فحدثتهم بالصدق حتى نفِد [ثم حدثتهم بما يشبه الصدق حتى نفد] ثم صرّحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث ، وجعلت لا أحدثهم حديثا إلاَّ قالوا صدقت ، وغبت بهم ثلاثا ما أعلم أنَّا عاينَّا صيدًا فقلت فى ذلك :

إنى لأعجب منى كيف آفِكهُم[١] ... أم كيف أخدع قوما مابهم حُمُقُ

أظلُّ فى البيد أُلهيهم وأُخبرهم ... أخبار قوم وما كانوا وما خُلِقوا

ولو صدقتُ لقلت القوم قدقدِموا ... حين انطلقنا وآتى ساعةَ انطلقوا

أم كيف تُحرمُ أيدٍ لم تخُنْ أحدا ... شيئا وتظفر أيديهم وقد سَرَقُوا

وتَرتمى اليومَ حتى لايكونَ له ... شمسٌ ويرمون حتى يَبرُقَ الأفق

يرمون أحور مخضوبا بغير دمٍ ... دَفْعا، وأنتَ وِشاحا صَيدكَ العلَقَ

تَسعى بكلبين تَبْغيه وصيدهُمُ ... صيدٌ يُرَجَّى قليلا ثم يُعْتَنَقُ

ما زلت أحدرِهُم[٢] حتى جعلتهمُ ... فى أصل مَحْنِيَةٍ ماإنْ لها طُرُق

ولو تركتهمُ فيها لمزَّقهمُ ... شَيْخا مُزينةَ إنْ قالاانعقُوا نعقوا

إنْ كنتمُ أبدًا جارَىْ صديقكمُ ... والدَّهرُ مختلفٌ ألوانه طَرَقُ[٣]

فتَّعونى فإنى لا أرى أحدًا ... إلاَّ له أجلٌ فى الموتِ مُستبِقُ

قال سليمان بن عياش : ومات سليمان بن الحصين هذا ، وكان خليلا للخارجىّ ، مصافيا له ، وصديقا مخلصا ، فجزع عليه وحزن حزنا شديدا فقال يرثيه :

يا أيها المتمنّى أن تكون فتى ... مثل ابن لَيلى لقد خلّى لك السُّبُلا

إنْ ترحلِ العيسَ كى تسعى مساعيه ... يُشفقْ عليك وتعْملْ دون ماعملا

(١) أفكه عن رأيه : صرفه وقلب رأيه . وفى المطبوع : أفككهم . وفى مخطوط : أفكهم .

(٢) حدرهم : أنزلهم من علو إلى أسفل . والمحنية : منعطف الوادى . وفى المطبوع : أحدوهم ، والمعنى مقبول أيضا .

(٣) الطرق بفتح الراء : جمع الطرق بسكون الراء ، وهى الفخ وشبهه . أو لعلها طرق بضم الطاء والراء : جمع طريق . والمراد : مختلفة متشعبة ، والأول أقرب .

لو سِرْتَ فى الناس أقصاهم وأقربهم ... فى شُقَّةِ الأرض حتى تُحْسِرَ الإبلا
تَبغى فتى فوق ظهر الأرض ما وَجدوا ... مثل الذى غيَّبوا فى بَطنها رَجُلا
اعدُدْ ثلاثَ خِصالٍ قدعُرِفنَ له ... هل سَبَّ من أحد أوسُبَّ أوبخِلا

قال سليمان بن عياش : لما مات عبد العزيز بن مروان ونُعِيَ إلى أخيه عبد الملك تمثَّل بأبيات الخارجى هذه وجعل يردِّدها ويبكى .

أخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى عن أبيه قال :

قال الرشيد يوما لجلسائه : أنشدونى شعرا حسنا فى امرأة خَفِرة كريمة ، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت ، فقال لى : إيه يا ابن مصعب ، أما إنك لو شئتَ لكفيتنا سائر اليوم ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجى حيث يقول :

بيضاءُ خالصة البياض كأنها ... قمر توسَّط جُنْحَ ليلٍ مُبردِ
موسومةٌ بالُحسْنِ ذاتُ حواسد ... إنّ الحسانَ مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ
وتَرَى مَدامعَها تُرَقرِقُ مقلةً ... حوراءَ ترغب عن سواد الإثمِدِ
خَوْدٌ إذا كثُر الكلام تعوَّذت ... بحمَى الحياءِ وإن تكلَّمْ تقصِدِ
لم يُطْغها شرفُ الشباب ولم تَضِعَ ... فيها معاهدةُ النصيح المُرْشِدِ
وتعرَّضَتْ[١] لك فاستبَتك بوَاضح ... صَلْتٍ وأسودَ فى النصيف معقَّدِ
وكأنَّ طعم سُلافة مشمولةٍ ... بالرِّيق فى إثر السِّواك الأغيَدِ

فقال الرشيد : هذا واللهِ الشعرُ لاما أنشدتمونيه سائرَ اليوم ، ثم أمر مؤدِّب ابنيه محمدٍ الأمين وعبدِ الله المأمونِ فروَّاهما الأبيات ٢ .

(١) فى المطبوع : وتبرجت .

(٢) فى مخطوط : ثم أمر ابنيه محمدا الأمين وعبد الله المأمون برواية الأبيات .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا الزبير ابن بكار قال : حدثنى سليمان بن عياش قال :

كان محمد بن بشير الخارجى يتحدّث إلى عَبْدَة بنت حسان المُزَنيّة ويقيم عندها أحيانا، وربما بات عندها ضيفا لإعجابه بحديثها ، فنهاها قومها عنه وقالوا : ماميت رجل بامرأة أيِّمٍ ؟ فجاءها ذات يوم فلم تُدخله خباءها وقالت له : قدنهانى قومى عنك ، وكان قد أمسى فمنعته المبيت وقالت : لاتبِيتنْ عندنا فيُظَنّ بى وبك سوء . فانصرف وقال فيها :

ظللتُ لدى أبياتها [1] وكأننى ... أسيرٌ مُعَنًّى فى مُخَلْخَلِهِ كَبْلُ [2]
أُخَيّرُ [3] إمّا جلسةٌ عند كارهٍ ... وإمّا مُرَاحٌ لاقريبٌ ولا سَهْلُ
فإنكِ لو أكرمت ضيفك لم يَعِبْ ... عليكِ الذى تأتين حَمْوٌ ولا بَعْلُ
وقد كان يَنْميها إلى ذِروةِ العلا ... أبٌ لا تخطّاه المطيّةُ والرَّحْلُ
[فهل أنتِ إلاّ جِنّةٌ عبقريّةٌ ... يخالط من خالطت من حبكم خَبْلُ]
وهل أنتِ إلاّ نَبْعَةٌ كان أصلها ... نُضارًا فلم يفضحك فرعٌ ولا أصْلُ
صددْتِ امرأً عن ظلّ بيتك ماله ... بواديك لولاكم صديقٌ ولا أهْلُ

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن زهير قال : حدثنا الزبير قال : حدثنا سليمان بن عياش قال :

خرج محمد وسليمان ابنا عُبيد الله بن الُحصين الأسْلَميان حتى أتيا امرأة من الأنصار من بنى ساعدة ، فبرزت لهما وتحدثا عندها وقالا لها : هل لك فى صاحب لنا ظريف شاعر ؟ فقالت : من هو ؟ قالا : محمد بن بشير الخارجىّ ، قالت : لا حاجة بى إلى لقائه ولا تجيئانى به معكما ، فإنكما إن أتيتما به لم أبرز [4] لكما، فجاءاها

(١) فى المطبوع : أطنابها .
(٢) الخلخل: موضع الخلخال من الساق . والكبل : القيد أوأعظم ما يكون منها .
(٣) فى المطبوع : « أعبدة » : أى ياعبدة .
(٤) فى المطبوع : لم آذن .

به معهما وأخبراه بما قالت لهما ، وأجلساه فى بعض الطريق ،وتقدّما إليها ،فخرجت إليهما ، وجاءهم الخارجى بعد خروجها إليهما فرحبا به وسلّما عليه ، فقالت لهما : من هذا ؟ قالا : هذا الخارجىُّ الذى كنا نخبرك به ، فقالت : والله ما أرى فيه من خير وما أشبهه إلاّ بعبدنا أبى الجَوْن ، فاستحيا الخارجىُّ وجلس هنيهة ثم قام من عندها ، وعَلِقَها قلبه فقال فيها :

ألا قدْ رابنى ويَريبُ غيرى عشيَّةَ حُكْمُها حَيْفٌ مُريبُ
وَأصْبَحَتَ المودَّةُ عند ليلى منازلَ ليس لى فيها نصيبُ
ذهبتُ وقد بدا لى ذاك منهـا لأهجوَها فيغلبنى النَّسيبُ
وأنسى غيظَ نفسى إنَّ قلبى لمن واددتُ فائته [1] قريبُ
[فلا قلبٌ يُبَصَّرُ كلَّ ذنْبٍ ولا راضٍ بغير رِضًى غضوبُ]
فدعْها لسْتَ هاجيَها وراجعْ حديثك إن شأنكما عجيبُ

قال : وبلغ الأشجعيةَ زوجةَ محمد بن بشير ماقالته له الأنصارية فعيّرته بذلك وكانت إذا أرادت غيظه كنته أبا الجون [2] فقال فى ذلك :

وأبدى الهدايا [3] ما رأيتُ مُعاتبا من الناس إلاّ الساعدِيَّة أجمَلُ
وقد أخطأتْنِى يوم بَطحاءِ مَعْمَر لها كُفَفٌ تصطاد فيها وأحْبُلُ [4]
وقد قال أهلى حين كنِّيت كنيةً أبا الجون [5] فاكسبْ مثلَها حين ترحلُ
وإن باتَ إيضاعى [6] بأمرِ مسرَّةٍ لكُنْ فاتسخطْنَ فى العيش أطولُ

(١) فى المطبوع : تبعته .
(٢) فى مخطوط . وكانت تغيظه بأن تكنيه : أبا الجون .
(٣) كذا فى الأصول ، ولعله : وأيدى الهدايا ، ويريد القسم بأيدى ما يهدى إلى الحرم ، جمع هدى بتشديد الياء . وهو ما أثبت فى مهذب الأغانى .
(٤) الكفف : جمع كفة ، وهى حبالة الصائد . وفى المطبوع : منم لها كنف .
(٥) فى المطبوع : « وقد قال أهلى خير كسب كسبته » أبو الجون » .
(٦) الإيضاع : الإسراع فى السير .

أخبرنى الحسن قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا الزبير قال : حدثنى سليمان بن عياش قال :

اجتمع محمد بن بشير الخارجى وسائب بن ذكوان راوية كُثَيِّر بمكة فواقفا نسوة من بنى غِفار يتحدّثن ، فجلسا إليهن وتحدثا معهن حتى تفرقن ، وبقيت واحدة منهن تحدث الخارجى وتستنشده شعره حتى أصبحوا ، فقال لهم رجل مرّ بهم : أما تزدجرون عن هذا الشِّعْر وأنتم حُرُمٌ ولاتدعون إنشاده وقولَ الزُّور فى المسجد ؟ فقالت المرأة : كذبتَ لعمرُ الله ، ما قول الشعر بزور ولا السلام والحديث حرام على مُحْرِمٍ ولامُحِلّ ، فانصرف الرجل . وقال فيها الخارجى :

أمالَكَ أنْ تزورَ وأنت خِلْوٌ ... صحيحُ القلبِ أختَ بنى غِفارِ
فما برحتْ تُعيركَ مقلتَيْها ... فتعطيك المَنيَّةَ فى استتارِ
وتَسهو فى حديث القوم حتى ... تَبَيَّنَ بعضُ أهلكما تُوارِى
فمتْ يا قلبُ ما بك من دفاعٍ ... فيُنجيك الدفاعُ ولا فرارى
فلم أر طالبا بدمٍ كمثلى ... أوَدَّ وحُسْنَ مطلوبٍ بثارِ
إذا ذكرا بثارى قلتُ سقْياً ... لثارى ذى الخواتم والسِّوارِ
وما عرفتْ دمى فتَبُوءَ منه ... برَهْنٍ فى حبالى أو ضِمارِ[1]
وقد زعم العواذل أنّ يومى ... ويومك بالمحصَّب ذى الجِمار
من الأعباء[2] ثم زعمتِ أنْ لا ... وقلتِ لذى التنازع والتّمارِى
كذبتم ما السلامُ بقول زور ... ولا اليوْمُ الحرامُ بيوم ثارِ
ولا تسليمُنا حُرُما بجُرْمٍ[3] ... ولا الحبُّ الكريم لنا بعارِ

(١) الضمار من الدين : غير المؤجل ، والضمار : كل مالا تكون منه على ثقة .

(٢) فى مخطوط : من الإغباء ؛ والإغباء : أن تمطر السماء دفعة شديدة ولا يتفق مع المعنى . وفى المطبوع : من الأعياد .

(٣) فى المطبوع : بإثم .

فإن لم نلقكم فسقى الغوادى ... بلادك والرويات السوارى[1]

قال سليمان : وفى هذه المرأة يقول الخارجى وقد رحلوا عن مكة فودعها وتفرقوا :

يا أحسن الناس لولا أن نائلها ... قد مالمن يبتغى ميسورها عسر
وإنما دلها سحر لطالبه ... وإنما قلبها للمشتكى حجر
هل تذكرين كما لم أنس عهدكم ... وقد يدوم لعهد الخلة الذكر[2]
قولى وركبك قدمالت عمائمهم ... وقدسقاهم بكأس السكرة[3] السفر
يا ليت أنى بأثوابى وراحلتى ... عبد لأهلك هذا العام مؤتجر
وقد أطلت اعتلالا دون حاجتنا ... بالحج أمض فهذا الحل والنفر[4]
مابال وأيك[5] إذعهدى وعهدكم ... إلفان ليس لنا فى الود مزدجر
فكان حظك منها نظرة طرفت ... إنسان عينيك حتى ما بها نظر
أكنت أبخل من كانت مواعده ... دينا إلى أجل يرجى وينتظر
وقد نظرت وما ألفيت من أحد ... يعتاده الشوق إلا بدؤه النظر
أبقت شجى لك لاتنساه ، قادحه ... فى أسود القلب لم يشعر به بشر
جنية أو لها جن تعلمها ... رمى القلوب بقوس مالها وتر
تجلو بقادمتى ورقاء عن برد ... حمر المفاغر فى أطرافها أشر
خود مبتلة ريا معاصمها ... قد رالثياب ولاطول ولاقصر
إذا تجاسدها اغتالت فواضلها ... منهار واد ف فعمات ومؤتزر
إن هبت الريح حنت فى تنسمها ... كما يجاوب عود القينة الوتر
بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت ... فى الحج ، ليلة إحدى عشرة القمر

(١) الرويات : جمع روية ، السحابة الشديدة المطر . وانظر المرزوقى شرح الحماسة ص ١٣٥٠

(٢) فى مخطوط : وقد تلم بعهد .

(٣) فى مخطوط : السفرة . وفى اللسان أجز : النومة السهر . وفى ديوان أبى دهبل : النشوة السهر .

(٤) النفر : اليوم الثالث من عيد النحر ، وهو اليوم الذى ينفر فيه القوم من منى إلى مكة .

(٥) فى المطبوع : ما بال رأيك ، ولعل الصواب : وأيك : أى وعدك . وفى مخطوط : وائل .

ألا رَسول إذا ناءَتْ يُبَلِّغها عنّا وإنْ تُمسِ تُؤْلفْ بيننا المِرَرُ[1]
[أنّى بآيةِ وَجْدٍ قد ظفرتِ به منى ولم يكُ فى وجدى بكم ظفَرُ
قتيلُ يومٍ تلاقينا وأنّ دَمى عنها وعمّن أجارتْ من دمى هدرُ]
تقْضينَ فِيَّ ولا أقْضِى عليكِ كما يقْضِى المَليكُ على المملوك يقتسر
إن كان ذا قدَرًا يعْطيكِ نافلةً منا ويعجزنا ما أنصف القدَرُ

أخبرنى عيسى بن الْحسَين قال: حدثنا الزبير قال: حدثنى سليمان بن عياش قال: كان الخارجىّ قدم البصرة فتزوّج بها امرأة من عَدْوان كانت موسرة، فأقام عندها بالبصرة مدة ثم استوخم البصرة فطالبها بأن ترحل معه إلى الحجاز فقالت: ما أنا بتاركة مالى وضَيْعَتى هاهنا تذهب وتضيع وأمضى معك إلى بلد الجَدْب والفقر والضّيق، فإمّا أنْ أقمت هاهنا أو طلّقتنى، فطلقها وخرج إلى الحجاز ثم ندم وتذكرها فقال:

باتَتْ لعينكَ عبرةٌ وسُجومُ وثَوَتْ بقلبك زفرةٌ وهُمومُ
طيفٌ لزينبَ ما يزال مُؤَرِّقى بعد الهدُوّ فما يكاد يَريمُ
وإذا تعرض فى المنام خيالُها نكأ الفؤادَ خيالُها المَحْلُومُ
أجعلتِ ذنبكِ ذنْبَه وظلمتِه عند التّحاكُم والمُدِلُّ ظَلُومُ
ولئن تجنّيْتِ الذُّنوبَ فإنّه ذو الداء يعْذِرِ والصحيحُ يلومُ
ولقد أراك غداةَ بِنْتِ وعهدُكمْ فى الوصل لاحَرَجٌ ولامذموم
أضحت تحكّمك التّجاربُ والنُّهَى عنه ويكفُلُه بلك التّحكيمُ

صوت[2]

برَأ الأُلى علِقوا الحبائل قبلَه فنَجَوْا وأصبح فى الوثاق يَهيمُ

(١) المرر: جمع مرة، وهى القوة.

(٢) كلمة صوت وضعت فى مخطوط بعد البيت التالى، وقبل: ولقد أردت الصبر.

ولقد أردتُ الصبرَ عنك فعاقنى عَلَقٌ بقلبى من هواكِ قديمُ
يبقى على حَدَثِ الزمان وريْبه وعلى جفائك إنه لكريمُ
ضَعفتْ معاهدُ حُبِّهن مع الصِّبا ومع الشباب فَبِنَّ وهْو مقيمُ
وَعتبْتِ حين صحِحتِ وَهْو بدائه شتَّان ذاك مصحَّحٌ وسقيمُ
وأرَيْتِه[1] ذنبا فعاذ بحِلمه إن المحبَّ عن الحبيب حليمُ
وزعمْتِ أنك تبخلين وشفَّه شوقٌ إليك وإن بَخِلْتِ أليمُ

غنى فى هذه الأبيات الدارمىُّ خفيفَ رملٍ بالوسطى عن الهشامى ، وفيه لعَريبَ خفيف ثقيل مطلق ، وهو الذى يغنى الآن ويتعارفه الناس .

أخبرنى عيسى بن الحسن قال : حدثنا الزبير قال : حدثنى سليمان بن عياش قال :

كان الخارجى منقطعا إلى أبى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة ، وكان يكفيه مؤْنته ويُفْضل عليه ويُعطيه فى كل سنة ما يُغنيه ويغنى قومه وعياله من البُرّ والتمر وكسوة الشتاء والصيف ، ويُقْطعُه القطعة بعد القطعة من إبله وغنمه ، وكان منقطعا إليه وإلى زيد بن الحسَن وابنهِ الحسن بن زيد وكلُّهم به برّ وإليه مُحسن ، فمات أبو عبيدة [وكان ينزل الفَرْشَ من مَلَلَ وكان الخارجى ينزل الروحاء] فقال يرثيه :

ألا أيها الناعى ابنَ زينب غُدْوةً نعيتَ النَّدى دارتْ عليك الدوائرُ
لعمرى لقد أمسى قِرى الضيف عاتما[2] بذى الفَرْشِ لما غيَّبَتْك المقابرُ
إذا سوَّفوا نادَوْا صَداك ودونه[3] صفيحٌ وخوّارٌ من التُّرْبِ مائرُ
يُنادون من أمسى تقطَّعُ دونه من البعد أنفاسُ الصدور الزوافرُ

---

(١) فى الأصول وأذيته : وفى المطبوع : وأذيته زمنا . ولعله : آذيته زمنا .
(٢) عتّم القرى فهو عاتم : أبطأ .
(٣) فى معجم البلدان « الفرش » إذا شرقوا ، وفى المطبوع : شرعوا .

فقومى اضربى عينيك ياهند لن ترى أبًا مثله تسمو إليـــه المفاخرُ

قال الزبير : فحدثنى سليمان بن عياش قال : كانت هند بنت أبى عبيدة عند عبد الله بن حسن ، فلما مات أبوها جزعت عليه جزعا شديدا وَوَجِدَتْ وجْدًا عظيما ، فكلَّم عبدُ الله بنُ حسنٍ محمَّدَ بنَ بشيرٍ الخارجىَّ أن يدخل إليها ويُعزّيها ويؤسيها عن أبيها ، فدخل معه إليها ، فلما نظر إليها صاح بأعلى صوته :

فقومى اضربى عينيك ياهند لن ترَىْ أبًا مثله تسمو إليه المفاخـرُ
وكنتِ إذا فاخرتِ أسميْتِ والدًا يزين كما زان اليدين الأساورُ
فإنْ تُعْوليه تَشْفِ يَوْمُ عويله غليلك أو يَعْذِرْك بالنَّوْح عاذرُ
ويحزنْك ليلاتٌ طوالٌ وقدمضت بذى الفرْش ليلاتٌ تسُرُّ قصائرُ
فلقَّاكَ ربٌّ يغفر الذنبَ رحمةً إذا بُليَتْ يومَ الحساب السرائرُ
[إذامابن زادِ الرَّكبِ لم يُمسِ ليلة قفاصفرٍ[1] لم يقرَبِ الفرش زائرُ]
وقد علم الأقوام أن بنـــاته صوادقُ إذْ يندبنه وقواصِرُ

قال : فقامت هند فصكّت وجهها وعينيها وصاحتْ بوَيْلها وحَرَبها ، والخارجىُّ يبكى معها حتى لقيا جهْدًا ، فقال له عبد الله بن الحسن : ألهذا دعوتك ويحك ؟ فقال له : أفظننت أنى أعزّيها عن أبى عبيدة ؟ والله ما يسلينى عنه أحد ، ولا لى عزاء عن فقده[2] فكيف يسليها عنه من ليس يسلوه ؟

أخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدثنى الزبير قال : حدثنى سليمان بن عياش قال :

وعد رجل محمدَ بنَ بشير الخارجى بقَلُوص ثم مطله فقال فيه يذمه ويمدح زيد ابن الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام :

لعلَّك والموعودُ حقٌّ وفاؤه بَدَا لك فى ذاك القلوصِ بَدَاءُ

(١) قفا صفر : أى بعد شهر صفر . والفرش : هو الموضع الذى كان يسكنه .
(٢) فى المطبوع : ولا لى عنه ولا عن فقده صبر .

فإن الذى ألقى – إذا قال قائل … من الناس هل أحسستها – لعناء[١]
أقول لمن يبدى الشَّماتَ ، وقوله … على وإشماتُ العدوّ سواء[٢]
دعوتُ وقد أخلفنى الوَأْى[٣] دعوة … بزيدٍ فلم يَضْلِلْ هناك دُعاء

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن فبعث إليه بقلوص من خيار إبله فقال يمدحه :

إذا نزل ابن المصطفى بطن تَلْعةٍ … نفى جدبَها واخضرّ بالغيث[٤] عودُها
وزيدٌ رَبيعُ الناس فى كل شَتْوَةٍ … إذا اختلفتْ أنواؤُها ورُعودُها
حَمولٌ لأشناق[٥] الدِّيات كأنّه … سراجُ الدُّجا إذْ قارنته سُعودُها

أخبرنى عيسى قال : حدثنى الزبير قال : حدثنى سليمان بن عياش قال :

نظر الخارجى إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أُخرج ، فهتف بهم فقال :

ألم تروا أنّ فتى سيّداً … راح على نعش بنى مالكِ
لأنفَسُ العيشَ لمن بعدَهُ … وأنْفَسُ الهُلْكَ على الهالكِ

وقال أيضا :

ألا أيها الباكى أخاه وإنما … يُبكِّى بيوم الفدفد الأخوانِ
أخى يوم أحجار الثُّمام بكيتُهُ … ولو حُمَّ يومى قبله لبكانى
تداعتْ به أيامُهُ واخترَمْنَه … وأبقَيْنَ لى شجواً بكل مكانِ
فليت الذى يَنْعى سليمان غدوةً … بكى عند قبرى مثلها ونعانى
ولو قسمتْ فى الجن والإنس لوعتى … عليه بكى من حرّها الثقلان
ولو كانت الأيامُ تطلبُ فِدْيةً … إليه وصَرْفُ الدَّهر ما ألوانى[٦]

أخبرنا عيسى قال : حدثنا الزبير قال : حدثنا سليمان بن عياش قال :

---

(١) فى المطبوع : هل للواعدين وفاء .
(٢) فى المطبوع : أقول لمن تبدى الشمات وقولها … على به بين الأنام عناء .
وانظر الأمالى ٢/٧١ والخزانة ٤/٣٧ .
(٣) الوأى : الوعد .
(٤) فى مخطوط : بالنبت .
(٥) الأشناق : جمع شنق ، وهو الأرش .
(٦) فى المطبوع : « وقاه صروف الدهر بى وفدانى » هذا وألوانى : استطاعانى . وانظر معجم البلدان « أحجار الثمام » .

خرج محمد بن بشير يرمى الأرْوَى ومعه جماعة فيهم رجل من الموالى من أهل السَّيَالة، فصَعَد المولى على صفاة بيضاء يرمى من فوقها، فزلَّت قدمه عنها، فصاح حتى سقط إلى الأرض وأحدث فى ثيابه، فقال الخارجى فى ذلك:

حُرِّق يا صفاةُ فى ذُرَاكِ ... بالنار إن لم تمنعى أرْوَاكِ
تعلَّمى أنَّ بذى الأراكِ ... أيَّتها الأرْوَى ذوى عِرَاكِ
قوما أعدُّوا شبكَ الشبَّاكِ ... يبغون، ضَبْعا قتلتْ أباكِ
[نِعمَ مُلَوَّى الحِيَدِ المَدَاكِ[1]] ... إذ صوَّت الحالبُ فى أُخراكِ
ولم يَقُلْ مُنتصِحا إيَّاكِ ... بين مَقَاطيها ركبتِ فاكِ[2]
فعُدْتِ والطعنُ على كُلاكِ ... [مثل الأضاحى بيدِ النُّسَّاكِ]
يرمى بالأكتافِ على الأوْرَاكِ ... كما أطحتِ العَبْدَ عن صَفَاكِ
أمَّا السَّيَالِىُّ فلن ينساكِ ... لو يرتميك الناسُ ما رَماكِ

أخبرنى عيسى قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عياش قال:

كانت عند الخارجى بنت عم له فهجاه بعض قرابتها، فأجابه الخارجى، فغضبت زوجته وقالت: هجوت قرابتى، فقال الخارجى فى ذلك:

فأمَّا ما أقول لهم فعابتْ ... علىَّ وقد هُجِيتُ فما تَعِيبُ
فَرُمْتُ وقد بَدَا لى ذاك منها ... لأهجُوَها فيمنعنى النسيبُ
فلا قلبٌ يُبصِّرُ كُلَّ ذنبٍ ... ولا راضٍ بِغَيرِ رضًا، غضوبُ

أخبرنى الحسن بن على قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنى مصعب. قال وحدثنى الزبير، عن سليمان بن عياش قال:

---

(١) الحيد: العقد فى قرون الوعول. والمداك: حجر يسحق عليه الطيب.

(٢) لعلها مغاطيها، ويراد به جمع مغطى: اسم مكان. غطت الشجرة: طالت أغصانها وانبسطت على الأرض، وكل شئ ارتفع وطال على شئ، وركبت فاك: أى وقعت مصابة على فك. وفى المطبوع: معاطيها.

تزوج الخارجيُّ جارية من بنى ليث شابة وقد أسنَّ وأسنَّتْ زوجته العدوانية فضربتْ دونه حجابا وتوارت عنه، ودعت نسوة من عشيرتها فجلسن عندها يلهون ويتغنين ويضربن بالدفوف ، وعرف ذلك محمد فقال :

لئنْ عانسٌ قد شاب ما بين قرنها إلى كعبها وامتصَّ عنها شبابُها
صبتْ فى طلابِ اللهو يوما وعلّقتْ حجابا لقد كانت ستيرًا حجابُها
لقد مُتّعتْ فى العيش حتى تمتّعت من اللَّهو إذْ لا يُنكِرُ اللهوَ بابُها
فَبِينى برغمٍ ثم ظَلّى فربما ثوى الرَّغمُ منها حيث يثوى نِقابُها
لبيضاءَ لم تُنْسَب لجدٍّ يَعيبها هِجانٍ ولم تنبحْ لئيماً كِلابُها
تأوّدُ فى الممشى كأنَّ قناعها على ظبية أدماءَ طابَتْ ثيابُها[1]
مهفهفةِ الأعطاف خفّاقة الحشى جميلٍ مُحيّاها قليلٍ عتابُها
إذا ما دعتْ بابْنَىْ نزارٍ ونازعتْ ذُرا[2] المجدِ لم يُرْدَدْ عليها انتسابُها

حدثنا الحسن بن على قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى عمّى ، عن الضحاك بن عثمان قال :

لما ولى إبراهيم بن هشام الحرمَين دخل إليه محمد بن بشير الخارجى ، وكان له قبل ذلك صديقا ، فأعرض عنه ولم يُظْهر له بشاشة ولا أُنسا ثم عاوده فاستأذنه فى الإنشاد ، فأعرض عنه وأخرجه الحاجب من داره ، وكان إبراهيم بن هشام تيّاها شديدَ الذّهاب بنفسه . فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد ، فلما حاذاه صاح به :

يا ابنَ الهشامَينِ طُرّاحزتَ مجدَهما وما تخوّنه نقضٌ وإمرارُ
لا تُشمِتَنَّ بى الأعداءَ إنهمُ بينى وبينك سُمّاعٌ ونُظّارُ
[وإن شُكرىَ إنْ رُدُّوا بغيظِهمُ فى ذمةِ اللهِ إعلانٌ وإسرارُ]
فاكْرُرْ بنائلك المحمودِ من سعةٍ علىَّ إنك بالمعروف كرّارُ

---

(١) فى المطبوع : على قينة أدماء طاب شبابها .
(٢) فى المطبوع : ذوى المجد .

فقال لحاجبه : قل له يرجع إلىّ إذا عدت ، فرجع فأدخله عليه وقضى دينه وكساه ووصله وعاد إلى ما عهده منه .

أخبرنى الحسن قال : حدثنا أحمد بن زُهير قال : حدثنى مصعب ، عن أبيه قال : عثَر بعُروة بن أُذَيْنَةَ حِمارُه عند ثنية العُوَيْنِبِل فقال عروة :

لَيْتَ العوَيْنِبِلَ مسدودٌ وأصبح من ... فوقِ الثنيَّةِ فيه رَدْمُ يأجوجِ
فيستريحَ ذوو الحاجات من غلط ... ويسلكُ السهل يمشى كلُّ منْشُوجِ[1]

فقال محمد بن بشير الخارجى يردّ عليه :

سبحان ربِّك بَيْتٌ ما أتيتَ به ... ما يَسْدُدِ اللهُ يُصبحْ وهو مرتوجُ
وهل يُسَدُّ وللحُجَّاجِ فيه إذا ... ما صَعَّدُوا فيه تكبير وتَلْجيج
ما زال منذ أذَلَّ اللهُ مَوْطِئَه ... ومنذ أُذِّنَ إنَّ البيتَ محجوجُ
يُهْدِى له الوفدُ وفدُ اللهِ مُطْرَفَهُ ... كأنه شُطَبٌ بالقدِّ منسوجُ[2]
خلَّ الطريقَ إليها إن زائرَها ... والساكنين بها الشمُّ الأباليجُ
لايسدد الله نَقْبًا كان يسلكه ال ... بيضُ البهاليل والهُوجُ العَناجيجُ
لو سدَّه اللهُ يوما ثم عجَّ له ... من يَسلكُ النقبَ أمسى وهو مفروجُ

أخبرنى الحسن قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا مصعب قال :

كان للخارجى أخ يقال له بشار بن بَشير ، وكان يجالس أعداءه ويعاشر من يعلم أنه مُبايِنٌ له ، وفيه يقول :

وإنى قد نصحتُ فلم تُصدِّقْ ... بنصحى واعتددتُ فما تبالى[3]
أرانى قد بدا لى أن نُصحى ... لغَيِّكَ واعتدادى فى ضلالِ

(١) كل منتوج : أى كل مؤخر ، من تأج الأمر : أخره . أو كل مذهب « بنصب كل » من نأج إذا ذهب . ومن غلط لعلها أيضا : من غلظ .

(٢) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام . والشطب : جمع شطبة ، وهى طريقة السيف فى متنه . والقد بفتح القاف : قدر الشئ ومقداره وهو أنسب ، وضبط فى مخطوط بكسر القاف ، ويكون معناه السير من الجلد .

(٣) فى المطبوع : واعتذرت فلم تبال وفى البيت بعده : لغيك واعتذارى . هذا واعتددت : عددت .

فكم هذا أذودك عن قطاعى كتذويد المحلأة النهال[١]
فلا تبغ الذنوب علىّ واقصد لأمرك من قطاع أو وصال
فسوف أرى خلالك من تصافى إذا فارقتنى وترى خلالى
وإن جزاء عهدك إذ تولّى[٢] بأن أغضى وأسكت لا أبالى

أخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى سليمان بن عيّاش قال :

كان الخارجى معجبا بزوجته سعدى ، وكانت من أسوأ الناس خلقا وأشدهم على عشير ، فكان يلقى منها عنتا ، فغاضبها يوما لقول آذته به واعتزلها وانتقل إلى زوجته الأخرى فأقام [عندها ثلاثا ، ثم اشتاق إلى سعدى وتذكرها وبدا له فى الرجوع إلى بيتها فتحول إليها وقال :

أرانى إذا غالبت بالصبر حبّها أبى الصبر ماألقى بسعدى فأغلب
وقد علمت عند التعاتب أننا إذا ظلمتنا أوظلمناستعتب
وإنى وإن لم أجن ذنبا سأبتغى رضاها وأعفو ذنبها حين تذنب
وإنى إذا أذنبت فيها يزيدنى بها عجبا من كان فيها يؤنب

أخبرنى عيسى قال : حدثنا الزبير قال : حدثنا سليمان بن عياش قال :

كان بشار بن بشير أخو محمد بن بشير يعاديه ويجالس أعداءه فقال الخارجى فيه :

كفانى الذى ضيّعت منى وإنما يضيع الحقوق ظالما من أضاعها
صنيعة من ولاك سوء صنيعها وولّى سواك أجرها واصطناعها
أبى لك كسب الخير رأى مقصّر ونفس أضاق الله بالخير باعها

(١) المحلأة : المطرودة عن الماء . والنهال : العطاش .

(٢) فى المطبوع : وإنك تستريح إذا تولى .

إذا هى حثَّتْه على الخير مرَّة   عصاها وإن همَّت بشرٍّ أطاعها
فلولا رجالٌ كاشحُون يَسرُّهم   أذاكَ وقربَى لا أُحبُّ انقطاعها
إذًا كانَ إنْ زلَّتْ بكَ النعلُ زلةً   فراقُ خِلالٍ لا تُطيق ارتجاعَها
وإنى متى أُحمِلْ على ذاك أطَّلِعْ   إليك عيُونا لا أحبُّ اطِّلاعَها[1]
فإن تكُ أحلامٌ تَرُدُّ إخاءَنا   علينا فمن هذا يردُّ سماعَها
سأنهاك نهيا مُجملا وقصائدًا   مواضِحَ تشفى من شئونٍ صُداعها[2]
ومن يجتلِبْ نحوى القصائدَ يجتلبْ   حَراه ويُتْبِعْ من يُحبُّ اتِّباعها[3]
إذا ما الفتى ذو اللُّبِّ حلَّتْ قصائد   به فيُخلِّى للقوافى رِباعَها[4]

أخبرنى عيسى بن الحسين الورَّاق قال : حدثنى الزبير قال : حدثنى سليمان ابن عياش قال :

لما دُفن زيد بن الحسن وانصرف الناس عن قبره جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد ، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يُعزونه ، فأخذه بعِضادتَى الباب وقال :

أعينَىَّ جُودًا بالدموع وأسعِدا   بنى رَحِمٍ ما كان زيدٌ يُهينُها
ولا زيدَ إلاَّ أنْ يجود بعبرةٍ   على القبر شاكى نكبَةٍ يَستكينها
وما كنتَ تلقى وجه زيد ببلدةٍ   من الأرض إلاَّ وجهُ زيد يزينها
لعمرُ أبى الناعى لعمَّتْ مصيبةٌ   على الناس واختصَّتْ قُصَيًّا رَصينُها
وأنى لنا أمثالُ زيدٍ وجَدُّه   مُبلِّغُ آيات الهُدى وأمينُها

(١) فى المطبوع : إليك عيوبا .
(٢) شئون : جمع شأن ، وهو الخطب . والمواضح : جمع الموضحة ، وهى الشجة التى تبدى وضح العظام . أو هى من أوضح : إذا طلع : أى طوالع ، أو هى أواضح : أى بيض .
(٣) الحرا : صوت التهاب النار .
(٤) رباعها : غراماتها : جمع رباعة .

وكان حليفيه السماحةُ والنَّدى فقد فارقَ الدنيا نَداها ولينُها
غدت غدوةً ترمى لؤىُّ بن غالب بجعْدِ الثرى فوق امرىءٍ مايشينها
أغرُّ بِطاحِىَ بكتْ من فِراقه عُكاظُ فبطحاءُ الصفا فحجُونُها
فقل لِلتى يعلو على الناس صوتُها ألا لا أعان الله من لايُعينُها
[وأرملة تبكى وقد شقَّ جيبُها عليه فآبتْ وهى شُعثٌ قرونُها]
ولو فقِهتْ مايفقه الناس أصبحت خواشعَ أعلامُ الفلاة وعينُها
نعاه لنا الناعى فظلْنا كأننا نرى الأرضَ فيها آية حان حينُها[1]
وزالت بنا أقدامنا وتقلَّبت ظهورُ رَوابيها بنا وبطونُها
وآب أُولو الألباب منَّا كأنما يرون شِمالاً فارقتْها يَمينُها
سقى اللهُ سُقْيا رحمةٍ تُرْبَ حفرةٍ مقيمٍ على زيدٍ ثَراها وطينُها

قال فما رُئى يومٌ أكثر باكيا من يومئذ .

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرزبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدثنى العُمرىُّ ، عن لَقيط ، قال :

كان محمد بن بشير الخارجى من أهل المدينة ، وكانت له بنت عم سَرِيّة جميلة ، وخطبها غير واحد من سَرَوات قريش فلم ترضه ، فقال لأبيه : زَوّجنيها ، فقال له : كيف أزوجكها وقد ردّ عمُّك عنها أشراف قريش ؟ فذهب إلى عمه فخطبها إليه فوعده بذلك وقرّبَ منه ، فمضى محمد إلى أبيه فأخبره ، فقال له : ما أراه يفعل ، ثم عاوده فزوّجه إياها ، فغضبت الجارية وقالت له : خطبنى إليك أشراف قريش فرددتهم وزوجتنى هذا الغلام الفقير ، فقال لها : هو ابن عمك وأولى الناس بك ، فلما بنى بها جعلت تستخفّ به وتستخدمه وتبعثه فى غنمها مرّة وإلى نخلها أخرى ، فلما رأى ذلك من فعلها قال شعرا ثم خلا يترنم به ويُسْمِعها وهو :

(١) فى المطبوع : ترى الأرض فينا أنه حان حينها .

تثاقلتِ أنْ كنتُ ابنَ عمٍّ نكحتِه   فِلتِ وقد يُشفى ذوو الرأى بالعَذْل
فانكِ إلاَّ تتركى بعض ما أرى   تُنازِعْكِ أُخرى كالقرينة فى الحَبْل
تَلُزُّكِ[1] ما استطاعت إذا كان قَسْمها   كقَسْمِكِ حقًّا فى التِّلادِ وفى البَعْل
متى تحمليها منك يوما لحالة   فتتبعَها تحمِلْكِ يوما على مِثْلِ

قال : فصلحت ولم ير [منها بعد ما سمعت] شيئا يكرهه .

صوت

علامَ هَجرْتِ ولم تُهْجَرِى   ومثلُكِ فى الهجر لم يُعذَرِ
قطعتِ حبالك من شادن   أغنَّ قَطوفِ[2] الخُطا أحورِ

الشعر لسُديف مولى بنى هاشم ، والغناء لأبى العُبَيس بن حمدون خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى .

(١) تلزك : تطعنك : أو تشدك .
(٢) قطوف الخطا : ضيقة المشى بطيئة .

ذكر سديف وأخباره

هو سُدَيْفُ بن مَيمون مولى خُزاعة ؛ وكان سبب ادّعائه ولاءَ بنى هاشم أنه تزوج مولاة لآل أبى لهب فادعى ولاءهم ودخل فى جملة مواليهم على الأيام ، وقيل : بل أبوه ميمون هو كان المتزوجَ مولاةَ اللَّهَبِيِّين فولدت منه سُدَيفا فلما يَفَعَ وقال الشعر وعُرِف بالبيان وحسن العارضة ادعى الولاء فى موالى أبيه وغلبوا عليه .

وسديف شاعر مُقِلّ من شعراء الحجاز ومن مخضرمى الدولتين ، وكان شديد التعصب لبنى هاشم مظهرا لذلك فى أيام بنى أمية ، وكان يخرج إلى أحجار صفًا فى ظهر مكة يقال لها صُفِيُّ السِّبابِ، ويَخرج مولى لبنى أمية معه يقال له سَبَنْلَب[1] فيتسابانِ ويتشاتمان ويذكرانِ المثالب والمعايب ، ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا ولهذا ، فلا يبرحون حتى تكون بينهم الجراح والشِّجاج ، ويخرج السلطان إليهم فيفرقهم ويعاقب الجناة ، فلم تزل تلك العصبية بمكة حتى شاعت فى العامة والسِّفْلَة ، وكانوا صنفين يقال لهم السُّدَيفيّة والسَّبَنْلَبيّة طول أيام بنى أمية ، ثم انقطع ذلك فى أيام بنى هاشم وصارت العصبية بمكة بين الحنّاطين والجزّارين .

أخبرنى عمر بن عبد الله بن جميل العتكىّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى فُلَيح بن إسماعيل قال :

قال سديف قصيدته يذكر فيها أمر بنى حسن بن حسن ومخرجهم وأنشدها المنصور بعد قتله محمدَ بن عبد الله بن حسن ، فلما أتى على هذا البيت :

يا سَوْأتا للقوم لا كَفَئُوا ولا إذ حاربوا كانوا من الأحرارِ

(١) فى المطبوع : سباب .

فقال له المنصور: أتحرضهم عليّ يا سُديف؟ قال: لا ولكني أؤنبهم يا أمير المؤمنين.

وذكر ابن المعتز أن العَوْفيّ حدثه، عن أحمد بن إبراهيم الرّياحيّ قال:

سلّم سديف بن ميمون على رجل من بني عبد الدار، فقال له العَبْدِيّ: من أنت يا هذا: قال: أنا رجل من قومك، أنا سُديف بن ميمون، قال له: والله يا هذا ما في قومي سديفٌ ولا ميمونٌ، قال: صدقت، لا والله ما كان فيهم قط ميمونٌ ولا مبارك.

صوت

لعمرُكَ إنني لأُحبُّ دارًا تكون بها سُكَينةُ والرَّبابُ
أُحبهما وأبذل جُلّ مالي[1] وليس لعاتبٍ عندي عتابُ

الشعر للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، والغناء لابن سُريج رمل بالنصر، وفيه للهذلي ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

(١) في المطبوع: كل مالي.

أخبار الحسين بن علي ونسبه

الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ ابن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وقد ذكرت هذا النسب في عدة مواضع من هذا الكتاب ، واسم أبي طالب عبد مناف ، واسم عبد المطلب شَيبة ، واسم هاشم عمرو .

وأم عليّ بن أبي طالب عليه السلام فاطمةُ بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وهي أول هاشمية تزوجها هاشمي ، وهي أم سائر ولد أبي طالب .

وأم الحسين بن علي بن أبي طالب فاطمةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمها خديجة بنت خُويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصيّ ، وكانت خديجة تكنى أمّ هند ، وكانت فاطمةُ تكنى أُمَّ أبيها ، ذكر ذلك قعنبُ بن المُحرز قال : حدثني أبو نعيم عن الحسن بن زيد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه .

وكان علي بن أبي طالب سمى الحسن حَرْبا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن [، ثم ولد له الحسين فسماه حربا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين] .

حدثني بذلك أحمد بن الجعد قال : حدثنا عبد الرحمن بن صالح قال : حدثني يحيي بن عيسى قال : حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال :

قال علي بن أبي طالب : كنت رجلا أحب الحرب ، فلما وُلد الحسن هممت أن أسميه حربا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن ، فلما ولد الحسين [هممت أن أسميه حربا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين] ، ثم قال سميتهما باسمي [ابنَيْ هارون : شَبَرْ وشُبَير] .

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال : حدثنا [أحمد بن يحيى الأحول قال : حدثنا خلاد المقرى قال] : حدثنا قيس بن الربيع ، عن أبي حصين عن يحيى بن وثاب ، عن ابن عمر قال :

كان على الحسن والحسين تَعويذتان حَشْوهما من زَغَب جناح جبريل عليه السلام .

وهذا الشعر يقوله الحسين بن علي في امرأته الرَّباب بنت امرىء القيس بن عديّ [بن أوس] بن جابر بن كعب بن عُلَيم [بن كلب] بن وَبْرة بن ثعلبة بن عِمران بن إلحاف بن قُضَاعة . وأمها هند بنت الربيع بن مسعود بن معاذ بن حصين بن كعب بن عليم بن كلب ، وفي ابنته منها سُكينة بنت الحسين . واسم سُكينة أميمة وقيل آمنة ، وسكينة لقب لُقبت به . قال مصعب فيما أخبرني به الطُّوسيّ عن الزبير عنه : إن اسمها آمنة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أبو نعيم ، عن عمر بن ثابت ، عن مالك بن أعْيَن قال :

سمعت سكينة بنت الحسين عليهما السلام تقول : عاتب عمّي الحسنُ أبي في أمي فقال .

لعمرك إنني لأُحبّ دارًا ... تكون بها سُكينةُ والرَّبابُ
أُحبُّهما وأبذل جُلّ مالي ... وليس لعاتب عندي عتابُ

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا الخليل بن أسد قال : حدثنا العمري ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه قال :

قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن : ما اسم سُكينة بنت الحسين ؟ فقلت له : سكينة ، فقال : لا ، اسمها آمنة [١] .

وروى أن رجلا سأل عبد الله بن الحسن عن اسمُ سُكينة فقال : أمينة ،

(١) في مخطوط : أميمة .

فقال: إن ابن الكلبي يقول أُميمة ، فقال : سل ابن الكلبي عن أمه وسلني عن أمي.

قال المدائني : حدثني أبو إسحاق المالكي .

[قال : سكينة لقب ، واسمها آمنة وهذا هو الصحيح .

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد [1]] :

قال : حدثنا يحيى بن الحسين العلوي [2] قال : حدثنا شيخ من قريش قال : حدثنا ابن حذافة [3] أو غيره قال : أسلم امرؤ القيس بن عديّ على يدِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فما صلى صلاة حتى ولاَّه عمر ، وما أمسى حتى خَطَب إليه عليّ عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين فزوجه إياها ، فولدت له عبد الله وسكينة وَلَدَى الحسين عليهما السلام وفي سكينة وأمها يقول :

لعمرك إنني لأحبّ داراً تكون بها سكينة والربابُ

وذكر البيت الآخر وزاد بعد البيتين :

فلست لهم وإن غابوا مُضِيعا [4] حياتي أو يغيّبني التراب

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي [5] عبد الرحمن الغِلابيّ وهو أتم قال: حدثنا صالح [6] عن عليّ بن مجاهد عن أبي المثنى محمد بن السائب الكلبي قال: أخبرنا عبد الله بن حَسَن بن حسن قال : حدثني خالي عبد الجبار بن منظور بن زَبّان ابن سيّار الفزاريّ قال : حدثني عوف بن خارجة المُرّيّ قال :

والله إني لعند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته إذ أقبل رجل أفحج أجلح أمعر [7] يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر فحياه بتحية الخلافة ،

(١) ما بين القوسين لا يوجد في بعض المخطوطات .

(٢) في المطبوع : التارى .

(٣) في المطبوع : أبو حذافة .

(٤) في مخطوط : مطيعا . ويكون أنه لا يطيع العذال فيهما .

(٥) في مخطوط : ابن .

(٦) في مخطوط : علي بن صالح .

(٧) الأفحج : من تدانت صدور قدميه وتباعد عقباه . والأجلح : الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه . والأمعر : القليل الشعر .

فقال له عمر : فمن أنت ؟ قال : أنا امرؤٌ نَصرانىّ ، أنا امرؤ القيس بن عدىّ الكلبىّ ، قال فعرفه عمر ، فقال له رجل من القوم: هذا صاحب بكر بن وائل الذى أغار عليهم فى الجاهلية يوم فَلَج ، قال : فما تريد ؟ قال : أريد الإسلام ، فعرضه عليه عمر رضى الله عنه فقبله ، ثم دعا له برمح فعقد له على مَن أسلم بالشام من قضاعة ، فأدبر الشيخ واللواء يهتزّ على رأسه ، قال عوف : فوالله ما رأيت رجلا لم يُصَلّ لله جل وعز ركعة قط أُمِّرَ على جماعة من المسلمين قبله، ونهض على بن أبى طالب من المجلس ومعه ابناه حسن وحسين عليهم السلام حتى أدركه فأخذ بثيابه ، فقال له : يا عم ، أنا على بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره ، وهذان ابناى من ابنته ،وقد رغبنا فى صهرك فأنكحنا، فقال : قد أنكحتك يا علىّ المُحَيَّاة بنتَ امرىء القيس،وأنكحتك ياحسن سَلمى بنت امرىء القيس ، وأنكحتك يا حسين الرَّباب بنت امرىء القيس .

وقال هشام بن الكلبى : كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن ، وخطبت بعد قتل الحسين عليه السلام فقالت: ماكنت لأتخذ حَمْواً بعدرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال المدائنى : حدثنى أبو إسحاق المالكى قال :

قيل لسكينة ، واسمها آمنة وسكينة لقب : أختك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيرا وأختك لاتمزح ؟ فقالت : لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة تعنى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسميتمونى باسم جدتى التى لم تدرك الإسلام ، تعنى آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكرانىّ ، عن قَعْنَب بن المُحْرِز الباهلىّ عن محمد بن الحكم ، عن عوانة قال :

رثت الربابُ بنتُ امرىء القيس أمُّ سُكينةَ بنتِ الُحسين زوجَها الحسينَ ابن علىّ حين قتل فقالت :

إنّ الذى كان نُورا يُستضاء به بكرْبلاءَ قتيلٌ غيرُ مدفونِ
سبْطَ النبىّ جزاك اللهُ صالحةً عنّا وجُنّبتَ خسرانَ الموازينِ
قد كنت لى جبلاً صعبا ألوذُ به وكنت تصحبنا بالرُّحْمِ والدّينِ
منْ لليتامى ومَن للسائلين ومن يُعْنَى ويأوِى إليه كلُّ مسكينِ[1]
والله لا أبتغى صهْرا بصهرِكُمُ حتى أُغيَّبَ بين الرمْل والطّينِ

(١) يعنى : يطلب معروفه ، من عفا فلانا : أتاه يطلب معروفه . وفى الأصلَ : يغنى .

[أخبار سكينة بنت الحسين]

أخبرنى الطوسى قال : حدثنا الزبير عن عمه قال : أخبرنى إسماعيل بن يعقوب قال .وحدثنى أحمد بن [محمدبن] سعيد ، عن يحيى بن الحسين العلوى عن الزبير عن عمه[1] ، قال : أخبرنى إسماعيل بن يعقوب ، وعبد الله بن موسى ، قالا :

كان الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب خطب إلى عمه الحسين ، فقال له الحسين : يا ابن أخى قد كنت أنتظر هذا منك ، انطلق معى ، فخرج به حتى أدخله منزله فخيره فى ابنتيه فاطمة وسكينة ، فاختار فاطمة فزوّجه إياها . وكان يقال : إن امرأة تُختار على سكينة[2] لمنقطعة القرين فى الحُسْنِ ، وقال عبد الله بن موسى فى خبره : إن الحسين خيره فاستحيا فقال له : قد اخترتُ لك فاطمة فهى أكثرهما شبها بأمى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى أحمد بن محمد بن سعيد قال : حدثنى يحيى بن الحسين العلوى قال : كتب إلىّ عبَّادُ بن يعقوب يخبرنى عن جدى يحيى بن سليمان بن الحسين قال : كانت سكينة فى مأتم فيه بنت لعثمان رضى الله عنه ، فقالت بنت عثمان : أنا بنت الشهيد ، فسكتت سكينة ، فلما قال المؤذن : وأشهد أنّ محمدا رسول الله . قالت سكينة : هذا أبى أو أبوك ؟ فقالت العثمانية : لاجرم لا أفخر عليكم أبدا .

حدثنى أحمد بن محمد قال : حدثنا يحيى قال : حدثنا مروان بن موسى القَرَوىُّ قال : حدثنا بعض أصحابنا قال :

كانت سكينة تجىء فى ستارة يوم الجمعة فتقوم بإزاء ابن مُطَيرة وهو خالد

---

(١) فى مخطوط : حدثنا الزبير وحدثنى أحمد بن سعيد عن يحيى العلوى عن الزبير .

(٢) فى مخطوط : إن امرأة مرذولها سكينة .

ابن عبد الملك بن الحارث بن الحكم إذا صعد المنبر فاذا شتم عليا شتمته هي وجواريها ، فكان يأمر الحرس فيضربون جواريها .

أخبرني الطوسي ، عن الزبير ، عن عمه مصعب قال :

كانت سكينة [عفيفة مسلمة بَرْزَةً من النساء تجالس الأجِلاّء من قريش وتجتمع إليها الشعراء وكانت ظريفة مزّاحة .

أخبرني الطوسي قال : حدثنا الزبير ، عن عمه قال : حدثني معاوية بن بكر [١] قال :

قالت سُكينة : أُدخلت على مُصْعَبٍ وأنا أحسن من النار الموقدة .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني محمد بن موسى ، عن أبي أيوب المديني عن مصعب [٢] قال : كانت سكينة أحسن الناس شَعَراً ، وكانت تُصَفِّف جُمَّتها تصفيفا لم يُرَ أحسن منه حتى عُرِف ذلك ، وكانت تلك الجُمَّة تسمى السُّكَيْنِيَّة وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلا قد صفف جمته السكينيَّة جلده وحلقه .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه ، عن أبي سفيان الحميري قال :

بعثتْ سُكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حَبَش بن دَلْجَة بغالية لأنه من أخوالها فلما وصلت إليه قال : فأين كانت عن الصيَّاح [٣] ؟ يقدّر أن الصيّاح أرفع من الغالية .

وقال محمد بن سلام : كانت سكينة مزّاحة فلسعتها دَبْرَة [٤] [فولولت] ، فقالت لها أمها : مالك يا سيدتي وجزعت ، فقالت : لسعتني دُبَيْرَة ، مثل الأُبيرة فأوجعتني قُطيرة [٥] .

(١) في المطبوع : ابن أبي بكر .

(٢) كلمة : « عن مصعب » لا توجد في أحد المخطوطات .

(٣) الصياح : عطر .

(٤) الدبرة : النحلة أو الزنبور .

(٥) قطيرة : أي وجعا تافها يسيرا . وفي حياة الحيوان : « الدبر » : مرت في دبيرة فلسعتني بأبيرة وفي المطبوع : فضحكت وقالت : لسعتني . . .

وقال هارون بن أبي عبيد الله [١] : حدثني ضمرة بن ضمرة قال :

أجلست سُكينة شيخا فارسيًّا على بيْض ، وبعثت إلى سليمان بن يَسار [٢] كأنها تريد أن تسأله عن شيء ، فجاءها إكراما لها فأخرجت من أخرج إليه ذلك الشيخ جالسا على السلّة فيها البيض [فولّى يُسبِّح] .

قال : وبعثت سكينة إلى صاحب الشرطة بالمدينة أنه دخل علينا شامي فابعث إلينا بالشرط ، فركب ومعه الشرط ، فلما أتى إلى الباب أمرت ففُتِح له ، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت له بُرغوثا [فقال : ما هذا ؟] قالت : هذا الشامي الذي شكوناه . فانصرفوا يضحكون .

قصة لأشعب :

أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال : حدثنا أحمد بن القاسم ، قال : حدثنا أبو هِفّان قال : حدّثنا يوسف بن إبراهيم صاحب ابراهيم بن المهدي ، قال :

حدثني إبراهيم بن المهدي أن الرشيد لما ولاه دمشق استوهبه صحبة دُبَيَّة والغاضري وعبيدة بن أشعب وحكم الوادي فوهبهم له ، فأشخصه معه ، قال : وكان فيما حدثني [عن] عبَيدة ، قال : قال إبراهيم : ركبت جَمّازة [٣] وهو عدِيلي ونمت على ظهرها ، فلما بلغنا ثَنِيَّة العُقاب اشتدّ عليّ البرد فاحتجت إلى أن أزداد في الدّثار ، فدعوت بدُواج سَمُّور فألقيته على ظهري ، ودعوت بمن كان معي في سمري في تلك الليلة وكانوا حولي ، فقلت لابن أشعب : حدثني بأعجب ما تعلم من طمع أبيك ، فقال : أعجب من طمع أبي طمع ابنه ، فقلت : وما بلغ من طمعك ؟ فقال : دعوتَ آنفا لما اشتدّ عليك البرد بدواج سَمُّور لتستدفىء به فلم أشكُكْ في أنك دعوت به لتجعله عليّ . فغلبني الضحك وخلعت

---

(١) في المطبوع « مروان بن عبيد . حدثني ضمرة بن ضميرة » . ولعله أيضا : هارون بن عبد الله انظر تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٨ ، أو مروان بن موسى وقد سبق له ذكر .

(٢) هو من المحدثين ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب .

(٣) الجمازة : الناقة التي يركبها المسرع .

عليه الدواج ثم قلت له : ما أحسب لك قرابةً بالمدينة ، فقال : اللهم غَفْرًا ، لى بالمدينة قرابات وأى قرابات . قلت : أيكونون عشرة ؟ قال : وما عشرة ؟ قلت : فعشرين ؟ قال : اللهم غفرا ، لاتذكر العشرات والمئين وتجاوزْ ذِكرَ الأُلوف إلى ما هو أكثر منها . قلت : ويحك ليس بينك وبين أشعب أحد ، فكيف يكون هذا ؟ فقال : إن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان لما تزوج سكينة بنت الحسين خفّ أبى على قلبها فأحسنت إليه ، وكانت عطاياها تأتيه خلاف عطايا مولاه ، فمال إليها بكُلّيَّته . قال : وحج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ، فاستأذن زيدُ بنُ عمرٍو سكينةَ ، وأعلمها أنها أول سنة حج فيها الخليفة ، وأنه لايمكنه التخلُّف عن الحج معه ، وكانت لزيد ضَيْعة يقال لها العَرْج ، وكان له فيها جوارٍ ، فأعلمتْه أنها لاتأذن له إلا أن يَخرج أشعبُ معه فيكون عَيْنًا لها عليه ، ومانعا له من العدول إلى العَرْج ، ومن اتخاذ جارية لنفسه فى بَدْأته ورَجعته فقنع بذلك وأخرج أشعب معه ، وكان له فرس كثير الأوضاح[1] حسن المنظر يصونه عن الركوب إلا فى مسايرة خليفة أو أمير أو يوم زينة ، وله سرج يصونه أن يركب به غير ذلك الفرس ، وكان معه طِيبٌ لايتَطَيَّبُ به إلا مثلَ ذلك اليوم الذى يركب فيه وحُلَّة مَوْشيَّة يصونها عن اللُّبس إلا فى يوم يحبُّ التجمُّلَ فيه بها ، فحجّ مع سليمان ، وكانت له عنده حوائج كثيرة فقضاها ووصله وأجزل صلته ، وانصرف سليمان من حجه ولم يسلك طريق المدينة ، وانصرف ابن عثمان يريد المدينة ، فنزل على ماءٍ لبنى عامر بن صَعْصعة ، ودعا أشعب فأحضره ، وصرّ صُرَّة فيها أربعمائة دينار ، وأعلمه أنه ليس بينه وبين العرج إلاّ أميال ، وأنه إن أذن له فى المسير إليها والمبيت عند جواريه غلّس إليه فوافاه فى وقت ارتحال الناس ووهب له الأربعمائة دينار ، فقبّل يده ورجله وأذن له فى السير إلى حيث أحب ، وحلف له أنه يحلف لسكينة بالأيمان المُحرجة أنه ما صار إلى العرج ولا اتخذ جارية منذ فارق سكينة إلى أن رجع إليها ، فدفع إليه مولاه الدنانير ومضى . قال أبو إسحاق : قال ابن أشعب: حدثنى أبى : أنه لم يتوهم أن مولاه

(١) الأوضاح : جمع وضح ، وهو الغرة والتحجيل .

سار نصف ميل حتى رأى فى الماء الذى كان عليه رَحْلُ زيد جاريتين عليهما قِرْبتان ، فألقتا القربتين وألقتا ثيابهما عنهما ورمتا بأنفسهما فى الغدير وعامتا فيه ورأى من مُجَرَّدِهما ما أعجبه واستحسنه ، فسألهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما فأعلمتاه أنهما من إماءِ نسوةٍ خُلُوفٍ لبنى عامر بن صعصعة هنّ بالقرب من ذلك الغدير ، فسألهما : هل يسهل على مولياتهما محادثة شيخ حسن الخلق طيِّب العشرة كثير النوادر ؟ فقالتا : وأنّى لهن بمن هذه صفته ؟ فقال لهما : فأنا ذلك ، قالتا له : فانهض معنا ، فوثب إلى فرس زيد فأسرجه بسرجه الذى كان يسرجه به ويركبه ، ودعا بحُلته التى كان يضَنّ بلبسها فلبسها ، وأحضر السفطَ الذى كان فيه طيبه فتطيب منه ، وركب الفرس ومضى معهما حتى وافى الحىّ ، فأقام فى محادثة أهله إلى قرب وقت صلاة العصر ، فأقبل فى ذلك الوقت رجال الحىّ وقد انصرفوا غانمين من غزواتهم ، وأقبلت تمرُّ به الرَّعلةُ [1] بعد الرعلة فيقفون به فيقولون : ممن الرجل ؟ فينتسب فى نسب زيد ، فيقول كلُّ من اجتاز به : ما نرى بأسا وينصرفون عنه ، إلى قرب غروب الشمس ، فأقبل عليه شيخ فانٍ على حِجْر [2] هرمة هزيلة ، ففعل مثل ما كان [يفعل من اجتاز ، فسأله مثل ما يسألون عنهُ ، فأخبره بمثل ما كان] يخبر من تقدمه ، فقال مثل قولهم [قال ابن أشعب : قال أبى] فرأيت الشيخ قد وقف بعد قوله فأوجست منه خيفة ، لأنى رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه ورفعهما ، ثم استدار ليرى وجهِى ، فركبت الفرس ، فما أنا إلا أن استويت عليه حتى سمعته يقول : أقسم بالله ما هذا قُرشى وما هو إلا وجه عبد ، فركضت فرسى [وركض خلفى . فرأى حِجْره مقصرة] وهو يقول : من أنت واتبعنى ، فلما يئس من اللحاق بى انتزع سهما فرمانى به ، فوقع فى مؤخَّرة السرج فكسرها ، ودخلتنى من صوته روعة ثلطت لها فى الحلة لشدة فزعى [3] ، ووافيت رحل مولاى فغسلت الحلة وشرتها [4] فلم تجفّ ليلا ، وغلّس مولاى زيدٌ من العرج

(١) الرعلة : القطعة من الخيل القليلة .
(٢) الحجر : الفرس .
(٣) فى المطبوع : « ودخلتنى روعة من ضربته أحدثت لها فى الحلة » .
(٤) شرتها : وضعتها لتجف وفى المطبوع ونشرتها .

فوافانى فى وقت الرحيل ، فرأى الحلة مَشْرورة ، ومؤخرة السرج مكسورة ، والفرس قد أضرَّ بِهِ الركض ، وسفط الطيب مسكور مفضوض الخاتم . فسألنى عن السبب فصدقته ، فقال لى : ويحك أما كفاك ما صنعتَ بى حتى انتسبت فى نسبى [فجعلتنى عند أشراف قومى جمَّاشا ؟] وسكت عنى ولم يقل لى أحسنتَ ولا أسأت حتى وافينا المدينة ، فلما وافاها سألته سكينةُ عن خبره فقال لها : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما سؤالك إياى ولم يزل ثِقَتُكِ معى وهو أمين علىَّ ؟ فَسليه عن خَبَرى يَصْدُقْك عنه ، فسألتنى فأخبرتُها أنى لم أُنكر عليه شيئا ، ولم أمكنه من ابتياع جارية ، ولم أُطلق له الاجتياز بالعرج . فاستحلفتنى على ذلك ، فلما حلفت لها بالأيمان المحرجة فيها طلاق أُمِّكَ ، وثب فوقف بين يديها وقال : [أىْ بنتَ عمّ] ويابنت رسول الله كذبك والله العِلج [ولقد أخذ منى أربعمائة دينار على أن أذن لى فى المصير إلى العرج] فأقمت بها يوما وليلة وغسلت بها عدة من جوارى ، وها أنا ذا تائب إلى الله عزوجل مما كان منى ، وقد جعلت توبتى هبتَهن لك ، وتقدمت فى حملهن إليك ، وهُنَّ مُوافياتٌ المدينةَ فى عشية هذا اليوم ، فبيعُهُنَّ وعتقهن إليك [الأمرُ فيه] وأنت أعلم بما ترين فى العبد السَّوء ، فأمرتنى بإحضار الأربعمائة دينار ، فلما أحضرتها أمرت بابتياع خشب بثلاثمائة دينار [ثم أمرت بنشره] وليس عندى ولا عند أحد من أهل المدينة علم بما تريده فيه . ثم أمرت بأن يُتَّخذ بيتٌ كِسْرٌ . وجعلت النفقة عليه فى أجر النجَّارين من المائة الدينار الباقية ، ثم أمرت بابتياع بَيْضٍ وتِبْن وسِرْجِين بما بقى من المائة الدينار بعد أجرة النجَّارين ، ثم أدخلتنى والبيضَ والتِّبن والسِّرْجينَ فى ذلك البيت ، وحلفت بحق جدّها ألاَّ أخرجَ من ذلك البيت حتى أحْضُن ذلك البيضَ كلَّه إلى أن يَنقبَ ففعلت ذلك ولم أزل أحضنه حتى نقبَ كلُّه فخرج منه ألوف الفراريج ، ورُبِّيتْ فى دار سكينة ، وكانت تنسبهن إلىَّ وتقول : بنات أشعب [ونسل أشعب] قال أبو إسحاق : قال لى : وبقى من ذلك النسل فى أيدى الناس إلى الآن وكلهم إخوتى وأهلى .

قال : فضحكتُ واللهِ حتى غُلِبت ،وأمرتُ له بعشرة آلاف درهم فحملت بحضرتى إليه .

أخبرنى الطوسى والحرمىّ قالا[١] : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى مصعب قال :

تزوجت سكينة بنت الحسين غيرَ زوجٍ ،أولهم عبدُ الله بن الحسن بن على وهو ابن عمها وأبو عُذرتها ، ومصعبَ بن الزبير ، وعبد الله بن عثمان الحِزامىّ ، وزيد بن عمرو بن عثمان ، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ولم يدخل بها، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها . قال مصعب: وحدثنى يحيى بن الحسن العلوى : أن عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر وأمه بنت السَّليل ابن عبد الله البَجَلى أخى جرير ، ثم خلفه عليها مصعب بن الزبير ، زوّجه إياها أخوها علىّ بن الحسين ومهرها مصعب ألف ألف درهم، قال مصعب : وحدثنى مصعب بن عثمان : أن على بن الحُسَين أخاها حملها إليه فأعطاه أربعين ألف دينار . قال مصعب: وحدثنى معاوية بن بكر الباهلى قال : قالت سكينة : دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة فى الليلة القرّة ، قال : وولدت من مصعب بنتا فقال لها : سَمّيها زَبْرَاء[٢] قالت : بل أسميها باسم إحدى أمهاتى ، وسمتها الرَّباب ،فلما قتل مصعب وَلِى أخوه عُروةُ تِرْكَته فزوّجها ـ يعنى الرباب بنت مصعب ـ ابنَه عثمان بن عروة، فماتت وهى صغيرة،فورثها عثمان بن عروة عشرةَ آلاف دينار .

قال الزبير : فحدثنى محمد بن سلاّم عن شعيب بن صخر :

عن أمه سَعْدَة بنت عبد الله بن سالم قالت : لقيت سكينة بين مكة ومنى فقالت : قفى يا ابنة عبد الله ، فوقفت فكشفت عن بنتها من مصعب، وإذا هى أثقلتها بالحلى واللؤلؤ ، فقالت : ما ألبستها إيّاه إلاّ لتفضحه .

(١) فى المطبوع : أخبرنى الفارسى قال .

(٢) فى المطبوع : « ربربا » و « زبراء » أقرب ، لأن أباه اسمه الزبير .

قال الزبير وحدثنى عمى عن ابن الماجِشون[١] قال :

قالت سكينة لعائشة بنت طَلْحة : أنا أجمل منك ، وقالت عائشة : بل أنا أجمل فاختصمتا إلى عمر بن أبى ربيعة فقال : لأقضينّ بينكما ، أما أنت يا سكينة فأملح منها ، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها ، فقالت سكينة : قضيت لى والله ، وكانت سُكينة تسمّى عائشة ذاتَ الأُذنين وكانت عظيمة الأذنين .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى أحمد بن الحارث قال : حدثنا المدائنى قال :

خطب سكينةَ بنت الحسين عليه السلام عبدُ الملك بن مروان فقالت أمها : لا والله لايتزوجها أبدا وقد قتل ابن أختى تعنى مصعبا .

وأما محمد بن سلام الجمحى فإنه ذكر فيما أخبرنى به أبو الحسَن الأسدى عن الرّياشى عنه :

أن أبا عذرتها هو عندى عبد الله بن الحسن بن على ثم خلفه عليها العثمانىّ ثم مصعب بن الزبير ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان فقال فيه بعض المدينيّين :

نكحتْ سكينةُ فى الحساب ثلاثةً فإذا دخلتَ بها فأنت الرابعُ

قال : وكان يتولى مصر ، فكتبت إليه : إن مصر أرضٌ وخمة ، فبنى لها مدينة تُسمى مدينة الأصبغ ، وبلغ عبدَ الملك تزوُّجُه إياها فنفِسَ بها عليه ، فكتب إليه : اخترْ مصر أو سكينة ، فبعث إليها بطلاقها ولم يدخل بها ومتّعها بعشرين ألف دينار[٢] .

ومرّوا بها فى طريقها على منزل فقالت : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : جوف الحمار ، قالت : ما كنت لأدخل جوف الحمار أبدا .

وذكر محمد بن سلام فى هذا الخبر — الذى رواه الرياشى — عن شُعيب

(١) فى مخطوط : الماجشون .

(٢) فى نسب قريش لمصعب ص ٥٩ : فحملت إليه بمصر فوجدته قد مات .

ابن صخر الحرامىّ أن عبد الله بن عثمان خلف الأصبغ عليها وولدت منه بنتا، وذكر عن أمه سَعْدَةَ بنت عبد الله أن سكينة أرتها ابنتها من الحزامى وقد أثقلتها بالحلى وهى فى قبة فقالت: والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه، تريد أنها تفضح الحلى بحسنها لأنها أحسن منه.

أخبرنى ابن أبى الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن الهيثم بن عدى، عن صالح بن حسّان وغيره:

أن سكينة كانت عند عمرو بن حكيم بن حِزام، ثم تزوجها بعد ذلك زيد ابن عمرو بن عثمان بن عفان، ثم تزوجها مصعب بن الزبير، فلما قُتل مصعب خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فبعثت إليه: أبلغَ من حُمقك أن تبعث إلى سكينة بنت الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله تخطبها؟ فأمسك عن ذلك. قال ثم تنفست يوما بُنَانَةُ جاريةُ سكينةَ وتنهدت حتى كادت أضلاعها تنحطم، فقالت لها سكينة: مالك ويلك؟ قالت: أحب أن أرى فى الدار جلَبَة، تعنى العرس، فدعت مولى لها تثق به فقالت له: اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فقل له: إن الذى كنا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه وأنت من أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم [فاحضر تنل[1]] قال: فجمع عدة من بنى زُهرة وأفناء[2] قريش من بنى جُمح وغيرهم نحواً من سبعين رجلا أو ثمانين ثم أرسل إلى علىّ بن الحسين وحسن بن حسن وغيرهما من بنى هاشم، فلما أتاهم الخبر اجتمعوا وقالوا: هذه السفيهة تريد أن تتزوج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: فتنادى بنو هاشم واجتمعوا وقالوا: لا يخرجنّ منكم إنسان إلاّ ومعه عصا، فجاءوا وما بقى إلاّ الكلام فقالوا: اضربوا، فاضطربوا بالعصىّ هم وبنو زُهْرة حتى تشاجُّوا، فشُجّ بينهم يومئذ أكثر من مائة إنسان، ثم قالت بنو هاشم: أين سكينة؟ قالوا: فى هذا البيت، فدخلوا إليها فقالوا: أبلغ هذا من صنعك؟ ثم

(١) كلمة «تنل» فى مخطوط غير واضحة، ولا توجد فى المطبوع.
(٢) فى المطبوع: وأعيان.

جاءوا بكساء طَارُونىّ [١] فبسطوه ، ثم حملوها وأخذوا بجوانبه . أوقال : بزواياه الأربع ، فالتفتت إلى بُنانَةَ فقالت : أىْ بُنانةُ ، قالت : لبيك ، قالت : أرأيتِ فى الدار جلبة ؟ قالت : إى والله إلا أنها شديدة .

قال هارون بن الزيات : أخبرنى أبوحذيفة ، عن مصعب قال :

كان أول أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب، قتل عنها ولم تلد له ، ثم خلف عليها مصعب بن الزبير فولدت له جارية، ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فنشزت عليه فطلقها ، ثم خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز فأصدقها صداقا كثيرا قال الشاعر :

نكحتْ سكينةُ فى الحساب ثلاثةً ... فإذا دخلت بها فأنت الرابعُ

إن البَقيع إذا تتابع زَرْعُــــه ... خاب البقيع وخاب فيه الزارعُ

وبلغ ذلك عبدَ الملك فغضب . وقال : أَمَا تزوجنا أحسابنا حتى تزوجنا أموالنا؟ طلِّقها ، فطلقها فخلف عليها العثمانىُّ، وشرطت عليه أن لايُغيرها ولايمنعها شيئا تريده، وأن يقيمها حيث جلّسَتْها أمُّ منظور ، ولا يخالفها فى أمر تريده، فكانت تقول له : ياابن عثمان اخرج بنا إلى مكة ، فإذا خرج بها فسارت يوما أو يومين قالت : ارجع بنا إلى المدينة ، فإذا رجع يومه ذلك قالت : اخرج بنا إلى مكة ، فقال له سليمان بن عبد الملك: أنا أعلم أنك قد شرطت لها شروطا لم تفِ بها فطلِّقها. فطلَّقها ، فخلف عليها إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، فكره ذلك أهلها وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل ، فبعث إليها يُخَيِّرها ، فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث تسمع كلامه فقال لها : جُعلت فداءك قد خيرتك فاختارى، فقالت : قُلت ماذا بأبى ؟ تهزأ به ، فعرف ذلك فانصرف وخيروها فقالت : لا أريده قال : وماتت فصلى عليها شَيبة بن نِصَاح .

وأما ابن الكلبى فذكر فيما أخبرنا به الجوهرىّ ، عن عمر بن شبة ، عن عبد الله بن محمد بن حكيم عنه :

(١) الطاروني : نوع من الخز .

أن أول أزواجها الأصبغ ومات ولم يرها، ثم زيد بن عمرو العثمانى ، قال : وولدت له ابنه عثمان الذى يقال له قُرَين ، ثم خلف عليها مصعب فولدت له جارية ، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها .

قال عمر بن شبة : وحدثنى محمد بن يحيى قال :

تزوج مصعب سكينة وهو يومئذ عامل البصرة لأخيه عبد الله ، وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو السَّلاس ، وهو الذى جاء بنعيه ، فقال ابن قيس فيه[1] :

قد أتانا بما كرهنا أبو السَّ ... لاس كانتْ بنفسه الأوْجاعُ

وفى هذا الشعر غناء قد ذكر فى موضعه .

وهذا غلط من محمد بن يحيى ، وليست قصة أبى السلاس مع مصعب ، وإنما هى مع ابن جعفر ، قال محمد بن يحيى : ولما تزوج مصعب سكينة على ألفِ ألفٍ كتب عبد الله بن همَّام على يد أبى السلاس إلى عبد الله بن الزبير :

أبلِـغ أمير المؤمنين رسالةً ... من ناصح لك لا يُريد خِداعا
بُضْعُ الفتاة بألفِ ألفٍ كاملٍ ... وتَبيت ساداتُ الجنود جِياعا
لَوْ لأبى حَفْصٍ أقول مقالتى ... وأبُثُّ ما أبْثثْتكم لارتاعا

قال : وكان ابن الزبير قد أوصاه أن لا يعطيه أحد كتابا إلا جاءه به ، فلما أتاه بهذا الكتاب قال : صدق والله ، لو يقول هذه المقالة لأبى حفص[2] لارتاع من تزويج امرأة على ألف ألف ثم قال : إن مصعبا لما وليته البصرة أغمد سيفه وسلَّ أيره . وعزله عن البصرة ، وأمره أن يجىء على ذات الجيش[3] وقال : إنى لأرجو أن يخسف الله بك فيها ، فبلغ قوله عبدَ الملك فقال : لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأيره وخيره .

(١) انظر المجلد الثانى عشر من طبعتنا ترجمة عبد الله بن معاوية .

(٢) أبو حفص يراد به عمر بن الخطاب . (٣) فى المطبوع : على الجسر .

قال أبو زيد : أخبرنى محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزُّهْرى : ذُكر أن زيد بن عمرو بن عثمان العثمانى خرج إلى مالٍ له مغاضبا لسكينة ، وعمرُ بن عبد العزيز يومئذ والى المدينة ، فأقام سبعة أشهر ،فاستعدتْه سكينةُ على زيد ، وذكرت غيبته مع ولائده سبعة أشهر ، وأنها شرطت عليه أنه إن مس امرأة ، أو حال بينها وبين شىءٍ من ماله ، أو منعها مخرجا تريده فهى خَلِيَّة ، فبعث إليه عمرفأحضره ، وأمر ابنَ حَزْمٍ أن ينظر بينهما ، قال : فحدثنى أبوبكر بن عبد الله قال : بعثنى عُمَرُ وبعث معى محمد بنَ معْقِل بن سِنان الأشجعىَّ إلى ابن حزم وقال : اشهدا قضاءه ، فدخلنا عليه وعنده زيدٌ جالس ، وفاطمةُ امرأة ابن حزم فى الحَجلَة جالسة ، وجاءت سكينة فقال ابن حزم : أدخلوها وحدها ، فقالت : والله لا أدخل إلا ومعى ولائدى ، فأُدخلن معها ، فلما دخلت قالت : يا جارية اثْنِى لى هذه الوسادة ، ففعلت وجلست عليها ، ولصق زيدٌ بالسرير حتى كاد يدخل فى جوفه خوفا منها ، فقال لها ابن حزم : يا ابنة الحسين إن الله جل وعز يحب القصد فى كل شىء ، فقالت له : وما أنكرت منى؟ إنى والله وإياك كالذى يرى الشعرة فى عين صاحبه ولا يرى الخشبة فى عينه ، فقال لها : أما والله لو كنتِ رجلا لسطوتُ بك ، فقالت له :يا ابن فَرْتَنى [1] ألا أراك [2] تتوعدنى ؟ وشتمته وشتمها ، فلما بلغا ذلك قال ابن أبى الجهم العدَوِىّ : ما بهذا أُمرنا ،فأمضِ الحكم ولاتَشاتَم ، فقالت لمولاة لها : من هذا ؟ قالت : أبوبكر بن عبد الله بن أبى الجهم ، فقالت : ألا أراك هاهنا وأنا أشتم بحضرتك ؟ . ثم هتفت برجال قريش وحضّت ابن أبى الجهم وقالت : أما والله لو كان أصحاب الحرَّة أحياء قتلوا والله هذا العبد اليهودىّ عند شتمه إياى ، أىْ عدو الله ، تشتمنى وأبوك الخارج مع يهودَ صَبابةً بدينهم لمّا أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أريحا ، يا ابن فرتنى . قال : وشتمها وشتمه ، قال : ثم أحضرنا زيداً فكلّمها وخضع لها فقالت : ما أعرفنى بك يا زيد ، والله لا ترانى أبدا ، أتُراك تمكث مع

---

(١) ابن فرتنى : ابن الأمة البغى .

(٢) فى المطبوع : لا تزال .

جواريك سبعة أشهر ثم تطمع فى إملاء عينيك الآن منى؟ فإنك لن ترانى [١] بعد الليلة أبدا. وجعلت تُرَدّد هذا القول ومثله، فكلما تكلمت برقت لابن حزم وامرأته فى الحجلة وهو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه، ثم حكم بينهما بأنّ سكينة إن جاءت ببينة على ماادعته وإلا فاليمين على زيد، فقامت وقالت لزيد: ياأبا عثمان تزوّد منى بنظرة فإنك والله لا ترانى بعد الليلة أبدا. وابنُ حزم صامت، ثم خرجنا وجئنا إلى عمر ابن عبد العزيز وهو ينتظرنا فى وسط الدار فى ليلة شاتية، فسألنا عن الخبر فأخبرناه، فجعل يضحك حتى أمسك بطنه، ثم دعا زيدا من غد فأحلفه ورد سكينة عليه.

وأخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه قال:

قالت سكينة لأم أشعب: سمعتِ للناس خبَرا؟ قالت: لا، فبعثت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتزوجته، وبلغ ذلك بنى هاشم فأنكروه، وحملوا العصى وجاءوا، فقاتلوا بنى زهرة حتى كثرت الشِّجاجُ [ثم فرق بينهم] وخيرت سكينة فأبتْ نكاح إبراهيم، ثم التفتت إلى أم أشعب فقالت: أترين الآن أنه كان للناس اليوم خبر؟ قالت: إى والله بأبى أنت وأىّ خبر.

وقال هارون بن الزيات. وجدت فى كتاب القاسم بن يوسف: حدثنى الهيثم بن عدى، عن أشعب قال:

تزوج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان سكينة، وكان أبخل قرشى رأيته، فخرج حاجًّا وخرجتْ معه سكينة، فلم تدع أوزة ولا دجاجة ولا خبيصًا ولا فاكهة إلا حملته، وأعطتنى مائة دينار [وقالت: يا ابن أم حميدة. اخرج معنا] فخرجت ومعنا طعام على خمسة أجمال، فلما أتينا السَّيالة نزلنا، وأمرت بالطعام أن يقدم، فلما جىء بالأطباق أقبل أُغيلمة من الأنصار يُسَلّمون على زيد، فلما رآهم قال: أوّه، خاصرتى، بسم الله ارفعوا الطعام وهاتوا التِّرياقَ والماءَ الحارّ فأتى

(١) فى المطبوع: ثم أعود إليك والله لا ترانى.

بهما فجعل يتوجَّرهما ¹ حتى انصرفوا ، ودخلنا وقد هلكتُ جوعا ، فلم آكل إلا مما اشتريته من السوق ، فلما كان الغد أصبحت وبى من الجوع ما الله به عليم ودعا بالطعام فأتى به فأمر بإسخانه ، وجاءته مشيخة من قريش يُسلِّمون عليه فلما رآهم اعتلّ بالخاصرة ودعا بالترياق والماء الحار فتوجَّرهما ورُفع الطعام ، فلماذهبوا أمر بالطعام فأتى به وقد برد ، فقال لى : يا أشعب هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل ؟ فقلت له : أخبرنى عن دجاجك هذا . من آل فرعون هو يعرض على النار غُدُوًا وعَشيًّا ؟ .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ ، عن محمد بن الحكم ، عن عوانة قال :

جاء قوم من أهل الكوفة يسلمون على سكينة فقالت لهم : الله يعلم أنى أبغضكم قتلتم جدى عليًّا ، وقتلتم أبى الحسين ، وأخى عليًّا ، وزوجى مُصْعبا ، أيتمتمونى صغيرة وأرملتمونى كبيرة ، فبأىّ وجه تلقوننى ؟

أخبرنى الحسن بن على ، عن أحمد بن زهير ، عن المدائنى قال :

بينا سكينة تسير ذات ليلة إذ سمعت حاديا يحدو فى الليل يقول :

لولا ثلاثٌ هن عَيْشُ الدَّهْرِ

فقالت لقائد قِطارها : الحقْ بناهذا الرجل حتى نسمع منه ما هذه الثلاث ، فطال طلبُه لذلك حتى أتعبها ، فقالت لغلام لها : سِرْ أنت حتى تسمع منه ، فرجع إليها فقال : سمعته يقول :

الماءُ والنومُ وأمُّ عمـرِو

فقالت : قبحه الله أتعبنى منذ الليلة :

قال : وحدثنى المدائنى أن أشعب حج مع سكينة فأمرت له بجمل قوى يحمل

(١) يتوجرهما : يبلعهما شيئا بعد شىء ، أو شربهما كارها .

ثقله ، فأعطاه القَـيِّم جملا ضعيفا ، فلما جاء إلى سكينة قالت له : أعطوك ما أردت ؟ قال : امرأته الطلاق لو أنه حُمِلَ قَتَبٌ على الجمل ما حمله ، فكيف يحمل جملا .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى نعيم ، عن سالم بن علىّ الأنصارى ، عن سفيان بن حرب قال :

رأيت سكينة بنت الحسين عليه السلام ترمى الجمار ، فسقطت من يدها الحصاة السابعة فرمت بخاتمها .

وقال هارون بن الزيات : حدثنى أبو حُذافة السَّهمىّ قال : أخبرنى غير واحد ، منهم محمد بن طلحة ، أن سكينة ناقلت بمالها بالزَّوراء إلى قصر يقال له الزينبىّ قريب من الحِماء [1] فلما سال العقيقُ خرجتْ ومعها جواريها تمشى حتى بلغت السيل ، فجلست على جُرُفه ومالت برجليها فى السيل ثم قالت : هذا فى استِ المغبون ، والله لهذه الساعةُ فى هذا القصر خير من الزوراء [قال : وكان الزينبى قصرا لا غَلَّة له وإنما يتنزه فيه ، وكانت غلة الزوراء غلة وافرة عظيمة] .

قال هارون : وحدثنى على بن محمد النوفلى ، عن أبيه ، وعمه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطالبيين :

أن سكينة بنت الحسين عليه السلام خرجت بها سِلْعَةٌ [2] فى أسفل عينها فكبرت حتى أخذت وجهها وعينها وعظم شأنها ، وكان بدراقُس منقطعا إليها وفى خدمتها فقالت له : ألا ترى ما قد وقعتُ فيه ؟ فقال لها : أتصبرين على ما يمسُّك من الألم حتى أعالجك ؟ قالت : نعم ، فأضجعها وشقّ جلد وجهها [حتى ظهرت السلعة ، ثم كشط الجلد عنها] أجمع ، وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت له عروقها ، وكان منها شىء تحت الحدقة فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحية ، ثم سلّ عروق السلعة من تحتها فأخرجها أجمع ، وردّ العين إلى موضعها وعالجها ، وسكينة مضطجعة لا تتحرك ولا تئنُّ حتى فرغ مما أراد ، فزال ذلك عنها وبرِئت

(١) فى المطبوع : يقال له البريدى ببطن الحمار .

(٢) السلعة كالغدة فى البدن تمور بين الجلد واللحم إذا ضغطت وتكون من قدر حمصة إلى بطيخة .

منه ، وبقى أثرتلك الجراحة فى مؤخر عينها فكان أحسن شىء فى وجهها من كل حلى وزينة ، ولم يؤثر ذلك فى نظرها ولا فى عينها .

سكينة والشعراء :

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : أخبرنى عيسى بن إسماعيل ، عن محمد بن سلام ، عن جرير ، عن المدائنى وأخبرنى به محمد بن أبى الأزهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن محمد ابن سلام ، وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، عن عمر بن شبة موقوفا عليه ، قالوا :

اجتمع فى ضيافة سكينة بنت الحسين عليه السلام جرير والفرزدق وكُثَيِّر وجميل ونُصَيب ،فمكثوا أياما ثم أذنت لهم ، فدخلوا عليها فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم ، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث فقالت : أيكم الفرزدق ؟ فقال لها : ها أنا ذا ، قالت أنت القائل :

هُما دَلَّتانى من ثمانينَ قامةً كما انحطَّ بازٌ أقتمُ الريشِ كاسِرُهْ
فلما استوتْ رجلاى بالأرض قالتا أحىٌّ يُرَجَّى أم قتيل نُحاذِرُهْ
فقلت ارفعوا الأمراس[1] لا يشعروا بنا وأقبلتُ فى أعجاز ليلٍ أبادِرُهْ
أُبادِرُ بوّابَيْنِ قدْ وُكّلا بنا وأحمر من ساج تَبِصُّ[2] مسامِرُهْ

قال : نعم ، قالت : فما دعاك إلى إفشاء سرّها وسرّك ، هلا سترتها وسترت نفسك ؟ خذ هذه الألف والحقْ بأهلك . ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت: أيكم جرير ؟ قال : ها أنا ذا ، فقالت أنت القائل :

طرقتْك صائدةُ القلوب وليس ذا حينَ الزيارة فارجعى بسلامِ

---

(١) الأمراس : الحبال .

(٢) تبص : تلمع وتتلألأ .

تُجْرِى السواكَ على أغرّ كأنه بَرَدٌ تحدَّر من مُتون غمامِ
لو كان عهدُك كالذى حدَّثْتِنا لوصلتِ ذاك فكان غير رمامِ[١]
إنى أواصل من أرَدْت وصاله بحبال لاصَلِفٍ ولا لَوّامِ

قال : نعم ، قالت : أولا أخذت بيدها ورحَّبت بها وقلت لها ما يقال لمثلها ؟ أنت عفيف وفيك ضعف ، خذ هذه الألف والحقْ بأهلك . ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت : أيكم كُثَيِّر ؟قال : ها أنا ذا . فقالت أنت القائل :

وأعجبنى يا عَزَّ منك خلائقٌ كرام إذا عُدَّ الخلائقُ أربَعُ
دُنُوُّكِ حتى يطمع الطالبُ الصبا ورفعُك أسباب الهوى حين يطمعُ[٢]
فوالله ما يدرى كريمٌ مُماطَلٌ أينساكِ إذ باعدْتِ أم يتضرَّعُ[٣]

قال : نعم ، قالت : ملَّحت وشكَّلت ، خذ هذه الثلاثة الآلاف والحقْ بأهلك . ثم دخلت إلى مولاتها ثم خرجت فقالت : أيكم نصيب ؟ قال : ها أنا ذا ، فقالت : أنت القائل :

ولولا أن يُقال صَبا نُصيبٌ لقلتُ بنفسىَ النَّشَأُ الصِّغارُ
بنفسى كلُّ مهضومٍ حَشاها إذا ظُلِمتْ فليس بها انتصارُ

فقال : نعم ، فقالت : ربيتنا صغارا ومدحتنا كباراً ، خذ هذه الأربعة آلاف[٤] والحقْ بأهلك ، ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت :
يا جميل مولاتى تُقرئك السلام وتقول لك : واللهِ ما زلتُ مشتاقةً إلى رؤيتك منذ سمعت قولك :

ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلة بوادى القُرَى إنى إذاً لسعيدَ
لكلِّ حديث بينهن بشـاشةٌ وكلُّ قتيل عندهنَّ شهيـدُ

جعلتَ حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء . خذ هذه الأربعة الآلاف الدينار والحق بأهلك.

(١) رمام : بال .
(٢) فى المطبوع : دنوك حتى يدفع الجاهل الصبا ° ودفعك أسباب المنى حين يطمع .
(٣) فى المطبوع : أو يتصدع . (٤) فى المطبوع : خذ هذه الألف .

أخبرنى ابن أبى الأزهر قال : حدثنا حماد عن أبيه ، عن أبى عبد الله الزبيرى قال :

اجتمع بالمدينة راويةُ جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نُصيب وراوية الأحوص ، فافتخر كل رجل منهم بصاحبه وقال : صاحبى أشعر ، فحكّموا سُكينة بنت الحسين بن علىّ لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر، فخرجوا يتقاودون حتى استأذنوا عليها فأذنت لهم ، فذكروا لها الذى كان من أمرهم فقالت لراوية جرير : أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا ... وقتَ الزيارة فارجعى بسلامِ

وأى ساعة للزيارة أحلى من الطروق ، قبح الله صاحبك وقبح شعره [ألا قال : فادخلى بسلام ؟] ثم قالت لراوية كثير : أليس صاحبك الذى يقول :

يقرُّ بعينى مايقرُّ بعينهـــا ... وأحسنُ شىء ما به العينُ قرَّتِ

فليس شىء أقر لعينها من النكاح أفيحبّ صاحبك أن ينكح ؟ قبح الله صاحبك وقبح شعره ، ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

فلو تركتْ عقلى معى ما طلبتها ... ولكن طِلابيها لما فاتَ من عقلى

فما أرى بصاحبك من هوًى إنما يطلب عقله . قبح الله صاحبك وقبح شعره ، ثم قالت لراوية نُصيب : أليس صاحبك الذى يقول :

أهيم بدعْدٍ ماحييت فإن أمتْ ... فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

فما أرى له هِمة إلاّ من يتعشّقُها بعده . قبحه الله وقبح شعره ألاّ قال :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمتْ ... فلا صلحتْ دعدٌ لذى خُلّة بعدى

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبك الذى يقول :

من عاشقين تراسلا وتواعــدا ... ليلاً إذا نجم الثُّريّا حلّقا

باتا بأنعمِ ليلةٍ وألذّها ... حتى إذا وضح الصباح تفرّقا

قال : نعم ، قالت : قبحه الله وقبح شعره ألا قال : تعانقا . قال إسحاق فى خبره ، فلم تُثْن على أحدٍ منهم ، فى ذلك اليوم [١] ولم تقدّمه ، قال : فذكر لى الهيثم بن عدى مثل ذلك جميعه إلاّ جميلا فإنه خالف هذه الرواية ، قال : فقالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

فيا ليتنى أعمى أصمّ تقودنى بثينة ُ لا يخفى علىّ كلامُها

قال : نعم ، قالت : رحم الله صاحبك فإنه كان صادقا فى شعره وكان جميلا كاسمه . فحكمت له .

وفى الأشعار المذكورة فى الأخبار أغانٍ تُذكر هاهنا نِسبتُها .

فنها :

صوت

هما دلّتانى من ثمانين َ قامةً كما انقضّ بازٌ أقتمُ الريش كاسرُهْ

فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا أحىٌّ يُرجّى أم قتيل نحاذِرُهْ

عروضه من الطويل . الشعر للفرزدق والغناء للحجبى رمل بالبنصر عن الهشامى وحبش [٢] .

وأخبرنى أبو خليفة فى كتابه إلىّ قال : حدثنا محمد بن سلام عن يونس . وحدثنا به اليزيدى قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا محمد بن سلام عن يونس قال :

كان للفرزدق غلامان يقال لأحدهما وقّاع ُ وللآخر زُنْقطة ، قال : ولوقّاع يقول الفرزدق :

تغلغل وقّاعٌ إليهـــا فأقبلتْ تخوض خُداريًّا [٣] من الليل أخضرا

(١) فى مخطوط : منهم يومئذ .

(٢) فى المطبوع : ويونس .

(٣) الخدارى : الليل المظلم .

لطيفٌ إذاما انغلَّ أدرك مابتغى إذا هو للظبى المَرُوع تقتَّرا[١]

وله يقول أيضا :

فأبلغهنَّ وَحْىَ القول عنى وأدخل رأسه تحت القِرَامِ[٢]
[أُسيِّدٌ ذُو خُرَيِّطةٍ نهارًا من المتلقِّطى قَرَدَ القُمامِ]
فقلن له نُواعدك الثُّرَيَّا وذاك إليه مجتمَعُ الزِّحامِ
ثلاث واثنتان فهُنَّ خمس وسادسة تميل إلى الشِّمامِ[٣]
خرجْنَ إلىَّ لم يُطمثْنَ قبلى فهُنَّ أصحُّ من بيض النعامِ
[فبِتْنَ بجانبىَّ مُصرَّعاتٍ وبتُّ أفضُّ أغلاقَ الختامِ]

فى هذه الأبيات لابن جامع خفيف رمل بالبنصر عن الهشامى ، وفيها هزج يمانٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر حبش أن الهزج لفُلَيحٌ وأن لحن ابن جامع ثانى ثقيل بالوسطى :

أخبرنى أبو خليفة قال : حدثنا محمد بن سلام قال :

قال الفرزدق وهو بالمدينة :

هما دلَّتانى من ثمانين قامةً كما انقضَّ بازٌ أقتم الريش كاسرُه
فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا أحىٌّ يُرجَّى أم قتيل نُحاذرُه
[فقلت ارفعوا الأسبابَ لايفطنوابنا ووليْتُ فى أعجاز ليل أبادرُه]
أُبادرُ بوَّابَيْن قد وُكِّلا بنا وأحمر من ساجٍ تلوحُ مَسامرُه
وأصبحتُ فى القوم الجلوس وأصبحتْ مُغلَّقةً دونى عليها دساكرُه

قال فأنكرتْ ذلك قريش عليه وأزعجه مروان من المدينة وهو واليها لمعاوية وأجَّله ثلاثا فقال : [٤]

(١) تقتر : استتر فى القترة ليختله . وانغل فى الشىء : دخل .
(٢) القرام : الستر الأحمر ، أو ثوب رقيق .
(٣) الشمام : القبل والرشف . وفى المطبوع : مع السنام . وانظر عيون الأخبار ١٠٧/٤ .
(٤) فى اللسان مادة « جلس » أن مروان كان وقت ولايته المدينة دفع إلى الفرزدق صحيفة يوصلها=

يا مَرْوُ إنّ مطيَّتى محبوسة ترجو الغناء وربُّها لم ييأس
وأتيتنى بصحيفة مختومة أخشى علىّ بها حِباء النِّقْرِسِ[1]
ألْقِ الصحيفة يا فرزدق لاتكن نكْداء مثل صحيفة المتلمّس

وقال أيضا فى ذلك :

وأخرجنى وأجّلنى ثلاثا كما وُعِدَت لمَهلِكِها ثمُودُ

وذكر ذلك جرير فى مناقضته إياه فقال :

وشبَّهت نفسك أشقى ثمودَ فقالوا ضَلِلْتَ ولم تهْتَدِ

يعنى تأجيل مروان له ثلاثا ، وقال فيه أيضا :

تدلَّيتَ تزنى من ثمانين قامةً وقصَّرتَ عن باع العلا والمكارمِ

وهما قصيدتان :

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنى عمر بن شبة قال :

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق : أنشدنى أجود شعر قلته ، فأنشده قوله :

عزَفْتَ بأعشاشٍ وما كدْتَ تعزِفُ[2] وأنكرتَ من حدْراءَ ماكنتَ تعرِفُ

قال له : زِدْنى ، فأنشده قوله :

ثلاث واثنتان فهن خمسٌ وسادسة تميل إلى الشِّمَامِ

فقال له سليمان : ما أظنك إلا قد أحللت بنفسك العقوبة ، أقررت بالزنا عندى وأنا إمام ولا بدّ لى من إقامة الحدّ عليك ، قال : إن أخذت فىّ بقول الله عز وجل

= إلى بعض عماله، وأوهمه أن فيها عطية، وكان فيها مثل ما فى صحيفة المتلمس : « أى الأمر بقتله كما فعل من قبل مع المتلمس فى الجاهلية » ، فلما خرج الفرزدق عن المدينة كتب إليه مروان شعرا منه :

ألق الصحيفة يا فرزدق إنها نكداء مثل صحيفة المتلمس

وإنما فعل ذلك خوفا من الفرزدق أن يفتح الصحيفة فيدرى ما فيها فيتسلط عليه بالهجاء . هذا وقد كرر الفرزدق بيت مروان فى مقطوعته . وانظر مجمع الأمثال « صحيفة المتلمس » .

(١) النقرس : الداهية والهلاك .

(٢) عزف عن اللهو : كف .

لم تفعل ، قال : وما قال الله عز وجل ؟ قال : قال « والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالا يَفْعَلُونَ »[١] فضحك سليمان وقال : تلافيتَها ودرأتَ عن نفسك ، وأمر له بجائزة سنية وخلع عليه .

أخبرنى هاشم بن محمد قال : حدثنا أبو غسَّان دماذُ ، عن أبى عبيدة قال : نزل الفرزدق هو ومن معه بقوم من العرب فأنزلوه وأكرموه وأحسنوا قِراه ، فلما كان فى الليل دَبَّ إلى جارية منهم فراودها عن نفسها فصاحت ، فتبادر القوم إليها فأخذوها من يده وأنَّبوه فجعل يتفكر واهتمَّ ، فقال له الرجل الذى نزل به : أتحب أن أزوجك هذه الجارية ؟ قال : لا والله ، وما ذلك بى ، ولكنى كأنى بابن المراغة ، وقد بلغه هذا الخبر فقال فىَّ :

وكنتَ إذا حللْتَ بدار قومٍ رحلت بخِزْيَة وتركت عارا

فقال له الرجل : لعله أن لا يفطن لهذا ، فقال : عسى أن يكون ذلك ، قال : فوالله ما لبثوا أن مرَّ بهم راكب ينشد هذا البيت ، فسألوه عنه فأنشدهم قصيدةً لجرير يُعَيِّره بذلك الفعل ، فيها هذا البيت بعينه .

صوت

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا حينَ الزيارة فارجعى بسلامِ
تُجرِى السِّواكَ على أغرَّ كأنه بَرَدٌ تحدَّر من مُتونِ غَمامِ
هيهات منزلنا بجوِّ سُوَيْقَةٍ ممن يحلَّ بواطن الآجامِ[٢]
إقرَا السلام على سعاد وقل لها لوْما تَرُدُّ رسولَنا بسلامِ

الشعر لجرير ، والغناء لابن سريج ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى البنصر عن ابن المكى وذكره إسحاق فى هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد ، وأظنه من منحول يحيى وذكره عمرو بن بانة أيضا لابن سريج فى الثانى والرابع فى هذه الطريقة ، وذكر على

(١) سورة الشعراء ٢٢٤ ومابعدها .

(٢) صدره فى مخطوط : «هيهات منزلنا بجزع برام» وعجزه فى المطبوع : « فيمن يحل بواطن الأحلام » . هذا وليس البيت فى ديوان جرير ولا تاليه .

ابن يحيى أن فيه لابن سريج ثقيلا أول فى الثانى والثالث ، وأنكر ذلك [١] حبش وقال : هو بالوسطى ، قال على بن يحيى : ومن الناس من ينسبه إلى سياط . وذكر حبش أن فيه للهذلى خفيف ثقيل بالبنصر . وللغريض ثانى ثقيل بالوسطى . ومنها :

صوت

من عاشقَين تراسلا وتواعدا مَلَقا [٢] إذا نجمُ الثريَّا حلَّقا
بَعثا أمامهما مخافة رِقْبَةٍ رَصَدًا ففرَّق عنهما ما مزَّقا
باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وَضَح [٣] الصباحُ تفرقا

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر عن يونس والهشامى .

رجع الحديث إلى أخبار سكينة

وروى أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنى ، عن أبى يعقوب الثقفى عن عامر الشَّعبى ، وذكر أيضا أبو عبيدة معمر بن المثنى :

أن الفرزدق خرج حاجا ، فلما قضى حجَّه خرج إلى المدينة فدخل على سُكينة بنت الحسين عليه السلام مُسلِّما ، فقالت له : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت ، أشعر منك الذى يقول [٤] :

بنفسى من تَجَنُّبُه عزيزٌ علىَّ ومن زيارته لِمامُ
ومن أُمسى وأُصبح لا أراه ويطرقنى إذا هجع النيامُ

قال : والله لئن أذنت لى لأسمعنك أحسن منه ، قالت : لا أحب فاخرج [٥] عنى

(١) فى مخطوط : ووافقه حبش .
(٢) الملق : الآكام المفترشة والصفوح اللينة الملتزقة من الجبل . وفى المطبوع : بلق .
(٣) فى المطبوع : برق .
(٤) تعنى بمن قال جريرا ، وكذلك فيما بعده .
(٥) فى مخطوط : قالت : أقيموه ، فأخرج ثم عاد .

ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها فقالت : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت ، صاحبك أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياءُ لعادني[1] استعبارُ ولزرت قبرك والحبيبُ يُزَارُ
كانت إذا هجرَ الضجيعُ فراشَها كُتِمَ الحديثُ وعفّتِ الأسرارُ
لايلبثُ القرناءُ أن يتفرّقوا ليلٌ يكرُّ عليهمُ ونهارُ

فقال : والله لئن أذنت لى لأسمعنك أحسن منه ، فأمرت به فأُخرج ، ثم عاد إليها فى اليوم الثالث وحولها مولدات لها كأنهن التماثيل ، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجبته ، فقالت : يافرزدق ، من أشعر الناس ؟ فقال : أنا ، فقالت : كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إن العيون التى فى طرْفها مرضٌ قتلْننا ثم لم يُحْيِينَ قتلانا
يصرعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لاحراك به وهُنَّ أضعفُ خلق الله أركانا

فقال : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لى عليك حقا عظيما ، ضرَبْتُ إليك من مكة إرادةَ السلام عليك فكان جزائى منكِ[2] تكذيبى ومنعى من أن أسمعك . وبى ما قد عيِل معه صبرى ، وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلى لاأفارق المدينة حتى أموت ، فإن أنامتُّ فُرى بى أنْ أُدرجَ فى كفنى وأدفن فى حِرِ تلك الجارية ، يعنى الجارية التى أعجبته . فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية ، فخرج بها آخذًا بريْطتها وأمرت الجوارى أن يدفعن فى أقفائهما ثم قالت : يا فرزدق أحْسِنْ صحبتها فإنى آثرتك بها على نفسى .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى قالا : حدثنا أحمد بن علىّ النوفلىّ قال : حدثنى أبى عن أبيه وعمومته وجماعة من مشايخ بنى هاشم .

---

(١) فى المطبوع : لهاجنى . هذا وديوان جرير كالمخطوط [.
(٢) فى مخطوط : فكان دخولى إليك تكذيبى ومنعك إياى .

أنه لم يُصَلّ على أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إمام إلا سكينة بنت الحسين عليه السلام فإنها ماتت وعلى المدينة خالدُ بن عبد الملك ، فأرسلوا إليه فآذَنوه بالجنازة وذلك فى أول النهار فى حرّ شديد، فأرسل إليهم: لا تُحدثوا حدثا حتى أجيء فأصلى عليها ، فوُضع النعش فى موضع المصلى على الجنائز وجلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهر ، فأرسلوا إليه فقال: لا تحدثوا فيها شيئا حتى أجيء [فأصلى عليها، فوضع النعش فى موضع المصلى على الجنائز وجلسوا ينتظرونه] حتى جاءت العصر فأرسلوا إليه فقال : لاتحدثوا شيئا حتى أجيء فجاءت العشاء ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صليت العتمة ولم يجيء ، ومكث الناس جلوسا حتى غلبهم النعاس، فقاموا فأقبلوا يصلون عليها جمْعا جمعا وينصرفون، فقال علىّ بن الحسين عليه السلام : رحم الله من أعان بطِيب . قال : وإنما أراد خالد بن عبد الملك — فيما ظن قوم — أن تَنتنَ — قال : فأُتى بالمجامر فوضعت حول النعش، ونهض ابن أُختها محمد بن عبد الله العثمانى فأتى عطّارا كان يَعْرف عنده عُودًا فاشتراه منه بأربعمائة دينار، ثم أتى به فسُجِرَ حَول السرير حتى أصبح وقد فرغ منه ، فلما صُلّيَت الصبح أرسل إليهم : صلوا عليها وادفنوها ، فصلى عليها شيبة بن نِصَاح . وذكر يحيى بن الحسين فى خبره أن عبد الله بن الحسن هو الذى ابتاع لها العود بأربعمائة دينار .

صوت

وأنا الأخضر مَن يَعـرِفُنى ... أخضرُ الجلدة من بيت العَرَبْ
من يُساجلْنى يُساجل ماجدًا ... يملأُ الدَّلْوَ إلى عقْدِ الكَرَبْ
إنما عبدُ منافٍ جوهـرٌ ... زيّنَ الجوهرَ عبدُ المطّلِبْ
كلُّ قومٍ صيغةٌ من فضّـةٍ ... وبنو عبد مناف من ذَهَبْ
نحن قوم قد بنى الله لنـا ... شرفا فوق بيوتات العَرَبْ
بِنَبيّ اللهِ وابنَىْ عمه ... وبعبّاسِ بن عبد المطلب

الشعر للفضل بن العباس اللَّهَبِىّ ، والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالبنصر فى الأول والثانى والثالث ، ولابن محرز فى الأول والثانى خفيف رمل ثقيل أول مطلق فى مجرى البنصر ، وذكر يونس أن فيها لمعبد ومالك وابن محرز وابن مِسْجح وابن سُريج خمسة ألحان ، وذكر الهشامىّ أن لحن ابن سريج رمل ، ولمالك خفيف رمل ، ولحن معبد خفيف ثقيل ، ولحن ابن محرز ثقيل أول وذكر ابن المكى أن الثقيل الأوّل لمالك ، وذكر عمرو بن بانة فى كتابه الثانى أن لابن مسجح ولابن محرز فيه خفيف رمل [وذكر الهشامى أن فيه رملا آخر بالوسطى لأبى سعيد مولى قائد ، ولأبى الحسن مولى سكينة فى الثالث والرابع خفيف ثقيل] وذكر حبش أن لابن صاحب الوضوء فى الأول والثانى ثانى ثقيل بالبنصر ، ولابن سريج ثقيل أول بالبنصر . وذكر حماد عن أبيه أن لابن عائشة فيهما لحنا ، ووافقه ابن المكى ، وذكر أنه خفيف رمل ، قال : وقيل : إنه لدحمان وذكر ابن خُرْدَاذبه أن لخليدة المكية فى الرابع والثالث خفيف رمل ، وفى الخامس والسادس رمل يقال : إنه لإبراهيم ويقال : إنه لإسحاق .

والخامس والسادس من هذه الأبيات وإن كان شعرًا للفضل بن العباس اللهبى فليس من القصيدة التى فيها :

وأنا الأخضر من يعرفنى

هذا من قصيدة له أولها :

شاب رأسى ولِداتى لم تَشِبْ بعد لهو وشباب ولَعِبْ
شيّب المفرَقَ منّى وبدا من حِفافَىْ لِحْيَتى مثل العُطُبْ(١)

فى هذين البيتين لهاشم بن زُنْقُطَةَ خفيف رمل بالوسطى ، والقصيدة التى منها :

وأنا الأخضر من يعرفنى أخضر الجلدة من نسل العرَبْ

أولها قوله :

طَرِبَ الشيخُ ولاحينَ طرَبْ وتصابى وَصِبا الشَّيخِ عَجَبْ

(١) العطب : القطن .

أخبار الفضل بن العباس اللهبي ونسبه

الفضل بن العباس بن عُتْبة بن أبي لهب - واسمه عبد العزى - بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وكان أحد شعراء بنى هاشم المذكورين وفصحائهم ، وكان شديد الأُدْمة ولذلك قال :

وأنا الأخضرُ من يعرفنى

وهو هاشمى الأبوين ، أمه بنت العباس بن عبد المطلب - أخبرنى بذلك محمد ابن العباس اليزيدى ، عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب - وإنما أتاه السواد من قبَل جدته وكانت حبشية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم زوّج عُتبة إحدى بناته[1] فلما بعثه الله تعالى نبيا أقسمت عليه أمُّ جميل أن يطلقها ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوقف عليه فقال : يا محمد أُشهد من حضر أنى قد كفرت بربك وطلّقت ابنتك ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث الله كلبا من كلابه فيقتله ، فبعث الله عز وجل عليه أسدا فافترسه .

أخبرنى الحسن بن القاسم البَجَلىُّ الكوفىُّ قال : حدثنا ، على بن إبراهيم[2] ابن المعلى قال : حدثنى الوليد بن وهب عن أبى حمزة الثمالىّ ، عن عكرمة قال : لما نزلت « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى »[3] قال عتبة بن أبي لهب للنبى صلى الله عليه وسلم : أنا كفرت بربّ النجم إذا هوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك . قال ابن عباس : فخرج إلى الشام فى ركبٍ فيهم هَبَّارُ بنُ الأسود ، حتى إذا كانوا بوادى الغاضرة وهى مَسْبَعة نزلوه ليلا فافترشوا صفا واحدا ، فقال عتبة : أتريدون أن تجعلونى حُجْزَةً ؟

(١) هى رقية . انظر طبقات ابن سعد ٨/٢٤ .
(٢) فى المطبوع : إبراهيم بن على .
(٣) سورة النجم ١ .

والله لا أبيت إلاّ وسطكم ، فبات وسطهم ، قال هبّار : فما أنبهى إلاّ السبع يشم رُءُوسهم رجلا رجلا حتى انتهى إليه فأنشب [١] أنيابه فى صدغيه فصاح : أى قوم قتلتنى دعوة محمد ، فأمسكوه [٢] ، فلم يلبث أن مات فى أيديهم .

أخبرنى الحسن بن القاسم قال : حدثنا علىّ بن إبراهيم قال : حدثنى الوليد ابن وهب ، عن أبى حمزة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مثله إلا أنه قال : قال عتبة : أنا برىء من الذى دنّا فتدلى . قال : وقال هبّار : فضغمه الأسد ضغمة التقت معها أنيابه عليه .

نسخت من كتاب ابن النطاح عن الهيثم بن عدى ، وقد أخبرنا محمد بن العباس اليزيدى فى كتاب الجوابات قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنى إلاّ أن رواية ابن النطاح أتم واللفظ له قال :

مرّ الفضل اللهبىّ بالأحوص وهو ينشد ، وقد كان اجتمع الناس عليه فحسده فقال له : يا أحوص إنك لشاعر ولكنك لا تعرف الغريب ولا تُعْرِب ، قال : بلى والله إنى لأبصر الناسِ بالغريب والإعراب ، فأسألك ؟ قال : نعم ، قال :

ماذاتُ حَبْلٍ يراها الناسُ كلُّهمُ ... وسطَ الجحيم ولا تخفى على أحد
كلُّ الحبالِ حبالِ الناس من شَعَرٍ ... وحبلُها وسْط أهلِ النار من مَسَد

فقال له الفضل :

ما ذا أردتَ إلى شتمى ومَنقصتى ... ماذا أردتَ إلى حمّالة الحطبِ
ذكرتَ بنتَ قُرومٍ سادةٍ نُجُبٍ ... كانت حليلةَ شيخٍ ثاقبِ النَّسبِ

وانصرف عنه :

قال ابن النطاح : وحُدِّثت أن الحزينَ الدّيلىَّ مرَّ بالفضل يوم جمعة وعنده قوم ينشدهم ، فقال له الحزين : أتنشد الشعرَ والناسُ يروحون إلى الصلاة ؟

---

(١) فى مخطوط . فالتفت إلى أنيابه .
(٢) فى مخطوط : أى قومى قتلنى دعونى أمنت به .

فقال الفضل: ويلك يا حزين ، أتتعرض لى كأنك لا تعرفنى ؟ قال : بلى والله إنى لأعرفك ويعرفك معى كلُّ من يقرأ سورة « تَبَّتْ يَدَا أبى لَهَبٍ » وقال يهجوه :

إذا ماكنتَ مفتخرًا بجَــدٍّ فعَرِّجْ عن أبى لهب قليــلا
فقد أخزى الإله أباك دهـرًا وقلَّد عِرْسه حَبْلاً طَوِيلاَ

فأعرض عنه الفضل وتبرّم [1] من جوابه ، وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه .

حدثنى الحسن بن على قال : حدثنا القاسم بن محمد الأنبارىُّ قال : حدثنا أبو عكرمة عامر بن عمران قال :

دخل الفرزدق إلى المدينة فنظر إلى الفضل بن عباس بن عتبة ينشد :

مَنْ يساجِلْنى يساجلْ ماجدًا يملأ الدلو إلى عَقْدِ الكَرَب [2]

فقال الفرزدق : من المنشد ؟ فأُخبر به فقال : مايساجله إلاَّ من عضَّ بَظْرِ أُمه .

حدثنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنا محمد بن الحكم قال :

قدم الوليد بن عبد الملك حاجًّا وهو خليفة ، فدخل عليه الفضل بن العباس ابن عتبة ، فشكا إليه كثْرة العيال وسأله ، فأعطاه مالا وإبلا ورقيقا ، فلما مات الوليد وولى سليمانُ فحج ، أتاه فسأله فلم يعطه شيئا فقال [3] :

يا صاحبَ العيسِ التى رحلت محبوسةٌ لعشيَّةِ النَّفْرِ
امرُرْ على قبر الوليد فقل له صلى الإله عُليك من قَبْرِ
يا واصل الرحم التى قُطِعَتْ وأصابها الجفوَاتُ فى الدهْرِ

---

(١) فى مخطوط : وتكرم .
(٢) الكرب : الحبل يشد فى وسط العراقى ليلى الماء .
(٣) هذه الأبيات من الكامل واختلفت أضرب صدورها .

إنى وجدت الحِلَّ بعدك كاذبا فبرئتُ من كذب ومن غدْرِ
ولقد مررتُ بنسوةٍ يَندبْنَه بيضِ السواعد من بنى فِهْرِ
تبكى لسيدها الأجلَّ وما يَبْكين من نابٍ ولا بَكْرِ[١]
يبكينه ويقلن سيِّدنا ضاع الخلافةُ آخرَ الدهرِ[٢]
ما ذا لقيتَ جُزيتَ صالحةً من صفْوة الإخوان لو تدرى

أخبرنى وكيع بهذا الخبر قال : حدثنى محمد بن على بن حمزة قال : حدثنا أبو غسان قال : حدثنا أبو عبيدة ، عن عبد العزيز بن أبى ثابت قال :

كان الفضل بن عباس منقطعا إلى الوليد بن عبد الملك، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرمه فقال :

يا صاحب العيس التى وقفت للنَّفْرِ بعد صبيحة النحرِ[٣]

وذكر الأبيات ، قال: وكان الوليد فرض له فريضة يُعطاها فى كلِّ سنة ، فقال: يا أمير المؤمنين بَقِىَ شاربُ الريح . قال : وما شارب الريح ؟ قال : حمارى ، افرِضْ له شيئا ، ففرض له خمسة دنانير، فأخذها ولم يكن يطعمه شيئا، فعمَدَ رجلٌ فكتب رقعة يذكر فيها قصة الحمار وعلقها فى عنقه ، وجاء بها إلى القاضى فأضحك منه الناس .

حدثنا اليزيدى قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنى أبو السَّكن مولى بنى هاشم — كوفىّ ظريف — قال[٤] :

كان الفضل بن العباس بخيلا ، فقدم علىّ بن عبد الله بن العباس حاجا ، فأتاه فى منزله مسلما ، فقال له : كيف أنت ، وكيف حالك: قال : بخير نحن فى عافية ، فقال : فهل من حاجة ؟ قال : لا والله ، وإنى لأشتهى هذا العنب وقد أغلاه والله علينا هؤلاء العلوج، فغمز غلاما له فذهب فأتاه بسلّةٍ عظيمة من عنب

(١) الناب : الناقة المسنة . (٢) فى المطبوع : تاج الخلافة .
(٣) فى المطبوع : للنفر يوم صبيحة النفر .
(٤) فى المطبوع : سليمان بن الأشج قال حدثنى أبو الشكر مولى بنى هاشم قال .

فجعل يغسل له عنقودا عنقودا ويناوله : فكلما فعل ذلك قال له : بَرَّتْكَ رَحِمٌ .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقىّ قال : حدثنا الزبير بن بكار ، عن عمه قال :

كان الفضل بن العباس بخيلا وكان ثقيل البدن، إذا أراد أن يمضى فى حاجة استعار مَركوبا ، فطال ذلك عليه وعلى أهل المدينة من فعله ، فقال له بعض بنى هاشم : أنا أشترى لك حمارا تركبه وتستغنى عن العاريَّة . ففعل وبعث به إليه، وكان يستعير له سرجا إذا أراد أن يركبه ، فتواصى الناس أن لا يُعيره أحدٌ سرجا، فلما طال ذلك عليه اشترى سرجا بخمسة دراهم وقال :

ولما رأيت المال ما كفَّ أهلَه وصان ذوى الأخطار أن يتبذَّلوا
رجعتُ إلى مالى فعاتبتُ بعضه فأعتبَنى إنى كذلك أفعلُ

ثم قال للذى اشترى له الحمار : إنى لا أطيق عَلَفَه فإما أن تبعث إلىَّ بقُوته وإلاَّ رددتُه ، فكان يبعث إليه بعلف كل ليلة وشعير ، ولا يدع هو أيضا أن يطلب من كل أحد ما يشترى به علفا [1] لحماره ، فيبعث به إليه ، فيعلفه التبن دون الشعير حتى هزِل وعطِب ، فرفع الحزينُ الكنانىُّ إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن المطلب [2] رقعة وكتب فيها قصة الحمار الذى للفضل اللهبى [3] وشكا فيها أنه يركبه ويأخذ علفه وقَضِيمه من الناس ويعلفه التبن ويبيع الشعير ويأخذ ثمنه ويسأل أن يُنْصَف منه . فضحك منه لمَّا قرأ الرقعة وقال : لئن كنت مازحا إنى لأراك صادقا . وأمر بتحويل حمار اللَّهبىّ إلى إصطبله ليعلفه ويُقْضِمه ، فإذا أراد ركوبه دُفع إليه .

أخبرنى وكيع قال : حدثنا محمد بن سعد الشامى ، عن ابن عائشة قال :

(١) فى مخطوط : من كل أحد يأنس علفا .

(٢) فى المطبوع : أو عبد العزى بن عبد المطلب .

(٣) فى مخطوط : قصة وكتب فى رأسه : قصة حمار الفضل اللهبى .

استعار الفضل اللهبي من رجل سرجا ، فمطله الرجل حتى خاف أن تفوته حاجته ، فاشترى سرجا ومضى لحاجته وأنشأ يقول :

ولما رأيتُ المال ما كَفَّ أهله

وذكر البيتين ولم يزد عليهما شيئا .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال :

حدثني على بن محمد النوفلى قال : كان أبي عند إسحاق [1] بن عيسى بن على وهو والى البصرة ، وعنده وجوه أهل البصرة ، وقد كانت فيهم بقيّةٌ حسنة فى ذلك الدهر . فأفاضوا فى ذكر بنى هاشم وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه صلى الله عليه وسلم ، فمن منشد شعرا ومتحدث حديثا وذاكر فضيلة من فضائل بنى هاشم . فقال أبى : قد جمع هذا الكلام الفضلُ بن العباس اللهبي فى بيت قاله ، ثم أنشد قوله :

ما باتَ قوم كرام يَدَّعُونَ يداً ... إلاَّ لقومى عليهم مِنَّةٌ ويَدُ
نحن السَّنامُ الذى طالت شَطيبته ... فما تخالطه الأدواءُ والعَمَدُ [2]

فمن صلّى صلاتنا وذبح ذبائحنا عرف أن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يداً عليه بما هداه الله جل وعز إلى الإسلام به ، ونحن قومه ، فتلك مِنَّةٌ لنا على الناس .

وفى هذين البيتين غناء لابن محرز هزج بالبنصر من رواية عمرو بن بانة

ويروى : طالت شَظِيَّتُه ، الشظية : الشَّظَى قال دريد بن الصمة :

سليم الشَّظَى عبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسا ... أمين القُوى نَهْدٌ طويلُ المُقَلَّدِ [3]

والعَمَدُ : داءٌ يصيب البعير من مؤخَّر سنامه إلى عجزه فلا يلبث أن يقتله ؛

(١) فى المطبوع : الحسين بن عيسى .

(٢) الشطبة : القطعة من سنام البعير .

(٣) الشظى : عظم لاصق بالذراع . والشوى : اليدان والرجلان . وشنج النسا : متقبض عرق النسا وهى صفة مدح لأنه لاتسترخى رجلاه . والنهد : المرتفع . وطويل المقلد : طويل موضع القلادة وهو العنق .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا محمد بن يحيى ، عن عبد العزيز بن عمار قال : أخبرنى هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص قال [١] :

قدم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب على عبد الملك بن مروان فأنشده وعنده ابنٌ لعبيد الله بن زياد ، فقال الزِّيادِيُّ : والله ما أسمع شعرا ، فلما كان العشىّ راح إليه الفضل فوقف بين يديه ثم قال : يا أمير المؤمنين :

أتيتُكَ خالاً وابنَ عمٍّ وعمَّةٍ ولم أكُ شَعْبا لاطَهُ بك مَشْعَبُ [٢]
فصِلْ واشجاتٍ بيننا من قرابة ألا صِلَةُ الأرحامِ أبقى وأقربُ
ولا تجعلَنِّي كامرىءٍ ليس بينه وبينكمُ قُرْبَى ولا مُتَنَسَّبُ
أَتَحْدَبُ من دونِ العشيرةِ كلها وأنت على مولاكَ أحنى وأحدبُ

فقال الزيادى : هذا والله يا أمير المؤمنين الشعر ، فقال عبد الملك : التمسْ لكفيْكَ الطَّىَّ [٣] وجعل يضحك من استرسال الزيادى فى يده ، وأحسن صلته .

وأخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى النوفلى قال : حدثنى عمى قال : لما قدم الفضل اللهبي على عبد الملك أمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها ، فلما قدم الأحيحىّ على المهدى فمدحه قال المهدى لمن حضره : كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللهبي لما مدحه ؟ فما أعلم هاشميا مدحهم غيره ، فقيل له : أعطاه عشرة آلاف درهم ، قال : فكم أعطاه الوليد : قالوا : مثل عطية أبيه ، فأمر للأحيحى بثلاثين ألف درهم .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أحمد بن معاوية ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبى قال :

(١) فى مخطوط : عمران قال . قدم أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي لهب على عبد الملك . . . . ولعل الصواب : عمران قال : أخبرنى أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص قال قدم الفضل . . الخ .

(٢) لاطه : ألصقه ، ومشعب : طريق .

(٣) فى مطبوع : : النميرى يلينك النظر . والتمس لكفيك الطى . لعله : يعنى اطويديك ويريد بذلك ما رآه من حركة يده ويوضح ذلك ما قاله بعده .

خرج عليُّ بن عبد الله بن عباس بالفضل اللهبي إلى عبد الملك بن مروان بالشام ، فخرج عبد الملك يوما رائحا على نجيب له ومعه حادٍ يحدو به ، وعليُّ ابن عبد الله يسايره على نجيب له ، ومعه بغلة تُجْنَب ، فحدا حادى عبد الملك به فقال :

يا أيها البَكْرُ الذى أراكا | عليك سَهْلَ الأرض فى ممشاكا
ويحك هل تعلمُ مَن علاكا | إنَّ ابن مروان على ذُراكا
خليفة الله الذى امتطاكا | لم يَعْلُ بكْرًا مثل ما علاكا

فعارضه الفضل اللهبى فحدا بعليّ بن عبد الله بن عباس وقال :

يا أيها السائل عن عليّ | سألت عن بَدْرٍ لنا بَدْرِيّ
أغلبَ فى العلياء غَلاَّبِيّ[1] | ولَيِّن الشيمة هاشميّ
جاء على بَكْرٍ له مَهْرِيّ[2]

فنظر عبد الملك إلى عليّ فقال : هذا مجنون[3] آلِ أبى لهب ؟ قال : نعم ، فلما أعطى قريشا مرَّ به اسمه فحرمه وقال : يعطيه عليّ . هكذا رواية عمر بن شبة .

وأخبرنى ابن عمار بهذا الخبر عن عليّ بن محمد النوفلى ، عن عمه ، أن سليمان ابن عبد الملك حجّ فى خلافة الوليد ، فجاء إلى زمزم فجلس عندها ، ودخل الفضل اللهبى يستقى فجعل يرجز ويقول :

يا أيها السائل عن عليّ | سألت عن بدْرٍ لنا بَدْرِيّ
مقدَّمٍ فى الخير أبطحيّ | ولَيِّنِ الشيمةِ هاشميّ
زمزمُ يا بُورِكتَ من رَكِيّ | بوركتِ للساقى وللمستَقِى

(١) فى مخطوط : غالبى ، ولعله نسبه إلى غالب بن فهر بن مالك . وغلابى نسبة إلى الكثير الغلبة .

(٢) مهرى : نسبة إلى مهرة بن حيدان وهو حى من قضاعة تنسب إليهم الإبل النجائب .

(٣) فى المطبوع : محتور . هذا والمحتور الذى يرضع شيئا قليلا فيجدب . ولعلها محرفة عن مهتر . والمهتر : من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن ويصح مهتور اسم مفعول من هتر الكبر فلانا : أفقده عقله .

فغضب سليمان وهمّ بالفضل ، فكفه عنه على بن عبد الله ، ثم أتاه بقدح فيه نبيذ من نَبيذ السقاية ، فأعطاه إياه وسأله أن يشربه ، فأخذه من يده كالمتعجّب ثم قال : نعم إنه لَيُستحبُّ ، ثم وضعه من يده ولم يشربه ، فلما ولى الخلافة وحجّ لقيه الفضل فلم يعطه شيئا .

نسخت من كتاب ابن النطاح قال : ذكر أبو الحسن المدائنى أن الحارث ابن خالد المخزومى كان يحسد الفضل بن العباس اللهبي على شعره ، ويعاديه لأن أبا لهب كان قامر جدَّه العاصىَ بن هشام على ما له فقمره ، ثم قامره على رقّه فقمره فأسلمه قَيْنا ، ثم بعث به بَدِيلا يوم بدر فقتله علىّ بن أبي طالب عليه السلام ، فكان إذا أنشد شيئا من شعره يقول : هذا شعرُ ابنِ حمَّالةِ الحطب ، فقال الفضل فى ذلك :

ماذا تحاول من شتمى ومنقصتى ... ما ذا تُعَيِّر من حمَّالة الحطب

غراءَ سائلة فى المجد غرَّتها ... كانت حليلةَ شيخٍ ثاقبِ النَّسبِ

أمَا وإنَّ رسول الله جاء به ... شيخٌ عظيمُ شئونِ الرأسِ والنشب

يا لَعَنَ الله قوما أنت سيدُهم ... فى جِلْدةٍ بين أصل الثّيلِ والذنب[1]

أبا الْقُيُونِ تُوَافينى تُفاخرُنى ... وتَدَّعى المجدَ قد أفرطتَ فى الكذب

وفى ثلاثة رهط أنت رابعهم ... تُوعِدُنى واسِطًا جرثومةَ العربِ

فى أسرةٍ من قريشٍ همْ دعائمها ... تَشْفِى دماؤُهمُ مِ الخبل والكَلَب[2]

أمَّا أبوك فعبدٌ لستَ تُنكره ... وكان مالِكَهُ جَدّى أبو لهبِ

النَّبْعُ عِيدانُنا والمجد شيمتنا ... لسنا كقومك من مَرْخٍ ولا غَرَبِ[3]

(١) لعنه تلعينا : عذبه ، والثيل : وعاء القضيب أو هو القضيب نفسه .

(٢) يزعمون أن دماء السادة الأشراف تشفى من داء الجنون وداء الكلب . وفى المطبوع الخبل .

(٣) النبع : شجر تتخذ منه القسى . والمرخ : شجر سريع الإيقاد . والغرب « بفتح الغين والراء » : شجر تسوى منه الأقداح . ولعله ضعيف فقد قيل : عودك عود النضار لا الغرب .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال: حدثنى عمى عبيدالله بن محمد عن ابن حبيب [١]، عن ابن الأعرابى قال:

كان رجل من بنى كنانة يقال له: عَقْرَبٌ، حَنَّاطٌ، قد داين الفضلَ اللهبىّ فمطله، ثم مر به الفضل وهو يبيع حِنْطة له ويقول:

جاءت به ضابطةَ التِّجارِ صافيةٌ كَقِطَعِ الأوْتارِ

فقال الفضل:

قد تَجَرَتْ عقربٌ فى سوقنا يا عجبا للعقرب التاجِرَهْ
قد ضَاقَتِ العقربُ واستيقنتْ أنْ مالَها دُنيا ولا آخِرَهْ
فإن تَعُدْ عادتْ لما ساءَها وكانت النَّعْلُ لها حاضِرَهْ
إنَّ عَدُوًّا كيدهُ فى استِه لغَيرُ ذى كيدٍ ولا نائِرَهْ
كلُّ عدوٍّ يُتَّقى مُقْبِلاً وعقربٌ تُخْشى من الدّابِرَهْ
كأنها إذْ خرجَتْ هودَجٌ شَدَّتْ قواه رُفْقَةٌ باكِرَهْ [٢]

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى. قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبى عبيدة، ووجدته فى بعض الكتب عن الرياشى [عن ركوبة الغلابى] عن ابن عائشة، عن أبيه. والروايتان كالمتفقتين:

أن عمر بن أبى ربيعة وفد على عبدالملك بن مروان، فأُدخل عليه، فسأله عن نسبه فانتسب له فقال:

لا أنعم اللهُ بِقَيْنٍ عينا تحية الشَّحْط [٣] إذا التقينا

أأنت القائل لا أم لك:

صوت فيه لحنان

نظرت إليها بالمُحَصَّب من مِنًى ولى نَظَرٌ لولا التحرُّجُ عارِمُ

(١) فى المطبوع: عبيد الله بن أبى حبيب.
(٢) فى المطبوع: سدت كواه رقعة باثره. هذا وانظر بعض الأبيات فى اللسان «عقرب».
(٣) تحية الشحط: تحية البعد. وفى المطبوع: تحية السخط.

فقلت أشمسٌ أم مصابيحُ بيعةٍ بدتْ لك خلف السَّجفِ أم أنت حالم
بَعيدةُ مهوى القُرْطِ إمَّا لنوْفَلٍ أبوها وإما عبدُ شمسٍ وهاشمُ

الغناء لابن سريج رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانه ومن رواية حماد بن إسحاق عن أبيه، ولمعبد فيه لحن من رواية إسحاق ثقيل أول بالسبابة فى مجرى الوسطى أوله :

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها . . . .

وفى لحن معبد خاصة قوله :

ومدَّ عليها السَّجْفَ يوم لقيتُها على عَجلٍ تُبَّاعُها والخوَادِم

وتمام الشعر :

فلم أستطعها غير أنْ قد بَدَا لنا عشيَّةَ راحتْ كفُّها والمعاصمُ
معاصمُ لم تضرِب على البهم بالضحى عصاها ووجْهٌ لم تَلُحْهُ السَّمائمُ

نرجع إلى سياقة الخبر .

منازعته مع ابن أبى ربيعة :

ثم قال له عبد الملك : قاتلك الله فما ألأمك أما كانت لك فى بنات العرب مندوحة عن بنات عمك[١]؟ فقال عمر : بئست واللهِ هذه التحيةُ يا أمير المؤمنين لابن العمّ على شَحْطِ الدار ونأى المزار ، فقال له عبد الملك : أفتراك مرتدعا عن ذلك؟ فقال : إنى إلى الله تائب . فقال عبد الملك : إذن يتوب الله عليك وسنحسن جائزتك ولكن أخبرنى عن منازعتك اللهبىّ فى المسجد الجامع ، فقد أتانى نبأ ذلك وكنت أحب أن أسمعه منك ، فقال عمر : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا جالس فى المسجد الحرام فى جماعة من قريش إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبة ، فسلَّم وجلس ووافقنى وأنا أتمثل بهذا البيت :

وأصبح بطنُ مكة مقشعِرًّا كأنَّ الأرض ليس بها هِشامُ

(١) فى مخطوط : إذا كانت لك فى بنات العرب مندوحة غير بنات عمك .

فأقبل عليّ وقال : ياأخا بنى مخزوم ، والله إن بلدة تبحبحَ بها عبد المطلب ، وبُعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،واستقر بها بيت الله عزوجل ،لحقيقة أن لاتقشعرّ لهشام ، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق لقول الذى يقول :

إنما عبد مناف جوهرٌ زيّن الجوهرَ عبدُ المطلبْ

فأقبلتُ عليه فقلتُ : يا أخا بنى هاشم ، إن أشعر من صاحبك الذى يقول :

إنّ الدليلَ على الخيرات أجمَعِها أبْناءُ مخزومَ للخيراتِ مَخْزومُ

فقال لى : أشعر والله من صاحبك الذى يقول :

جبريلُ أهدى لناالخيراتِ أجمعَها إذْ أمّ هاشمَ لا أبناءَ مخزومِ

فقلت فى نفسى : غلبنى والله ، ثم حملنى الطمع فى انقطاعه على مخاطبته فقلت : بل أشعر منه الذى يقول :

أبناءُ مخزومٍ الحريقُ إذا حرّكْتَه نارُهُ تُرى ضَرَما

يخرج منه الشرار مَعْ لَهَبٍ من حاد عن حرّه فقد سَلِما

فوالله ما تلعثم أن أقبل عليّ بوجهه فقال : يا أخا بنى مخزوم ، أشعرمن صاحبك وأصدق الذى يقول :

هاشمُ بحرٌ إذا سما وطما أخمد حرّ الحريقِ مُضْطَرِما

واعلمْ وخيرُ المقال أصدقُه بأنّ مَن رام هاشمًا هُشِما

قال : فتمنيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرض ساخَت بى ، ثم تجلدت عليه فقلت : يا أخا بنى هاشم ، أشعر من صاحبك الذى يقول :

أبناء مخزومَ أنجمٌ طلعتْ للناس تجلو بنور ها الظُّلَما

تجودُ بالنَّيْلِ قبلَ تُسألُهُ جُوداً هنيئا وتضرِب البُهَما[١]

فأقبل عليّ كأسرع من اللحظ ثم قال : أشعر من صاحبك وأصدق الذى يقول :

هاشمُ شمسٌ بالسعْدِ مطلعها إذا بدتْ أخفتِ النجوم مَعا

(١) البهم : الشجعان .

اختار ربّى منها النّبىَّ فمـــن قارَعَنا بعد أحمدٍ قَرِعا[1]

فاسودت الدنيا فى عينى ودُبرى فانقطعت فلم أُحِرْ جوابا ثم قلت له : يا أخا بنى هاشم، إن كنت تفخر علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما تسعنا مفاخرتك، فقال : كيف لا أمّ لك ، والله لو كان منك لفخرت به علىّ . فقلت : صدقت وأستغفر الله ، إنه لموضعُ الفَخار ، وداخلنى السرور لقطعه الكلام ولئلا ينالنى عوز [2] عن إجابته فأفتضح ، ثم إنه ابتدأ المناقضة فأفكر هنيهة ثم قال : قد قلتُ فلم أجد بُدًّا من الاستماع . فقلت : هاتِ ، فقال :

نحن الذين إذا سما لِفَخارهم ذو الفخر أقعدَه هناك القُعدُدُ

افخر بنا إن كنت يوما فاخرا تلقَ الأُلَى فخروا بفخرك أُفرِدُوا

قل يا ابن مخزومٍ لكلّ مفاخر منّا المبارك ذو الرسالة أحمدُ

ماذا يقول ذوو الفخار هنا لكم[3] هيهات ذلك هل يُنالُ الفَرْقدُ

فَحَصِرْتُ والله وتبلّدتُ وقلت له : إن لك عندى جوابا فأنظِرنى ، وأفكرت مليًّا ثم أنشأت أقول :

لا فخر إلاّ قد علاه محمـدُ فإذا فخرتَ به فإنى أشهـدُ

أن قد فخرت وفقْتَ كلّ مفاخر وإليك فى الشرف الرفيع المَعْمَدُ[4]

ولنا دعائم قد بنـاها أوّلٌ فى المكرمات جرى عليها المولدُ

من رامها حاشى النبىّ وأهلَه فى الأرض غَطْمطه[5] الخليجُ المُزْبدُ

دعْ ذا ورُحْ لغناء خود بَضّةٍ مما نطقتُ به وغَنّى مَعْبَدُ

مع فتيةٍ تَنْدَى بطونُ أكفّهم جودًا إذا هرَّ الزمانُ الأنكدُ

ويروى : إذا اعتلج الحرون الأنكد .

---

(١) قرع على وزن فزع : غلبه غيره فى المنازعة .

(٢) فى المطبوع : خور . (٣) لعلها أيضا : ماذا ينال . ذوو الفخار منالكم .

(٤) المعمد : « المقصد » . وهى « المقصد » فى المطبوع .

(٥) غطمطه : علاه بموجه .

يتناولون سلافةً عانيّةً[١] طابت لشاربها وطاب المَقعدُ

فو الله يا أمير المؤمنين لقد أجابنى بجواب كان أشدّ علىّ من الشعر ، قال لى : يا أخا بنى مخزوم أُريك السُّها وتريني القمر — قال أبو عبد الله اليزيدى : بريد: أدُلُّك على الأمر الغامض وأنت لم تبلغ أن ترَى الأمرَ الواضح ، وهذا مثل — تخرج من المفاخرة إلى شرب الراح وهى الخمر المحرّمة ؟ فقلت له : أما علمت أصلحك الله أن الله عز وجل يقول فى الشعراء « وأنّهُمْ يقولُونَ ما لا يفعلُونَ » [٢] قال : صدقت ، ثم استثنى الله قوما منهم فقال « إلاَّ الَّذِين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ » [٣] فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء واستحققت العقوبة بدعائك إليها ، وإن لم تكن منهم فالشرك بالله أعظم عليك من شرب الخمر ، فقلت : أصلحك الله ، لا أجد للمستخذى [٤] شيئا أصلح من السكوت ، فضحك وقال : أستغفر الله ، وقام عنى . قال : فضحك عبد الملك حتى استلقى وقال : يا ابن أبي ربيعة ، أما علمت أن لبنى عبد مناف ألسنة لا تطاق ؟ ارفعْ حوائجك ، قال : فرفعتها فقضاها وأحسن جائزتى وصرفنى .

واللفظ فى هذا الخبر لمحمد بن العباس .

(١) عانية : نسبة إلى عانة ، وقد اشتهرت بالخمور .

(٢) سورة الشعراء ٢٢٦ .

(٣) سورة الشعراء ٢٢٧ .

(٤) فى الأصل : المستجدى . هذا والمستخذى : المتضع المنقاد . وهو هنا أنسب .

ذكر خبر من لم يمض له خبر ولا يأتى

[خليدة المكية]

ممن ذكرت صنعته فى هذا الخبر خُلَيْدة المكيّة، وهى مولاة لابن شمّاس، كانت هى وعقِيلة ورُبَيْحة يُعْرفن بالشّماسيّات ، وقد أخذن الغناء عن ابن سُريج ومالك ومَعْبد .

وأخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء والطوسىّ قالا : حدثنا الزبير بن بكار ، عن عمه قال :

كانت لهشام بن عروة جَفْنة يصيبُ منها هو وبنو ناجية ، وكان محمد بن هشام يصنع الطعام الرقيق فيشير إليهم ، فيمسكون عن الأكل فيفْطُن هشام فيقول : لقد حدث شىء ، ثم يقوم محمد فيتسلل القوم إليه [1] .

وجاءته يوما خُليدةُ المكية فصعدوا غرفة ، فلما غنت إذا صفر [2] ونَفَس فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد :

يا قَدمىّ أَلحقانى بالقَوْم لاتَعِدانى كسلاً بعد اليَوْم

فلما رآهم قال ــ أحسَبُه قد جلس معهم وقال لخليدة : غنّى ، فغنت ، فقال لها : اكتبى فى صدرك «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » وبين كتفيك [3] المُعَوِّذتَينِ ، لاتصيبك العين .

أخبرنى على بن عبد العزيز الكاتب ، عن ابن خُرْدَاذْبَه قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى .

---

(١) فى المطبوع : وجاءت خليدة . (٢) فى مخطوط : حفز . والحفز الإسراع .
(٣) فى نهاية الأرب ٥/٦٤ « وبين يديك » فلعلها : وبين كفيك .

عن الفضل بن الربيع قال : ما رأيت ابنَ جامعٍ يَطرب لغناءٍ كما يطرب لغناءِ خُليدة المكية ، وكانت سوداء ، وفيها يقول الشاعر :

فتنتْ كاتبَ الأميرِ رَباحٍ[١] يا لَقومى خُليدةُ المكيَّهْ

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدثنا عمر بن شبة . ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قُدامة بخطه قال : حدثنى عمر بن شبة قال :

بلغنى أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أرسل إلى خليدة المكية أبا عون مولاه يخطبها عليه ، فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رِقاق لاتسترها ، ثم وثبتْ فقالت : إنما ظننتك بعض سفهائنا ، ولكنى ألبس لك ثيابَ مثلِك ثم أَخرجُ إليك ، ففعلت وقالت : قل ، فقلت : أرسلنى إليك مولاى – وهو من تعلمين من[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن[٢] علىّ وعثمانَ ، وهو ابن عم أمير المؤمنين – يخطبك . فقالت : قد نسبتَه فأبلغتَ . فاسمع نسبى أنا – بأبى أنت – إن أبى بِيع على غير عَقْدِ الإسلام ولا عهده ، فعاش عبداً ومات وفى رجله قيد ، وفى عنقه سلسلة ، على الإباق والسرقة ، وولدتنى أمى على غيرِ رِشْدَة ، وماتت وهى آبقة ، فأنا من تعلم ، فإن أراد صاحبك نكاحا مباحا أوزنا صُراحا فهلُمَّ إلينا فنحن له ، فقلت : إنه لايدخل فى الحرام ، فقالت : ولا ينبغى أن يستحى من الحلال ، فأما نكاح السِّرّ فلا ، والله لافعلتُه ولاكنتُ عارًا على القِيان . قال : فأتيت محمداً فأخبرته فقال : ويلك أتزوجها مُعْلِسنا[٣] وعندى بنت طلحة بن عبيد الله ؟ لا ، ولكن ارجع إليها فقل لها : تختلف إلىَّ أردِّد بصرى فيها لعلى أسلو ، فرجعتُ فأبلغتها الرسالة ، فضحكت وقالت : أمَّا هذا فنعم ولسنا نمنعه منه .

(١) فى المطبوع : « رباحا » وما أثبتنا من مخطوط متفق مع نهاية الأرب ٥/٦٤ .
(٢) فى مخطوط : وهو تعلمين بين رسول الله . . . . وبين على وعثمان . وفى نهاية الأرب كالأصل.
(٣) فى نهاية الأرب : مغنية .

صوت

ربّ ليل ناعم أحييته في عفاف عند قبّاء الحشى
ونهار قد لهونا بالّتي لا ترى شبها لها فيمن مشى
لطلوع الشمس حتى آذنت بغروب ودنا وقتُ العشا[1]
لسُليمى ما دعتْ قُمْريّةٌ بهديلٍ فوق غُصْنٍ من غضَا
وعُقارٍ قهوةٍ باكرْتُها في ندامى كمصابيح الدُّجا
وجَوادٍ سابح أقحمتُه حَوْمَةَ الموت على زُرْقِ القنا

الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد فيما ذكر الزبير بن بكار ، وذكر أبو عمرو الشيباني وخالد بن كلثوم أنه لابنه خالد بن المهاجر ، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لإبراهيم الموصلي لحنان : أحدهما هزج خفيف بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكي . والآخر رمل بالبنصر عن عمرو وابنُ المكي والهشاميّ وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر عن ابن المكيّ ، قال : وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر نشيد[2] ووافقه عمرو الهشامي ، وذكر عمرو في نسخته الأُولى أنه لابن محرز ، والمعوّل عليه الثانية .

(١) في المطبوع : لغروب أنت تهوى من تشا .

(٢) في المطبوع : نشيد مسجح .

أخبار المهاجر بن خالد ونسبه

وأخبار ابنه خالد

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم بن يَقَظة ابن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب .

وكان الوليد بن المغيرة سيِّدًا من سادات قريش وجوادا من جُوّادها، وكان يلقب بالوحيد ، وأمه صَخرةُ بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس امرأةٌ من بَجيلة ثم من قيس ، ولما مات الوليد بن المغيرة أرّخت قريش بوفاته لإعظامها إياه حتى كان عام الفيل فجعلوه تاريخا ، هكذا ذكر ابن دأب ، وأما الزبيرُ بن بكار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤملي أنها كانت تؤرخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع [1] سنين إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة فأرّخوا بها .

خالد بن الوليد :

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والغَناءِ في حروبه المحلُّ المشهور ، ولقّبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيف الله ، وهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل [2] الفتح وبعد الحديبية هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما رآهم : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها . وشهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان أول من دخلها من مُهاجِرة العرب من أسفل مكة . وشهد يوم مُؤْتَة فلما قُتِل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ، ورأى أن لا طاقة

(١) في المطبوع : سبع .

(٢) في المطبوع : عام الفتح .

للمسلمين بالقوم انحاز بهم وحامى عنهم حتى سلِموا ، فلقَّبه يومئذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيف الله .]

حدثنا بذلك أجمعَ الحرمىُّ بن أبى العلاء والطُّوسىُّ ، عن الزبير بن بكار .

وكان خالد يوم حُنَين فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه بنو سليم [1] ، فأصابته جراح كثيرة ،فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هزيمة المشركين فنفث على جراحه فاندملت فنهض .

وله آثار فى قتال أهل الردة فى أيام أبى بكر رضى الله عنه مشهورة يطول ذكرها ، وهو فتح الحيرة ،بعث إليه أهلُها عبدَ المسيح بن عمرو بن بُقَيلة فكلمه خالد فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من ورائى ، قال : وأين تريد ؟ قال : أمامى قال : ابن من أنت ؟ قال : ابن رجل واحد وامرأة ، قال : فأين أقصى أثرِكَ ؟ قال : مُنتهَى عمرى ، قال : أتَعقِلُ ؟ قال : نعم وأُقيِدُ [2] قال : ما هذه الحصون ؟ قال : بنيناها نتّقى بها السفيه حتى يردعه الحليم ، قال : لأمرٍمّا اختارك قومُكَ ، ما هذا فى يدك ؟ قال : سمُّ ساعةٍ . قال : وما تصنعُ به ؟ قال : أردت أن أنظر ما تردُّ نى به ، فإن بلغتُ ما فيه صَلاحٌ لقومى عُدْتُ إليهم وإلاَّ شربتُه فقتلت نفسى ولم أرجع إلى قومى بما يكرهون ، قال له خالد : أرنيه فناوله إياه ، [فقال خالد : بسم الله الذى لا يضرّ مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، ثم أكله ،فتجلّلتْه غَشْية ثم أفاق يمسح العرق عن وجهه ، فرجع ابنُ بقيلة [3] إلى قومه فأخبرهم [بذلك وقال : ما هؤلاء القوم إلاّ من الشياطين ، وما لكم بهم طاقة فصالِحوهم على ما يريدون ، ففعلوا .

أخبرنى بذلك إبراهيمُ بن السرى بن يحيى التميمى عن أبيه عن شعيب عن سيف

(١) جملة : ومعه بنو سليم . لا توجد فى أحد المخطوطات .

(٢) جعلها من العقل والقود : وهو دفع الديات .

(٣) فى المطبوع : نفيلة .

وأخبرنى به الحسن بن على ، عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد ، عن الواقدى .

وأمرَّه أبو بكر رضى الله عنه على جميع الجيوش التى بعثها إلى الشام لحرب الروم ، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح ومُعاذ بن جبل فرضُوا بإمارته .

قالوا : وكانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حلق رأسه ذات يوم ، فأخذ خالدٌ شعره فجعله فى قَلَنْسوة له ، فكان لا يلقى جيشا وهى عليه إلاّ هزمه .

ورَوى عن النبى صلى الله عليه وسلم الحديث وحمل عنه ، ورآه النبى صلى الله عليه وسلم متدليًا من هَرْشَى فقال : نعم الرجل خالد بن الوليد .

أخبرنا بذلك الطوسى والحرمى قالا : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، عن عبد العزيز [١] بن محمد ، عن عبد الواحد بن أبى عون عن سعيد المَقْبُرِىّ ، عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك له .

قال الزبير : وحدثنى محمد بن سَلّام عن أَبان بن عثمان قال :

لما مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بنى المغيرة إلاّ وضعت لِمَّتها على قبره ، يعنى حلقت رأسها ووضعت شعرها على قبره ، قال ابن سلام : وقال يونس النحوى : إن عمر رضى الله عنه قال حينئذ : دعوا نساء بنى المغيرة يبكين أبا سليمان ويُرِقْنَ من دموعهن سَجْلاً [٢] أوسَجْلَيْن ما لم يكن نَقْعٌ أو لَقْلَقَة . والنقع : مدُّ الصوت بالنحيب ، واللقلقة [حركة] اللسانِ بالولولة ونحوها .

قال الزبير فيما ذكره لى من رويت عنه : حدثنى محمد بن الضحاك ، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان أشبه الناس بخالد بن الوليد ، فخرج عمر سحرا ، فلقيه شيخ فقال له : مرحبا بك يا أبا سليمان ، فنظر إليه عمر فإذا هو علقمة

(١) فى مخطوط : بن عبد العزيز بن محمد .

(٢) السجل : الدلو العظيمة .

ابن عُلاثة ، فردّ عليه السلام ، فقال له علقمة : عزلك عمرُ بنُ الخطاب . فقال له عمر : نعم ، قال : ماشبع لاأشبع الله بطنه ، قال له عمر : فما عندك ؟ قال : ما عندى إلا السمع والطاعة . فلما أصبح عمر دعا بخالد ، وحضر علقمة بن عُلاثة فأقبل على خالدٍ فقال له : ماذا قال لك علقمة ؟ قال : ما قال لى شيئا . فقال اصدُقنى ، فحلف خالدٌ بالله ما لقيه ولا قال له شيئا . فقال له علقمة : حِلاً [١] أبا سليمان ، فتبسم عمر ، فعلم خالد أن علقمة قد غلط ، فنظر إليه وفطن علقمة ، فقال له : قد كان ذلك ياأمير المؤمنين فاعف عنى عفا الله عنك . فضحك عمر رضى الله عنه وأخبره الخبر .

أخبرنى عمى قال : حدثنى أحمد بن الحارث الخراز قال : حدثنا المدائنى ، عن شيخ من أهل الحجاز ، عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد وعن سليمان بن أبى ذئب [٢] عن أبى سُهيل أو ابن سهيل .

أن معاوية لما أراد أن يُظهر العهد ليزيد قال لأهل الشام : إن أمير المؤمنين قد كبرت سِنُّه ، ودقّ عظمه ، واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم ، فمن ترون ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فسكت وأضمرها ودسّ ابن أُثالٍ الطبيب إليه فسقاه سما فقتله ، وبلغ خالدَ بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبرُه وهو بمكة ، وكان أسوأ الناس رأيا فى عمه ، لأن أباه المهاجر كان مع علىّ عليه السلام بصفين ، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية ، وكان خالد بن المهاجر على رأى أبيه هاشمىّ المذهب ودخل مع بنى هاشم الشِّعْبَ ، فاضطغن ذلك ابنُ الزبير عليه فألقى عليه زِقّ خمر ، وصبّ بعضه على رأسه ، وشنّع عليه أنه وجده ثَمِلاً من الخمر فضربه الحد ، فلما قُتل عمه عبد الرحمن مرّ به عروة بن الزبير فقال له : يا خالد أتدع ابن أُثال وقد بَيّن أوصالَ [٣] ابنِ عمك بالشام وأنت بمكة مُسبل إزارك تجرّه وتخطِر فيه متخايلاً ؟ فحمِىَ خالد ، ودعا مولًى

(١) حلا يريد بها : برت يمينك .
(٢) فى مخطوط : وعن أبى ذئب .
(٣) بين أوصاله : أطاح بها .

له يُدعى نافعا فأخبره الخبر وقال له : لا بد من قتل ابن أُثال ، وكان نافعٌ جلْداً شهما ، فخرجا حتى قدما دمشق ، وكان ابن أُثال يُمسى عند معاوية ، فجلس له فى مسجد دمشق إلى أسطوانة ، وجلس غلامه إلى أخرى حتى خرج ، فقال خالد لنافع : إياك أن تعرِض له أنت فإنى أضربه ، ولكن احفظ ظهرى واكفنى من ورائى ، فإن رابك شىء تراه من خلفى فشأنك . فلما حاذاه وثب عليه خالد فقتله ، وثار إليه من كان معه فصاح بهم نافع فانفرجو ، ومضى خالد ونافع ، وتبعهما من كان معه ، فلما غشوهما حملا عليهم فتفرّقوا حتى دخل خالد ونافع زُقاقا ضيقا ففاتا القوم ، وبلغ معاويةَ الخبرُ فقال : هذا خالد بن المهاجر اقلبوا الزقاق الذى دخل فيه ، ففُتّش عليه فأُتى به فقال : لا جزاك الله من زائر خيرا ، قتلت طبيبى ، قال : قتلت المأمور وبقى الآمر . فقال له : عليك لعنة الله ، أما والله لو كان تشهّدَ مرّةً واحدة لقتلتُك به ، أمعك نافع ؟ قال : لا ، قال : بلى والله ما اجترأتَ إلاّ به ، ثم أمر به فطُلب فوجد فأُتى به ، فضربه مائة سوط ولم يهِجْ خالدا بشىء أكثر من أن حبسه ، وألزم بنى مخزوم ديةَ ابنِ أُثال اثنى عشر ألف درهم ، أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم ، وأخذ ستة آلاف ، ولم يزل ذلك يجرى فى دية المُعاهَد حتى ولى عمرُ بن عبد العزيز فأبطل الذى يأخذه السلطان لنفسه ، وأثبت الذى يدخل بيت المال .

وخالد بن المهاجر الذى يقول :

يا صاحِ ياذا الضامرِ العَنْس والرَّحْل ذى الأنساع والحِلْسِ
سيرُ النهار ولست تارِكَه وتُجِدُّ سيرًا كلّما تُمْسِى

فى هذين البيتين وبيت ثالث لم أجده فى شعر المهاجر ولا أدرى أهو له أم ألحقه المغنون لحنان : ثقيل أول وخفيف ثقيل ، ذكر يونس أن أحدهما لمالك ولم يذكر طريقته فى لحنه ، ووجدته فى جامع غناء معبد عن الهشامى ، ويحيى المكى [فيه له خفيف ثقيل ، وهكذا ذكر على بن يحيى أيضا ، ولعله رواه عن ابن المكى] وإن

كان هذا لمعبد صحيحا فلحن مالك هو الثقيل الأول، وذكر غيره ممن لا يحصل قوله[١] أن لحن معبد ثقيل أولُ بالوسطى .

رجع الخبر إلى سياقة حديث خالد

قال : ولما حبس معاويةُ خالدَ بنَ المهاجر قال فى السجن :

إمَّا خُطاىَ تقاربَتْ مَشْىَ المقيَّدَ فى الحِصارِ
فبما أُمشّى فى الأبا طح يقتفى أثرى إزارى
دعْ ذا ولكن هل ترى نارا تُشَبُّ بذى مُرَارِ
ما إن تُشَبّ لقِـرَّة للمصطلين ولا قُتَارِ[٢]
ما بال ليلك ليس ينْـ قص طولَه طولُ النهار
لِتقاصُرِ الأزمان أم غَرَضِ الأسيرِ من الإسار[٣]

قال : فبلغت أبياته معاوية فرقّ له وأطلقه ، فرجع إلى مكة ، فلما قدمها لقى عروة بن الزبير فقال له : أمَّا ابنُ أُثال فقد قتلتُه ، [وهذا ابن جُرْموزٍ يَبوء[٤] أوصال الزبير بالبصرة فاقتله إن كنتَ ثائرا ؛ فشكاه عروة إلى أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فأقسم عليه أن يمسك عنه ، ففعل .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : أخبرنى يعقوب بن نُعيم قال : حدثنى إسحاق بن محمد قال : حدثنى عيسى بن محمد القَحْطَبىّ قال :

حدثنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : غنى إبراهيم بن المهدى يوما بحضرة المأمون وأنا حاضر :

يا صاحِ ياذا الضَّامرُ[٥] العَنْسِ والرَّحْلِ ذى الأقتاب والحِلْسِ

(١) فى مخطوط : وذكر حبش وهو ممن لا يحصل . . .
(٢) القتار : الدخان من المطبوخ .
(٣) الغرض : من معانيه الضجر والملال .
(٤) فى المطبوع : يفنى . وفى خزانة الأدب ج ١ ص ٣٣٢ : أبقى .
(٥) انظر الخلاف فى رفع الضامر وتصويب جرها فى الخزانة ج ١ ص ٣٢٩ .

قال : وكانت لى جائزة قد خرجت، فقلت : تأمرُ سيدى — يا أمير المؤمنين — بالقاء هـذا الصوت علىّ مكان جائزتى فهو أحب إلىّ منها ، فقال له : يا عم ألق هذا الصوتَ على محمد، فألقاه علىّ حتى إذا كدت أن آخذه قال : اذهب فأنت أحذق الناس به ، فقلت له: لم يَصِحّ لى بعدُ ، قال : فاغدُ غدًا علىّ فغدوت عليه فأعاده مُلتويا فقلت له : أيها الأمير لك فى الخلافة ماليس لأحد ، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة ، تجود بالرغائب وتبخل علىّ بصوت؟ فقال : ما أحمقك ؛ إن المأمون لم يستبقنى محبةً لى ولا صلةً لرحمى ولا ليرُبَّ المعروف عندى ، ولكنه سمع من هذا الجِرْمِ [1] مالم يسمعه من غيره ، قال : فأَعلمْتُ المأمون بمقالته فقال : إنّا لا نُكدّر على أبى إسحاق عفونا عنه فدَعْه ، فلما كانت أيامُ المعتصم نشط للصَّبوح يوما فقال: أحضروا عمّى ، فجاء فى دُرّاعة بغير طيلسان ، فأعلمت المعتصم خبر الصوت سرًّا فقال : يا عم غنى :

يا صَاحِ ياذا الضامـر العنس والرحل ذى الأقتاب والحلس

فغناه ، فقال له : أَلقه على محمد ، فقال : قد فعلت ، وسبق منى قولٌ أن لا أعيده عليه ، ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضر .

صوت

أَقفر بعد الأحبـة البلـدُ فهو كأنْ لم يكن به أحـدُ
شجاك نُؤْىٌ عفتْ معالمـه وهامِدٌ فى العِراصِ مُلْتَبِدُ
أُمُكَ عَبْسِيـة مهذَّبة طابتْ لها الأمهات والقَصَدُ [2]
تُدْعىَ زُهَيرِيّةً إذا انتسبت حيث تَلاَقى الأنْساب والعددُ

الشعر لحمزةَ بن بِيض ، والغناء لمعبَد خفيف ثقيل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن عبّاد ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامى وعمرٍو وابن المكى .

---

(١) الجرم : الصوت أو جهارته .

(٢) القصد من كل شجرة شائكة أن يظهر نباتها أول ما تنبت . ويريد : طابت منابتها . وفى المطبوع : والنضد .

أخبار حمزة بن بيض ونسبه

حمزةُ بنُ بِيضٍ الحنفىّ شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأُموية ، كوفى خليع ماجنٌ ، من فحول طبقته ، وكان منقطعا إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبى بُرْدة ، واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيما ولم يدرك الدولة العباسية .

أخبرنى عمى قال : حدثنا أبو هِفَّان قال : أخبرنى أبو مُحَلِّم ، عن المفضَّل قال :

أخذ حمزة بن بيض الحنفى بالشعر ألف ألف درهم من مال وحُمْلان وثياب ورقيق وغير ذلك .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : أخبرنى عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى أبو تَوبة قال :

قدم حمزة بن بِيض الحنفى على بلال بن أبى بُردة [فلما وصل إلى بابه قال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بيض الحنفى] فدخل الغلام إلى بلال فقال : حمزة بن بيض بالباب ، وكان بلال يُكثر المزح معه ، فقال : اخرج إليه فقل له : حمزة بن بيض ابنُ مَنْ ؟ فرجع الحاجب إليه فقال له ذلك ، فقال ادخل إليه فقل له : الذى جئتَ إليه إلى بنيان [1] الحمام وأنت أمرد تسأله أن يهب لك طائرا ، فأدخلك وناكك ووهب لكَ طائرا . فشتمه الحاجب فقال له : ما أنت وذَا ؟ بعثك برسالة فأخبرْه بالجواب ، فدخل الحاجب وهو مغضب ، فلما رآه بلال ضحك وقال : ما قال لك ؟ قال : قبحه الله ما كنت لأخبر الأمير بما قال ، فقال : ياهذا

(١) فى مخطوط : بيار .

أنت رسول فأدّ الجواب، فأبى، فأقسم عليه حتى أخبره، فضحك حتى فحص برجله وقال: قل له: قد عرفنا العلامة فادخل، فدخل فأكرمه ورفعه وسمع مديحه وأحسن صلته. قال: وأراد بقوله بيض ابن مَن قولَ الشاعر:

أنت ابنُ بِيضٍ لعمرى لستُ أُنكِرُهُ ... وقد صدقْتَ ولكن مَنْ أبو بيضِ

أخبرنى علىُّ بن سليمان الأخفش قال: حدثنى محمد بن الحسن الأحول، عن الأثرم، عن أبى عمرو. وأخبرنى وكيع قال: حدثنى عبد الله بن محمد بن عبيد[1] ابن سفيان. قال: أخبرنى أبو الحسن الشيبانى قال: حدثنى شعيب بن صفوان قال:

قدم حمزة بن بيض على مَخْلَد بن يزيد بن المهلَّب، وعنده الكميت فأنشده قوله فيه:

أتيناك فى حاجة فاقْـضها ... وقُلْ مرحبا يجبِ المَرْحَبُ
ولا تَكِلَنَّـــا إلى معشر ... متى يَعِدُوا عدةً يكذبوا
فإنك فى الفرع من أُسرة ... لهم خَضَع الشرق والمغربُ
وفى أدبٍ منهم ما نشأْتَ ... ونِعْمَ لعمرُكَ ما أدَّبوا
بلغتَ لعشرٍ مضت من سِنِيـ ... ـك ما يبلغُ السيِّد الأشيبُ
فهمُّك فيها جسام الأمور ... وهمُّ لِداتك أنْ يلعبوا
وجُدْتَ فقلتَ ألا سائلٌ ... فيُعْطَى ولا راغبٌ يَرغبُ
[فمنك العطية للسـائلـين ... وممَّن ينوبك أن يطلبوا]

فأمر له بمائة ألف درهم فقبضها، قال وكيع فى خبره: فسأله عن حوائجه [فأخبره بها] فقضى جميعها، وقال أيضا فى خبره: فحسده الكميت فقال: ياحمزة أنت كمهدى التمر إلى هَجَرَ. قال: نعم ولكن تمرنا أطيب من تمر هجر.

أخبرنى على بن سليمان قال: حدثنى محمد بن يزيد النحوى قال: قال الجاحظ:

---

(١) فى المطبوع: عتبة.

أصاب حمزةَ بنَ بيض حُصْرٌ[١] فدخل عليه قوم يعودونه وهو فى كربٍ عظيم القُولَنْج[٢] إذ ضرط رجل منهم فقال حمزة : من هذا المُنْعَمُ عليه .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : قال : علىّ بن الصباح : حدثنى هشام بن محمد عن الشرقىّ قال :

زعم هشام بن عروة[٣] أن عبد الرحمن بن عنبسة مرّ فإذا بغلامٍ أصبح الغلْمان وأحسنهم ، ولم يكن لعبد الرحمن ولد ، فسأل عنه فقيل له : يتيم من أهل الشام قدم أبوه العراق فى بعْثٍ فقُتل وبقى الغلام هاهنا ، فضمه ابن عنبسة إليه وتبنَّاه ، فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا ، ومرَّ يوما على بِرْذَون ومعه خَدَمٌ على ابنِ بيض ، وحول ابنِ بيض عيالُه فى يوم شاتٍ وهم شُعْثٌ غُبرٌ عُراة ، فقال ابن بيض : من هذا ؟ فقيل : صدقَةُ يتيمُ ابنِ عنبسة فقال :

يَشْعَثُ صبيانُنا وما يتِموا … وأنت صافى الأديمِ والحَدَقَهْ
فليت صبياننا إذا يتموا … يلقَوْن ما قد لقيتَ يا صدَقَهْ
عوّضك الله من أبيــك ومن … أمِّك فى الشام بالعراق مِقَهْ[٤]
كفاك عبدُ الرحمن فقدَهُمـا … فأنت فى كسوة وفى نَفَقَهْ
تظلُّ فى دَرْمَكٍ[٥] وفاكهــة … ولحم طير ما شئت أو مَرَقَهْ
تأْوِى إلى حاضن و حاضنةٌ … زادًا على والديك فى الشفقَهْ
فكُلْ هنيئا ما عاش ثمَّ إذًا … مات فَلَغْ فى الدماء والسَّرِقَهْ
وخالفِ المسلمين قبلتَهُمْ … وَضِلَّ عنهم وخادنِ الفَسَقَهْ
واشترِ نَهْدَ التَّليلِ ذا خُصلٍ … لِصوته فى الصهيل صَهصَلَقَهْ[٦]

(١) الحصر : احتباس ذى البطن واعتقاله .
(٢) القولنج : مرض فى المعدة مؤلم يعسر معه خروج الريح .
(٣) فى مخطوط ، قال على بن الصباح حدثنى هشام بن عروة أن عبد الرحمن . . .
(٤) المقة : الحب .
(٥) الدرمك : دقيق الحوارى .
(٦) النهد : المرتفع . والتليل : العنق . ويريد بذلك الفرس . والصهصلقة : شدة الصوت .

فاقطعْ عليه الطريق تلق غَدًا ... ربَّ دنانيرَ جَمَّةٍ ورِقَةْ (١)

فلما مات عبد الرحمن أصابه ما قال ابنُ بيض أجمع ، من الفساد والسرقة وصحبة اللصوص له ، ثم كان آخر ذلك أنه قطع الطريق فأُخذ وصُلب .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى النوفلى، عن أبيه . قال ابن عمار : وأخبرنى أحمد بن سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنى أبى عن أبى سفيان الحِميرى قال :

خرج حمزة بن بيض يريد سفرا فاضطره الليل إلى قرية عامرة كثيرة الأهل والمواشى من الشاء والبقر ، كثيرة الزرع ، فلم يصنعوا به خيرا ، فغدا عليهم فقال :

لعن الإله قُرَيَّةً يَمَّمْتُها ... فأضافنى ليلا إليها المغرِبُ
الزارِعين وليس لى زرْعٌ بها ... والحالبين وليس لى ما أحْلُبُ
فلعلَّ ذاك الزرعَ يُؤذِى أهله ... ولعَلَّ ذاك الشاءَ يوما يَجْرَبُ
ولعلَّ طاعوناً يُصيب عُلوجها ... ويصيب ساكنَها الزمانُ فتخرَبُ

قال : فلم تمر بتلك القرية سنةٌ حتى أصابهم الطاعون فأباد أهلها وخربت إلى اليوم ، فمرَّ بها ابن بيض فقال : كلا ، زعمتُ أنى لم أُعطَ مُنْيَتِى ، قالوا: وأبيك لقد أُعطيتَها فلو كنت تمنَّيتَ الجنة الحسنة كان خيرا لك ، قال : أنا أعلم بنفسى ، لا أتمنى ما أنست له بأهل ، ولكنى أرجو رحمة ربى عزَّ وجل .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا محمد بن زكريا الغَلابىّ قال : قال ابن عائشة (٢) .

خرج ابن بيض فى سفر ، فنزل بقوم فلم يحسنوا ضيافته ، وأتوه بخبز يابس وألقوا لبغلته تِبنا ، فأعرض عنهم وأقبل على بغلته فقال :

احْسُبِيها ليلةً أدلجْتُها ... فكُلِى إنْ شئتِ تِبْنا أوْ ذَرِى

---

(١) الرقة : الدراهم المضروبة .

(٢) فى المطبوع : عنبسة .

قد أتى ربَّك خبزٌ يـــابسٌ فتغذَّ معـــه واصطبرى[1]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدى قال : أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدثنا المدائنى قال :

قال حمزة بن بيض يوما للفرزدق: أيما أحبُّ إليك ؟ تسبق الخِرَ[2] أو يسبقك قال: لا أسبقه ولا يسبقنى ولكن نكون معا، فأيما أحبُّ إليك ؟ أن تدخل إلى بيتك فتجد رجلا قابضا على حِرِ امرأتك أو تجد امرأتك قابضة على أيره ، ؟ فقال : كلامٌ لابُدَّ من جوابه والبادئ أظلم: بل أجدها قابضة على أيره قد أغنته[3] عن نفسها .

نسخت من كتاب أبى إسحاق الشامى[4] قال ابن الأعرابى :

وقع بين بنى حنيفة بالكوفة وبين بنى تميم شر حتى نشبت الحرب بينهم ، فقال رجل لحمزة بن بيض: ألاَ تأتى هؤلاء القومَ فتدفعَهم عن قومك فإنك ذو بيان وعارضة ؟ فقال :

ألا لاتلمنى يا ابن ما هان إننى أخاف على فَخَّارتى أن تحطَّما

ولو أننى أبتاع فى السوق مثلها وعيشِك ما باليتُ أن أتقدَّما

قال : وكان لابن بيض صديق عامل من عمال ابن هُبَيْرة، فاستودع رجلا ناسكا ثلاثين ألف درهم، واستودع مثلها رجلا نَبِيذِيًّا ، فأمَّا الناسك فبنى بها داره وتزوج النساء وأنفقها وجحدها ، وأما النبيذى فأدَّى إليه الأمانة فى ماله ، فقال ابن بيض فيهما :

ألاَ لايغُرَّنَّكَ ذو سَجْدة يظلُّ بها دائبا يَخدعُ

كأنَّ بجبهتِــــه حِلْيَةً يُسبِّح طورًا ويَسترجعُ

وما للتُّقى لزمتْ وجهَــه ولكنْ ليغتَرَّ مستودعُ

---

(١) فى المطبوع : وتعزى واصبرى .

(٢) فى مخطوط : الخير ، هذا والحر : الفرج .

(٣) فى المطبوع : أغبته .

(٤) فى مخطوط : الشاميى .

فلاتَنفُرَنَّ مِنَ آهلِ النبيذِ وإن قيلَ يشرب لايُقلِعُ
فعندك علمٌ بما قد خبرْ تَ إنْ كان علمٌ بها يَنفعُ
ثلاثون ألفا حواها السجودُ فليستْ إلى أهلها تَرجِعُ
بنَى الدارَ من غير ما ماله [وأصبح فى بيته أبتَعُ]
[مهاثرُ من غير مالٍ حوَاه] — يقاتون أرزاقهم جوَّعُ

وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن زكريا الصحَّاف قال : حدثنا قعنب بن المُحرز قال : حدثنا أبو عبيدة والأصمعى وكيسان بن المُعرِّف ، فذكر نحو هذا الخبر إلا أنه حكى أن حمزة بن بيض هذا الذى استودع الرجلين المال وقال :

وأدَّى أخو الكاس ما عنده وما كنتُ فى ردِّها أطمعُ

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : أخبرنا عبد الله بن شبيب قال : حدثنى أحمد بن محمد عن ابن داجة قال[1] :

اختصم أبو الجَون السُّحيمىّ وحمزة بن بيض إلى المهاجر بن عبد الله الكلابى وهو على اليمامة ، فوثب عليه حمزة فأنشأ يقول :

غَمَّضْتُ فى حاجة كانت تُؤرِّقنى لولا الذى قلتَ فيها قبل تغميضى

قال : وما قلت لك ؟ قال :

حلفتَ بالله لى أنْ سوف تُنصفنى فساغ فى الحلق ريقى بعد تَجْريضى[2]

قال : وأنا أحلف لأُنصفنّك . قال :

سَلْ هؤلا عنْ أُولى ماذا شهادتهم أم كيف أنت وأصحاب المعاريض

قال : أو جعهم ضربا ، فقال :

وسلْ سُحَيما[3] إذا وافاك جمعهمُ ل كان بالسرخَوْض مثل تحريضى[4]

قال : فقضى له ، فأنشأ السحيمى يقول :

(١) فى مخطوط : أحمد بن محمد بن داجة .
(٢) جرض بريقه : ابتلعه على هم وحزن .
(٣) فى مخطوط : فأسأل لجيما .
(٤) فى المطبوع : هل كان بالشر خوفى قبل . ولعلها أيضا : مثل تخوفنى .

أنت ابن بيض لعمرى لستُ أُنكره ... حقا يقينا ولكن مَنْ أبو بيض
إن كنت أنبضْتَ لى قوْسا لترمينى ... فقد رميتك رميا غير تنبيض[1]
أو كنت خضخضتَ لى وَطْبا لتسقينى ... فقد سقيتك مَحْضا غير ممخُوضِ

قال: فوجم حمزة وقُطِع به، فقيل له: ويلكَ مالك لاتجيبه؟ قال: وبم أجيبه، والله لو قلت له: عبد المطلب بن هاشم أبو بيض ما نفعنى ذلك بعد قوله: ولكن من أبو بيض.

وأخبرنى بهذا الخبر ابنُ دريد، عن أبى حاتم، عن أبى عبيدة بمثله، وقال فيه: إن المخاصم له أبو الُحويرث السحيمى.

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا السكَنُ بن سعيد، عن محمد بن عبّاد قال:

دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلّب السجن فأنشده قوله:

أُغلق دون السَّماح والجود والنجـ ... ـدة بابٌ حَديدُه أشِـبُ[2]
ابنُ ثلاثٍ وأربعين مضـتْ ... لا وَرَعٌ واهن ولا نَكِبُ[3]
لا بَطِرٌ إنْ تتابعتْ نِعَمٌ ... وصابر فى البلاء مُحتسبُ
برَّزتَ سَبْقَ الجوادِ فى مَهَلٍ ... وقصَّرَتْ دون سعيك العربُ

فقال: والله يا حمزة لقد أسأتَ إذ نوّهت باسمى فى غير وقت تنويه، ولا منزل لك، ثم رفع مقعدا تحته فرمى إليه بخِرْقة مصرورة، وعليه صاحبُ خبرٍ واقفٌ فقال: خذ هذا الدينار فو الله ما أملك ذهبا غيره، فأخذه حمزة، وأراد أن يردّه فقال له سرّا: خذه ولا تُخدَعْ عنه، قال حمزة: فلما قال لى: لا تخدع عنه قلت: والله ما هذا بدينار؛ فخرجت فقال لى صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد؟ فقلت: أعطانى دينارا فأردت أن أردّه عليه فاستحييت منه. فلما صرت إلى منزلى

(١) أنبض الرامى القوس: جذب وترها.
(٢) أشب: ملتف.
(٣) الورع: من معانيه الجبان. والنكب: المائل.

حللت الصرة فإذا فيها فصٌّ ياقوت أحمر كأنه سقْطُ زَنْدٍ [١] ، فقلت : والله لئن عرضت هذا بالعراق ليُعْلَمَنَّ أنى أخذته من يزيد فيُؤخَذ منى ، فخرجت به إلى خراسان فبعته على رجل يهودىّ بثلاثين ألفا ، فلما قبضت المال وصار الفصّ فى يده قال لى : والله لو أبيت إلا خمسين ألف درهم لأخذته منك ، فكأنما قذف فى قلبى جمرة ، فلما رأى تغيُّرَ وجهى قال : إنى رجل تاجر ، ولست أشكّ أنى قد غممتك ، قلت : إى والله وقتلتنى ، فأخرج إلىّ مائة دينار وقال : أَنفق هذه فى طريقك لتتوفر عليك تلك .

أخبرنى الحسين بن يحيى قال : قال حماد بن إسحاق : قرأت على أبى :

دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلَّب وهو فى حبس عمر بن عبد العزيز فأنشده قوله فيه :

أصبح فى قيدك السماحة وال ... حاملُ للمُفْضلات والحسَبُ
لا بَطِرٌ إنْ تتابعتْ نِعَمٌ ... وصابر للبلاء محتسبُ

فقال له : ويحك أتمدحنى على هذه الحال ؟ قال : نعم ، لئن كنتَ هكذا لطالما أثبتَّ على الثناء فأحسنتَ الثواب والرِّفْدَ ، فلا بأس أن نُسلفك الآن ، قال أمَّا إذا جعلته سلَفًا فاقْنَعْ بما حضر إلى أن يُمكِنَ قضاءُ دَيْنك . وأمر غلامه فدفع إليه أربعة آلاف درهم ، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال : قاتله الله ، يُعطى فى الباطل ويمنع الحق ، يعطى الشعراء ويمنع الأمراء .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا عبد الأول بن يَزِيدَ قال : حدثنا العمرىُّ ، عن الهيثم بن عدى قال :

أخبرنى مخلد بن حمزة بن بيض قال : قدم أبى على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك فأدخله عليه فأنشده قوله :

ساس الخلافة والداك كلاهما ... من بين سَخطةِ ساخطٍ أو طائعِ

---

(١) سقط زند : يريد أنه كشعلة النار التى تقع من الزند إذا أورى .

أبواك ثم أخوك أصبح ثالثا وعلى جبينك نورُ ملْكٍ رابع [١]
سرّيت خوف بنى المهلّب بعدما نظروا إليك بِسَمّ موتٍ ناقعِ
ليس الذى ولاّك ربُّك منهم عند الإله وعندهم بالضائعِ

فأمر له بخمسين ألفا .

أخبرنى عمى قال : حدثنى عبد الله بن عمرو قال : حدثنى جعفر بن محمد العاصى قال : حدثنى عيينة بن المِنهال قال : حدثنى الهيثم بن عدىّ قال :

حدثنى أبو يعقوب الثقفى قال : قال لى حمزة بن بيض : لما وفد الكُميت بن زيد إلى مَخْلد بن يزيد بن المهلب وهو يَخْلُف أباه على خراسان وكان واليها وله ثمانى عشرة سنة ، وقد مدحه بقصيدته التى أولها :

هلا سألتَ معالمَ الأطلالِ ؟

وهى التى يقول فيها :

يمشين مَشْىَ قطا البِطاحِ تأوّدا قُبَّ البُطونِ رواجحَ الأكفال

وقصيدته التى يقول فيها :

هلا سألت منازلاً بالأَبرقِ

أعطاه مائة ألف درهم سوى العُروض والحُملان ، فقدم الكوفة فى هيئة لم يُر مثلُها ، فقلت فى نفسى : والله لأنا أولى من الكميت بما ناله من مخلد ، وإنى لحليفه وناصره فى العصبية على الكميت وعلى مُضَرَ جميعا ، فهيّأت لمخلد مديحا على رَوِىّ قصيدتَىِ الكميت وقافيتهما ، ثم شخصت إليه ، فلما كان قبل خروجى إليه بيوم أتتنى جماعة من ربيعة فى خمس ديات عليهم لمُضَر من البدو فقالوا : إنك تأتى مخلدا وهو فتى العرب ، ونحن نعلم أنك لا تُؤثر على نفسك ، ولكن إذا فرغ من أمرك فأعلمه ممشانا إليك ومسألتنا إياك كلامه ، فنرجو أن نكون عند ظنّنا ، فلما قدمت على مخلد خراسان أنزلنى وفرش لى وأخدمنى ، وحملنى

(١) فى المطبوع : ملك الرابع .

وكسانى وخلطنى بنفسه ، فكنت أسمُرُ معه فقال لى ليلة : أعليك أدين يا ابن بيض؟ قلت : دعنى من مسألتك إياى عن الدين ، إنك قد أعطيت الكميت عطية لستُ أرضى بأقلّ منها وإلا لم أدخل الكوفة ولم أُعيَّر بتقصيرك بى عنه ، فضحك ثم قال لى: بل أزيدك على ما أعطيت الكميت ، فأمر لى بمائة ألف درهم كما أعطى الكميت وزادنى عليه ، وصنع بى فى سائر الألطاف كما صنع به ، فلما فرغت من حاجتى أتيته يوما ومعى تَذْكِرَةُ حاجةِ القوم فى الدّيات ، فلما جلس أنشدته :

أتيناك فى حاجةٍ فاقضها وقُلْ مرحبا يَجِبِ المَرْحَبُ
ولا تَكِلَنّا إلى معشر متى يَعدُوا عِدَةً يكذبوا
فإنك فى الفرع مِن أُسرة لهم خَضع الشرق والمغربُ
وفى أدب منهمُ ما نشأْتَ ونعْم لعمرُك ما أدّبُوا
بلغت لعشرٍ مضت من سنيـ ـك ما يبلغ السيّدُ الأشيبُ
فهمُّك فيها جسامُ الأمور وهمُّ لِداتك أن يلعبوا

فقال : مرحبا بك وبحاجتك ، فما هى ؟ فأخرجت إليه رقعةَ القوم وقُلت : حَمالات فى ديات ، فتبسم ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم ، فقلت : أو غير ذلك أيها الأمير ، قال : وما هو ؟ قلت : أُدَلُّ على قبر المهلّب حتى أشكو إليه قطيعة ولده ، فتبسم ثم قال : زده يا غلام عشرة آلاف أخرى ، فأبيت وقلت : بل أُدَلّ على قبر المهلّب حتى أشكو إليه قطيعة ولده ، فتبسم ثم قال : زده ياغلام عشرة آلاف أخرى ، فأبيت وقلت : بل أُدَلُّ على قبر المهلب ، فقال : زده عشرة آلاف أخرى ، فما زلت أُكررها ويزيدنى عشرة آلاف حتى بلغت تسعين ألفا ، فخشيت واللهِ أن يكون يلعب أو يهزأ بى فقلت : وصلك الله أيها الأمير وآجرك وأحسن جزاءك ، فقال : مخلد : أما والله لو أقمت على كلامك ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه .

أخبرنى محمد بن [أحمد بن] يَزيد بن أبى الأزهر قال : حدثنا الزبير بن بكار قال :

حدثنى النضر بن شميل قال : دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمَرْوَ وعلىَّ أطمار مُتَرَعْبِلة ١ فقال لى : يا نضر ، تدخل على أمير المؤمنين فى مثل هذه الثياب ؟ فقلت : إن حرَّ مرْوٍ لا يُدفع إلاَّ بمثل هذه الأَخلاق ، قال : لا ولكنك رجل متقشِّف ، فتجارينا الحديث، فقال المأمون : حدثنى هُشَيم بن بَشير عن مُجالد ، عن الشَّعبى ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَدَاد من عوَز. هكذا قال سَداد بالفتح ، فقلت : صدقوك يا أمير المؤمنين . وحدثنى عوف الأعرابىُّ عن الحسن [عن على بن أبى طالب] ٢ أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سِدَادٌ من عوَز. وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال : السَّداد لحنٌ عندك يا نَضْر ؟ قلت : نعم ، هاهنا يا أمير المؤمنين وإنما هُشيم لحنَ وكان لَحّانة ، فقال : ما الفرق بينهما ؟ قلت : السَّداد : القَصْدُ فى الدّين والطريقة والسَّبيل . والسِّداد : البُلْغة وكلُّ ما سَددت به شيئا فهو سِدَاد ، وقد قال العَرْجِىُّ :

أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ

قال : فأطرق المأمون مليًّا ثم قال : قبح الله من لا أدب له ، ثم قال : أنشدنى يا نضر أخْلبَ بيتٍ للعرب ، قلت : قول حمزة بن بِيض يا أمير المؤمنين :

تقول لى والعيُونُ هاجعـةٌ أقِمْ علينا يوما فلم أُقِمِ
أىَّ الوجوهِ انتجعتَ قلت لها لأىِّ وجهٍ إلاَّ إلى الحكَمِ
متى يَقُلْ حاجبَا سُرادقهِ هذا ابنُ بيضٍ بالباب يَبْتَسِمِ

(١) مترعبلة : خلقة أطمار .

(٢) زيادة من معجم الأدباء فى ترجمة النضر بن شميل .

قد كنتُ أُسْلِمتُ فيك مقتبِلا فهاتِ أرْحَلْ وأعطى سلَمى [١]

فقال المأمون: لله درك كأنما شق لك عن قلبي، فأنشدني أنصفَ بيت للعرب، قلت قول أبي عرُوبة المدني [٢]

إني وإن كان ابنُ عمي غائبا لمُراجِمٌ من خلفه وورائِه
ومفيدُهُ نَصْرى وإن كان امرأً مُتزحزِحا في أرضه وسمائِه
وأكونُ وَالِى سِرِّه وأصونه حتى يجيء عليّ وقتُ أدائِه
وإذا الحوادث أجحفتْ بسَوامه قُرِنَتْ صَحيحتُنا إلى جرْبائِه
وإذا دعا باسمى ليركب مَرْكبا صعبا قعدْتُ له على سِيسائِه
وإذا أتى من وجهه بطريقةٍ لم أطَّلِعْ فيها وراء خِبائِه
وإذا ارتدى ثوبا جميلا لم أقلْ يا ليتَ أنَّ عليّ حُسْنَ ردائه

فقال: أحسنت يا نضر، أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب، فأنشدته قولَ ابن عبْدَل الأسَدِيّ:

إني امرؤ لم أزَلْ وذاك من اللـه قديمـا أُعلِّمُ الأدَبا
أقيم بالدار ما اطمأنَّتْ بيَ الدا رُ وإنْ كنت مازحا طَرِبـا
لا أجتوى خُلَّة الصديق ولا أُتبع نفسى شيئا إذا ذهبـا
أطلب ما يطلب الكريم من الر زق بنفسى فأُجمِل الطَّلَبا
وأحلُبُ الثرَّة الصَّفِيَّ ولا أَجْهَدُ أخلاف غيرها حلَبا [٣]
إني رأيت الفتى الكـريم إذا رغّبتَه في صَنيعـةٍ رَغِبا
والعبدُ لا يطلبُ العَلاء ولا يُعطيك شيئا إلا إذا رَهِبا
مثلُ الحمارِ المُوقَّعِ السَّوْءِ لا يُحْسِنُ مَشْيا [٤] إلا إذا ضُرِبا

(١) السلم من معانيه: الأسر وتكون أسلمت: أسرت. وفي المطبوع: هات أدخلن.

(٢) في مخطوط: المزني. وأثبتنا ما اتفق مع معجم الأدباء ترجمة النضر. هذا والقصيدة في شرح الحماسة للمرزوقي ج ٤ ص ١٦٨٠ « لجنة التأليف » منسوبة للهذيل بن مشجعة البولاني.

(٣) الثرة: الغزيرة، وكذلك الصفي: الناقة الغزيرة اللبن. والأخلاف: أثداؤها.

(٤) في المطبوع: لا يحمل شيئا. والتصويب من مخطوط، ومثله في شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٢٠٥، هذا والموقع: الذي بظهره آثار دبر، أو هو المذلل.

ولم أجد عُرْوَةَ الخلائق إ | لاّ الدينَ لَمّا اعتبرتُ والحسَبا
قد يُرزق الخافضُ المقيم وما | شدّ بعَنْسٍ رَحْلاً ولا قتَبا
ويُحرَم الرزقَ ذو المَطيَّةِ والرحـ | لِ ومن لا يزال مُغْــتربا

فقال : أحسنت يا نضر وكتب إلى الفضل بن سهل [1] بخمسين ألفا، وأمر خادما بإيصال رقعته وتَنَجُّز ما أمر به إليّ ، فضيت معه إليه ، فلما قرأ التوقيع ضحك وقال لى : يا نضر أنت المُلَحِّن لأمير المؤمنين ؟ قلت : لا بل هُشيم ، قال فذاك إذًا ، وأطلق لى الخمسين الألف درهم وأمر لى بثلاثين ألفا .

أخبرنى الحسين بن يحيى قال : أخبرنى حماد عن أبيه قال :

بلغنى أن حمزة بن بيض الحنفى كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان عبد الملك يعبث به عبثا شديدا ، فوجّه إليه ليلة برسول وقال : خذه على أىّ حال وجدته ولا تدعه يُغيّرها ، وحلّفه على ذلك وغلّظ الأيمان ، فمضى الرسول فهجم الرسول عليه فوجده يريد أن يدخل الخلاء ، فقال : أجب الأمير ، فقال : ويحك إنى أكلت طعاما كثيرا ، وشربت نبيذا حلوا ، وقد أخذ نى بطنى قال : والله لا تفارقنى أو أمضىَ بك إليه ولو سلحتَ فى ثيابك ، فجهد فى الخلاص فلم يقدر عليه ، ومضى به إلى عبد الملك فوجده قاعدا فى طارمة [2] له ، وجارية جميلة كان يتحظّاها جالسة بين يديه تَسْجُرُ النَّدّ فى طارمته ، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه ، قال : فعرضَتْ لى ريح فقلت : أُسَرّحها وأستريح ، فلعل ريحها لا يتبيّن مع هذا البخور ، فأطلقها فغلبتْ والله ريحَ النّدّ وغمرته ، فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت علىّ عهد الله وميثاقُه وعلىّ المشى والهَدْى إن كنتُ فعلتها ، قال : وما حلفْتَ به علىّ إنْ كنتُ فعلتُها [3] وما هذا إلا عمل هذه الفاجرة ، وغضب وأُحفظ ، وخجلت الجارية فما قدرت على الكلام ، ثم جاءتنى أخرى فسرّحتها وسَطَع والله ريحُها . فقال : ما هذا ويلك ؟ أنت والله

---

(١) فى مخطوط : الحسن بن سهل . (٢) الطارمة : بيت من خشب كالقبة .
(٣) هذه الجملة لا توجد فى أحد المخطوطات .

الآفة ، فقلت : امرأتى فلانة طالق ثلاثا إن كنت فعلتها . فقال : وهذه اليمين لازمة لى إن كنتُ فعلتها ، وما هو إلا عمل هذه الجارية ، وقال: ويلك ماقصتُك؟ قومى إلى الخلاء إن كنت تجدين حِساً ، فزاد خجلها وأطرقتْ وطمعتُ فيها فسرّحتُ الثالثة وسطع من ريحها ما لم يكن فى الحساب ، فغضب عبدُ الملك حتى كاد يخرج من جلده ثم قال : خذ ياحمزة بيد الزانية فقد وهبتها لك وامْضِ فقد نغّصَتْ علىّ ليلتى ، فأخذت واللهِ بيدها وخرجت فلقينى خادم له فقال : ما تريد أن تصنع ؟ قلت : أمضى بهذه ، فقال : لا تفعل ، فواللهِ لئن فعلتَ ليُبغضنّك بُغضا لا تنتفع به بعده أبدا ، وهذه مائة دينار فخذها ودع الجارية فإنه يتحظّاها وسيندم على هبته إياها لك . قلت : والله لا أنقصك من خمسمائة دينار ، فلم يزل زايدنى حتى بلغ مائتى دينار وقال : ليس إلاّ ما قلتُ لك ، فلم تطب نفسى أن أضيعها فقلت : هاتها ، فأعطانيها وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاث دعانى عبد الملك ، فلما قربت من داره لقينى الخادم فقال : هل لك فى مائة دينار وتقول مالا يضرُّك ولعله ينفعك ، قلت: وما ذاك ؟ قال : إذا دخلتَ إليه ادّعيتَ عنده الفسوات الثلاث ونسبتها إلى نفسك وتنضح عن الجارية ما قرّفْتها به . قلت : هاتها ، فدفعها إلىّ ، ودخلت على عبد الملك فلما وقفت بين يديه قلت : أَلِى الأمانُ حتى أخبرك بخبر يسرك ويضحكك ؟ قال : لك الأمان، فقلت : أرأيت ليلةَ ليلةٍ وما جرى ؟ قال : نعم ، فقلت : علىّ وعلىّ إن كان فسا الثلاثِ الفسواتِ غيرى . فضحك حتى سقط على قفاه ثم قال : ويلك ، فلم لم تخبرنى ؟ قلت: أردت بذلك خِصالا: منها أنْ قمتُ فقضيتُ حاجتى وقد كان رسولك منعنى منها ، ومنها أنى أخذت جاريتك ، ومنها أنى كافأتك على أذاك لى بمثله ، فقال : فأين الجارية ؟ قلت : ما برحت من دارك ولا خرجتُ حتى سلّمتها إلى فلان الخادم وأخذت مائتى دينار . فسُرَّ بذلك وأمر لى بمائتى دينار أخرى وقال : هذه بجميل فعلك بى وتركك أخذ الجارية .

قال حمزة بن بيض : ودخلت إليه يوما وكان له غلام لم يرَ الناسُ أنتن إبْطًا منه فقال : يا حمزة ، سابقْ غلامى هذا حتى يفوح صُنانكما ، فأيكما كان

صنانه أنتن فله مائة دينار ، فطمعت فى المائة ويئست منهاالماأعلمه من نتن إبط الغلام فقلت : أفعل ، وتعادينا ساعة فسبقنى . فسلحت فى يدى ثم طليت إبطى بالسُّلاح ، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكما يخبره بالقصّة ، فلما دنا الغلامُ منه فشمه وثب وقال : هذا والله لا يشاكله شىء ، فصحت به : لا تعجل بالُحكم مكانَكَ ، ثم دنوت منه فألقمت أنفَه إبطى حتى علمتُ أنه قد خالط دِماغه وأنا ممسك لرأسه تحت يدى ، فصاح : الموت واللهِ ، هذا بالكُنُفِ أشبه منه بالآباط ، فضحك عبد الملك ثم قال : أفحكمتَ له ؟ قال : نعم ، فأخذت الدنانير .

أخبرنى عمى قال حدثنى جعفر العاصى قال: حدثنا عيينة بن المنهال [١] ، عن الهيثم بن عدىّ ، عن أبى يعقوب [٢] الثقفى قال :

قال حمزة بن بيض : دخلت يوما على مخلد بن يزيد فقلت :

إن المشارق والمغارب أصبحتْ   تُجبىَ وأنت أميرها وإمامُها

فضحك وقال : مهْ ، فقلت :

أغفيتُ قبل الصبح نومَ مسهَّدٍ   فى ساعةٍ ما كنت قبلُ أنامُها

قال : ثم ما ذا يكون ؟ قلت :

فرأيت أنك جُدْتَ لى بوَصيفةٍ   موسومةٍ حَسَنٍ علىَّ قيامُها

قال : قد فعلت ، فقلت :

وَبِبَدْرة حُمِلَتْ إلىَّ وبغلةٍ   شقراءَ ناجيةٍ يَصِلُ لجامُها

قال : قد حقّق الله رؤياك ، ثم أمر لى بذلك كله ، وعلم الله أنى ما رأيت من ذلك شيئا .

قال أبو الفرج الأصبهانى : وقد روى هذا بعينه لابن عبدل الأسدى ، وذكرته فى أخباره .

(١) فى المطبوع : عبد الله بن المنهال .
(٢) فى مخطوط : عن يعقوب .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حاتم قال : حدثنا عُمارة ابن عُقيل بن بِلال بن جرير قال :

حج حمزة بن بيض الحنفي ، فقال له ابن عم له : احجج بي معك ، فأخرجه معه فحَوْقل[1] عليه بعد نشاطه ، فقال ابن بيض فيه :

وذي سِنَةٍ لم يدْرِ ما السَّيرُ قبلها ... ولم يَعتسِفْ خَرْقًا من الأرض مَجْهلا
ولم يدْرِ ما حَلُّ الحبالِ وعقدُها ... إذا البرْد لم يترك لكفَّيه مَعْمَلا
ولم يَغْزُ مأجورًا ولا حجَّ حجَّةً ... فيضرِبَ سَهْمًا أو يصاحب أكْتَلا[2]
غَدونا به كالبغل ينفُضُ رأسه ... نشاطا ثناه الحرُّ حتى تقيَّلا
ترى المحْملَ المحْشُوَّ فاه عرامةً ... ويأبى إذا أمسى من الشرَّ مقبلا[3]
فإن قلتُ ليلاً أين أنت لحاجةٍ ... أجاب بأن لبَّيْكَ عشْرًا وأقبلا
يسوق مَطِيَّ القومِ طورًا وتارة ... يقود وإن شئنا جرى ثم جلْجلا[4]
فأجَّلْتُـهُ خمسا وقلت له انتظر ... رُويدًا وأجَّلْنا المَطِيَّ ليَذْبُلا[5]
فلما صدَرنا عن زُبالةَ وارتمتْ ... بنا العيسُ فيها مَنْقَلاً ثم منقلا
ترامتْ به المَوْماةُ حتى كأنمـا ... يَسَفُّ بمحسول الجزيرة حنظلا[6]
وحتى نبا عن مِزْوَدِ القوم ضرسُه ... وعادَى من الجهد الثريد المُدَبَّلا[7]

---

(١) حوقل : مشى فأعيا وضعف . وحوقل أيضا : نام .

(٢) الأكتل : المؤن .

(٣) كذا البيت ، وفي مخطوط :

يرى المحمل المحسور ناء غرامه ... وبابا إذا أمسى من الشر مقفلا

(٤) جلجل : صوت . وفي المطبوع : حلحلا . وحلحل القوم : أزالهم عن مواضعهم . وحلحل بالإبل قال لها : حل حل .

(٥) يذبل : جبل بنجد .

(٦) في المطبوع : الحديدة .

(٧) المزود : ما يوضع فيه الزاد . والمدبل : المكتل المجموع .

وحتى لو انّ الليث ليثَ خَفيَّةٍ يحاوله عن نفسه ما تحلحلا
وحتى لو انّ الله أعطاه سُؤْله وقال له ما تشتهى قال مُحْمَلا
فقلت له لما رأيت الذى به وقد خفتُ أن يُنْضَى لديناو يهزلا
أطِعْنى وكُلْ شيئا فقال مُعَذِّرا من الجَهْد أطعمنى تُرابا وجَندلا
فلَلموتُ خيرٌ منك جاراً وصاحبا فدعنى فلا لبَّيك ثم تَجَدَّلا
وقال أقِلْنى عثرتى وارعَ حرمتى وقد فرّ منى مرتين ليَقْفُلا[1]
فقلت له لا والذى أنا عبده أُقيلُك حتى تَمسح الرُّكنَ أوّلا

أخبرنى حبيب بن نصْر المهلبى قال: حدثنى عبد الله بن عمرو بن سعد[2] قال: أخبرنى إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى الهاشمى قال: حدثنى أبو عمر العمرى قال: حدثنى عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال[3]:

قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب: فوعده أن يصنع به خيرا ثم شغل عنه، فاختلف عليه مرارا فلم يصل إليه وأبطأت عليه عِدَتُه فقال ابن بيض:

أمخلَدُ إنّ الله ما شاء يصنعُ يجودُ فيُعْطى ما يشاء ويمنعُ
وإنِّىَ قد أمّلْتُ منك سحابةً فجادت سرابا فوق بيداءَ تلمعُ
فأجمعتُ صُرْما ثم قلتُ لعله يثوب إلى أمر جميل ويرجع
فأيأسنى من خير مخلدَ أنه على كل حال ليس لى فيه مَطمعُ
يجود لأقوام يودُّون أنه من البُغْض والشَّنْآنِ أمسى يقَطَّعُ
ويبخل بالمعروف عمن يَوَدُّه فو الله ما أدرى به كيف أصنعُ
أأصرِمه فالصُّرم شرٌّ مغبَّةً ونفسى إليه بالوصال تَطلّعُ
وشتان بينى فى الوصال وبينه على كل حال أستقيم ويَظْلَعُ[4]
وقد كان دهراً واصلاً لى بوُدّه ومعروفُه بَعْدُ البَرِيدُ المُفَرَّعُ[5]

(١) ليقفل: ليرجع.
(٢) فى المطبوع. عمر بن أبى سعيد.
(٣) فى المطبوع: عاصم الخثلى.
(٤) فى مخطوط: أستقل.
(٥) المفرع: المجول فى الأرض.

وأعقبنى صُرما على غير إحْنة وبخلاً وقِدْماً كان لى يتبرَّعُ
وغيرَّه ما غيرَّ الناسَ قبلــه فنفسى بما يأتى به ليس تقنعُ

ثم كتبه فى قرطاس وختمه وبعث به مع رجل فدفعه إلى غلامه . فدفعه الغلام إليه فلما قرأه سأل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ قال : لا أعرفه، فأُدخل إليه الرجلُ فقال : من أعطاك هذا الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدرى من هو ولكن صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بيض . فأمر به فضُرب عشرين سوطا على رأسه وأمر له بخمسمائة درهم وكساه وقال : إنما ضربناك أدبا لك ، لأنك حملت كتابا لا تدرى ما فيه، لمن لا تعرفه، فإياك أن تعود لمثلها . قال الرجل: لا والله أصلحك الله لا أحمل كتابا لمن أعرف ولا لمن لا أعرف . قال : احذَرْ فليس كلُّ أحد يصنع بك صنيعى ، وبعث إلى ابن بيض فقال له : أتعرف مالحق صاحبك الرجل ؟ قال : لا ، فحدَّثه مخلد بقصته ، فقال ابن بيض : والله أصلحك الله لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين السوط مع الخمسمائة أبدًا ، فضحك مخلد وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبدا ، قال : أجل والله ولكن من لى بمثلك يُعْتِبنى إذا استعتبته ويفعل بى مثل فعلك ثم قال :

وأبيضَ بُهلولٍ إذا جئتُ داره كفانى وأعطانى الذى جئت أسألُ
ويُعتبنى يوما إذا كنت عاتبــا وإن قلت زِدْنى قال حقا سأفعلُ
تراه إذا ما جئتَــه تطلب النــدى كأنك تعطيه الذى جئتَ تسألُ
فلله أبناءُ المهلَّب فتيـــــة إذا لَقِحَتْ حربٌ عَوانٌ تأكّلُ
همُ يَصطلون الحربَ والموتُ كاتع بسُمْر القنا والمَشْرَفِيَّةُ عُسَّلُ[١]
ترى الموت تحت الخافقات أمامهم إذا وردوا عَلّوا الرماحَ وأنهلوا
يجودون حتى يحسب الناسُ أنهمْ بجودهمُ نذْرٌ عليهم مُحَلَّلُ
غيوث لمن يرجو نداهمْ وجودهمْ سِمَامٌ لأقوام لُحاةٍ يُشَمَّلُ[٢]

(١) كاتع : مشمر مجد . والمشرفية : السيوف . وعسل : مهتزة مضطربة . ولعل العجز أيضا : « بسمر القنا والمشرفية من عل » .

(٢) اللحاة : العيابون والسبابون . ويشمل : أى سم ينقع حتى يختمر .

كفاك من ابناء المهلب أنهم إذا سئلوا المعروف لم يتبسَّلوا[١]
فذلك ميراث المهلَّب إنه كريم نماه للمكارم أوّلُ
جرى وجرت آباؤه فتحرَّزوا من الذَّمّ في عَيطاء لا تُتَوَقّل[٢]

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وقال: نزيدك ما زدتنا ونُضعف لك فقال:

أمخلدُ لم تترك لنفسي بُغْيَةً وزدتَ على ماكنتُ أرجو وآملُ
فكنت كما قد قال مَعْنٌ فإنه بصيرٌ بما قد قال إذ يتمثّلُ
وجدتُ كثيرَ المال إذْ ضَنَّ مُعدِماً يُذَمُّ ويلحاه الصديق المُؤمَّلُ
وإن أحق الناس بالجود من رأى أباه جواداً للمكارم يَجْذَلُ[٣]
تَرُبُّ الذى قد كان قَدَّم والدٌ أغرٌّ إذا ماجئته يتهلّلُ
وجدتَ يزيداً والمهلّبَ برَّزا فقلتَ فإني مثلَ ذلك أفعلُ
ففزتَ كما فازا وجاوزْتَ غايةً يُقَصِّرُ عنها السابق المُتَمَهِّلُ[٤]
فأنت غياث لليتامى وعصمةٌ إليك جمالُ الطالبي الخير تُرْحَلُ
أصاب الذى رجَّى نداك مُخيلةً تَصُبُّ عزَاليها عليه وتَهطلُ[٥]
ولم تُلْفَ إذ رجَّوْا نوالك باخلا تظلُّ على المعروف والمال تَعْقِلُ[٦]
وموتُ الفتى خيرٌ له من حياته إذا كان ذا مال يَضِنُّ ويبخلُ

فقال له مخلد: احتكم، فأبى، فأعطاه ألفي دينار وجارية وغلاما وبرذونا.

(١) تبسلوا: عبسوا غضبا.
(٢) لا تتوقل: لا تصعد. والعيطاء: المستطيلة في السماء.
(٣) يجذل: يفرح ويهش. وفي المطبوع: يجزل وهي من أجزل العطاء.
(٤) لعلها: «المتعجل» فهي أنسب.
(٥) المخيلة: السحابة. المنذرة بالمطر. والعزالي: مصبات الماء من القرب ونحوها. وصبت السحابة عزاليها: إشارة إلى شدة وقع مطرها.
(٦) تعقل: تشده بحبل. وفي مخطوط: تفضل.

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنى قال :

كان حمزة بن بيض شاعرا ظريفا ، فشاتم حمّاد بنَ الزّبرقان وكان من ظرفاء أهل الكوفة ، وكلاهما صاحب شراب ، وكان حمّادٌ يُتهم بالزندقة ، فمشى الرجال بينهما حتّى اصطلحا ، فلخلا يوما على بعض ولاة الكوفة فقال لابن بيض : أراك قد صالحت حمّادا ، فقال ابن بيض : نعم أصلحك الله ، قد صالحته على أن لا آمره بالصلاة ولا ينهانى عنها .

أخبرنى محمد بن زكريا قال : حدثنا قَعنب بن المُحرز الباهلىّ قال : حدثنى الهيثم بن عدى قال :

قدم حمزة بن بيض البصرة زائرا لبلال بن أبى بُردة بن أبى موسى ، وبينهما مودة منذ الصبا ، فطال مُقامه عنده ، فاشتاق إلى أهله وولده فكتب إلى بلال :

كلّتْ رِحالى وأعوانى وأحراسى ... إلى الأمير وإدلاجى وأملاسى[1]
إلى امرىء مُشبَعٍ مجداً ومكرمة ... غادِيةٌ فهو حالٍ منهما كاسِي
فلستُ منك ولا مما مُنيتُ به ... من وَصل ودّك كالمرمىّ فى الراسِ
إنى وإياك والإخوانَ كلّهمَ ... فى العسر واليسر لو قيسوا بمقياس
وذاك مما ينوب الدهرُ من حدثٍ ... كالورْد فى المثل المضروب والآس
يَبيد هذا فيَبلى بعد جِدّتِهِ ... غضّاً وآخره رهن بإيناس
وأنت لى دائمٌ باقٍ بشاشتُهُ ... يهتزٌّ لاعودُهُ عشٌ ولا عاسِي[2]

فعجّل له بلال صلته وسرّحه إلى الكوفة .

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا إسحاق بن محمد النَّخَعى قال : حدثنا أبو المُعارك الضَّبى قال : حدثنى أبو مسكين قال :

---

(١) أملاسى : سوق الشديد : جمع ملس .

(٢) عش : نحيل ضامر . والعاسى : الجافى .

دخل حمزة بن بيض على سليمان بن عبدالملك ، فلما مَثَل بين يديه أنشأ يقول :

رأيتك فى المنام شَنَنْتَ خزًا عليَّ بنفسجا وقضيتَ دَيْنى [١]
فصدِّقْ يا فَدَتْكَ النفسُ رُؤْيا رأتْها فى المنام لديْكَ عَيْنى

قال سليمان : يا غلام أدخله خزانة الكُسوة واشنُنْ عليه كلَّ ثوب خزٍّ بنفسجيّ نيا ، فخرج كأنه مِشْجَبٌ ثم قال له : كم دينك ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فأمر له بها .

صوت

من سرَّه ضربٌ يُرَعْبِلُ بعضُه بعضًا كمعمعة الأبَاء المحرَقِ [٢]
فليأْتِ مأسَدَةً تُسَنّ سيوفُها بين المَذَادِ وبين جِزْعِ الخندق [٣]

ويروى : يُمعمع بعضه بعضا ، والمعمعة : اختلاف الأصوات وشدة زَجَلها ، والمأسدة : الموضع الذى تجتمع فيه الأسد ، وتُسَن : تحد، يقال سيف مسنون ، والمذادُ : موضع بالمدينة ، والخندق يعنى به الخندق الذى احتفره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه حول المدينة .

والشعر لِكَعْبِ بن مالكٍ الأنصاريّ والغناء لابن محرز خفيف رمل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو .

(١) شننت : صببت .
(٢) رعبله : شققه لتصل النار إليه أو مزقه . والأباء : من أنواع الشجر .
(٣) ضبطت « جزع » فى معجم البلدان « جذاد » بفتح الجيم .

أخبار كعب بن مالك ونسبه

هو كعب بن مالك بن أبي كعب واسم أبي كعب عمرو بن القَيْن بن سَوَاد – وقيل القين بن سوار ، [هكذا قال ابن الكلبي – بن غنم بن كعب بن سلِمة ابن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة [1] بن يزيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ابن الغوث .

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعدودين ، وهو بَدْرِيّ عَقَبِيّ . وأبوه مالك بن أبي كعب بن القين شاعر ، وله في حروب الأوس والخزرج التي كانت بينهما قبل الإسلام آثار وذكر – وعمه قيس بن أبي كعب شهد بدرا وهو شاعر أيضا ، وهو الذى حالف جُهينة على الأوس – وخبره يذكر في موضعه بعد أخبار كعب ابنه ؛ ولكعب بن مالك أصل أصيل وفرع طويل في الشعر ، ابنه عبد الرحمن شاعر ، وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر ، ومعن بن عمر بن عبد الله بن كعب شاعر [والزبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر] وعبد الرحمن بن عبد الله [بن كعب أبو الخطاب] شاعر ، ومعن بن وهب [2] بن كعب شاعر ، وكلهم مُجيد مقدَّم .

وعُمِّر كعبُ بن مالك ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا كثيرا ، وكلُّ بني كعب بن مالك قد رووا عنه الحديث .

فمما رواه ابن ابنه بشير عن أبيه عنه ، حدثني أحمد بن الجعد قال : حدثنا

(١) في المطبوع : سادرة ، وفي مخطوط : شاردة . والتصويب من الاشتقاق ص ٢٧٢ ومن الإصابة ترجمة كعب بن مالك .

(٢) في المطبوع : بن زهير . وانظر الاشتقاق ٢٧٥ .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا أحمد بن عبد الملك قال : حدثنا عتَّاب [1] بن سلمة عن إسحاق بن راشد . عن الزهرى قال :

كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه ، أن كعب بن مالك كان يحدث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده لكأنما تَنْضَحونهم بالنبل بما تقولون لهم من الشعر.

ومما رواه عنه ابنه عبد الله ، أخبرنى أحمد بن الجعد قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا بكر بن عبد الرحمن قال: حدثنى عيسى بن المختار ، عن ابن أبي ليلى ، عن إسماعيل بن أمية ، عن محمد بن مسلم :

عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى المغرب ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يبصرون مواقع النبل حين يرمون .

ومما رواه ابنه محمد ، حدثنى أحمد بن الجعد [2] قال : حدثنى أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا محمد بن سابق قال : حدثنا إبراهيم بن طَهْمان ، عن أبي الزبير :

عن محمد بن كعب ، عن أبيه ، أنه حدثه : أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعثه وأَوْسَ بن الحَدَثانِ أيام التَّشريق ، فنادى : إنه لا يدخل الجنة إلاّ مؤمن وأيامُ مِنى أيام أكل وشرب .

وكان كعب بن مالك عثمانيا ، وهو أحد من قعد عن على بن أبي طالب عليه السلام فلم يشهد حروبه، وخاطبه فى أمر عثمان وقتلِه خطابا نحن نذكره بعد هذا فى أخباره ، ثم اعتزله ، وله مراثٍ فى عثمان بن عفان رضى الله عنه ،

(١) فى المطبوع غياث . هذا ولم أجد فى تهذيب التهذيب ولا لسان الميزان اسم عتاب بن سلمة ولا غياث ولا عناب . وفى ترجمة إسحاق بن راشد أن ممن رووا عنه : عتاب بن بشير .

(٢) فى مخطوط : أحمد بن محمد بن الجعد .

وتحريض للأنصار على نصرته قبل قتله ، وتأنيب لهم على خذلانه بعد ذلك، منها قوله :

فلو حُلتمُ منْ دونه لم يزَل لكم ... مدى الدهرعزٌلايبوخ ولايَسْرِى[١]
ولم تقعدوا والدارُ كابٍ دُخانها ... يُحَرَّقُ فيها بالسعير وبالجمرِ
فلم أربوما كان أكثر ضِيقةً ... وأقرب منه للغواية والنُّكْرِ

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعى قال : حدثنا أبوغسان دماذ ، عن أبى عبيدة قال :

كان كعب بن مالك الأنصارى أحد من عاون عثمان على المِصريِّين وشهر سلاحه، فلما ناشد عثمانُ رضى الله عنه الناسَ أن يُغمدوا سيوفهم انصرف ، ولم ير أن الأمر يَخلُص إليه ولا يجرى القوم إلى قتله ، فلما قتل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنشدهم قوله :

من مبلغُ الأنصارِ عَنِّى آية ... رُسُلاً تقص عليهم التِّبيانا
أنْ قد فعلتم ْ فَعلةً مذكُورةً ... كَسَت ِالفُضوحَ وأبدت الشنآنا[٢]
بقعودكم فى داركمْ وأميركمْ ... يُغْشَى ضواحى داره النيرانا
بَيْنا يُرَجِّى دفعكمْ عن داره ... مُلئت حريقا كابِيا ودخانا
حتى إذا خلَصوا إلى أبوابه ... دخلوا عليه صائما عطشانا
يُعْلُون قُلَّتَه السيوفَ وأنتمُ ... متلبِّثون مكانكم رِضْوانا[٣]
الله يعلم أننى لم أرضــــه ... لكمُ صَنيعا يوم ذاك وشانا
يا لهف نفسى إذ يقول ألا أرى ... نفرًا من الأنصار لى أعوانا
واللهِ لو شهد ابنُ قيس ثابتٌ ... ومعاشرٌ كانوا له إخوانا

[يعنى ثابت بن قيس بن شمّاس] :

---

(١) لا يبوخ : لا يخمد .

(٢) فى مخطوط : وأبدت الذلان . والذلان : الأذلة .

(٣) فى مخطوط : صوانا .

وأبو دُجانة وابن أقرم ثابتٌ وأخو المشاهد من بنى عَجْلانا
ورفاعةُ العمرىُّ وابن مُعاذهم وأخو مُعاوِىَ لم يَخِفْ خِذلانا
قوم يرون الحق نَصْرَ أميرهم ويرون طاعة أمــره إيمانا

أبو دُجانة: سِماكُ بنُ خَرَشة ، وابن أقرم: ثابتٌ البَلوىّ، وأخو المشاهد من بنى عجلان: معنُ بن عدى بن الجدّ عقبىّ ، ورفاعةُ العمرىُّ: رفاعة بنُ عبد المنذر العمرىّ، وابن معاذ: سعدُ بن معاذ ، وأخو معاوية: المنذر بن عمرو الساعدى عقبىّ بَدْرِىّ ، قال :

إن يُتركوا فوضى يروا فى دينهم أمرًا يُضيِّق عنهم البــلدانا
فَلَيُعْلِيَنَّ اللهُ كعبَ وليِّه وليجعلنّ عدوَّه الذُّلّانا
إنى رأيت محمــدا إختاره صِهْرًا وكان يَعدُّه خُلْصَانا
مَحْضَ الضرائب ماجدًا أعراقُه من خير خِنْدِفَ منصِبا ومكانا
عرفَتْ لهُ عُلْيا معدّ كلّها بعد النبى المُلْكَ والسُّلطانا
من معشر لايغدرون بجارهمْ كانوا بمكةَ يرتعون زمانا
يُعطون سائلهم ويأمن جارُهمْ فيهم ويُرْدُون الكُماةَ طِعانا
فلَوَ انكم معْ نصركمْ لنبيكمْ يوم اللقاء نصرتُمُ عثمانا
أنسيتمُ عــهد النبى إليــكمُ ولقد ألظَّ ووكّد الأيمانا(١)

قال : فجعل القوم يبكون ويستغفرون الله عز وجل .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلّبى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أبو عامر ، عن ابن جُرَيْج ، عن هشام بن عروة عن أبيه قال :

رجز راجز من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

لم يَغْذُها مُدّ ولا نَصيفُ ولا تُميراتٌ ولاتَعجيفُ

(١) ألظ : ألح .

لكنْ غذاها اللبن الخَرِيفُ والمخض والقارِصُ والصَّرِيفُ

قال فأُحفِظت الأنصار حيث ذكر المُدَّ والتمر فقالوا لكعب بن مالك : انزلْ فنزل فقال :

لم يغذُها مدّ ولا نصيف لكن غذاها الحنظل النقيفُ[١]
ومَذْقة كطُرَّة الخنيفِ[٢] ينبت بين الزَّرْب والكَنِيفِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اركبا .

أخبرنى الجوهرى والمهلَّبى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا هَوْذة ابن خليفة قال : حدثنا عوف ، عن محمد بن سيرين فى حديث طويل قال :

كان يهجوهم - يعنى قريشا - ثلاثةُ نفر من الأنصار يجيبونهم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رَواحة ، وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم إلى الكفر ،ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر ، فكان فى ذلك الزمان أشد شىء عليهم قول حسان وكعب ،وأهون شىء عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة .

أخبرنى الجوهرى والمهلبى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا عبد الله ابن بكر السهمى قال : حدثنى حاتم بن أبى صغيرة قال : حدثنا سِماك بن حرب قال :

أُتِى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : إن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك ،فقام ابن رواحة فقال : يا رسول الله ائذن لى فيه ، فقال : أأنت الذى تقول : فثبّت الله . قال : نعم يا رسول الله أنا الذى أقول :

---

(١) النقيف : المشقوق .

(٢) الخنيف : أردأ الكتان . والمذقة : الشربة من اللبن الممزوج بالماء . شبهها بحاشية ردئ الكتان لتغير لونها وذهابها بالمزج . ويلاحظ أن فى الرجز إقواء ، مالم تسكن القوافى .

فثبَّت الله ما أعطاك من حَسَنٍ   تثبيتَ موسى ونَصْرًا كالذى نصرُوا

فقال : وأنت فعل الله بك مثل ذلك . قال : فوثب كعب بن مالك فقال : يا رسول الله ائذن لى فيه، فقال : أأنت الذى تقول : همَّت . قال : نعم يا رسول الله أنا الذى أقول :

همَّت سَخينة أن تُغالب ربها   وَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاَّب[1]

فقال : أمَا إن الله لم ينس ذلك لك .

أخبرنى الجوهرى والمهلبى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا عبد الله ابن يحيى مولى ثقيف قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد قال : حدثنا مجالد عن الشعبى قال :

لما انهزم المشركون يوم الأحزاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المشركين لن يغزوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم وتسمعون منهم أذى ويهجونكم، فمن يحمى أعراض المسلمين ؟ فقام عبد الله بن رواحة فقال : أنا ، فقال: إنك لحسن الشعر ، ثم قام كعب فقال : أنا ، فقال : وإنك لحسن الشعر .

حدثنى الجوهرى والمهلبى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى محمد بن منصور قال : حدثنى سعيد بن عامر قال : حدثنى جُوَيْرية بن أسماء قال :

بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أمرتُ عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت حسانَ فشفى واشتفى .

حدثنى الجوهرىّ والمهلبىّ قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أحمد بن عيسى ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث أن يحيى بن سعيد حدثه ، عن عبد الله بن أنيس عن أُمه — وهى بنت كعب بن مالك .

أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على كعب [وهو فى مسجد رسول الله صلى

(١) سخينة : لقب قريش لأنها كانت تعاب بأكل السخينة . ورواية اللسان « سخن » زعمت سخينة أن ستغلب ربها .

الله عليه وآله وسلم] وهو ينشد ، فلما رآه كأنه انقبض، فقال: ما كنتم فيه ؟ فقال كعب : كنت أنشد . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنشِد . فأنشد حتى أتى على قوله :

مقالَتُنا عن جِذْمِنا كلُّ فخمة[1]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقل : مقالتنا عن جذمنا ، ولكن قل مقالَتنا عن ديننا [2] .

قال أبو زيد : وحدثنى سعيد بن عامر قال : حدثنا ابن عَوْن ، عن ابن سيرين قال :

وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب كعب بن مالك فخرج [فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنشِد] فأنشده، ثم قال : إيه، فأنشده ، ثم قال : إيه . فأنشده ؛ ثلاث مرات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لَهذا أشدّ عليهم من وقع النبل .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن منصور الرَّبَعىُّ وذكر له إسنادًا شاميًّا ، هكذا قال ابن عمار فى الخبر ، وذكر حديثا فيه طول لحسان بن ثابت والنعمان بن بشير [وكعب بن مالك، فذكرت منه ما كان لكعب قال :

لما بُويع على بن أبى طالب عليه السلام بلغه عن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير] وكانوا عثمانية ، أنهم يقدمون بنى أمية على بنى هاشم ويقولون : الشام خير من المدينة واتصل بهم أن ذلك قد بلغه ، فدخلوا عليه فقال له كعب بن مالك : ياأمير المؤمنين أخبرْنا عن عثمان ، أقُتل ظالما فنقولَ بقولك ؟ أو قتل مظلوما فتقولَ بقولنا ؟ أم نكلك [3] إلى الشبهة فيه ؟ فالعجب من يقيننا

(١) الجذم : الأصل . (٢) فى مخطوط : مقاتلنا .

(٣) فى المطبوع : ونكلك .

وشكك ، وقد زعمت العرب أن عندك علمَ ما اختلفنا فيه فهاتِه نعرفه ثم قال :

وكفّ يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أنّ الله ليسّ بغافلِ
وقال لمن فى داره لا تقاتلوا ... عفا الله عن كلّ امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صبّ عليهمُ الـ ... عداوة والبغضاء بعد التَّوَاصُلِ
وكيف رأيت الخير أدبر عنهمُ ... وولّى كإدبار النعام الجوافل

فقال لهم علىّ عليه السلام : لكم عندى ثلاثة أشياء : استأثر عثمان فأساء الأثَرَة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة . فقالوا : لاترضى ذلك العرب ولا تَعْذِرُنا به ، فقال علىّ عليه السلام : أتردّون علىّ بين ظهرانى المسلمين بلا بينة صادقة ولا حجة واضحة ؟ اخرُجوا عنى فلا تجاورونى فى بلد أنا فيه أبدا ، فخرجوا من يومهم فسار وا حتى أتوا معاوية ، فقال لهم : لكم الكفاية والولاية . فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار ، وكعب بن مالك ألف دينار وولّى النعمان بن بشير حمص ، ثم نقله إلى الكوفة بعد .

أخبرنى عمى قال : حدثنا أحمد بن الحارث قال : حدثنا المدائنى ، عن عبد الأعلى القرشى قال :

قال معاوية يوما لجلسائه : أخبرونى بأشجع بيت وصف به رجلٌ قومه ، فقال له روح بن زنباع : قول كعب بن مالك :

نَصِلُ السيوفَ إذاقَصُرْنَ بخطونا ... يوما ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَق

فقال له معاوية : صدقت .

[مالك بن أبي كعب]

وأما أبوه مالك بن أبي كعب ، أبو كعب بن مالك ، فإني أذكر قبل أخباره شيئا مما يغنى فيه من شعره ، فمن ذلك قوله :

صوت

لعمرُ أبيها لاتقول حليلتى ... ألا فرّعنى مالكُ بنُ أبى كَعْب
وهم يضربون الكَبْش يَبرُق بيضُه ... ترى حوله الأبطال فى حَلَق شُهْبِ

الشعر لمالك بن أبى كعب ، والغناء لمالك ثقيل أول بالبنصر عن يونس والهشامى ، وفيه لإبراهيم خفيف بالوسطى وثانى ثقيل بالوسْطى جميعا عن الهشامى وزعم ابن المكى أن خفيف الثقيل هو لحن مالك .

وهذا الشعر يقوله مالك بن أبى كعب فى حرب كانت بينه وبين رجل من بنى ظَفَر يقال له بَرْذَع بن عَدِىّ ، وكان السبب [فى ذلك] فيما ذكره جعفر العاصى عن عُيينة بن المِنْهال ، ونسخته من كتاب أعطانيه علىّ بن سليمان الأخفش أنّ رجلا من طيئ قدم يثربَ بإبل له يبيعها ، فنزل فى جوار برذع ابن عدىّ أخى بنى ظَفَر ، فباع إبله واقتضى أثمانها ، وكان مالك بن أبى كعب ابن القين أخو بنى سَلِمة اشترى منه جملا ، فجعله ناضِحا [1] ، فطله مالك بن أبى كعب بثمن جمله ، وحضر شُخوصُ الطائىّ [2] ، فشكا ذلك إلى برذع ، فمشى معه إلى منزل مالك ليكلمه أن يوفيه ثمن جمله أو يردّه عليه ، فلم يجد مالكا فى منزله ووجد الجمل باركا بالفِناء ، فبعَثه برذع وقال للطائى : انطلق بجملك ، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا فى دار النَّبيت فأمِنا ، فارتحل الطائى بالجمل إلى بلاده ، وبلغ مالكا ما صنعه برذع ، فكره أن يُنشِب بين قومه وبين النبيت حربا ، فكفّ وقد أغضبه ذلك ، وجعل يُسفِّهُ برذعا فى جُرْأته عليه وما صنع ، فقال برذع بن عدى فى ذلك :

---

(١) الناضح : البعير يستقى عليه .
(٢) أى حان وقت سفره .

أمِنْ شحْطِ دارٍ من لُبابة تجزعُ ... وصَرْفُ النوى مما يُشتِّتُ ويجمعُ
وليس بها إلا ثلاثٌ كأنها ... مُسَفَّعةٌ أوقد علاهن أبْدُع [1]
قد اقترَبت لو كان فى قرْب دارها ... حِذاءٌ ولكن قد تضر وتنفع [2]
وكان لها بالمنحَنى وجنُوبِهِ ... مَصيف ومشتًى قبل ذاك ومَرْبعُ
أتانى وَعيدُ الخزرجىّ كأنّنى ... ذليلٌ له عند اليهودىّ مُضْرَعُ
متى تلقَنى لا تلق نُهزَةَ واحدٍ ... وتعلمْ بأنى فى الهزاهز أرْوعُ
معى سَمْحةٌ صفراءُ من فرع نَبعة ... ولَـيْنٌ إذا مسّ الضَّريبةَ يقطعُ
ومُطّردٌ لَدْنٌ إذا هُزَّ مَتْنُه ... متين كخُرْص الذابلات وأهزع [3]
فلا وإلهى لا يقول مجاورى [4] ... ألا إننى قد خاننى اليوم بَرْذَعُ
وأحفظ جارى أن أُخاتل عِرْسه ... ومولاىَ بالنَّكْراء لا أتطلّعُ
وأجعل مالى دون عرضىَ إنه ... على الوَجْدِ [5] والإعدام عِرض مُمنّعُ
وأصبِر نفسى فى الكريهة إنه ... لذى كلّ جنبٍ مُستقرّ ومَصرَعُ
وإنى بحمد الله لا ثوبَ فاجرٍ ... لبستُ ولا من خِزْيَةٍ أتقنّعُ

فأجابه مالك بن أبى كعب فقال :

صوت

هل للفؤادِ لدى شَنْباءَ تنويلُ ... أم لا نوالَ فإعراض وتَحْميلُ
إن النساء كأشجار نَبَتْنَ معا ... منهن مُرٌّ وبعض المُرّ مأكولُ

---

(١) المسفعة : التى لفحتها السموم فغيرت لون وجهها . والأبدع لعلها جمع بديع ، ومن معانيه : السقاء والزق .

(٢) الحذاء : الإعطاء . وفى مخطوط : قد تضن .

(٣) الخرص : الحلقة تطيف بأسفل السنان . والذابلات : الرماح . والأهزع : آخر سهم فى الكنانة ، وهو خير السهام تدخره للشدة .

(٤) فى مخطوط : محاربى .

(٥) الوجد : الغنى . وفى مخطوط : الجود .

إن النساء ولو صُوِّرن من ذهب فيهن من هفوات الجهل تَخْييلُ

الغناء لسُلَيم هزج بالوسطى عن الهشامى وبَذْل :

إنك إن تَنْهَ إحداهنّ عن خلق فإنه واجب لا بدّ مفعولُ
ونعجةٍ من نعاج الرمل خاذلةٍ [1] كأنّ ماقِيَها بالِحبرِ مكحولُ
ودّعتها فى مُقامى ثم قلت لها حيَّاكِ ربك إنى عنك مشغولُ
وليلةٍ من جُمادى قد سَرَيْتُ بها والزّقّ بينى وبين الروح معدولُ
ومُرْجَحِنّ على عَمدٍ دلفتُ به كأنه رجل فى الصف مقتولُ
ولا أهابُ إذا ما الحرب حرّشها الأ بطال واضطربت فيها البهاليلُ
أمضِى أمامَهمُ والموتُ مُكْتنِعٌ [2] قُدْماً إذا ماكَبا فيها التنابيلُ
علىّ فضفاضةٌ كالنِّهْى [3] سابغةٌ وصارمٌ مثلُ لون الملْحِ مصقولُ
ولدْنَةٌ فى يدِى سمراءُ ثَعْلبُها [4] بعاملٍ كشهاب النار موصولُ
إنى من الخزرج الغرّ الذين همُ أهلُ المكارم لا يُلْفَى [5] لهم جِيلُ
فى الحرب أنهَلَ منهم للعدوّ إذا شُبَّتْ وأعظم نَيلا إن همُ سِيلوا
أشبهتُ من والدى عِزّاً ومكرمةً وبرذعٌ مدْغمٌ فى الأوس مجهولُ
نُبِّئْته يدّعى عِزّاً ويُوعدنى فِرْكا [6] وعندى له بالسيف تنكيل

قال : ثم إن مالك بن أبى كعب خرج يوما لبعض حاجته، فبينا هو يمشى وحده إذ لقيه برذع ومعه رجلان من بنى ظَفَر ، فلما رأوا مالكا أقبلوا نحوه ، فبدرهم مالك إلى مكان من الحرّة كثير الحجارة مشرفٍ ، فقام عليه وأخذ فى يده

(١) خاذلة : مقيمة على ولدها .
(٢) مكتنع : دان مقترب .
(٣) النهى : الغدير شبه به الدرع فى تموجه .
(٤) الثعلب : طرف الرمح الداخل فى جبة السنان .
(٥) فى المطبوع : لا يفنى . ولكن رواية المخطوط ترتبط بالبيت بعده .
(٦) الفرك : البغض أو هو هنا بمعنى دلك الشئ حتى ينقلع قشره ويتفتت .

أحجارا ، وأقبلوا حتى دنوا منه فشاتموه وراموه بالحجارة، وجعل مالك يلتفت إلى الطريق التى جاء منها كأنه يستبطىء ناسا ، فلما رآه برذع وصاحباه يكثر الالتفات ظنوا أنه ينتظر ناسا كانوا معه ، وخشوا أن يأتوهم على تلك الحال فانصرفوا عنه ، فقال مالك بن أبى كعب فى ذلك :

لعمر أبيها لا تقول حليلتى ... ألا فرَّ عنى مالكُ بن أبى كعبِ
أقاتل حتى لا أرى لى مقاتلا ... وأنجو إذا غُمَّ الجبان من الكرب[1]
أبَى لىَ أن أعطى الصِّغارَ ظُلامةً ... جدودى وآبائى الكرام أولو السلب[2]
همُ يضربون الكبشَ يبرُق بيضُه ... ترى حوله الأبطال فى حَلَق شُهب
وهمْ أورثونى مجدهمْ وفعالهمْ ... فأُقسم لا يُزرى بهم أبدا عَقْبى

ويروى : لا يخزيهمُ :

وأرعى لجارى ما حييت ذِمامه ... وأعرف ما حقُّ الرفيق على الصَّحْبِ
ولا أُسمع النَّدمانَ شيئا يَريبُه ... إذا الكأس دارتْ بالمُدام على الشَّرْبِ
إذا ما اعترى بعضُ الندامى لحاجة ... تقول[3] له أهلا وسهلا وفى الرُّحْبِ
إذا أنفدوا الزِّقَّ الرَّوِىَّ وصُرِّعوا ... نشاوى فلم أقطَعْ بقولى لهم حَسْبى[4]
بعثتُ إلى حانوتها فاستبأتُها ... بغير مِكاسٍ فى السُّوام ولا غَصْبِ
وقلتُ اشربوا رِيًّا هنيئاً فإنها ... كماء القَلِيب فى اليسارة والقُرْبِ
يُطافُ عليهم بالسَّدِيف وعندهم ... قِيانٌ يُلهِّينَ المزاهرَ بالضَّرْبِ[5]
فإن يصبر والى الدهرَ أصبرْهمُ بها ... ويَرحُبْ لهم باعى ويغزُرْ لهم شِرْبى
وكان أبى فى المَحْلِ يُطعم ضيفه ... ويُروى نداماه ويصبر فى الحَرْب
ويمنع مولاه ويُدرِكُ تَبْلَهُ ... ولو كان ذاك التَّبْلُ فى مطلب صَعْبِ[6]

(١) فى المطبوع : وأدعو إذا غم . ولعلها : وأدعى . (٢) فى مخطوط .
أبى لى أن أعطى ظلامة معشرى جدودى وآبائى الكرام أولو الشغب
(٣) فى مخطوط : فقولى .
(٤) أى لم أقطع عليهم نشوتهم بقولى لهم كفانى ذلك .
(٥) السديف : شحم السنام . (٦) التبل : الثأر .

إذا ما منعتُ المال منكم لثروةٍ   فلا يُهنِئني مالى ولا يَنمِ لى كسبى

وقد روى أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبى كعب لرجل من مراد يقال له مالك ابن أبى كعب ، وذُكر له خبر فى ذلك .

أخبرنى به محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدثنى العمرى ، عن الهيثم بن عدى ، عن عبد الله بن عياش ، عن مجالد ، عن الشَّعبى قال :

كان رجل من مراد يكنى أبا كعب ، وكان له ابن يدعى مالكا وبنت يقال لها طُرَيْفَة ، فزوج ابنه مالكا امرأة من أرْحَبَ ، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب فقالت الأرحبيَّة لمالك : إنى قد اشتقْتُ إلى أهلى ووطنى ، ونحن هاهنا فى جدبٍ وضيقِ عيش ، فلو ارتحلت بأهلك وبى فنزلتَ على أهلى لكان عيشُنا أرغدَ وشملُنا أجمعَ ، فأطاعها وارتحل بها وبأمِّه وبأخته إلى بلاد أرحب ، فمرَّ بحىٍّ بينهم وبين أبيه ثأر ، فعرفوا فرسه فخرجوا إليه وأحدقوا به ، وقالوا له : استسلم وسلِّم الظعينة ، فقال : أمَّا وسيفى بيدى وفرسى تحتى فلا . وقاتلهم حتى صُرِع ، فقال وهو يجود بنفسه :

لعمر أبيها لا تقول حليلتى   ألا فرَّ عنى مالك بن أبى كعب

وذكر باقى الأبيات التى تقدم ذكرها قبل هذا الخبر .

قال أبو الفرج الأصفهانى : وأحسب هذا الخبر مصنوعا وأن الصحيح هو الأول .

صوت

خُبِّرْتُ أمرَيْن ضاع الحزم بينهما   إما الضَّياعُ وإمَّا فتنةٌ عَمَمُ

فقدْ هَمَمْتُ مرارا أن أُساجلهمْ   كأسَ المنيَّةِ لولااللهُ والرَّحِمُ

الشعر لعيسى بن موسى الهاشمى ، والغناء لمُتَيَّم الهاشمية خفيف رمل من روايتى ابن المعتز والهِشامىّ .

أخبار عيسى بن موسى ونسبه

عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وقد مضى فى عدة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسبُ هاشمٍ إلى أقصى مدى الأنساب ، وأمه وأم سائر إخوته وأخواته أمُّ ولد .

وعيسى ممن ولد ونشأ بالحُمَيمة من أرض الشام . وكان من فحول أهله وشجعانهم وذوى النجدة والرأى والبأس والسُّؤْدَد منهم . وقبل أن أذكر أخباره فإنى أبدأ بالرواية فى أن الشعر له ، إذ كان الشعر ليس من شأنه ، ولعلّ مُنكِرًا أن ينكر ذلك إذا قرأه .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى وعمى قالا : حدثنا عبد الله بن أبى سعد . ورأيت هذا الخبر بعد ذلك فى بعض كتب ابن أبى سعد، فقابلت به ماروَياه فوجدته موافقا . قال ابن أبى سعد : حدثنى علىّ بن الصَّباح قال : حدثنى أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال :

لما خلَع أبو جعفرٍ عيسى بنَ موسى وبايع للمهدى قال عيسى بنُ موسى :

خُيِّرْتُ أمرين ضاع الحزم بينهما ... إمّا صَغار وإما فتنة عَمَمُ

وقد هممتُ مرارًا أن أُساقيهم ... كأسَ المنيَّة لولا اللهُ والرَّحِمُ

ولو فعلت لزالت عنهمُ نِعَمٌ ... بِكُفْرِ أمثالها تُستَنْزل النِّقَمُ

على هذه الرواية فى الشعر روَى من ذكرتُ ، وعلى ما صدَّرت من الخلاف فى الألفاظ يُغَنّى .

أنشدني طاهر بن عبد الله الهاشميّ قال : أنشدني ابن بريهة [١] المنصوري هذه الأبيات ، وحكى أن ناقداً خادمَ عيسى كان واقفا بين يديه ليلةَ أتاه خبرُ المنصور وما دبّرَه عليه من الخَلْع ، قال : فجعل يتململ على فراشه ويُهمهم ، ثم جلس فأنشد هذه الأبيات ، فعلمت أنه كان يُهمهم بها ، وسألت الله أن يُلهمه العزاءَ والصبر على ما جرى شفقةً عليه .

قال ابن أبي سعد في الخبر الذي قدمت ذِكْرَهُ عنه : وحدثني محمد بن يوسف الهاشمي قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحيم قال : حدثتني كَلْثَم بنت عيسى قالت :

قال موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس : رأيت في المنام كأني دخلت بستانا فلم آخذ منه إلا عنقودا واحدا ، عليه من الحب المتراصف [٢] ما الله به عليم . فوُلد له عيسى بن موسى ، ثم ولد لعيسى من قد رأيت.

قال ابن أبي سعد في خبره هذا : وحدثني عليّ بن سليمان [٣] الهاشمي قال : حدثني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك مولى عيسى بن موسى قال : حدثني أبي قال :

كنا مع عيسى لما سكن الحيرة ، وأرسل إليّ ليلة من الليالي فأخرجني من منزلي ، فجئت إليه فإذا هو جالس على كرسيّ فقال لي : يا عبد الرحمن لقد سمعت الليلة في داري شيئا ما دخل سمعي قط إلا ليلةً بالُحميمة والليلةَ ، فانظر ما هو ، فدخلت أستقرى الصوتَ فإذا هو في المطبخ ، وإذا الطباخون قد اجتمعوا وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعُود ، فكَسَرتُ العود وأخرجت الرجل وعدت إليه فأخبرته ، فحلف لي أنه ما سمعه قط إلا تلك الليلة بالحميمة وليلته هذه.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا : حدثنا الزبير بن بكار قال :

---

(١) في المطبوع : أنشدني بريهة .

(٢) المتراصف : المنضم بعضه إلى بعض . وفي مخطوط : الحب المنصف ، ولعله يراد به ما لون بعضه وبعضه لم يلون .

(٣) في مخطوط : علي بن مسلم .

حدثنا عبد الله بن محمد بن المنذر ، عن صفية بنت الزبير بن هشام بن عروة ، عن أبيها قال :

كان عيسى بن موسى إذا حجّ يحجُّ ناس كثير من أهل المدينة يتعرضون لمعروفه فيصلهم ، قالت : فر أبي بأبي الشّدّاد الفزّارى وهو ينشد بالمصلى :

عصابةٌ إنْ حجّ موسى حجُّوا وإن أقام بالعراق دَجُّوا[1]
قَدْ لَعِقُوا لُعَيْقَةً فَلَجُّوا فالقوْمُ قوْمٌ حجّهم مُعْوَجُّ
ما هكذا كان يكونُ الحجُّ

قال : ثم لقى أبو الشدائد بعد ذلك أبى ، فسلم عليه فلم يَرْدُدْ عليه ، فقال له : مالك يا أبا عبد الله لا ترد السلام علىّ ؟ فقال : ألم أسمعك تهجو حجاج بيت الله الحرام ؟ فقال أبو الشدائد :

إنى ورب الكعبة المبنيَّـــهْ والله ما هجوتُ مِنْ ذى نِيَّةْ
ولا امرئٍ ذى رغبة تَقِيَّهْ لكننى أُرْعِى على البَرِيَّــهْ[2]
مِنْ عصبة أغلَوْا على الرَّعيَّهْ

صوت

آثار ربع قَــدُما أعيا جــوَابا صَمَما
محَتْ عليهــمْ دِيَمٌ بمائها فانهـــدما
كانَ لسُعدى علما فصار وَحْشا رِمَما[3]
أيام سُـــعدى سَقَمٌ وهْىَ تداوى السَّقما

الشعر للرقاشىّ ، و الغناء لابن المكى رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة .

---

(١) دجوا : ساروا سيرا بطيئا ، ويريد أنهم تكاسلوا .

(٢) أرعى : أترحم .

(٣) وحشا : قفرا .

ذكر الرقاشى وأخباره

هو الفضل بن عبد الصمد مولى رَقاشِ ، وهو من ربيعة . وكان مطبوعا سهل الشعر نقىّ الكلام . وقد ناقض أبا نواس . وفيه يقول أبو نواس :

وجدنا الفضلَ أكرمَ من رَقاشِ لأن الفضل مولاه الرسولُ

أَراد أبو نواس بهذا نَفْيَهُ عن ولائه [لا أنه كان] أكرم ممن كان ينتمى ، وذهب أبو نواس إلى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنا مولى من لا مولى له» وذكر إبراهيم بن تميم عن المُعَلَّى بن حُمَيد أن الرقاشى كانَ من العجم من أهل الرَّىِّ وقد مدح الرقاشىُّ الرشيدَ وأجازه ، إلا أن انقطاعه كان إلى آل برمك وأغنوه عمن سواهم .

أخبرنى نصر المهلبى قال : حدثنى أحمد بن يزيد المهلبى قال : حدثنى أبى قال :

كان الفضل الرقاشى منقطعا إلى آل برمك مستغنيا بهم عمن سواهم ، وكانوا يصولون به على الشعراء ، ويُرَوُّون أولادهم أشعاره ويدونون القليل والكثير منها، تعصبا له وحفظا لخدمته وتنويها باسمه وتحريكا لنشاطه ، فحفظ ذلك لهم ، فلما نكبوا صار إليهم فى حبسهم فأقام معهم مدة أيامهم ينشدهم ويسامرهم حتى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر من رثائهم [1] فمن ذلك قوله فى جعفر :

كمْ هاتفٍ بكَ من باكٍ وباكية يا طيبَ للضيف إذ تُدْعى وللجارِ

إن يَعْدَمِ القطرُ كنتَ المزْنَ بارِقُهُ لمعُ الدنانير لا ما خيَّل السارى

وقوله :

(١) من هنا إلى قوله : « أوطار طائر » خلا من بعض النسخ المخطوطة .

لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى إذا لم تُصبه فى الحياة المعايرُ
وما أحد حىّ وإن كان سالما بأسلمَ مما غيَّبته المقابرُ
وَمن كان مِمّا يُحدثُ الدهرُ جازعا فلا بدّ يوما أن يُرى وهو صابِرُ
وليس لذى عيش عن الموتِ مَقْصَرٌ وليس على الأيام والدهر غابرُ[1]
وكلُّ شباب أو جديدٍ إلى البلى وكلُّ امرئٌ يوما إلى الله صائرُ
فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ عَنِّى جعفرًا برُوحى ولو دارتْ علىَّ الدوائرُ
فآليتُ لا أنفكُّ أبكيك ما دعتْ على فَنَنٍ ورقاءُ أو طار طائرُ

[ونَشَر[2] محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط ، حتى نشر منها ، ما كان مَطوِيًّا ، وأذاع منها ما كان مستورا ، وجرى على شاكلته بعدهم ، فكان كالموقوفِ المديح على جميعهم صغيرهم وكبيرهم ، ثم انقطع إلى طاهر [بن الحسين] وخرج إلى خراسان فلم يزل بها معه حتى مات .

وكان مع تقدُّمه فى الشعر ما جنا طَبْعا ، متهاونا بمروءته ودينه ، وقصيدتُه التى يُوصى فيها بالخلاعة والمجون مشهورة سائرة فى الناس ، مبتذلة فى أيدى الخاصة والعامة ، وهى التى أولها :

أوصى الرَّقاشىُّ إلى إخوانِهِ وَصيَّةَ المحمود فى نُدْمانِهِ

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخط الجاحظ فى شعر أبى نَعامة من جملة قصيدة له طويلة يهجو بها جماعة ، ويأتى فى وسطها بقصيدة الرقاشى .

وقال عبد الله بن المعتز : حدثنى ابن ُأبى الخنساء عن أبيه قال :

قال أبو دُلَف[3] :

(١) المقصر : الطريق . والغابر : الماضى .

(٢) من هنا إلى قوله : « أحسبه لبعض جوارى البرامكة » لا يوجد فى المطبوع ولا يوجد فى بعض المخطوطات .

(٣) انظر طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيقنا ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

ناولينى الدِّرْعَ قَدْ طا   لَ عن الحربِ جِمامى[1]
مرَّ لى شهران مُذْ لمْ   أرمِ قوْما بِحِمامِ

فقال الرقاشى يعارضه :

جنبينى الدِّرع قَدْ طا   ل عن القَصْفِ جِمامى
واكْسرى المِطْرَدَ والبَيْـ   ـضة واثْنِى بالحسام[2]
واقْذفى فى لجَّة البحـ   ـرِ بقَوْسى وسِهامى
وبِتُرْسى وبرمحى   وبسرجى ولجامى
واعقِرى مُهرى أصاب اللـ   ـه مُهرى بالصُّدام[3]
أنا لا أطلب أن يُعْـ   ـرف فى الحرب مَقامى
فبحسبى أنْ تَرَيْنِى   بين فتيان كرام
سادةٍ تَغْدو مُجِدِّيـ   ـنَ على حرب المُدامِ
واصْطفاقِ العُودِ والنَّا   يات فى جوف الظلام
هزْمُ أرواحِ دِنانٍ   لم ننلْها باصْطلامِ
نهزمُ الرَّاحَ إذا ما   هَمَّ قوْمٌ بانهزامِ
ثم خَلِّى الطعن والضـ   ـربَ لأجسامٍ وهامِ
لِشَقِىّ قال قَدْ طا   ل عن الحرب جِمامى

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى محمد بن موسى ، عن ابن النطاح قال : توفى العباس بن محمد بن خالد بن برمك بالخُلْدِ ـ والرشيد بالرُّصافة ـ فى يوم جمعة وأُخْرِجت جنازته مع العصر ، وحضر الرشيد والأمين ، وأُخرجت المضارب إلى مقابر البرامكة بباب البَرَدان . وفُرِش للرشيد فى مسجدٍ هناك . وجاء الرشيد فى الحلق بالأعلام والحِراب ، فصلى عليه ووقف على قبره حتى دُفن

(١) الجمام : الاستراحة .
(٢) المطرد : الرمح القصير .
(٣) الصدام : داء فى رءوس الدواب . وهذا البيت وتاليه من طبقات ابن المعتز ، والرواية عنه .

فلما خرج يحيى ومحمد أخواه من القبر قبّلا يد الرشيد وسألاه الانصراف فقال: لا حتى يُسوّى عليه التراب"، ولم يزل قائما حتى فُرِغ من أمره وعزّاهما وأمرهما بالركوب. فقال الرقاشي "يرثى العباس بن [محمد بن] خالد بن برمك[1]:

أتحسبنى باكرتُ بعدك لذّةً ... أبا الفضل أو رفّعتُ عن عاتق سترا
أو انفتحت عيناى بعدُ بنظرةٍ ... أو ادنيتُ من كاسٍ بمشمولة ثغرا
جفانى إذن يوما إلى الليل مؤنسى ... وأضحت يمينى من ذخائرها صِفرا
[ولكنّنى استشعرتُ ثوبَ استكانة ... وبِتُّ كأنّ الموتَ يحفر لى قبرا

غنى فى الأول والثانى من هذه الأبيات الرَّفُّ ثانى ثقيل بالبنصر عن الهشامى وعبدالله ابن موسى، وفيهما لإبراهيم بن المهدى خفيف رمل عن عبد الله بن موسى، وفيه ثقيل أول مجهول أحسبه لبعض جوراى البرامكة][2].

أخبرنى أحمد بن عبدالعزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنى أبو غسان عن عبد العزيز بن أبى ثابت عن محمد بن عبد العزيز:

أن الرقاشى الشاعر فنى فى حب البرامكة حتى خيف عليه.

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال: حدثنى محمد بن موسى، عن إسماعيل ابن مُجمّع عن أحمد بن الحارث، عن المدائنى:

أنه لما دارت الدوائر على آل برمك، وأُمر بقتل جعفر بن يحيى وصلب[3]، اجتاز به الرقاشىّ الشاعر وهو على الجِذع فوقف يبكى أحرّ بكاء، ثم أنشأ يقول:

أما واللهِ لولا خوفُ واشٍ ... وعَيْنٌ للخليفةِ لاتنامُ
لطُفنا حول جِذْعك واستلمْنا ... كما للناس بالحجر استلامُ
فما أبصرتُ قبلك يا ابن يحيى ... حُساما قدّهُ السيفُ الحسامُ

(١) هذه الأبيات نسبها ابن المعتز فى طبقات الشعراء ص ١٥٣ لأبى الهول الحميرى.
(٢) إلى هنا انتهت الزيادة من مخطوط.
(٣) فى مخطوط: أخبرنى محمد بن محمد بن القاسم الأنبارى قال: حدثنى أبى عن أبى عكرمة قال: لما قتل جعفر بن يحيى وصلب... وانظر معجم الشعراء ٣١١.

عَلى اللذات والدنيا جميعا ودولةِ آلِ برمكٍ السلامُ

فكتب أهل الأخبار بذلك إلى الرشيد فأحضره وقال له : ماحملك على ما قلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، كان إلىّ محسنا ، فلما رأيته على الحال التى هو عليها حركنى إحسانه فما ملكتُ نفسى حتى قلت الذى قلته ، قال : وكم كان يجُرى عليك ؟ قال : ألف دينار فى كل سنة ، قال : فإنا قد أضعفناها لكَ .

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى أبو دلف ١ قال : حدثنا الرياشى قال : كان الفضل الرقاشى يجلس إلى إخوان له يحادثهم ويألفونه ويأنسون به ، فتفرقوا فى طلب المعاش وترامت بهم الأسفار ، فمرّ الرقاشىُّ بمجلسهم الذى كانوا يجلسون فيه فوقف فيه طويلا ثم استعبر وقال :

لَوْلا التطيُّرُ قلتُ غيرَ كُمُ رَيْبُ الزمانِ فخنتُمُ عهْدى

دَرَسَتْ معالمُ كنتُ آلفُها من بعدكمْ وتغيَّرَتْ عندى

أخبرنى محمد بن جعفر الصيدلانىُّ النحوىُّ قال : حدثنا محمد بن القاسم ، قال : حدثنى أبو هِفَّان ، عن يوسفَ بنِ الدَّاية قال :

كان أبو نواس والفضل الرقاشى جالسين ، فجاءهما عمرو الوراق فقال : رأيت جارية خرجت من دار آل سليمان بن على ، فما رأيت أحسن منها، هيفاء نجلاء زَجّاء دَعجاء كأنها خُوطُ بانٍ أو جَدْلُ عِنانٍ ، فخاطبتها فأجابتنى بأحلى لفظ وأفصح لسان وأجمل خطاب ، فقال الرقاشى : قد والله عشقتُها ، فقال أبو نواس : أو تعرفها ؟ قال : لا والله ولكن بالصفة ، ثم أنشأ يقول :

صفاتٌ وظَنٌّ أورثا القلب لوعة تَضَرَّمُ فى أحشاءِ قلبٍ مُتَيَّمِ

يُمَثِّلُها نفسى لعينى فأنثنى عليها بطرف الناظر المُتَوَسِّمِ

يُحَمِّلُنِى حبي لها فوق طاقتى من الشوق دأْبَ الحائرِ المُتَقَسِّمِ

(٤) فى المطبوع : بن خلف .

أخبرنى أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى قال: حدثنى محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثنى عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرّانى قال :

قيل لابن دَرّاجٍ الطفيلىّ : أتطفّلُ على الرءوس ؟ قال: وكيف لى بها ؟ قيل : إن فلانا وفلانا قد اشتريا‌ها ودخلا بستان ابن بَزِيع ، فخرج يؤمُّهما فوجدهما قد لوّحا بالعظام ، فوقف عليهما ينظر ثم استعبر وتمثل قول الرقاشى [1] :

آثار ربع قَدُما أعيا جوابى صَمما

---

(١) انظر بقية خبر الرقاشى ص ١٨٨ .

أخبار ابن دراج الطفيلي

وابنُ دَرّاج هذا يقال له عثمان وهو مولى لكندة ، وكان فى زمن المأمون، وله شعر مليح وأدب صالح وأخبار طيبة يجرى ذكرها هاهنا .

أخبرنى الجوهرى ، عن ابن مهرويه [١] عن أبيه قال :

قيل لعثمان بن دَرّاج : أتعرف بستان فلان ؟ قال : إى واللهِ وإنه للجَنّةُ الحاضرةُ فى الدنيا ، قيل له : فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره تحت أشجاره وتسبح فى أنهاره ؟ قال : لأن فيه كلبا لايتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال .

أخبرنى الجوهرى قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا عبد الرحيم بن أحمد ابن زيد الحرّانى قال :

كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطّابى أحد ولد زيد بن الخطاب، فقال له : ويحك إنى أبخل بأدبك وعلمك وأضنُّ [٢] بك عما أنت فيه من التطفيل ، ولى وظيفة راتبة فى كل يوم ، فالزمنى وكن مدعوّا أصلحُ لك مما تفعل فقال : رحمك الله ، أين يُذهَب بك ؟ فأين لذة الجديد وطِيب التنقّل كل يوم من مكان إلى مكان ؟ وأين نَيلك [٣] ووظيفتك من احتفال العروس ؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة ؟ قال : فأمّا إذ أبيتَ فإذا ضاقت عليك المذاهبُ فإنى فَيْئَةٌ لك ، قال : أمّا هذا فنعم ، قال : فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطّابىَّ مولاةٌ له فقالت : جعلتُ فداءك زوّجْتُ ابنتى من ابن عم لها ، ومنزلى بين قوم طُفيليين لا آمنهم أن يَهْجُموا علىَّ فيأكلوا ما صنعت ويبقى

---

(١) فى المطبوع : أخبرنى الجوهرى عن ابن معاوية عن ابن مهرويه .

(٢) فى المطبوع : وعلمك وأصونك وأضن بك .

(٣) فى مخطوط : بناك .

من دعوت ، فَوَجِّهْ معى بمن يمنعهم ، فقال : نعم ، هذا أبو سعيد ، قم معها يا أبا سعيد ، فقال : مُرّى بين يدىَّ وقام وهو يقول :

ضجِّت تميمٌ أنْ يُقاتَلَ عامرٌ يوم النِّسارِ فأُعتِبوا بالصَّيْلَمِ[1]

قال : وقال هذا الخطابى لابن دراج : كيف تصنع بأهل العُرْس إن لم يدخلوك ؟ قال : أنوح على بابهم فيتطيَّرون من ذلك فيدخلونىّ .

قال : وقال له رجل : ما هذه الصفرة فى لونك ؟ قال من الفترة بين القَصْعتين ، ومن خوفى فى كل يوم من نفاد الطعام قبل أن أشبع .

أخبرنى أحمد قال : حدثنا ابن مهرويه ، عن عبد الرحيم بن أحمد .

أن ابن دراج صار إلى باب علىّ بن زيد أيام كان يكتب للعباس بن المأمون فحجبه الحاجب وقال : ليس هذا وقتك ، قد رأيتَ القُوَّادَ يُحجبون فكيف يؤذن لك أنت ؟ قال : ليست سبيلى سبيلهم لأنه يُحِبُّ أن يرانى ويكره أن يراهم ، فلم يأذن له ، فبيناهما على ذلك إذ خرج علىُّ بن زيد فقال : ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل ؟ فقال : منعنى هذا البغيض . فالتفت إلى الحاجب فقال : بلغ بك بغضك أن تحجب هذا ؟ ثم قال : يا أبا سعيد ما أهديتَ إلىّ من النوادر ؟ قال : مرت بى جنازة ومعى ابنى ، ومع الجنازة امرأة تبكيه وتقول : بك يذهبون إلى بيت لافِراش فيه ولا وِطاء ولاضيافة ولا غطاء ولا خبز ولا ماء ، فقال لى ابنى : يا أبت ، إلى بيتنا والله يَذهبون بهذه الجنازة ، فقلت : وكيف ويلك ؟ فقال : لأن هذه صفة بيتنا . فضحك علىّ وقال : قد أمرت لك بثلاثمائة درهم ، قال : قد وفرة الله عليك نصفها على أن أتغدى معك ، قال : وكان عثمان مع تطفيله أشرَه الناس . قال : هى عليك موفرة كلها وتتغدى معى .

وعثمان بن دراج الذى يقول :

لذّة التطفيلِ دُومى وأقيمى لا تَرِيمى[2]

(١) رواية اللسان : صلم « غضبت تميم أن تقتل عامر » و رويت أعتبوا بالصيلم . وأعقبوا بالصيلم . هذا والصيلم : الداهية . وهذا البيت لبشر بن أبي خازم . (٢) لا تريمى : لا تبرحى .

أنت تَشــفين غليلى وتُسَلِّين هــومى

عود إلى الرقاشى :

اخبرنى محمدُ بن الحسن بن دريد قال : حدثنى العَكلىّ قال :

دخل الرقاشى على بعض الأمراء فقال له : قد أصبح خضابك قانيا ، قال : لأنى أمسيت له معانيا . قال : وكيف تفعل به ؟ قال: أنعِم الحِنَّاء عَجْنا ، واجْعَلْ ماءه سُخْنا ، وأرْوِ شَعْرَك قبله دُهْنا ، فإن بات قَنَّى ، وإن لم نفعل أغْنَى :

صوت

مَنْ لعينٍ رأتْ خيالا مُطِيفَا واقفا هكذا علينا وقُوفَا

طارقا مَوْهِنا أَلَمَّ فحــيَّا ثم ولَّى فهاج قلْبا ضعيفا

لَيت نفسى وليت أنفُسَ قومى يا يزيدَ النَّدَى تَقِيكَ الحتوفا

عَتَكِىٌّ مُهَلَّبِىٌّ كــريمٌ حاتمىّ قد نال فرعا مُنِيفا

[عروضه من الخفيف ، والشعر لربيعةَ الرَّقّى يمدح يزيد بن حاتمٍ المهلَّبىّ ، والغناء لعبد الرحيم الدَّفّاف خفيف رمل بالوسطى عن عمرو .

ذكر ربيعة الرقى وأخباره

هو ربيعة بن ثابت الأنصارى [١] ويكنى أبا شَبابة ، وقيل : إنه كان يكنى أبا ثابت ،وكان ينزل الرَّقة ، وبها مولده ومنشؤه ، فأشخصه المهدىّ إليه فدحه بعدة قصائد وأثابه عليها ثوابا كثيرا ، وهو من المكثرين المُجيدين ، وكان ضريرا ، وإنما أخمل ذِكْرَه وأسقطه عن طبقته بُعْدُه عن العراق ، وتركُه خدمةَ الخلفاء ومخالطة الشعراء . ومع ذلك فما عدم مُفَضِّلا لشعره مقدما له .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى محمد بن داود ، عن أحمد ابن أبى خيثمة .

عن دعبل قال : قلت لمروان بن أبى حفصة : من أشعركم جماعةَ المحدَّثين يا أبا السِّمط ؟ فقال : أشعرُنا أيسرُنا بيتا . فقلت : ومن هو ؟ قال : ربيعة الرقى الذى يقول :

لشتان ما بين اليزيدين فى النَّدى ... يزيدِ سُلَيمٍ والأغرّ ابن حاتمِ

وهذا البيت فى قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلبى وهجا يزيد بن أُسَيْد السُّلَمى ، وبعد البيت الذى ذكره مروان :

يزيد سُلَيم سالمُ المال والفتى ... أخو الأزد للأموال غير مُسالمِ

فهَمُّ الفتى الأزدىّ إتلافُ ماله ... وهمُّ الفتى القيسىّ جمْعُ الدراهم

فلا يَحسبِ التَّمتامُ أنى هجوتُه ... ولكننى فضَّلتُ أهل المكارمِ [٢]

---

(١) فى مخطوط : الرقى وفى مخطوط آخر : ما يتفق مع المطبوع . وفى ابن خلكان ترجمة يزيد بن حاتم : ربيعة بن ثابت الأسدى الرقى أبو أسامة .

(٢) كانت فى لسان يزيد بن أسيد تمتمة فعرض بذكرها .

فيا ابن أُسَيْد لا تُسامِ ابنَ حاتم فتقرعَ إنْ ساميته سِنَّ نادمِ
هو البحر إن كلّفت نفسك خوضَه تَهالكْتَ في موج له متلاطمِ

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى محمد بن القاسم بن مهرويه قال :

حدثنى أُسَيد بن خالد الأنصارى قال : قلت لأبى زيد النحوى : إن الأصمعى قال : لا يقال : شتان ما بينهما ، إنما يقال شتان ماهما ، وأنشده قول الأعشى :

• شتان ما يومى على كُورِها •

فقال : كذب الأصمعى ، يقال : شتان ما هما وشتان ما بينهما ، وأنشدنى ربيعة الرقى واحتج به :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى يزيد سليم والأغرّ ابن حاتم

وفى استشهاد مثل أبى زيد على دفع قول مثل الأصمعى بشعر ربيعة الرقى كفايةٌ له فى تفضيله .

وذكره عبد الله بن المعتز فقال : كان ربيعة أشعر غزلا من أبى نواس لأن فى غزل أبى نواس بَرْدًا كثيرا ؛ وغزل هذا سليم سهلٌ عذب .

نسخت من كتاب لعمى : حدثنا ابن أبى ذئب قال :

اشتهى جوارى المهدى أن يسمعن ربيعة الرقى فوجّه إليه المهدى من أخذه من مسجده بالرقة ، وحُمل على البريد حتى قدم به على المهدى فأدخل عليه ، فسمع ربيعة حسًّا من وراء الستر ، فقال : إنى أسمع حسا ياأمير المؤمنين ، فقال : اسكت يا ابن اللخناء ؛ واستنشده ما أراد ؛ فضحك وضحكن منه – قال : وكان فيه لِينٌ ، وكذلك كان أبو العتاهية – ثم أجازه بجائزة سنية فقال له :

يا أمير المؤمنين الله ه سمّاك الأمينا[١]
سرقونى من بلادى يا أمير المؤمنينا

(١) فى المطبوع : « يا أمين الله إن الله » .

سرقونى فاقْضِ فيهم بجزاء السارقينا

قال : قد قضيت فيهم أن يردوك إلى حيث أخذوك ، ثم أمر به فحُمل على البريد من ساعته إلى الرقة .

وفى يزيد بن حاتم يقول أيضا [١] :

يزيدَ الأزدِ إن يزيدَ قومى سَمِيُّك لايجود كما تجودُ
يقود جماعة وتقود أخرى فترْزُق من تَقودُ ومن يقودُ
فما تِسعون يَحْفِرُها ثلاثٌ يُقيم حسابها رجل شديد [٢]
وكفٌّ شَثْنَةٌ جُمِعَتْ لوحْيٍ بأنكد من عطائك يا يزيد

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا أحمد بن الحارثّ ، عن المدائنى قال : امتدح ربيعة الرقى العباسَ بنَ محمد بن على بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يُسبق إليها حسنا وهى طويلة يقول فيها :

صوت

لو قيل للعباس يا ابن محمدٍ قُلْ : لا ، وأنت مُخلَّد ما قالها
ما إنْ أعُدُّ من المكارم خَصْلَةً إلاَّ وجدتُك عمَّها أو خالها
وإذا الملوك تسايروا فى بلدةٍ كانوا كواكبها وكنتَ هِلالها
إنَّ المكارم لم تزَلْ مَعقُولةً حتى حلَلْتَ براحتيك عِقالها

---

(١) كان المنصور عقد ليزيد المهلبى على أفريقية ، وليزيد السلمى على ديار مصر ، فخرجا معا ، فكان يزيد المهلبى يقوم بكفاية الجيشين ، فقال ربيعة الشعر (انظر ابن خلكان ترجمة يزيد بن حاتم) .

(٢) فى المطبوع :

فما يسعون يحضرها ثلاثا يقيم جنابها رجل شديد

فى البيت الأول والبيت الأخير خفيف رمل بالوسطى يقال: إنه لإبراهيم، ويقال: إنه للحسين بن المحرز .

قال : فبعث إليه بدينارين ، وكان يُقدِّر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين كاد يُجَنّ غيظا وقال للرسول: خذ الدينارين فهما لك على أن تردّ الرقعة من حيث لا يدرى العباس [١] فقبل الرسول ذلك . فأخذها ربيعة وأمر من كتب فى ظهرها :

مدحتُك مِدْحَةَ السيف المحلّى ... لتجرىَ فى الكرام كما جَريتُ
فهبْها مِدْحــة ذهبتْ ضياعا ... كذبتُ عليك فيها وافتريتُ
فأنت المرءُ ليس له وفـــاءٌ ... كأنى إذ مدحتـــك قد زنيتُ

ثم دفعها إلى الرسول وقال له: ضعها فى الموضع الذى أخذتَها منه . فردها الرسول [فى موضعها] فلما كان من الغد أخـذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات غضب وقام من وقته فركب إلى الرشيد ، وكان أثيرا عنده يبجّله ويقدّمه ، وكان قد همّ أن يخطب إليه ابنته ، فرأى الكراهة فى وجهه فقال : ما شأنك ؟ قال : هجانى ربيعة الرقى ، فأُحضر ، فقال له الرشيد : يا ماصّ كذا وكذا من أمه ، أتهجو عمى وآثر الخلق عندى ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت فى الثناء وأكثرت فى الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها ، فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه وأحب أن ينظر فى القصيدة ، فأمر العباس بإحضار الرقعة ، فتلكأ عليه العباس ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها . فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط ، فأمر بإحضارها فأُحضرت فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها وأُعجب بها وقال : والله ما قال أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء مثلها ، لقد صدق ربيعة وبَرّ ، ثم قال للعباس: كم أثبته عليها ؟ فسكت العباس وتغير لونه وجَرِض [٢]

(١) فى طبقات ابن المعتز : على أن تحمل رقعتى إليه ، فتجعلها فى دواته من حيث لا يعلم ذلك .
(٢) جرض بريقه : ابتلعه بالجهد على هم وحزن .

بريقه ، فقال ربيعة : أثابنى عليها يا أمير المؤمنين دينارين ، فتوهَّم الرشيد أنه قال ذلك من المَوْجِدَة على العباس فقال : بحياتى يا رَقى بكم أثابك ؟ قال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابنى إلا بدينارين ، فغضب الرشيد غضبا شديدا ونظر فى وجه العباس بن محمد وقال : سوأة لك ، أىّ حال قعدت بك عن إثابته ؟ أقلة المال ؟ فوالله لقد موَّلتك جهدى ، أم انقطاع المادة عنك ؟ فوالله ما انقطعت ، أم أصلُك ؟ فهو الأصل لا يدانيه شىء ، أم نفسك ؟ فلا ذنب لى فوالله لم تبخل بك إلا نفسك [١] حتى فضحتَ آباءك وأجدادك وفضحتنى ونفسَك . فنكس العباس رأسه ولم ينطق ، فقال الرشيد : يا غلام أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة واحمله على بغلة ، فلما حمل المال بين يديه وألبس الخلعة قال الرشيد : بحياتى يا رقى لا تذكره فى شعرك تعريضا ولا تصريحا . وفتر الرشيد عما كان هم به من أن يتزوج إليه ، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطِّراح له .

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم قال : حدثنى أحمد بن أبى فنن الشاعر قال : حدثنى من لا أُحصى من الجلساء :

أن ربيعة الرقى كان لايزال يعبث بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد العبث الذى يبلغ منه منذ جرى بينهما فى مديحه إياه ما جرى من حيث لا يتعلق عليه فيه بشىء ، فجاء العباس يوما إلى الرشيد بِبَرْنِيَّة فيها غالية ، فوضعها بين يديه ثم قال : هذه يا أمير المؤمنين غالية صنعتها لك بيدى ، اختير عنبرها من شِحْرِ عُمان ، ومسكها من مفاوز التُّبَّت ، وبانُها من ثغرِ تهامة ، فالفضائل كلها مجموعة فيها ، والنعت يَقْصُر عنها . فاعترضه ربيعة فقال : مارأيت أعجب منك ومن وصفك لهذه الغالية عند مَنْ إليه كل موصوف يُجْلَب ، وفى سوقه يَنْفُق ، وبه إليه يُتَقَرَّب ، وما قَدْرُ غاليتك هذه أعزك الله حتى تبلغ فى وصفها ما بلغت ؟ أأجريت بها إليه نهرا ؟ أم حملت إليه منها وِقْرا ؟ إن تعظيمك هذا ــ عند من تُجبى إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلدة ، وتذلّ لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والمخالفة ،

(١) فى المطبوع : فلا ذنب لى بل نفسك فعلت ذاك بك .

وتُتحفه بِطُرَف بلدانها وبدائع ممالكها ، حتى كأنك قد فُقْتَ به كُلَّ ما عنده ، أوْ أبدعت له ما لا يعرفه ، أو خصصته بما لم يَحوه ملكه — لا يخلو فيه من ضعف أو قِصَرِ هِمَّة . أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلاَّ جعلت حَظِّى من كل جائزة وفائدة توصلها إلىَّ فى مدة سنة هذه الغالية حتى أتلقاها بحقها ، فقال : ادفعوها إليه ، فدُفعت إليه ، فأدخل يده فيها وأخرج مِلْئَها وحلَّ سراويله وأدخل يده فطلى بها استه ، وأخذ حفنة أخرى وطلى بها ذكره وأنثييه ، وأخرج حفنتين فجعلهما تحت إبطيه ثم قال : ياأمير ، المؤمنين ، مُرْ غلامى أن يدخل إلىَّ ، فقال : أدخلوه إليه ، وهو يضحك ، فأدخلوه إليه فدفع إليه البرنيَّة غير مختومة وقال : اذهب إلى جاريتى فلانة بهذه البرنية وقل لها : طَيِّبى بها حِرَك واستك حتى أجىء الساعة وأنيكك . فأخذها الغلام ومضى ، وضحك الرشيد حتى غُشى عليه ، وكاد العباس يموت غيظا ، ثم قام فانصرف ، وأمر الرشيد لربيعة بثلاثين ألف درهم [١] .

وذكر على بن الحسين بن عبد الأعلى أنه رأى قصيدة لربيعة الرقى مكتوبة فى دَوْرِ بساطٍ من بسط السلطان قديم وكان مبسوطا فى دار العامَّة [٢] بُسرَّ مَنْ رأى ، فنسخها منه وهى :

صوت

وتزعم أنى قد تبدَّلت خُلَّةً ... سواها وهذا الباطلُ المُتَقَوَّلُ
لحا الله من باع الحبيب بغيره ... فقالت نعم حاشاك إن كنت تعقل [٣]
ستصرِم إنسانا إذا ما صرمتنى ... بحبك فانظر بعده من تبَدَّلُ

وفى هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأول ينسب إلى إبراهيم الموصلى أو إبراهيم ابن المهدى ، وفيه لعريب رمل من رواية ابن المعتز ٥

(١) فى المطبوع : وأمر الرشيد العباس أن يبعث لربيعة بثلاثين ألف درهم .

(٢) فى المطبوع : فى دار العباس العامة ، وكذلك فى بعض المخطوطات .

(٣) فى المطبوع : . . . الصديق بغيره . . . إن تك تفعل .

وكان سبب إغراق ربيعة فى هجاء يزيد بن أُسَيد أنه زاره يستميحه لقضاء دين كان عليه، فاستمنحه فلم يجد عنده ما أحبا ، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلّبى فطفّل [١] على قضاء دينه وبَرّه ، فاستفرغ ربيعة جَهْدَه فى مدحه .

وله فيه عدة قصائد مختارة يطول ذكرها، وقد كان أبو الشمقمق عارضه فى قوله :

لشتان مابين اليزيدين فى النـدى   يزيد سـليم والأغرّ ابن حاتم

فى قصيدة مدح بها يزيد بن مَزْيَد فقال : وسلخ بيت الرقى بل نقله وقال :

لشتان ما بين اليزيـدين فى الندى   إذا عُدَّ فى الناس المكارمُ والمجْدُ
يزيدُ بنى شـيبان أكرم منهما   وإن غضبتْ قيس بنَ عيلان والأزدُ
فتى لم تلده من رُعَينٍ قبيلـةٌ   ولا لخمُ تنميه ولم تَنمه نَهْدُ
ولكن نَمَتْه الغُرُّ من آل وائل   وبَرّةُ تنميه ومن بعدها هِندُ

ولم يسر فى هذا المعنى شىء كما سار بيت ربيعة .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال : حدثنا محمد بن أبى الأزهر قال :

عرض نخاس على أحمد بن يزيد بن أسيد الذى هجاه ربيعة جوارىَ ،فاختار جاريتين منهن ثم قال للنخاس : أيتهما أحبّ إليك ؟ قال : بينهما أعز الله الأمير كما قال الشاعر :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى   يزيد سليم والأغر ابن حاتم

فأمر بجرّ رجله وإخراجه وجواريه .

أخبرنى حبيب بن نصر قال : حدثنا عبد الله بن شبيب قال :

لما حج الرشيد لقيه قبل دخول مكة رجلان من قريش ، فانتسب له أحدهما ثم قال : يا أمير المؤمنين نَهكَتْنا النوائب ، وأجحفت بأحوالنا المصائب .

(١) فى المطبوع : فتطفل ، هذا ويراد بقوله « طفل » أنه رفق وتلطف من قولهم التطفيل : السير الرويد . وطفلت الناقة تطفيلا : إذا كان معها أولادها فرفقت بها .

ولنا بك رَحِمٌ أنت أولى مَن وصلها ، وأملٌ أنت أحقُّ من صدَّقه ، فما بعدك مطلب ، ولا عنك مهرب ، ولا فوقك مسئول ، ولا مثلك مأمول . وتكلم الآخر فلم يأت بشيء ، فوصلهما وفضل الأول تفضيلا كثيرا ، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال : يا فضل

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والأغر ابن حاتم

قال أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو دعامة على بن مَرْثَد[1] عن عطاء الملط قال :

لما هجا ربيعة يزيد بن أسيد السلمي وكان جليلا عند المنصور والمهدي وفضل عليه يزيد بن حاتم قلت لربيعة : يا أبا أُسامة [2] ماحملك على أن هجوت رجلا من قومك وفضّلت عليه رجلاً من الأزد ؟ فقال : أخبرك ، أملقتُ فلم يبق لي إلا داري ، فرهنتها على خمسمائة درهم ورحلت إليه إلى أَرمينية فأعلمته بذلك ومدحته ، وأقمت عنده حولا ، فوهب لي خمسمائة درهم ، فتحملت وصرت بها إلى منزلي فلم يبق معي كبير شيء ، فنزلت في دار نكراء فقلت : لو أتيت يزيد بن حاتم ، ثم قلت : هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل فكيف غيره ، ثم حملت نفسي على أن آتيه ، فأُعلمَ بمكاني ، فتركني شهرا حتى ضجرت ، فأكريت نفسي من الحمالين وكتبت بيتا في رقعة فألقيته في دهليزه والبيت :

أراني ولا كفران لله راجعا ... بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ من يزيدَ بنِ حاتم

فوقعت الرقعة في يد صاحبه فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمري ، فبعث خلفي ، فلما دخلت عليه قال : هيه أنشدني ما قلت ، فتمنعت فقال : والله لتنشدَنِّي فأنشدته فقال : والله لا ترجع كذلك ، ثم قال انزعوا خُفَّيه فَنُزِعا ، فحشاهما دنانير ، وأمر لي بغلمان وجوارٍ وكُساً ، أفلا ترى أن أمدح هذا وأهجو ذاك ؟ قلت : بلى والله . ثم قال : وسار شعري حتى بلغ المهدي فكان سببي إليه .

(١) في مخطوط على بن ربد[!] بن عطاء الملط . وفي المطبوع على بن يزيد ، والتصويب من الفهرست .
(٢) في مخطوط يا أبا سبابة . هذا ، وقد سبق أن ذكرنا عن ابن خلكان أن كنيته أبو أسامة أيضا .

أخبرنى الحسن بن على الأزدى [١] قال : حدثنى محمد بن الحسن بن عبَّاد بن الشهيد القَرْقيسيانىّ قال : حدثنى عمى عبد الله بن عبَّاد .

أن ربيعة بن ثابت الرَّقىّ الأسدىّ كان يلقب الغاوى ، وكان يهوى جارية يقال لها عَثمة أمة لرجل من أهل قَرْقِيسيا يقال له ابن مُرَّار ، وكان بنو هاشم فى سلطانهم قد ولوه مصر فأصاب بها مالا عظيما ، وبلغه خبر ربيعة مع جاريته فأحضره وعرض عليه أن يهبها له ، فقال : لاتَهبها لى ، فإن كل مبذول مملول ، وأكره أن يذهب حبها من قلبى ، ولكن دعنى أواصلها هكذا فهو أحب إلىّ .

قال : وقال فيها :

اعتادَ قلبَكَ من حبيبك عِيدُهُ ... شوقٌ عَراك فأنت عنه تَذُودُهُ
والشوقُ قد غلب الفؤادَ فقاده ... والشوقُ يغلب ذا الهوى فيقُودُهُ
فى دارِ مُرَّارٍ غزالٌ كَنيسَةٍ ... عَطِرٌ عليه خُزوزه وبُروده
رِيمٌ أغرُّ كأنَّه من حُسْـــنِهِ ... صَنمٌ يحُجُّ بِبِيعَةٍ مَعبودُهُ
عيناه عينا جُؤْذرٍ بصَرِيمةٍ ... وله من الظَّبى المُرَبَّب جيدُهُ
ما ضرَّ عثمةَ أن تُلِمَّ بعاشق ... دَنفِ الفؤادِ مُتَيَّمٍ فتَعودُهُ
وتلُدُّهُ من ريقها فلـــربما ... نفع السقيمَ من السَّقام لُدودُهُ [٢]

وهى طويلة ، مدح فيها بعض ولد يزيد بن المهلب .

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى قال : حدثنى أبى ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، عن أبى بشر الفزارى قال :

لَقِى ربيعة الرقى معن بن زائدة فى قَدْمة قدمها إلى العراق ، فامتدحه بقصيدة وأنشدهُ إياها راويتهُ ، فلم يَهَشَّ له مَعْنٌ ، ولا رضى ربيعة لقاءه إياه ، وأثابه ثوابا نَزْرًا ، فردَّه ربيعة وهجاه هجاء كثيرا ، فمما هجاه به قوله :

(١) فى مخطوط : الأرحبى .
(٢) لده لدودا : سقاه اللدود ، وهو دواء .

معنُ يا معنُ يا ابنَ زائدةَ الكلـ ... ـب الذى فى الذراع لا فى البنانِ
لاتفاخرْ إذا فخرتَ بآبا ... ئك وافخر بعمك الحوفزانِ
فهشامُ بنُ وائلٍ فى مكانٍ ... أنت ترضى بدون ذاك المكان
ومتى كنت ياابن ظَبْيَةَ ترجو ... أنْ تُبَنِّى على ابنة الغضبانِ
هى حوراءُ كالمهاةِ هِجانٌ ... لهجانٍ وأنت غيرُ هجانِ
وبناتُ السليل عند بنى ظبيـ ... ـةَ أُفٌّ لكم بنى شيبانِ
قيل معن لنا ، فلما اختبرنا ... كان مَرْعىً وليس كالسَّعْدانِ

قال أبوبشر : ظبيةُ التى عيرّه بها أَمَةٌ كانت لبنى تَيْهار بن أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيبان ، لقيها عبد الله بن زائدة بن مَطَر بن شَريك ، وكانت راعية لأهلها وهى فى غنمها فسرقها ووقع عليها ، فولدت له زائدةَ بن عبدِ الله أبا معن ابن زائدة ، ودَجاجةَ بنتَ عبد الله . قال : وبنت السَّليل التى عناها امرأةٌ من ولد الحَوْفزان .

أخبرنى يحيى بن على عن أبيه ، عن إسحاق ، عن أبى بشر الفزارى ، قال : كان ربيعة الرقى يهوى جارية من أهل الكوفة يقال لها عَثْمة ، وكان أهلها ينزلون فى جوار جُعْفِىّ ، فقال فيها فى أبيات له :

جُعْفِىٌّ جيرا نُها فقد عَطِرَتْ ... جُعْفِىٌّ من نَشْرِها وريَّاها

فقال له رجل من جعفى : أنا والله من جعفى . وأنا جار أهلها بيتَ بيتَ ، والله ما شممت من دارهم ريحا طيبة قط ، فتبسم ربيعة وقال : ما ذنبى وأنت أخشم[1] ؟ والله إنى لأجد ريحها وريح طيبها منك وأنت لا تجده من نفسك .

أخبرنى يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبى بشر قال :

كنت حاضرا ربيعة الرقى يوما وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية فقالت :

(١) الأخشم : من لا يكاد يشم شيئا .

تقول لك فلانة : إن بنت مولاى محمومة ، فإن كنت تعرف عُوذَةً تكتبها لها فافعل ، فقال : اكتُبْ لها يا أبا بشر هذه العُوذة :

ثِفُوا ثِفُوا [١] باسم إلهى الذى لا يَعْرِض السُّقْم لمن قد شَفَى
أُعيذ مولاتى ومولاتَها وأُمَّها بعوذة المصطفى
من شرِّ ما يَعْرض من علَّة فى الصبح والليل إذا أَسدفا

قال : فقلت له : يا أبا ثابت لستُ أحسن أن أكتب : ثفو ثفوا ، فكيف أكتبها ؟ قال : انضح المداد من رأس القلم يقع فى موضعين حتى يكون كالنَّفْث ، وادفع العُوذة إليها فإنها نافعة ، ففعلت ودفعتها إليها ، فلم تلبث أن جاءت الجارية وهى لاتتمالك ضحكا فقالت له : يا مجنون ، ما فعلت بنا ؟ كدنا والله أن نفتضح بما صنعت ، قال : فما أصنع بك ؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ ؟

صوت

ألا مَنْ بَيَّنَ الأخويـ ـن أُمُّهما هى الثَّكْلى
تُسائل من رأى ابنيها وتَستسقى فلا تُسقَى
فلما استيأستْ رجعتْ بعبرة والهٍ حرَّى
تُتابع بين ولـولةٍ وبين مدامع تترَى

عروضه من الهزج ، الشعر لجُويرية بنت خالد بن قارظ الكِنانية ، وتكنى أمَّ حكيم ، زوجة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فى ابنيها اللَّذين قتلهما بُسْر ابن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى باليمن ، والغناء لابن سُريج ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر فى مجرى البنصر ، وفيه لُحنَينٍ الحِيرىّ ثانى ثقيل عن الهشامى ، وفيه لأبى سعيد مولى فائد خفيف ثقيل الأول مطلق فى مجرى الوسطى .

(١) فى مخطوط : ثفوا ثفوا . وفى المطبوع . ثفوا ثفوا . ويراد : بقوله ثفوا . أن ينفث عليها بريقه ، ووضحه بعد ذلك .

ذكر الخبر فى مقتل

ابنى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب

أخبرنى بالسبب فى ذلك محمد بن أحمد بن الطلاس[1] قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدثنا على بن محمد المدائنى ، عن أبى مِخْنف ، وعن جُويرية بن أسماء و الصَّقعب بن زهير وأبى بكر الهذلى ، عن أبى عمر الوقّاصى .

أن معاوية بن أبى سفيان بعث إلى بُسْر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى بعد تحكيم الحكمين ، وعلىُّ بنُ أبى طالب عليه السلام يومئذ حىّ ،وبعث معه جيشا وَوَجَّه برجل من عامر ضَمّ إليه جيشا آخر ،ووجه الضحّاك بن قيس الفِهْرى فى جيش آخر ، وأمرهم أن يسيروا فى البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة على ابن أبى طالب عليه السلام وأصحابه وأن يغيروا على سائر أعماله ويقتلوا أصحابه ولايكفُّوا أيديهم عن النساء والصبيان ، فمضى بسر كذلك على وجهه حتى انتهى إلى المدينة ، فقتل بها ناسا من أصحاب علىّ بن أبى طالب عليه السلام وأهل هواه ، وهدم بها دورا ،ومضى إلى مكة فقتل نفرا من آل أبى لهب ، ثم أتى السَّراة فقتل من بها من أصحابه ، وأتى نَجران فقتل عبد الله بن عبد المَدَان الحارثى وابنه ، وكانا من أصهار بنى العباس،ثم أتى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس عامل علىّ عليه السلام وكان غائبا ، وقيل : بل هرب لما بلغه خبر بسر ، فلم يصادفه بسر ، ووجد ابنين له صبيين ، فأخذهما بسر لعنه الله وذبحهما بيده بمدية كانت معه ، ثم انكفأ راجعا إلى معاوية ، وفعل مثل ذلك سائر من بعث به ، فقصد العامرىّ إلى الأنبار فقتل ابن حسّانٍ البكرىَّ ، وقتل رجالا ونساء من الشيعة .

فحدثنى العباس بن علىّ بن العباس النَّسائىُّ قال : حدثنا محمد بن حسان

(١) فى مخطوط : أحمد بن محمد الطلاس .

الأزرق قال: حدثنا شَبابة بن سَوَّار قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن عمر بن قيس عن أبى صادق [١] قال:

أغارت خيلٌ لمعاوية على الأنبار فقتلوا عاملا لعلى بن أبى طالب عليه السلام يقال له حسان بن حسان، وقتلوا رجالا كثيرا ونساء، فبلغ ذلك علىَّ بن أبى طالب عليه السلام، فخرج حتى أتى المنبر فرقيه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلّة، وشمله البلاء، ورِيبَ [٢] بالصَّغار، وسِيمَ الخسْف، وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنه لم يُغز قوم قط فى عُقر دارهم إلا ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وتركتم قولى وراءكم ظِهْرِيًّا، حتى شُنَّت عليكم الغارات، هذا أخو عامر قد جاء الأنبار، فقتل عاملها حسّان بن حسّان، وقتل رجالا كثيرا ونساء، والله لقد بلغنى أنه كان يأتى المرأة المُسلمة والأخرى المعاهدَة فينزع حِجلها ورِعاثها [٣] ثم ينصرفون موفورين، لم يُكْلَمْ أحد منهم كَلْما، فلو أن أمرأً مسلما مات دون هذا أسفا لم يكن عليه ملوما، بل كان به جديرا، ياعجبا، عجبا يُميت القلب ويُشعل الأحزان، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم وفشلكم عن حقكم، حتى صرتم غرَضا، تُرْمَوْن ولاترمون، وتُغزون ولاتغزون ويُعصى اللهُ وترضون. إذا قلت لكم اغزوهم فى الحرّ قلتم هذه حَمارَّة القيظ فأمهِلنا، وإذا قلت لكم اغزوهم فى البرد قلتم هذا أوانُ قُرٍّ وصِرٍّ فأمهلنا، فإذا كنتم من الحر والبرد تفرّون، فأنتم والله من السيف أشد فرارا، يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا طَغام الأحلام وعقول ربّات الحِجال، وددت والله أنى لم أعرفكم بل وددت أنى لم أركم، معرفة والله لقد جرّت بلاء وندما، وملأتم جوفى غيظا بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: ابنُ أبى طالب رجل شجاع ولكن

(١) فى المطبوع: عن أبى صادقة. (٢) ريب: تعرض له غيره وأزعجه.

(٣) الرعاث: جمع رعثة، وهى القرط.

لا عِلْم له بالحرب ، ويحهم ، وهل فيهم أشد مِرَاسا لها منى ؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين ، وأنا الآن قد نَيَّفتُ على الستين ، ولكن لا رأى لمن لايطاع .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أنا كما قال الله تعالى :لا أَمْلِكُ إلا نَفْسِى وَأخى ، فُمُرْنا بأمركَ فو الله لنطيعنّك ولو حال بيننا وبينك جمر الغَضَا وشوكُ القَتَاد ، قال : وأين تبلغان مما أريد؟ هذا أو نحوه . ثم نزل .

مخاطبة بين على وأخيه :

حدثنا محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنا عمى عبد الله بن محمد قال : حدثنى جعفر بن بَشير قال : حدثنى صالح بن يزيد الخراسانى ،عن أبى مِخْنف عن سليان بن أبى راشد عن ابن أبى الكَنود عبد الرحمن بن عبيد قال :

كتب عقَيل بن أبى طالب إلى أخيه علىّ بن أبى طالب عليه السلام : أمابعد فإن الله عز وجل جارك من كل سوء ، وعاصمك من المكروه ، إنى خرجت مُعتمرا ،فلقيت عبد الله بن أبى سَرْح فى نحو من أربعين شابا من أبناء الطُّلَقاء [1] فقلت لهم — وعرفت المنكر فى وجوههم — يا أبناء الطلقاء ، العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديما ، تريدون بها إطفاء نور الله وتغيير أمره ، فأسمعنى القوم وأسمعتهم ، ثم قدمت مكة وأهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة ، فاحتمل من أموال أهلها ثم انكفأ راجعا ،فأفّ لحياة فى دهر جرّأ عليكم الضحاك، وما الضحاك ؟ وهل هو إلا فَقَع بقَرقرة وقد طَنّت [2] ،وبلغنى أن أنصارك قد خذلوك ، فاكتب إلىّ يا ابن أمّ برأيك ، فإن كنتَ الموتَ تريد تحمَّلتُ إليك ببنى أبيك وولد أخيك ، فعشنا ما عشت ومتنا معك ، فوالله ما أحب أن أبقى

(١) أبناء الطلقاء : هم أبناء من آمنوا يوم الفتح ،فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

(٢) الفقع : ضرب من أردأ الكمأة والقرقرة : الأرض المنخفضة . ويشبه الذليل بفقع قرقرة . وطنت : صوتت .

بعدك فُوَاقا [1] فأقسم بالله الأعز الأجل إن عيشا أعيشه فى هذه الدنيا بعدك لعيش غير هنىء ولا مرىء ولا نجيع والسلام .

فأجابه علىّ بن أبى طالب عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، كلأنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد ، فقد قدم علىّ عبد الرحمن بن عُبَيد الأزدى بكتابك ، يذكر أنك لقيت ابن أبى سرح مقبلا من قُدَيْد فى نحو أربعين شابا من أبناء الطلقاء ، وأنك تنبئ عن ابن أبى سرح ، طالما كاد الله ورسوله وكتابه ، وصدّ عن سبيله وبغاها عوجا ، فَدَعِ ابن أبى سرح عنك ، ودع قريشا وتَرْكاضَهم فى الضلال ، وتَجوالهم فى الشقاق ، فإن قريشا قد أجمعت على حرب أخيك إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقه ، وجحدوا فضله ، وبادَوْه بالعداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كل الجهد ، وساقوا إليه جيش الأمرّين ، اللهم فاجزِ عنى قريشا الجوازى ، فقد قطعتْ رحمى ، وتظاهرت علىّ ، والحمد لله على كل حال .

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة ، فهو أقل وأذل من أن يقرب من الحيرة ، ولكنه جاء فى خيل جَرِيدةٍ فلزم الظَّهر ، وأخذ على السَّماوة ، ومرّ بواقِصة وشَرافٍ وما وَالَى ذلك الصُّقْع ، فسرّحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين ، فلما بلغه ذلك جاز هاربا ، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق ، وقد أمعن فى السير ، وقد طَفَلَت الشمس للإياب ، فاقتتلوا قتالا شديدا شيئا كلا ولا فولّى ولم يصبر ، وقُتل من أصحابه بضعةَ عشرَ رجلا ، ونجا جريضًا [2] بعد ما أُخذ منه بالمُخَنَّق ، فَلأْياً بِلأْىٍ ما نجا .

وأما ما سألت عنه أن أكتب إليك فيه برأى ، فإن رأيى قتال المُحِلّين حتى ألقى الله عز وجل ، لا تزيد فى كثرة الناس حولى عزة ، ولا تفرقهم عنى وحشة ، لأنى

---

(١) الفواق : فترة من الوقت قدر ما بين حلبتين . وقيل : مقدار ما بين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع .

(٢) جريضا : مشرفا على الهلاك .

مُحقّ ، والله مع الحق وأهله ، وما أكره الموت مع الحق ، وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان محقا .

وأما ما عرضته علىّ من مسيرك إلىّ ببنى أبيك وولد أخيك فلا حاجة لى فى ذلك ، فأقِمْ راشدا مَهْدِيًّا ، فوالله ما أحب أن تَهلكوا معى إن هلكت ، ولا تحسبنّ ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرّعا مُتخشّعا ، ولكن أقول كما قال أخو بنى سُلَيم .

ولاتسأليني كيف أنتَ فإنني صبور على ريب الزمان صَليبُ
يعزُّ علىّ أن تُرَى بى كآبةٌ فيَشمتَ عادٍ أو يُساء حبيب

والسلام .

رجع الحديث إلى سياقة مقتل الصبيين

ثم إن بُسْر بن أرطاة كَرّ راجعا وانتهى خبره إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام أنه قتل عبد الرحمن وقُثَم ابنى عبيد الله بن العباس ، فسرّح حارثة بن قُدامة السعدى فى طلبه ، وأمره أن يُغِذّ السير [١] ، فخرج مسرعا ، فلما وصل إلى المدينة وانتهى إليه قتل على بن أبى طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام ركب فى السلاح ودعا الناس بالمدينة إلى البيعة للحسن فامتنعوا ، فقال : والله لتُبايِعُنّ ولو بأستاهكم . فلما رأى أهل المدينة الجِدّ منه بايعوا الحسن عليه السلام ، وكرّ راجعا إلى الكوفة .

وأصابَ أمَّ حكيمٍ بنت قارظٍ وَلَهٌ على ابنيها ،فكانت لاتعقل ولا تصغى إلا إلى قول من أعلمها أنهما قد قتلا ، ولا تزال تطوف فى المواسم تَنْشُدُ الناسَ ابنيها بهذه الأبيات :

يامن أحسّ بُنَيَّىَّ اللّذين هما كالدُّرّتين تَشظّى عنهما الصّدَفُ
يامن أحس بُنَيَّىَّ اللّذَين هما سمعى وقلبى فقلبى اليوم مُختطَفُ

(١) يغذ السير : يسرع .

يا من أحس بُنَيَّيَّ اللذين هما مُخُّ العظام فمخى اليوم مُزْدَهَفُ[١]
نُبِّئْتُ بُسْراً وما صدّقت ما زعموا من قولهم ومن الإفك الذى اقترفوا
أنحَى على وَدَجَىْ إبنَىَّ مُرْهَفَةً مشحوذة وكذاك الإثمُ يُقترَف
حتى لقيتُ رجالا من أُرومته شمّ الأنوف لهم فى قومهم شرَفُ
فالآن ألعن بُسْراً حقّ لعنته هذا لعمر أبى بُسْرٍ هو السرَفُ
من دلّ والهة حرّى مُدَلَّهَةً على صَبِيَّيْنِ ضَلاَّ إذ غدا السَّلَفُ

الغناء لأبى سعيد مولى فائد ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وفيه خفيف ثقيل يقال : إنه له أيضا ، وفيه لعريب رمل نشيد .

ولما بلغ علىّ بن أبى طالب عليه السلام قتلُ بسرٍ الصبيين جزع لذلك جزعا شديدا ، ، ودعا على بسر لعنه الله، فقال : اللهم اسلبه دينه ولاتخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله ، فأصابه ذلك وفقد عقله ، فكان يهذِى بالسيف ويطلبه ، فيُؤتى بسيفٍ من خشب ، ويُجعل بين يديه زِقّ منفوخ ، فلا يزال يضربه ما شاء حتى يسأم ، ثم مات لعنه الله .

ولما كانت الجماعة واستقر الأمر على معاوية دخل عليه عبيد الله بن العباس وعنده بُسْر بن أرطاة، فقال له عبيد الله : أأنت قاتل الصبيين أيها الشيخ ؟ قال بسر : نعم أنا قاتلهما ، فقال عبيد الله : أما والله لوددت أن الأرض كانت أنبتتنى عندك ، فقال بسر : فقد أنبتتك الآن عندى ، فقال عبيد الله : ألا سيفٌ ؟ فقال له بسر : هاك سيفى . فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لبسر : أخزاك الله شيخا قد كبرت وذهب عقلك، تعمد إلى رجل من بنى هاشم قد وَتَرْته وقتلت ابنيه تدفع إليه سيفك ؟ إنك لغافل عن قلوب بنى هاشم ، واللهِ لو تمكن منه لبدأ بى قبلك ، فقال عبيد الله : أجل والله ثم لثنّيت به .

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : أخبرنى محمد بن مسروق قال : قال الأصمعى :

---

(١) مزدهف : مهلك .

وسمع رجلٌ من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأةَ عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بن أرطاة بقولها :

يا من أحس بُنَيَّيَّ اللذين هما — كالدُّرَّتين تشظَّى عنهما الصَّدفُ

فرقَّ لها ، واتصل ببسر حتى وثق به ، ثم احتال لقتل ابنيه فخرج بهما إلى وادى أَوْطاس فقتلهما وهرب وقال :

يا بُسْرُ بُسْرَ بنى أَرْطاةَ ماطلعتْ — شمسُ النهار ولاغابت على الناسِ
خيرٌ من الهاشميِّين الذين هُمُ — عينُ الهدى وسِمامُ الأشْوَسِ القاسى
ما ذا أردتَ إلى طِفلَيْ مُدَلَّهةٍ — تَبكى وتَنْشُدُ من أثكلت فى الناسِ
إمَّا قتلتهما ظلما فقــد شَرِقَتْ — من صاحبيك قناتى يوم أَوْطاسِ
فاشْرَبْ بكأسهما ثُكْلاً كما شَرِبَتْ — أمُّ الصَّبِيَّيْنِ أَوْ ذاقَ ابنُ عبَّاسِ

صوت

ألا فاسقيانى من شرابكما الوَرْدِى — وإن كنتُ قد أنفدْتُ فاسترهنابُرْدى
سِوارى ودُمْلوجى وماملكتْ يدى — مباحٌ لكم نهْبٌ ولاتقطعوا وِرْدِى

عروضه من الطويل ، والشعر لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبى العاصى ابن أمية بن عبد شمسٍ ، والغناء لإبراهيم الموصلى رمل بالوسطى من رواية عمرو ابن بانة .

ذكر أم حكيم

قد مضى ذكر نسبها ، وأمّها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكانت هى وأمها من أجمل نساء قريش ، فكانت قريش تقول لأم حكيم : الواصلة بنت الواصلة ، وقيل : المُوصلة بنت المُوصلة لأنهما وصلتا الجمال بالجمال . وأم زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام سُعْدى بنت عوف بن خارجة ابن سنان بن أبى خارجة[1] بن عوف بن أبى حارثة بن لام الطائى ، وكانت سعدى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المُغيرة ، فولدت له سلَمة ورَيْطة ، ثم تُوفى عنها فخلَف عليها طلحة بن عبيد الله ، فولدت له يحيى وعيسى ، ثم قتل عنها فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فتكلّم بنوها وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالا فقالت : إنه قد بقى فى رحم أمكم فضلة شريفة لابدّ من خروجها ، فتزوجها فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه وزينب وهى أُمّ أُمّ حكيم .

وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمُطعمين منهم ، وقد قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان وكان صديقه ، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم ، فلما قدم تغيّبوا فلم يظهر أحد منهم حتى خرج ، وبثّ المغيرةُ الجِفانَ فى السِّكك والقبائل يطعم الناس ، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة :

أتاك البحرُ طَمّ على قُريش مُغيريٌّ فقد رَاغ ابنُ بِشْرِ

وقال مصعب الزبيرى : هو يعنى المغيرة مطعم الجيش بِمِنىً وهو إلى الآن يُطْعَم عنه .

قال : وكانت أخته زينب أحسن الناس وجها وقَدّا ، وكأنّ أعلاها قضيب

(١) فى مخطوط : بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبى حارثة .

وأسفلها كثيب ، فكانت تسمى المُوصلة ، وسميت بنتها أم حكيم بذلك لأنها أشبهتها .

أخبرني عمي قال : حدثني ابن أبي سعد قال : حدثني علي بن محمد بن يحيي الكناني ، عن أبيه قال :

كانت زينب بنت عبد الرحمن من لِين جسدها يقال لها الموصلة .

قال مصعب : فتزوج زينبَ أبانُ بن مروان بن الحكم ، فولدت له عبد العزيز ابن أبان ، ثم مات عنها فخطبها يحيي بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، فمالوا إلى عبد الملك ، فأرسل يحيي إلى المغيرة بن عبد الرحمن ، كم الذى تأمُل من عبد الملك ؟ والله لا يزيدها على ألف دينار ، ولا يزيدك على خمسمائة دينار ، ولها عندي خمسون ألف دينار ، ولك عندي عشرة آلاف دينار إن زوَّجتنيها ، فزوجه إياها على ذلك ، فغضب عليه عبد الملك وقال : دخل عليَّ في خِطْبَتي ، والله لا يَخْطُبُ على منبر ما دمتُ حياً ولا رأى مني ما يحب ، فأسقطه ، فقال يحيي : لا أبالي ، كعكتان وزينب .

قال ابن أبي سعد : وأخبرت عن محمد بن إسحاق المُسَيَّبي قال : حدثني عبد الملك بن إبراهيم الطلحيّ أنها لما خطبت قالت : لا أتزوج والله أبدا إلاّ من يُغني أخي المغيرة ، فأرسل إليها يحيي بن الحكم : أيغنيه خمسون ألف دينار ؟ قالت : نعم ، قال : فهي له ، ولك مثلها ، فقالت : ما بعد هذا شيء ، أرْسِلْ إلى أهلك شيئا من طيب وشيئا من كسوة .

قال : ويقال إن عبد الملك لما تزوجها يحيي قال : لقد تزوجت أفوه غليظ الشفتين ، فقالت زينب : هو خير من أبي الذُّبابِ [١] فما له يعيبه بفمه ؟ و قال يحيي ؟ قولوا له : أقبح من فمي ما كرهت من فمك .

---

(١) كان عبد الملك بن مروان يقال له أبو الذباب لبخر فه .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أبو غسان، عن عبد العزيز بن أبى ثابت عن عمه محمد بن عبد العزيز :

أن عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها وكتب إليه أن يلحق به ، وكان بفلسطين أو بالأُرْدُن ، فعرض له يحيى بن الحكم فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد أمير المؤمنين . قال : وما تصنع به ؟ فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها ، وأربعمائة دينار لزينب ، ولك علىَّ ثلاثون ألف دينار سوى صداق زينب ، فقال المغيرة : أو تنقل إلىَّ المال قبل عقد النكاح ؟ قال : نعم ، فنقل إليه المال ، فتجهز المغيرة وسيَّر ثقله ، ثم دخل على يحيى فزوّجه وخرج إلى المدينة ، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة، فلما أبطأ عليه قيل له : يا أمير المؤمنين إنه زوّج يحيى بن الحكم زينبَ بنت عبد الرحمن بثلاثين ألف دينار وأعطاه إياها ورجع إلى منزله . فغضب على يحيى وخلعه من ماله وعزله عن عمله ، فجعل يحيى يقول :

ألا لا أُبالى اليوم ما فَعل الدهرُ[1] إذا بقيت لى كعكتان وزينب

قال : وكانت زينب تسمى الموصلة من حسن جسمها .

وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، تزوجها فى حياة جده عبد الملك ، ولما عُقد النكاحُ بينهما فى مجلس عبد الملك أمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ويقولوا فى ذلك أشعارا كثيرة يرويها الناس ، فاختير منهم جَرير وعدىُّ بن الرِّقاع ، فدخلا وبدأ عدى لموضعه منهم فقال :

قمرُ السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستارُ مثلهما من ذا رأى هذا ومن سمعا

(١) هكذا فى نسختين خطيتين . وفى المطبوع :

* ألا لا أبالى اليوم أن أسلب *

ولعل ذلك راجع إلى إرادة التصريع ، مع أنه لا يكون لاختلاف الإعراب ونقص الوزن ولا يستقيم إلا إذا قيل :

* ألا لا أبالى اليوم ما أنا أسلب *

دام السرور له بها ولها وتهنِّيا طول الحياة معا

وقال جرير :

جمع الأمير إليه أكرم حُرّة في كل ما حال من الأحوالِ
حَكَمِيّةً علَت الرّوابىَ كلَّها بمفاخر الأعمام والأخوالِ
وإذا النساء تفاخرت ببُعولة فخَرَتْهم بالسيِّد المِفضالِ
عبدِ العزيز ومن يكلِّف نفسَه أخلاقه يلبَثْ بأكسف بالِ
هنّأتُكُمْ بمودّة ونصيحةٍ وصدقتُ فى نفس لكم ومقالى
فلتهنِكَ النِّعَمُ التى خُوِّلْتَها يا خير مأمول وأفضل والى

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ولعدىّ بن الرقاع بمثلها ، وقضى لأهله ومواليه يومئذ مائة حاجة ، وأمر لجميع من حضر من الحرس والكُتّاب بعشرة دنانير عشرة دنانير ، فلم تزل أم حكيم عند عبد العزيز مدة ، ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر ، فلكَتْه وأحبها وذهبت بقلبه كلّ مذهب ، فلم ترض منه إلاّ بطلاق أم حكيم فطلقها ، فتزوجها هشام بن عبد الملك، ثم مات عبدالعزيز فتزوج هشام ميمونة أيضا ، وكان شديد المحبة لأم حكيم ، فطلّق لها ميمونة إقتصاصًا لها فيا فعلته بها فى اجتماعهما عند عبد العزيز ، وقال لها : هل أرضيتك منها ؟ فقالت : نعم ، فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام ، وكان من رجالات بنى أمية ، وكان أحد من يطعن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويُغرى الناس به ، وكانت أمُّ حكيم منهومةً بالشراب مُدمنة عليه لاتكاد تفارقه ، وكأسها الذى كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم ، وهو فى خزائن الخلفاء حتى الآن ، وفيه يقول الوليد بن يزيد :

صوت

علِّلانى بعاتقاتِ الكُرومِ واسقيانى بكأس أمّ حكيمِ
إنها تشرب المُدامةَ صرْفا فى إناء من الزجاج عظيمِ

جنّبونى أذاةَ كل لئـــيم إنه ما علمت شرُّ نديم
ثم إن كان فى النّدامى كريم فأذيقوه بعض مَسّ النعيم
ليت حظى من النساء سُليمى إن سَلْماى جَنَّتى ونعيمى
ودَعونى من الملامة فيها إنّ من لامنى لغير حكيم

عروضه من الخفيف غناه عُمر الوادى [١] من رواية يونس ، وفى رواية إسحاق غناه الغُزَيل أبو كامل خفيف رمل بالسبابة فى مجرى البنصر .

فيقال إن الشعر بلغ هشاما فقال لأم حكيم : أو تفعلين ما ذكره الوليد ؟ فقالت : أو تصدقه الفاسقَ فى شىء فتصدقه فى هذا ؟ قال : لا ، قالت : فهو كبعض كذبه .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال :

كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال :

فحسبُ أبى العباس كأسٌ وقينةٌ وزِقٌ إذا دارت به فى الذوائبِ
ومن جلساء الناس مثلُ ابن مالك ومثل ابنِ جزْءٍ والغلام ابن غالب [٢]

فقال الوليد يهجوه ويعيره بشرب أمه الشراب :

إن كأس العجوز كأسٌ رَواءٌ ليس كأس ككأس أم حكيمِ
إنها تشرب الرّساطونَ صرفا فى إناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعيرُ أو الفيـ ـل لظلاً فى سكرة وغمـــوم
ولدتْه سَكْرى فلم تحسن الطَّلْـ ـقَ فوافى لذاك غير حليم

وكان لهشام منها ابن يقال له مسلمة ويكنى أبا شاكر ، وكان هشامٌ يُنَوِّه باسمه وأراد أن يوليه العهد بعده ، وولاه الحج فحج بالناس ، وفيه يقول عُروة بن

(١) فى مخطوط : عمرو بن بانة .

(٢) فى مخطوط : ومثل ابن جرو والعلاء بن غالب .

أُذينة – لما وفد على هشام – وفرّق فى الحجاز على أهلها مالا كثيرا وأحبه الناس ومدحوه :

أتينا نَمُتُّ بأرحامنا وجئنا بأمر أبى شاكر

وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك فى حياة أبيه، وأشاع ذلك وغنّى فيه وأراد أن يشهره به .

صوت

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبى شاكر
يشربها صرفا وممزوجة بالسُّخْنِ أحيانا وبالفاتر

فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه :

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبى شاكر
الواهب البُزْل بأرسانها ليس بزنديق ولا كافر

فذكر أحمد بن الحارث ، عن المدائنى : أن هشاما لما أراد أن يوليه العهد كتب بذلك إلى خالد بن عبد الله القسرىّ ، فقال خالد : أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر ، فبلغ قولُه هشاما فكان سبب إيقاعه به .

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنى محمد بن موسى قِمَطْر .

عن إسماعيل بن مُجمّع قال : كنا نُخرج ما فى خزائن المأمون من الذهب والفضة ونُزَكّى عنه ، فكان فيما يزكى عنه قائمُ كأسِ أم حكيم ، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالا ، قال محمد بن موسى : سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته فقال : كأس كبير من زجاج أخضر مقبضه من ذهب، هكذا ذكر إسماعيل. وقد حدثنى على بن صالح بن الهيثم بمثله[1] قال لى: حدثنا أحمد بن الهيثم المادرائىّ[2] قال :

(١) فى مخطوط : كيحلة .
(٢) فى مخطوط : إبراهيم بن أحمد المادرانى .

لما أخرج المعتمد ما فى الخزائن ليباع فى أيام ظهور النَّاجم بالبصرة أُخرِج إلينا كأس مدوَّرٌ على هيئة القِحْف يسع ثلاثة أرطال يُقَوَّم بأربعة دراهم [1] فعجبنا من حصول مثله فى الخزانة مع خساسته ، فسألنا الخازن عنه فقال : هذا كأس أم حكيم ، فرددناه إلى الخزانة ، ولعل الذهب الذى كان عليه أخذ منه حينئذ ، ثم أخرج ليباع .

قال محمد بن موسى : وذكر لى عبيد الله بن محمد الخزاعى عن ابن أبى الأغر قال :

كنا مع محمد بن الجنيد الخُتَّلِىِّ أيام الرشيد ، فشرب ذات ليلة فكان صوته :

علِّلانى بعاتقاتِ الكروم واسقيانى بكأس أم حكيم

فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حتى السحر ، فوافاه كتاب خليفته فى دار الرشيد أن الخليفة على الركوب ، وكان محمد أحد أصحاب الرشيد ومن يُقَدِّم دابته ، فقال : ويحكم كيف أعمل والرشيدُ لايقبل لى عذرا وأنا سكران ؟ فقالوا : لابدّ من الركوب ، فركب على تلك الحال ، فلما قدَّم إلى الرشيد دابته قال له : يا محمد ما هذه الحال التى أراك عليها ؟ قال : لم أعلم برأى أمير المؤمنين فى الركوب فشربت ليلى أجمع ، قال : فما كان صوتك ؟ فأخبره ، فقال له : عد إلى منزلك فلا فضل فيك ، فرجع إلينا وخبرنا بما جرى وقال : خذوا بنا فى شأننا ، فجلسنا على سطح ، فلما متَع النهارُ إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على برذون ، فى يده شىء مغطّى بمنديل قد كاد ينال الأرض ، فصعد إلينا وقال : يا محمد ، أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : قد بعثنا إليك بكأس أم حكيم لتشرب فيه ، وبألف دينار تنفقها فى صَبوحك ، فقام محمد فأخذ الكأس من يد الخادم وقبَّلها وصبّ فيها ثلاثة أرطال وشربها قائما وسقانا مثل ذلك ، ووهب الخادم مائتى دينار ، وغسل الكأس وردها إلى موضعها ، وجعل يفرق علينا تلك الدنانير حتى بقى معه أقلها :

---

(١) فى مخطوط : دنانير .

صوت

عَلْقَمُ ما أنتَ إلى عامرٍ   النَّاقِضِ الأوتارِ والواترِ
إن تَسُدِ الحُوصَ فلم تَعْدُهُمْ   وعامرٌ ساد بنى عامرِ
عهدى بها فى الحىّ قد دُرِّعَتْ[١]   صفراءَ مثل المهرة الضامر
قد حَجَمَ الثَّدْىُ على صدرها   فى مُشرقٍ ذى بَهجةٍ ناضِرِ
لو أسندت مَيْتا إلى نحرها   عاش ولم يُحْمَلْ إلى قابِرِ
حتى يقول الناسُ مما رأوا   يا عجبا للميِّتِ الناشرِ

عروضه من السريع ، والشعر للأعشى ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة يمدح عامر بن الطُّفَيْل ، ويهجو علقمة بن عُلاثة ، والغناء لمعبد فى الثالث وما بعده خفيف ثقيل أول بالبنصر ، وفى الأبيات لُحنَين ثقيل أول مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيها أيضا لحنٌ آخر ذكره فى المجرَّد ولم يجنِّسه ولم ينسبه إلى أحد :

(١) درعت : ألبست الدرع ، وهو القميص .

الخبر فى هذه القصة

وسبب منافرة عامر وعلقمة

وخبر الأعشى وغيره معهما فيها

أخبرنا بذلك محمد بن الحسن بن دريد إجازة، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة . ونسخت من رواية ابن الكلبي عن أبيه ، ومن رواية دماذ والأثرم عن أبي عبيدة والأصمعي ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل، ومن رواية أبي عمرو الشيباني عن أصحابه، فجمعت رواياتهم، ولكل امرىء منهم زيادة على صاحبه ونقصان عنه ، واللفظ مشترك فى الروايات إلا ما حكيته مفردا ، قال ابن الكلبي حدثني أبي ومحيريز بن جعفر وجعفر بن كلاب الجعفرى، عن بشر بن عبد الله ابن حيان بن سلمى بن مالك بن جعفر [١] عن أبيه عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين قالوا :

أول ما هاج النِّفار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر وبين علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص — وأم عامر كبشة بنت عُروة الرَّحَّال بن عتبة ابن جعفر ، وأمها أم الظِّباء بنت معاوية فارس القرَّار ابن عُبادة بن عقيل بن كعب ابن ربيعة، وأمها خالدة بنت جعفر بن كِلاب ، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وأم أبيه الطفيلِ أمُّ البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة . قال أبو الحسن الأثرم : وكانت أم علقمة ليلى بنت أبي سفيان بن هلال بن النخع سَبِيَّة وأم أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشيطان بن بكر بن عوف بن النخع مهيرة — أن علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول ، فبصر به عامر فقال : لم أر كاليوم عورة رجل أقبح ، فقال علقمة : أما والله ما وثبت على جاراتها ولا تنازل [٢]

(١) فى مخطوط : بن خالد بن سلمان بن مالك بن جعفر .

(٢) لعلها : ولا تنازى . وفى سرح العيون ٩٨ : ولا تنازل إلا كفاتها .

كِنَّاتها ، يعرّض بعامر ، فقال عامر : وما أنت والقروم ؟ والله لفرس أبي حَيْوَة أذكَرُ من أبيك ، ولفحل أبي غَيْهَب أعظم ذِكْرًا منك في نجد — قال : وكان فرسه فرسا جوادا نجا عليه يوم بني مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان فحله فحلا لبني حَرملة بن الأشعر بن صِرْمة بن مرّة بن عوف بن سعد ابن ذبيان ، قال الأثرم : وأخبرني رجل من جهينة بدمشق قال : هو الأشعرُ بن صِرمة ، قال الأثرم : وسُمي صرمةُ غَيْهَبَ لسواده ، قال ابن الكلبي : فاستعاره منهم يستطرقه فغلبهم عليه — فقال علقمة : أما فرسكم فغارَةٌ وأما فحلكم فعارة [1] ولكن إن شئت نافرتك ، فقال : قد شئت ، فقال عامر : والله لأنا أكرم منك حسبا ، وأثبت منك نسبا ، وأطول منك قصبا [2] ، فقال علقمة : لأنا خير منك ليلا ونهارا ، فقال عامر : لأنا [3] أحب إلى نسائك أنْ أُصبحَ فيهن منك ، فقال عامر : أنافرك على أني أنحَرُ منك لِلّقاح ، وخيرٌ منك في الصباح ، وأطعم منك في السنة الشّياح [4] فقال علقمة : أنت رجل تقاتل ، والناس يزعمون أني جبان ، ولأن تلقى العدوّ وأنا أمامك أعزُّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك ، وأنت جواد ، والناس يزعمون أني بخيل ، ولست كذلك ، ولكن أنافرك أني خير منك أثرا ، وأحدُّ منك بصرا ، وأعز منك نفرا ، وأشرف منك ذكرا [5] ، فقال عامر : لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد ، وبصري ناقص وبصرك صحيح ، ولكني أنافرك على أني أنشر منك أُمّة ، وأطول منك قِمّة ، وأحسن منك لِمّة وأجعد منك جُمّة ، وأبعد منك همّة ، قال علقمة : أنت رجل جسيم وأنا رجل قضيفٌ [6] وأنت جميل وأنا قبيح ، ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي ، فقال عامر : آباؤك أعمامي ولم أكن لأنافرك بهم ، ولكني أنافرك

(١) في المطبوع : فغدرة . والعارة : العارية . وفي سرح العيون كالمطبوع .

(٢) في مخطوط : مضربا .

(٣) كذا في الأصول ويتفق مع الآتي . وسيأتي مايخالفه في ص ٢٢٢ : لأنه أنجل منك عينا في النساء . ولعله بحذف « فقال عامر » ويكون الكلام « ولأنا » كما فعل في تهذيب الأغاني .

(٤) السنة الشياح : السنة القحط .

(٥) في مخطوط : وأسرح ذكرا .

(٦) القضيف : الدقيق النحيف .

أني خير منك عقبا ، وأطعم منك جدبا ، قال علقمة : قد علمت أن لك عقبا في العشيرة ، وقد أطعمت طينا إذسارت ، ولكني أنافرك أني خير منك وأولى بالخيرات منك ، وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم ، قال فخرجت أم عامر وكانت تسمع كلامهما فقالت : يا عامر نافره أيكما أولى بالخيرات — قال أبو المنذر : قال أبو مسكين — قال عامر في مراجعته : والله لأنا أركب منك في الحماة ، وأقتل منك للكماة ، وخير منك للمولى والمولاة ، فقال له علقمة : والله إني لبر وإنك لفاجر ، وإني لوفي وإنك لغادر ففيم تفاخرني يا عامر ؟ فقال عامر : والله إني لأنزل منك للقفرة ، وأنحر منك للبكرة ، وأطعم منك للهبرة ، وأطعن منك للنثرة ،[١] فقال علقمة : والله إنك لكليل البصر ، نكد النظر ، وثاب على جاراتك بالسحر ، فقال بنو خالد بن جعفر — وكانوا يدا مع بني الأحوص على بني مالك ابن جعفر — لن تطيق عامرا ، ولكن قل له : أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات وخذ عليه بالكبر ، فقال له علقمة هذا القول ، فقال عامر : عنز وتيس وتيس وعنز ، فذهبت مثلا ، نعم ، على مائة من الإبل إلى مائة من الإبل يعطاها الحكم أينا نفر عليه صاحبه أخرجها . ففعلوا ذلك ووضعوا بها رهنا من أبنائهم على يدي رجع من بني الوحيد ، فسمى [بنوه بني] الضمين إلى الساعة وبني الكفيل.

قال : وخرج علقمة ومن معه من بني خالد ، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك ، وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك وهو أبو براء فقال : يا عماه أعني ، فقال : يا ابن أخي سبني ، فقال : لا أسبك وأنت عمي قال : فسب الأحوص ، فقال عامر : ولا أسب والله الأحوص وهو عمي ، فقال : فكيف أعينك إذا ، ولكن دونك نعلي[٢] فإني قد ربعت فيها أربعين مرباعا فاستعن بها في نفارك .

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، فلم يقل بينهما شيئا وكره

(١) النثرة : الخيشوم وما والاه . والدرع .

(٢) النعل من معانيها : ما يكون في أسفل غمد السيف من حديد أو فضة . وقد يراد : الخف .

ذلك لحالهما وحال عشيرتهما وقال : أنتما كركبتي البعير الأدرم [١] قالا : فأينا اليمين ؟ فقال : كلاكما يمين . وأبى أن يقضى بينهما ، فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام فأبى أن يحكم بينهما ، فوثب مروان بن سُراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص ابن جعفر فقال :

يالَ قريش بَيِّنُوا الكلاما إنا رضينا منكم الأحكاما
فبيِّنوا إن كنتم حُكَّاما كان أبو نا لهمُ إماما
وعبد عَمْرٍو منع الفِئاما [٢] فى يوم فخر مُعْلِما إعلاما
ودِعْلِجٌ أقْدَمه إقداما لولا الذى أجشمهم إجشاما
لا تخذتهم مذْحِج نَعاما

قال : فأبوا أن يقولوا بينهما شيئا ، وقد كانت العرب تُحاكم إلى قريش ، فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة فأبى أن يقول بينهما شيئا ، فأتيا غيلان بن سلمة بن مُعتّب الثقفى فردَّهما إلى حَرْمَلَةَ بن الأشعر [٣] المُرّى فردهما إلى هرِم بن قطبة ابن سنان بن عمرو الفزارى ، فانطلقا حتى نزلا به ، وقال بشر بن عبد الله بن حبّان بن سلمى : إنهما ساقا الإبل معهما حتى أثنتْ وأربعت ، لا يأتيان أحدا إلاَّ هاب أن يقضى بينهما ، فقال هرم : لعمرى لأحكمنّ بينكما ثم لأفصلن ، ثم لست أثق بواحد منكما ، فأعطيانى موثقا أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول وتُسلّما لما قضيت بينكما ، وأمرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليومَ من قابل ، فانصرفا .

حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه ، فخرج علقمة ببنى الأحوص فلم يتخلّف منهم أحد ، معهم القِباب والجُزُر والقُدور ، وينحرون فى كل منزل ويطعمون ، وجمع عامر بنى مالك فقال : إنما تخاطرون عن أحسابكم ، فأجابوه وساروا معه ولم ينهض أبو براء معهم . وقال لعامر : والله لا تطلعُ ثنيّةً إلا وجدت الأحوصَ

(١) الأدرم : المستوى الكعب . والبعير الأدرم : الذى ذهبت جلدة أسنانه ودنا وقوعها .

(٢) الفئام : الجماعة من الناس .

(٣) فى مخطوط : الأسكر .

مُنيخا بها ، وكره أبو براء ما كان من أمرهما . فقال عامر فيما كره من منافرتهما ودعا عامرٌ إيَّاه أن يسير معه :

أأُومر أن أسبَّ أبا شُرَيح ولا والله أفعل ما حييتُ
ولا أُهدى إلى هَرِم لِقاحا فيُحْيِي بعد ذلك أو يُميتُ
أُكلَّفُ سَعْيَ لقمان بن عاد فيالَ أبي شريح ما لقيتُ

قال : وأبو شُريح هو الأحوص ، فكره كل واحد من البطنين ما بينهما ، وقال عبد عمرو بن شريح بن الأحوص :

لَحَى الله وَفْدَيْنا وما ارتحلا به من النَّبْوَةِ الباقى عليهم وبالُها
ألا إنما تُرْمَى صَفَاةٌ متينــةٌ أبى الضيمَ أعلاها وأُثبِتَ حالُها

قال : فسار عامر وبنو عامر على الخيل مُجنبى الإبل وعليهم السلاح ، فقال رجل من غَنِيّ : يا عامر ما صنعت ؟ أخرجت بنى مالك تنافر بنى الأحوص ومعهم القباب والجُزُر وليس معك شيء تطعمه الناس ، ما أسوأ ماصنعت : فقال عامر لرجلين من بنى عمه : أحصيا كلَّ شيء مع علقمة من قبة أو قِدْر أو لَقْحَة ، ففعلا ، فقال عامر : يا بنى مالك إنها المقارعة عن أحسابكم فاشْخَصوا بمثل ما شخصوا بمثل به ، ففعلوا ، وثار مع عامرٍ لبيدُ بنُ ربيعة والأعشى ، ومع علقمة الحُطيئة وفتيانٌ من بنى الأحوص منهم السَّنْدَرِيُّ بن يزيد بن شريح ، ومروان بن سراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص وهم يرتجزون ، فقال لبيد :

يا هَرِمٌ وأنت أهلُ عدْلِ إن تُفَرِّ الأحوصُ يوما قبلى
ليَذهبَنَّ أهلُه بأهــلى لا يُجمَعَنَّ شِكْلُهم وشِكْلى
ونَسلُ آبائهم ونسلى

وقال أيضا :

إنى امرؤٌ من مالك بن جعفرِ عَلْقَمَ قد نافرت غير مُنفَرِ[1]
نافرتَ سَقْبا من سِقاب العرْعرِ[2]

فقال قُحافة بن عوف بن الأحوص :

نَهْنِهْ إليك الشِّعْرَ يا لبيدُ واصدُدْ فقد ينفعك الصُّدودُ
ساد أبونا قبل أن تسودوا سُوْدَدُكم مُطَّرف زهيدُ

وقال أيضا :

إنى إذا ما مسَّنى الحياء[3] وضاع يوم المشهد اللَّواءُ
أُنمَى وقد حُقَّ لِىَ النَّماءُ إلى كهول ذِكْرُها سناءُ
إذ لا تزال جَلْدَةٌ كَوْماءُ مبقورةٌ لِسَقْبِها رُغاءُ[4]
لم يَنْهَنا عنْ نحرِها الصَّفاءُ لنا عليكم سَوْرَةٌ ولاءُ[5]
المجدُ والسؤدد والعطاءُ

وقال أيضا :

أنتم عزلتم عامر بنَ مالكِ فى شَتَوَاتِ مُضَرَ الهوالكِ
يا شرَّ أحياءٍ وشرَّ هالكِ

قال : وأنشدها السندرى يومئذ ورفع صوته ، فقيل : من هذا ؟ فقال :

أنا لمن أنكر صوتى السَّنْدَرِىّ أنا الفتى الجَعْدُ الطويلُ الجعفرىّ
من وَلَد الأحوصِ أخوالى غَنِىّ

فقال عامر : أجب يالبيد ، فرغب لبيد عن إجابته ، وذلك لأن السندرىّ كانت جدته أمةٌ اسمها عَيْساء فقال :

---

(١) غير منفر : غير مغلوب فى المنافرة .
(٢) السقب معناه هنا : الغصن الريان الغليظ الطويل . والعرعر : شجر .
(٣) فى المطبوع : إذا أكننى الحياء . (٤) السقب هنا : ولد الناقة .
(٥) السورة : السلطان وسطوته . والولاء : المتوالية .

لمّا دعانى عامر لأجيبهم أبيت وإن كان ابن عَيْساء ظالما
لكى لايكون السندرىّ نَديدتى وأشتم أعماما عموما عَماعِما[1]
وأنشر من تحت القبور أبوّة كراما هُمُ شدّوا علىّ التمائما
لعبت على أكتافهم وحجورهمْ وَليدا وسمّونى مُفيدًا وعاصما
ألاَ أيُّنا ما كان شرًّا لمالكٍ فلا زال فى الدنيا ملوما ولا نما

قال : ووثب الحطيئة فقال :

ما يحبس الحكّامَ بالفصل بعدما بدا سابق ذو غُرَّة وحجول

وقال أيضا :

يا عامِ قد كنت ذا باع ومكرمةٍ لو أن مسعاةَ من جاريته أمَمُ
جاريت قَرْمًا أجاد الأحوصانِ به سَمْحَ اليدين وفى عرنينه شَمَمُ
لا يصعب الأمرُ إلاّ ريْثَ يركبه ولا يبيت على مال له قسَمُ
هابت بنو مالك مجدًا ومكرمة وغايةً كان فيها الموت لو قدِموا
وما أساءوا فرارًا عن مُجَلّحةٍ[2] لا كاهنٌ يَمترى فيها ولا حَكَمُ

قال : وأقام القوم عنده أياما ، وأرسل إلى عامر فأتاه سرا لا يعلم به علقمة فقال : يا عامر ، قد كنت أرى لك رأيا وأن فيك خيرا ، وما حبَسْتك هذه الأيامَ إلا لتنصرف عن صاحبك ، أتنافر رجلا لا تفخر أنت وقومك إلاّ بآبائه ؟ فما الذى أنت به خير منه ؟ قال عامر : نشدتك الله والرحم أنْ لاتفضّل علىّ علقمة ، فوالله لئن فعلتَ لا أُفلح بعدها أبدا ، هذه ناصيتى فاجزُزْها واحتكم فى مالى ، فإن كنت لا بدّ فاعلا فسوّ بينى وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى رأيى ، فخرج عامر وهو لايشكّ أنه يُنَفّره عليه ، ثم أرسل إلى علقمة سرًّا لا يعلم به عامر ، فأتاه فقال : يا علقمة والله إنْ كنت لأحسب فيك خيرا وأنّ لك رأيا ، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك ، أتفاخر رجلا هو ابن عمك فى النسب وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظم قومك غَناءً وأحمدهم لقاءً ؟ فما الذى

(١) العموم : الجماعة المجتمعون . والعماعم : المتفرقون : أى أجعل أقواما مجتمعين فرقا .
(٢) المجلحة : السنة التى تذهب بالمال .

أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : أنشدك الله والرحم أنْ لا تنفّر عليّ عامرا اجزُزْ ناصيتي واحتكم في مالي ، وإن كنت لابد أن تفعل فسوّ بيني وبينه ، فقال : انصرف فسوف أرى رأيي ، فخرج وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامراً .

قال أبي : سمعت أن هرما قال لعامر حين دعاه : يا عامر ، كيف تفاضل علقمة ؟ فقال عامر : ولم يا هرم ؟ قال : لأنه أنجل منك عينا في النساء ، وأكثر منك نفيرا عند ثورة الدعاء ، قال عامر : هل غير هذا ؟ قال : نعم ، هو أكثر منك نائلا في الثراء ، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء ، ثم قال لعلقمة : كيف تفاضل عامرا ؟ قال : ولم يا هرم ؟ قال : هو أنفذ منك لسانا ، وأمضى منك سِنانا . قال علقمة ، فهل غير هذا ؟ قال : نعم ، هو أقتل منك للكُماة ، وأفكّ منك للعُناة .

قال : ثم إن هرما أرسل إلى بنَيه وبني أبيه : إني قائل غدا بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فعلت فلْيَطرُدْ بعضكم عشر جزائر فلينحَرْها عن علقمة ويطرُدْ بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن عامر ، وفرِّقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة.

وأصبح هرم فجلس مجلسه وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام لبيد فقال :

يا هرمُ ابنَ الأكرمين منَصِبا إنك قد وليت حكما مُعجِبا
فاحكمْ وصوِّبْ رأسَ من تصوّبا[1] إن الذي يعلو عليها تُرْتُبا[2]
لخيرُنا عما وأمّاً وأبا وعامر خيرُهما مُرَكَّبا

وعامر أدنى لقيس نسبا

فقام هرم فقال : يا بني جعفر ، قد تحاكمتما عندي وأنتما كركبتي البعير الأدرم تقعان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحد إلاّ وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلا كما سيد كريم .

---

(١) صوب الرأس : خفضه . وتصوب : تسفل ضد تصعد .

(٢) الترتب : الأمر الثابت ، والتراب .

، عمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر فنحروها حيث أمرهم هرم ، عن علقمة عشرا وعن عامر عشرا ، وفرّقوا الناس ، فلم يفضّل هرم أحدا منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل وهما ابنا عم فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيّين شرّا .

قال : وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوار والخُفْرَة من علقمة ، فلم يكن عنده ما طلب ، وأجاره وخفره عامر حتى أدّاه وما له إلى أهله فقال :

علقم ما أنت إلى عامر   الناقض الأوتار والواتر

ثم أتمها بعد النفار ، فلما بلغ علقمةَ ما قال الأعشى وأشاع في العرب أنّ هرما قد فضّل عامرًا توعّد الأعشى ، فقال الأعشى :

لعمرى لئن أمسى من الحيّ شاخصا

قال ابن الكلبي : حدثني أبي قال : فعاش هرم حتى أدرك سلطان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فسأله عمر فقال : يا هرم أيّ الرجلين كنت مُفَضِّلا لو فضّلت ؟ فقال : لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جَذَعة ، ولبلغتْ شِعافَ هَجَرَ[1] فقال عمر : نِعْمَ مُسْتَوْدَعُ السِّرّ ومسنَدُ الأمر إليه أنت يا هرم ، مثل هذا فليسدِ العشيرة . فقال : إلى مثلك فليَستَبضع القوم أحكامهم

قال أبو الفرج الأصبهاني : وقد أدرك علقمةُ بن عُلاثة الإسلام فأسلم ، ثم ارتد فيمن ارتد من العرب فلما وجّه أبو بكر خالدَ بن الوليد المخزومي إلى بنى كِلاب ليوقع بهم ، وعلقمة يومئذ رئيسهم هرب وأسلم ، ثم أتى أبابكر رضى الله عنه فأعلمه أنه قد نَزَع عما كان عليه ، فقبل إسلامه وأمّنَه .

هكذا ذكر المدائني . وأما سيفُ بن عُمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك .

وحدثنا محمد بن جرير الطبرى قال : حدثنا السرِيّ بن يحيي قال : حدثنا شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن سهل بن يوسف قال :

(١) الشعاف : جمع شعفة ، وهى أعلى الشىء . وهجر : مكان معروف .

كان علقمة بن عُلاثة على كِلاب ومَن والاها ، وقد كان علقمة أسلم ثم ارتد فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام مرتدًا : فلما تُوفى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أقبل مسرعا حتى عسكر فى بنى كعب مُقدِّما رِجْلا ومؤخرا أخرى ، وبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه فبعث إليه سَرِيَّة ، وأمَّر عليها القعقاعَ بن عمرو وقال : يا قعقاع سِرْ حتى تُغير على علقمة بن عُلاثة لعلك تأخذه لى أو تقتله ، واعلم بأن شفاء النفس الحُوصُ (١) فاصنع ما عندك ، فخرج فى تلك السرية حتى أغار على الماء الذى عليه علقمة ، وكان لايبرح أن يكون على رَحْل فسابقهم على فرسه مُراكضةً ، وأسلم أهلَه وولَدَه ، واستبى القعقاع امرأةَ علقمة وبناته ونساءه ومن أقام من الرجال فاتَّقوه بالإسلام ، فقدم بهم على أبى بكر رضى الله عنه ، فجحدت زوجته وولده أن يكونوا مالَئُوا علقمة على أمره ، وكانوا مقيمين فى الدار ، ولم يكن بلغه عنهم غير ذلك ، وقالوا لأبى بكر رضى الله عنه : ماذنبنا نحن فيما صنع علقمة ؟ فأرسلهم ، ثم أسلم علقمة فقبِلَ ذلك منه .

أخبرنا الحرمىّ بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا عمرو ابن عثمان قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربما حدّث أصحابه وربما تركهم يتحدثون ويُصغى إليهم ويتبسم ، فبينا هم يوما على ذلك يتذاكرون الشعر وأيامَ العرب إذ سمع حسانَ بن ثابت يُنشِد هجاءَ أعشى بنى قيس بن ثعلبة علقمةَ بن عُلاثة ومديحه عامرَ بنَ الطفيل :

علقم ما أنتَ إلى عامر ... الناقضِ الأوتار والواترِ
إن تَسُدِ الحُوص فلم تَعدُهم ... وعامرٌ ساد بنى عامر
ساد وألفى قومَه سادةً ... وكابرًا سادوك عن كابر

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كُفَّ عن ذكره ياحسان ، فإن

(١) الحوص : يراد بهم بنو الأحوص .

أبا سفيان لما شَعَّثَ منى [1] عند هرقل رد عليه علقمة ، فقال حسان بن ثابت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، من نالَتْك يدُه فقد وجب علينا شكرُه .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدثنا المدائنى ، عن أبى بكر الهُذلى قال :

لما أطلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحطيئة من حبسه قال له : يا أمير المؤمنين ، اكتب لى كتابا إلى علقمة بن عُلاثة لأقصده به فقد منعْتَنى التكسُّب بشعرى ، فقال : لا أفعل ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما عليك من ذلك ؟ إن علقمة ليس بعاملك فتخشى أن تأثم ، وإنما هو رجل من المسلمين تَشْفَعُ له إليه ، فكتب له بما أراد ، فمضى الحطيئة بالكتاب فصادف علقمة قد مات ، والناسُ منصرفون عن قبره ، فوقف عليه ثم أنشد قوله :

لعمرى لنِعْم المرءُ من آل جعفر بحَوْران أمسى أعلَقتْه الحبائل

فإنْ تحىَ لا أملَلْ حياتى وإن تمتْ فما فى حياة بعد موتك طائلُ

وما كان بينى لو لقيتك سالما وبين الغنى إلا ليالٍ قلائلُ

فقال له ابنه : ياحطيئة كم ظننتَ أن علقمة يعطيك ؟ قال : مائة ناقة ، قال : فلك مائة ناقة يتبعهما مائة من أولادها . فأعطاه إياها .

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى عمر ابن أبى بكر قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد والضحاك بن عثمان قالا :

لما قدم علقمه بن علاثة المدينة وكان قد ارتد عن الإسلام وكان لخالد بن الوليد صديقا ، فلقيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد فى جوف الليل ، وكان عمر رضى الله عنه يُشبه بخالد ، وذلك أن أمه حَنْتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فسلَّم عليه وظن أنه خالد فقال له : عزلك؟ قال : كان ذلك ، قال : والله ماهو إلا نَفاسةٌ عليك وحَسَدٌ لك ، فقال له عمر : فما

---

(١) شعث منه تشعيثا : غض منه ؛ أو أخذه وانتاشه .

عندك معونة على ذلك ؟ قال : معاذ الله ، إن لعُمَر علينا سمعا وطاعة ، وما نخرج إلى خلافه ، فلما أصبح عمر رضى الله عنه أذن للناس فدخل خالد وعلقمة، فجلس علقمة إلى جنب خالد ، فالتفت عمر إلى علقمة فقال له : إيه يا علقمة، أنت القائل لخالد ما قلت ؟ فالتفت علقمة إلى خالد فقال : يا أبا سليمان أفعلتها ؟ قال : ويحك ، والله ما لقيتك قبل ما ترى ، وإنى لأراك لقيت الرجل ، قال : أُراه والله ، ثم التفت إلى عمر رضى الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ماسمعتَ إلا خيرًا ، قال : أجل ، فهل لك أن أُولِّيك حوران ؟ قال : نعم ، فولاه إياها فمات بها ، فقال الحطيئة يرثيه :

لعمرى لنِعْمَ الحىّ من آل جعفرٍ بحوران أمسى أقصدته الحبائلُ
لقدأقصدَتْ جودا ومجدا وسُوددا وحلما أصيلا خالفته المجاهلُ
فإن تحى لا أملَلْ حياتى وإن تمتْ فما فى حياة بعد موتك طائلُ

وفى أول هذه القصيدة التى رثى بها الحطيئةُ علقمةَ غناءٌ نسبته .

صوت

أرى العيس تَخْدِى بين قَوٍّ فضارجٍ كما لاح فى الصبح الأشاءُ الحواملُ(١)
فأتبعتهم عينىّ حتى تفرقتْ مع الليل عن ساقِ الفريدِ الجمائلُ(٢)
فلأْياً قَصَرْتُ الطرف عنهم بجَسْرة أمونٍ إذا واكلْتها لا تواكِلُ

غنى فى هذه الأبيات سائب خاثر ثانى ثقيل بالوسطى من رواية حماد بن إسحاق والهشامى .

صوت

ليت شعرى أفاح رائحة المِسـ ـكِ وما إنْ إخالُ بالخَيْفِ إنسِي
حين غابت بنوأُميّة عنـه والبهاليل من بنى عبد شمس

(١) الأشاء : صغار النخل : جمع أشاءة . وقو وضارج : موضعان . وفى مخطوط : الهوامل .
(٢) ساق الفريد : جبل .

خطباءٌ على المنابر فُـــرْسا ن عليها وقالَةٌ غيرُ خُـــرس

إخال : أظن ، وخلت كذا وكذا فأنا إخاله إذا ظننته ، وخالَ علىَّ الشيءُ يخيل إذا شككت فيه، وليت شعرى : كلمة تقولها العرب عند الشيء تحب عِلْمه وتسأل عنه .

وأخبرنى حبيب بن نصر المهلبىّ قال : حدثنى عمر بن شبة قال :

سأل رجل أبا عبيدة : ما أصل « ليت شعرى » فقال : كأنه قال ليتنى : شَعَرْت بكذا وكذا ، ليتنى علمت حقيقته .

الشعر لأبى العباس الأعمى ، والغناء لابن سريج رمل بالبنصر فى مجراها .

ذكر أخبار أبي العباس الأعمى ونسبه

هو السائب بن فَرّوخ مولى بني ليث ، وقيل : إنه مولى بني الدّيل ،وهذا القول هو الصحيح :

ذكر محمد بن معاوية الأسدى عن المدائنى والواقدى أن أبا العباس الأعمى — الذى يروى عنه حبيب بن أبي ثابت — مولى جَذيمة بن علىّ بن الدّيل بن بكر ابن عبد مناة ، وكان من شعراء بنى أمية المعدودين المقدّمين فى مدحهم والتشيّع لهم وانصِبابِ الهوى إليهم ،وهو الذى يقول فى أبى الطُّفيل عامرِ بن واثلة صاحبِ علىّ بن أبى طالب عليه السلام :

لعمرُك إننى وأبا طُفيلٍ ... لمختلفان والله الشهيدُ
أرى عثمان مُهتدِيا ويأبى ... متابعتى وآبى ما يُريدُ

أخبرنى بذلك وكيع ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي سعد .

وقد روى أبو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديثَ ، وروى عنه عطاء ، وعمرو بن دينار وحبيب بن أبي ثابت .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج عن عطاء :

عن أبى العباس الأعمى الشاعر ،عن عبد الله بن عمر قال : إنما جَمْعٌ (١) مَنزِلٌ تَدْلِج منه إذا شئت .

قال : حدثنا أحمد بن محمد بن بلان (٢) الحيشى قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل قال : حدثنا أبو ضمرة قال : حدثنى الحارث بن عبد الرحمن بن أبى ذئب .

---

(١) جمع : علم المزدلفة . (٢) فى مخطوط : دلال وفى مخطوط : دلان .

عن أبى العباس ، عن سعيد بن المسيِّب قال : قال على بن أبى طالب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إسباغ الوضوء على المكاره ، وإعمال الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، يغسل الخطايا غسلا .

حدثنى أحمد بن محمد بن سعيد الكوفى قال : حدثنا أبو قُلابة قال : حدثنا أحمد بن بشير بن عمير قال : حدثنا شعبة ، عن حبيب بن أبى ثابت قال :

سمعت أبا العباس السائب بن فروخ الأعمى الشاعر يحدث عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد فقال : أحَىٌّ والداك ؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال : حدثنا الفضل بن عبد الله الحَلَنْجِىّ بجُرجانَ قال : حدثنى مسلم بن الوليد الأنصارى قال : سمعت يزيد بن مَزْيد يقول : سمعت هارون الرشيد يقول : سمعت المهدى يقول :

سمعت المنصور يقول : خرجت أريد الشام أيام مروان بن محمد ، فصحبنى فى الطريق رجل ضرير ، فسألته عن مقصده فأخبرنى أنه يريد مروان بشعر امتدحه ، فاستنشدته إياه فأنشدنى :

ليت شعرى أفاح رائحة المسـ ... ـك وما إن إخال بالخَيْفِ إنْسِى
حين غابتْ بنو أميَّـة عنه ... والبهاليـل من بنى عبد شمْس
خطباء على المنابر فرسـا ... نٌ عليها وقالةٌ غيرُ خُـرْسِ
لايُعابون صامتين وإن قا ... لوا أصابوا ولم يقـولوا بلَبْس
بحلوم إذا الحلوم تَقضَّتْ ... ووجوه مثل الدنانير مُلْس

ويروى مكان تَقضَّتْ « اضمحلت » قال : فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أن العمى قد أدركنى ، وافترقنا ، فلما أفضت الخلافة إلىّ خرجت حاجا فنزلت أمشى بجبلَىْ زَرُودَ ، فبصرتُ بالضرير ففرّقتُ من كان معى ثم دنوت منه فقلت :

أتعرفني ؟ قال : لا ، فقلت ، أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان ، فقال : أوّه :

آمتْ نساءُ بني أميّةَ منهُمُ　　وبناتُهُمْ بمَضيعةٍ أيتامُ
نامت جُدودهمُ وأُسقط نجمهمْ　　والنَّجْمُ يسقط والجُدود نِيامُ
خلَتِ المنابرُ والأسِرّةُ منهمُ　　فعليهِمُ حتى المماتِ سلامُ

فقلت : وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت ؟ قال : أغناني أن أسأل أحداً بعده . فهممت بقتله ثم ذكرت حقَّ الاسترسال والصُّحبة فأمسكت ، وغاب عن عيني فبدا لي فيه ، فأمرتُ بطلبه ، فكأنما البيداء بادت به .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثني عمر بن شبة قال : قال أبو عبيدة :

هوِىَ أبو العباس الأعمى امرأة ذات بعل ، فراسلها ، فأعلمت زوجها ، فقال : أطْمِعيه فأطْمعتْه ، ثم قال : أرسلي إليه فليأتِك ، فأرسلت إليه فأتاها ، وجلس زوجها إلى جانبها ، فقال لها أبو العباس : إنك قد وُصِفْتِ لنا وما نراك ، فألمِسينا ، فأخذت يده فوضعتها على أير زوجها ، فنفرَ وعلم أنه قد كِيد فنهض من عندها وقال :

صوت

عليَّ أليّةٌ مادمتُ حيًّا　　أمسُّكِ طائعا إلاَّ بعُودِ
ولا أُهدِي لأرضٍ أنتِ فيها　　سلامَ اللهِ إلاَّ من بعيدِ
رجوتُ غنيمةً فوضعتُ كفِّي　　على أيْرٍ أشدَّ من الحديدِ
فخيرٌ منكِ من لاخيرَ فيه　　وخيرٌ من زيارتكُمْ قُعُودي

وقرأت هذه الحكاية مروية عن الأصمعي غير مذكور راويها عنه ، وزعم أن بشارا صاحب القصة ، وأنه كان له مجلس يسميه البَرْدان يجتمع إليه فيه النساء ،

فعشق هذه المرأة وقد سمع كلامها ، ثم ذكر الخبر بطوله ، وقال فيها : فلما وصل إليها أنشأ يقول :

مُلَيْكَةُ قد وُصِفتِ لنا بحُسْنٍ ... وإنَّا لا نراك فأَلْمِسينا

فأخذ زوجها يده فوضعها على أيره .

ذكر إسحاق أن في البيتين الأولين والرابع من هذه الأبيات لحنا من خفيف الثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه إلى أحد ، ووجدته في غناء عمرو بن بانة في هذه الطريقة منسوبا إليه ، فلا أدرى أهو ذلك اللحن أو غيره .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني أيوب بن عمر أبو سلمة قال :

قال أبو العباس الأعمى مولى بني الدِّيل بن بكر يحُضُّ بني أمية على عبدالله ابن الزُّبير :

أبني أميةَ لا أرى لكُمُ ... شِبْهًا إذا ما التَفَّتِ الشِّيَعُ

سَعَةً وأحلاما إذا نَزِعَتْ ... أهْلُ الحُلوم فضرَّها النَّزَعُ[1]

وحَفيظةً في كلِّ نائبةٍ ... شهباءَ لا يُنْتَهى لها الرُّبَعُ[2]

اللهُ أعطاكمْ وإن رَغِمَتْ ... من ذاك أنف مَعاشِرٍ رُفِعوا

أبني أميَّةَ غيرَ أنكمُ ... والناس فيما أُطْمِعوا طَمِعوا

أطمعتمُ فيكمْ عدُوَّكمُ ... فَسَمَا بهمْ في ذاكُمُ الطمَعُ

فلَوَ انكمْ كنتم كقومِكمُ ... مثل الذى كانوا لكم رَجَعُوا

عمَّا كرِهتمْ ثمَّ رَدَّهمُ ... حذَرُ العقوبةِ إنها تَزَعُ

وله أشعار كثيرة في مدائح بني أمية وهجاءِ آل الزبير ، وأكثرها في هجاء عمرو ابن الزبير ليس ذكرها مما قصدنا له .

---

(١) نزعت : انحسر الشعر عن جانبي جبهتها . ولعله يراد هنا الشيخوخة وفساد الرأى .

(٢) الربع : الفصيل ينتج في الربيع . وبفتح الراء : الرجل بين الطويل والقصير .

ونسخت من كتاب قَعْنب بن المُحْرِز قال : حدثنا المدائنى عن جُوَيرية ابن أسماء :

أن ابن الزبير رأى رجلا من حلفاء بنى أسد بن عبد العُزّى فى حالة رَثّة فكساه ثوبين ، وأمر له بِبُرّ وتمر ، فقال أبو العباس الأعمى فى ذلك :

صوت

كستْ أَسَدٌ إخوانها ولو اننى ... ببلدة إخوانى إذًا لكُسِيتُ
فلم ترَ عينى مثلَ حىّ تحمّلوا ... إلى الشام مظلومين منذ بُرِيتُ[1]

غنى فى هذين البيتين دحمان ثقيل أول بالبنصر من رواية ابن المكى ، ورأيت فى بعض الكتب لزرزور غلام المارقى فيهما صنعة أيضا .

وقال محمدبن معاوية : حدثنى المدائنى قال :

قدم البَعيثُ المُجاشِعىّ مكة ، وكان أبو العباس الأعمى الشاعر لايكاد يفارقها ، وكانت جوائز أُمية تأتيه من الشام ، وكانت قريش كلُّها تَبرُّه للسانه ، وتقربًا إلى بنى أمية ببره ، قال : فصلّى البَعيث مع الناس ، وسأل فى حَمالة كانت عليه ، وكان سئولاً مُلحًّا شديدَ الطمع ، وكان الرجل من قريش يأتيه بالشىء يتحمّله عنه فيقول : لا أقبله إلا أن تجىء معى إلى الصرّاف حتى يَنْقُدَه ويزِنَه ، فإن لم يفعل ذمّه وهجاه ، فشكوه إلى أبى العباس الأعمى فقال : قُودونى إليه ففعلوا ، فلما عرف مجلسه رفع عصاه فضرب بها رأسه ثم قال له :

فهل أنت إلا مُلْصَقٌ فى مُجاشعٍ ... نفاكَ جَرِيرٌ فاضْطَرِرْتَ إلى نَجدِ

ويروى : نفاك جرير بالهجاء إلى نجد :

تظلّ إذا أُعطيت شيئا سألتَه ... تطالِبُ من أعطاك بالوزن والنَّقْدِ
فلا تطمعَنْ من بعد ذا فى عطيّةٍ ... وثِقْ بقبيح المنع والدفع والرّدِّ

---

(١) بريت مخففة من برئت : أى خلقت .

فلستَ بمُبْقٍ فى قريش خِزَايةً[1] تُذَمُّ ولو أبعدْتَ فيها مَدَى الجَهْدِ

قال : فتضاحك به من حضر واستحيا ولم يُحِرْ جوابا ، فلما جَنَّ الليلُ هرب من مكة .

قال قعنب بن المحرز : حدثنى المدائنى قال :

قال عبد الملك بن مروان لأبى العباس الأعمى مولى بنى الدِّيل : أنشدنى مديحك مُصعَبا ، فاستعفاه فقال : يا أمير المؤمنين إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقى ، وقد علمْتَ أن هواى أُمَوِىّ ، قال : صدقت ، ولكن أنشدنى ما قلته ، فأنشده :

يرحم الله مُصْعبا فلقدْ ما تَ كريما ورام أمرا جَسِيما

فقال عبد الملك : أجل لقد مات كريما ثم تمثل :

ولكنه رَامَ التى لا يَرُومُها من الناس إلاَّ كلُّ حُرٍّ مُعَمَّمِ[2]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنى إسحاق بن محمد الأموى قال :

لما حج عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكة فدخلوا إليه على مراتبهم ، وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا ، ودخل أبو العباس الأعمى ، فلما رآه عبد الملك قال : مرحبا مرحبا بك يا أبا العباس ، أخبرنى بخبر المُلحِد المُحِلّ حيث كسا أشياعه ولم يَكْسُك ، وأنشدْنى ما قلت فى ذلك ، فأخبره بخبر ابن الزبير وأنه كسا بنى أسد وأحلافها ولم يكسه ، وأنشده الأبيات ، فقال عبد الملك : أُقسِمُ على كلِّ من حضر من بنى أمية وأحلافهم ومواليهم ، ثم على كُلِّ من حضر من أوليائى وشيعتى على دعوتهم إلاَّ كسا أبا العباس . فخُلعت والله حُلَلُ الوَشْىِ والخزِّ والقُوهِىِّ ، وجُعِلتْ تُرْمَى عليه ، حتى إذا غطَّته نهض فجلس فوق ما اجتمع وطُرِح عليه . قال : حتى رأيت فى الدار من الثياب ما ستر عنى عبدَ الملك وجلساءه . وأمر له عبد الملك بمائة ألف درهم .

---

(١) فى مخطوط : فلست بمستبق قريشا .

(٢) فى مخطوط : كل خرق معمم . والخرق : الكريم السخى .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى على بن محمد بن سليمان النوفلى قال : حدثنى أبى وأهلى .

أن عبد الله بن الزبير لما غلب على الحجاز جعل يتتبع شيعة بنى مروان فينفيهم عن المدينة ومكة حتى لم يبق بها أحد منهم ، ثم بلغه عن أبى العباس الأعمى الشاعر نَبْذٌ من كلام ، وأنه يكاتب بنى مروان بعوراته ويمدح عبد الملك وتجيئه جوائزه وصِلاته ، فدعا به ثم أغلظ له وهمّ به ، ثم كُلِّم فيه وقيل له : رجل مضرور ، فعفا عنه ونفاه إلى الطائف ، فأنشأ يهجوه ويهجو آل الزبير :

بنى أسد لا تذكروا الفخر إنكم ... متى تذكروه تكذِبُوا وتُحمَّقوا
بَعيداتٌ بَيْنٍ خيرُكم لصديقكم[1] ... وشرُّكم يَغْدُو عليه وَيطرُقُ
متى تُسألوا فضلا تضنُّوا وتبْخلوا ... ونيرانكمْ بالشرّ فيها تَحَرُّقُ
إذا استَبقَتْ يوما قريشٌ خرجتمُ ... بنى أسد سُكْتا وذوالمجدِ يَسبق[2]
تجيئون خلف القوم سودا وجوهكمْ ... إذا ما قريش للأضاميم أصْفَقوا[3]
وما ذاك إلاّ أنّ للؤم طابعا ... يلوح عليكم وَسْمُه ليس يُخلِقُ

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير قال : حدثنى عمى مصعب قال :

قال عمر بن أبى ربيعة لأبى العباس الأعمى الشاعر مولى بنى الديل بن بكر :

أفْتِنِى إنْ كنتَ ثَقْفًا شاعِرا[4] ... عن فتى أعرجَ أعمى مُختَلِفْ
سيِّئِ السَّحْنَةِ كابٍ لونُه ... مثلِ عُودِ الخِرْوعِ البالى القَصِفْ

فقال أبو العباس يرد عليه :

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى ... وسيّدُنا لولا خلائقُ أربعُ

(١) يريد : أن خيركم لصديقكم بعيد .

(٢) سكتا : آخر الناس ، من السكيت وهو آخر خيل الحلبة .

(٣) الأضاميم : الجماعات . وأصفقوا : جاءوا للقوم بما يشبعهم من الطعام .

(٤) الثقف : الحاذق الخفيف .

نُكولك فى الهيجا وتَقْوالُك الخَنَى وشتمُك للمولى وأنك تُبَّعُ

قال الزبير : يقال رجل تُبَّع نساء وتِبْعُ نساء إذا كان كَلِفا بهن :

أخبرنى الحرمى قال :حدثنا الزبير قال :حدثنى عمر قال : حدثنى المكِّيُّون قالوا :

كان عمر بن أبى ربيعة يرامى جارية لأبى العباس ببنادق الغالية ،فبلغ ذلك أبا العباس فقال لقائده : قِفْنى على باب بنى مَخْزوم ، فإذا مرَّ عمر بن أبى ربيعة فضع يدى عليه ، فلما مرّ عمر بن أبى ربيعة وضع يده عليه ، فأخذ بِحُجْزَتِه وقال :

ألا من يشترى جارًا نَؤُوما بجارٍ لا ينام ولا يُنِيمُ
ويلبس بالنهار ثيابَ ناسٍ وشطْرَ الليل شيطانٌ رَجيمُ

فنهضت إليه بنو مخزوم فأمسكوا فه ، وضمنوا له عن عمر أن لا يعاود لما يكرهه .

صوت

ألا حَىَّ من أجل الحبيب المغانيا لَبِسْنَ البِلَى مما لبسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ تقاضاه شىءٌ لا يَمَلُّ التَّقاضِيا

الشعر لأبى حيَّة النُّميرى ،والغناء لأحمد بن يحيى المكى خفيفُ رمل بالبنصرعن الهشامى .

أخبار أبي حية النميري ونسبه

أبو حَيَّة الهيثمُ بن الربيع بن زُرَارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نُمَير بن عامر بن صَعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار .

وكان يقال لمالك : الأصقع ، وقال قوم : إن الأصقع هو الأصمّ بن مالك ابن جناب بن زُهير بن كعب .

وأبو حيّة شاعر مُجيد مُقدَّم من مخضرمى الدولتين الأُموية والعباسية ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعا ، وكان فصيحا مُقَصِّدًا راجزا من ساكنى البصرة . وكان أهوج جبانا بخيلا كذابا معروفا بذلك أجمع ، وكان أبو عمرو بن العلاء يُقدّمه ، وقيل : إنه كان يُصرَع .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنى محمد بن سلام الجمحى. وأخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد . وأخبرنى إبراهيم بن أيوب ، عن ابن قتيبة قالوا :

كان لأبى حيّة سيف يسميه لُعابَ المَنِيَّة ، ليس بينه وبين الخشبة فرق . وكان من أجبن الناس ، قال : فحدثنى جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلبٌ ، فظنه لصًا ، فأشرفتُ عليه وقد انتضى سيفه لُعابَ المنيَّة ، وهو واقف فى وسط الدار وهو يقول : أيها المغترُّ بنا والمجترئ علينا ، بئس واللهِ ما اخترتَ لنفسك خير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربتُهُ ، لا تُخاف نَبْوَتُه ، اخرجْ بالعفو عنك ، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، إنى والله إنْ أدْعُ قيسا إليك لا تَقُمْ لها ، وما قيس ؟ تملأ واللهِ الفضاء خيلا ورَجِلاً ، سبحان الله ، ما أكثرها وأطيبها ؟ فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا ، وكفانى حربا .

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدثنى محمد بن على بن حمزة قال : حدثنى أبو عثمان المازنى قال : حدثنى سعيد بن مَسْعَدَة الأخفش قال :

قال أبو حية النميرى : أتدرى ما يقول القَدَرِيُّون ؟ قلت : لا ، قال : يقولون : إن الله لا يكلِّف العباد مالا يطيقون ، ولا يسألهم مالا يجدون . وصدق واللهِ القَدَرِيّون ، ولكن لا أقول كما يقولون .

قال محمد بن على بن حمزة : وحدثنى أبو عثمان قال :

قال سلمة بن عياش لأبى حية النميرى : أتدرى ما يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون : إنى أشعر منك ، قال : إنّا لله ، هلك والله الناس .

قال : وكان أبو حية النميرى مجنونا يصرع ؛ وقد أدرك هشام بن عبد الملك .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى قال : سمعت عمى يقول :

أبو حية فى الشعراء كالرَّجُل الرَّبْعَة لا يُعدّ طويلاً ولا قصيرا .

قال : وسمعت أبا عمرو يقول :

هو أشعر فى عِظَمِ الشعر من الراعى .

أخبرنى الحسن بن على وعلى بن سليمان الأخفش قالا : حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال : حدثنى عبد الصمد بن المُعَذَّل . وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال : حدثنا عبد الله بن مسلم ، قالوا :

كان أبو حية النميرى من أكذب الناس ، فحدّث يوما : أنه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقعُ حوله فيأخذ منها ما شاء ، فقيل له : يا أبا حية ، أفرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا تصنع ؟ قال : أبعدها الله إذاً .

قال : وحدّث يوما قال : عَنَّ لى ظبىٌ يوما فرميته ، فراغ عن سهمى

فعارضه السهم ، ثم راغ فعارضه ، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبّانات .

قال : وقال يوما : رميت والله ظبية ، فلما نَفَذَ سهمي عن القوس ذكرتُ بالظبية حبيبةً لي ، فعدَوْتُ خلف السهم حتى قبضت على قُذَذِه ١ قبل أن يُدركها .

وذكر يحيى بن علي ، عن الحسن بن عُليل العَنَزي ، قال : قال الرِّياشي ، عن الأصمعي قال :

وفد أبو حية النميري على المنصور وقد امتدحه وهجا بني حسن بقصيدته :

عُوجا نُحَيِّ ديارَ الحيِّ بالسَّنَدِ وهل بتلك الديار اليوم من أحَدِ

يقول فيها :

أحين شِيمَ - فلم يَترُكْ لهم تِرَةً - سيفٌ تقلَّده الرِّئبالُ ذو اللبَدِ

سَلَلْتموه عليكمْ يا بني حَسَنٍ ما إنْ لكمْ من فلاحٍ آخرَ الأبدِ

قد أصبحت لبني العباس صافيةً بِجَدْعِ آنافِ أهلِ البغْيِ والحسد

وأصبحتْ كَلَهاةِ الليث في فمه ومَنْ يحاول شيئا في فم الأسد

فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يُؤمِّل ، فاحتجن ٢ لعياله أكثره ، وصار إلى الحيرة فشرب عند خمارة بها ، فأعجبه الشرب ، فكره إنفادَ ما معه ، وأحب أن يدوم له ما كان فيه ، فسأل الخمَّارة أن تبيعه بِنَسيئة ، وأعلمها أنه مدح الخليفة وجماعة من القواد ، ففعلت وشرِهتْ إلى فضلِ النسيئة ، وكان لأبي حية أير كعُنق الظَّلِيم ، فأبرز لها عنه فتدَلَّهت ، وكانت كلما سقته خطَّت في الحائط ، فأنشأ أبو حية النميري يقول :

إذا أسقيتِني كُوزًا بخَطٍّ فخُطِّي ما بدا لك في الجِدارِ

(١) قذذ السهم جمع قذة ، وهي ريش السهم.
(٢) احتجن لعياله : ضم إليهم .

فإنْ أعطيتِنى عَيْنا بدَيْــنٍ فهاتى العين وانتظرى ضِمارى[1]
خرقْتُ مُقدَّماً من جَنْبِ ثوبى حِيالَ مكان ذاك من الإزار
فقالتْ ، ويْلها : رَجلٌ ويمشى بما يمشى به عُجَرَ الحمار ؟[2]
وقالت ما تريد فقلت خيرا نسيئة ما علىَّ إلى يَسارِ
فصدَّت بعد ما نظرت إليــه وقد ألحمْتُه عُنُقَ الحُــوَارِ[3]

أخبرنى إبراهيم بن أيوب ، عن عبد الله بن مسلم قال :

لَقِىَ ابن مناذر أباحية فقال له : أنشدنى بعض شعرك فأنشده :

ألا حىِّ من أجل الحبيب المغانيا

فقال له ابن مناذر : وهذا شعر ؟ فقال أبو حية : ما فى شعرى عيب سوى أنك تسمعه ، ثم أنشده ابن مناذر شيئا من شعره ، فقال له أبو حية : قد عرفتك ما قصتك .

وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حية ويذكر يوم النشاش وهو يوم لبنى نمير[4] .

(١) الضمار : الوعد المسوف .
(٢) العجر جمع عجرة ، وهى العقدة فى الخيط والعصا وعروق البدن ونحوها .
(٣) الحوار : ولد الناقة ، وشبه به ذكره .
(٤) فى هامش مخطوط : يوم النشاش : يوم لبنى نمير على بنى حنيفة باليمامة . وانظر طبقات الشعراء تحقيقنا ص ١٤٤ والمراجع ص ٤٨١ .

أخبار أحمد بن يحيي المكي

أحمد بن يحيي بن مرزوق المكيّ ، ويكنى أبا جعفر ، وكان يلقب ظَنَينا[1] وقد تقدم ذكر أبيه وأخباره ، وهو أحد المحسنين المبرّزين الرواة للغناء المُحْكمى الصنعة ، وكان إسحاق يقدمه ويؤثره ويُشيد بذكره ويجهر بتفضيله .

وكتابه المُجرَّد فى الأغانى ونسبها أصل من الأصول المعوّل عليها ، وما أعرف كتابا بعد كتاب إسحاق الذى ألفه كتابا[2] يقارب كتابه ولا يقاس به . وكان مع جَودة غنائه وحُسن صنعته أحد الضُّرَّاب الموصوفين المتقدمين .

أخبرنى عمى قال : حدثنى أبو عبد الله الهشامى :

عن محمد بن أحمد المكى أن أباه جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديوانا للغناء ونسبه وجنَّسه ، فكان محتويا على أربعة عشر ألف صوت .

أخبرنى جحظة قال : حدثنى علىّ بن يحيي . ونسخت من بعض الكتب : حدثنى محمد بن أحمد المكى قال : .

حدثنى علىّ بن يحيي قال : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلى وقد جرى ذكر أحمد بن يحيي المكى : يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيي المكى مملوكا كم كان يساوى ؟ فقال : أخبرك عن ذلك . انصرفت ليلة من دار الواثق ، فاجتزت بدار الحسن بن وهب ، فدخلت إليه فإذا أحمد عنده ، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة قال لى الحسن بن وهب : كم يساوى أحمد لو كان مملوكا ؟ قلت : يساوى عشرين ألف دينار ، قال: ثم رجع فغنى صوتا فقال لى الحسن بن وهب:

(١) فى نهاية الأرب ٣٢١/٤ : طنينا « بالطاء المهملة » .

(٢) فى المطبوع : لنحا وفى مخطوط : لا تتضح النقط بعد الكاف .

أبا محمد أضْعفْها، قال: ثم تغنى صوتا آخر فقال الحسن: يا أبا محمد أضعفها، ثم أردت الانصراف فقلت لأحمد غنى:

صوت

[لولا الحياءُ وأن السِّتْرَ من خلُقى ... إذًا قَعَدْتُ إليك الدهرَ لم أقمِ
أليس عندكَ شكرٌ لِلَّتى جعلتْ ... ماابيضَّ من قادمات الرأس كالحُممِ

الغناء فيه لمعبد خفيف ثقيل أول مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو ابن بانة أنه لمالك وليس كما قال، لحنُ مالك ثقيل أول ذكره الهشامى ودنانير وغيرهما.

قال: فغناه أحمد بن المكى فأحسن كل الإحسان، فلما قمت للانصراف قلت للحسن: يا أبا على أضْعفُ الجميع. فقال له أحمد: ما هذا الذى أسمعكما تقولانه ولسنا ندرى معناه؟ فقلت له: نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدرى.

وأخبرنى بهذا الخبر يحيى بن على بن يحيى عن أخيه أحمد بن على، عن عافية بن شبيب، عن أبى حاتم قال:

كان إسحاق عندنا فى منزل أبى علىّ الحسن بن وهب وعندنا ابن المكى.

فذكر الحديث مثله وقال فيه: إنما قوّمته بمائة ألف. وذكر الصوت الذى غناه أخيرًا][1].

صوت

أمِنْ دِمَنٍ وخيمٍ بالياتِ ... وسُفْعٍ كالحمائم جاثماتِ
أقمت لهنَّ شطرَ الليل حتى ... طلعنَ من المناقب مُنْجِداتِ

(١) من أول قوله: «لولا الحياء..» إلى قوله: «غناه أخيرا». زيادة من أحد المخطوطات الموثوق بها.

وأن إسحاق لما سمعه قال : كم كنت قوّمته ؟ قال : مائة ألف درهم ، قال أضعفوا القيمة ، قيمته مائتا ألف درهم .

فى هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة فى مجرى الوسطى ينسب إلى ابن مسجح وإلى ابن محرز ، وفيه لابن سريج ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وللغريض خفيف ثقيل [1] عن الهشامى .

أخبرنى جحظة قال : حدثنى محمد بن أحمد المكى قال : ناظر أبى بعض المغنين ذات ليلة بين يدى المعتصم وطال تلاحيهما فى الغناء ، فقال أبى للمعتصم : يا أمير المؤمنين من شاء منهم فليغنّ عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة ، وأنا أغنى عشرة وعشرة ، وعشرة ، لا يعرف أحد منهم صوتا منها ، فقال إسحاق : صدق يا أمير المؤمنين وأتبعه ابن بُسْخُنّر وعَلُّوية فقالا : صدق يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله ، فأمر له بعشرين ألف درهم ، قال محمد : ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظّته [2] يوما فقال له : قد دعوتك إلى المَنْصَفَة فلم تقبل ، وأنا أدعوك وأبدأ بما دعوتك إليه ، فاندفع فغنى عشرة أصوات ، فلم يعرف أحد منهم صوتا واحدا منها ، كلّها من الغناء القديم والغناء اللاحق به من صنعة المكيّين الحذّاق الخاملى الذكر ، فاستحسن المعتصم منها صوتا وأسكت المغنين له واستعاده مرات عدة ، ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه ، وأمر أن لا يراجعه أحد من المغنين كلاما ولا يعارضه ، إذ كان قد أبرّ عليهم وأوضح الحجة فى انقطاعهم وإدحاض حجتهم .

وكان الصوت الذى اختار المعتصم عليه و أمر له لما سمعه بألف دينار .

صوت

لعن اللهُ من يلـــوم مُحِبّـــا ‏ ‏ ‏ ‏ ولحى اللهُ من يُحِبُّ فيأبى

(١) فى مخطوط : خفيف رمل .

(٢) فى نسخة : مماحكته . وفى نسخة : مجاراته .

رُبَّ إلْفَيْنِ أضمرا الحبَّ دهرًا   فعفا اللهُ عنهما حين ثابا

الغناء ليحيى المكى رمل .

قال محمد : قال أبى : وكان المعتصم قد خلع فى ذلك اليوم مَماطِرَ [١] لها شأن من ألوان شتى ، فسألنى عبد الوهاب بن على أن أردَّ عليه هذا الصوت ، وجعل لى مِمْطَرة ، فغنيته إياه ، فلما خرجنا للانصراف إلى منازلنا أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلمانى فسلموه إليهم .

أخبرنى عبد الله بن الربيع ، عن أبيه قال :

حدثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال : سألنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى يوما : من بقى من المغنين ؟ قلت : وجه القَرْعة محمد بن عيسى مولى عيسى بن جعفر ، فقال : صالحٌ كَيِّسٌ ، ومن أيضا ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكى ، قال : بَخٍ بَخٍ ، ذاك المحسن المجمل الضارب المغنى القائم بمجلسه لا يحوج أهلَ المجلس إلى غيره ، ومن بأبى أنت ؟ قلت : ابن مقامِرة ، قال : لا والله ما سمعت هذا قط . فمن مقامرة هذه ؟ زامرة أم نائحة أم مغنية ؟ قلت : لا ولكنها من الناس وليست من أهل صناعته ، قال : ومن أيضا بأبى أنت ؟ قلت يحيى بن القاسم ابن أخى سلمة ، قال : الذى كان له أخ يُغَنِّى مرتجلا ؟ قلت : نعم ، قال : لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئا قطّ . ولا أشك أن هذا كذلك لأنهما مؤدِّباه .

وذكر ابن المكى ، عن أبيه قال : قال المعتصم يوما لجلسائه ونحن عنده : خلعت اليومَ على فتى شريف ظريف نظيف حسن الوجه شجاع القلب ، ووليته المَصِّيصة ونواحيها ، فقلنا : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : خالد بن يزيد بن مزيد ، فقال عَلُّوية : يا أحمد غنِّ أمير المؤمنين صوتك فى مدح خالد ، فأمسكت عنه ، فقال المعتصم : مالك لا تجيبه ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ليس هو مما يُغَنَّى بحضرة الخليفة ، فقال : ما من أن تغنيه بُدٌّ ، قال فغنيته صنعةً لى فى هذا الشعر :

(١) المماطر : جمع ممطرة ، وهى ما يلبس فى المطر .

صوت

عَلَّمَ النَّاسَ خالدُ بنُ يزيـدٍ كُلَّ حِلْمٍ وكُلَّ بأسٍ وجُودِ
فترى الناس هيبة حين يبدو من قِيامٍ وركّعٍ وسجـودِ

فقال المعتصم: يا ثُمامة خُذْ أحمد بإلقاء هذا الصوت على الجوارى فى غدٍ. وأمر لى بعشرة آلاف درهم.

قال: وغنى أبى يوما محمداً الأمين:

صوت

فعِشْ عمر نوح فى سرور وغبطة وفى خَفَضِ عيش ليس فى طوله إثْمُ
تساعدك الأقدارُ فيـه وتنثنى إليك وترعى فضلك العُرْبُ والعُجْمُ

فأمر له بخمسمائة دينار.

وتوفى أحمد بن يحيى المكى فى خلافة المستعين فى أولها أخبرنى بذلك جحظة، عن محمد بن أحمد بن يحيى المكى أن أباه توفى فى هذا الوقت [1].

---

(١) بعدها فى المطبوع: انقضت أخباره.

[طرائف بسبب شعر لجرير]

صوت

إنَّ الذين غَدَوا بِلُبِّكَ غادروا وَشَلاً بعينك لايزال مَعِينا
غيَّضْنَ من عبراتهنَّ وقلن لى ما ذا لقيتَ من الهوى ولقينا

غادروا: تركوا، والوشل: الماء القليل، والمعين: الماء الجارى الصافى، وغيَّضن من عبراتهن أى كففنها ومسحنها حتى تغيض.

الشعر لجرير والغناء لإسحاق رمل بالوسطى عن عمرو، وهو من طرائف أرمال إسحاق وعيونها، وفيه لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن الهشامى وعمرو، وذكر علىّ ابن يحيى أن فيه لابن سريج رملا آخر، وذكر عيسى أن الثقيل الأول لإبراهيم، وأن فيه للهذلى ثانى ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم أيضا ما خورىّ بالبنصر.

وقد أخبرنى إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ قال: حدثنا عبدالله بن مسلم بن قتيبة: أن هذين البيتين للمَعْلُوط وأن جريرا سرقهما منه وأدخلهما فى شعره.

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنى عمى وغيره قالوا:

غدا عبد الله بن مسلم بن جُندب الهذلى على أبى السائب المخزومى فى منزله، فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا

البيتين، فحلف أبو السائب أن لا يردّ على أحد سلا ماولا يكلمه إلا بهذين البيتين حتى يرجع إلى منزله، فخرجا فلقيهما عبد العزيز بن المطلب وهو قاض وكانا

يُدعَيان القَرِينين لملازمتهما ، فلما رآهما قال : كيف أصبح القرينان ؟ فأنشد أبو السائب البيتين ولم يردّ سلاما ، وجعل يغمز ابن جندب أن يخبره بالقصة ، وابن جندب يتغافل ، فقال لابن جندب : ما لأبى السائب ، فجعل أبو السائب يغمز ابنَ جندب أن أَخبِرْه بيمينى ، فقال ابن جندب : أحمد الله إليك ، ما زلنا منكرا لفعله منذ خرجنا . فانصرف ابن المطلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه فصرفهم ودخل منزله مُغتمًّا ، فلما أتى أبو السائب منزله وبرّتْ يمينُه خرج إلى ابن جندب فقال : اذهب بنا إلى ابن المطلب فإنى أخاف أن يردّ شهادتى ، فاستأذنا عليه فأذن لهما ، فقال له أبو السائب : قد علمتَ أعزّك الله غرامى بالشعر ، وإن هـذا الضالّ جاءنى حين خرجت من منزلى فأنشدنى بيتين ، فحلفت أن لا أرد على أحد سلاما ولا أكلمه إلا بهما [حتى أرجع إلى منزلى] فقال ابن المطلب : اللهم غفرًا ، ألا تترك المجون يا أبا السائب ؟

أخبرنى الحرمى قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى عبد المطلب بن عبد العزيز قال :

أنشدت أبا السائب قول جرير :

غيضن من عبراتهن وقلن لى ... ما ذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال : يا ابن أخى أتدرى ما التَّغْيِيض ؟ قلت : لا ، قال : هكذا ، وأشار بأصبعه إلى جفنه كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه .

أخبرنى الحرمى قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا المدائنى ، وأخبرنى محمد بن العباس اليزيدى ، عن أحمد بن زهير ، عن الزبير بن بكار ، عن المدائنى قال :

شهد رجل عند قاض بشهادة ، فقيل له : من يعرفك ؟ قال : ابن أبى عتَيق ، فبعث إليه يسأله عنه ، فقال : عَدْلٌ رِضًى ، فقيل له : أكنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا ولكنى سمعته ينشد :

غيضن من عبراتهن وقلن لى ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت أن هذا لا يرسخ إلا فى قلب مؤمن ، فشهدت له بالعدالة .

أخبرنى الحرمى قال : حدثنا الزبير قال : حدثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحاك قالا :

كان أبو السائب المخزومى واقفا على رأس بئر فأنشده ابن جندب :

إن الذين غدوا بلبـك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا

فرمى بنفسه فى البئر بثيابه فبعْدَ لأىٍ ما أخرجوه .

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا محمد بن الحسن الزّرقى قال : حدثنا العلاء بن عمرو الزبيرى من ولد عمرو بن الزبير قال : حدثنا يحيى بن أبى قتيلة [1] قال : حدثنى إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على عليه السلام .

عن أشعب قال : جاءنى فتية من قريش فقالوا لى : نُحب أن تُسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتا من الغناء وتعلمنا ما يقول لك ، وجعلوا لى فى ذلك جُعْلا ، فدخلت عليه فقلت : يا أبا عمرٍو لى مجالسة وحُرْمة ومودّة وسِنّ وأنا مولع بالتَّرَنُّم ، قال : وما الترنم ؟ قلت : الغناء ، قال : وفى أى وقت ؟ قلت : فى الخلوة ومع الإخوان فى الخارج ، وأحب أن أُسْمِعك ، فإن كرهته أمسكت عنه ، ثم غنيته فقال : ما أرى بأسا ، فخرجت إليهم فأعلمتهم فقالوا : وما غنيته ؟ قلت : غنيته :

قرِّبا مربط النعامةِ مِنى لقِحَتْ حرب وائل عن حِيالِ

قالوا : هذا باردٌ لا حركة فيه ، ولسنا نرضى ، فلما رأيت دفعهم إياى وخفت ذهاب ما جعلوا لى رجعتُ إليه فقلت : يا أبا عمرٍو آخر ، قال : مالى ولك ؟ ولم أُملّكه أمره حتى غنيت فقال : ما أرى بأسا ، فخرجت إليهم فأعلمتهم ، قالوا : وما غنيته ؟ قلت :

(١) فى مخطوط : ابن قتيلة .

لم يُطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا

قالوا : وليس هذا بشيء ، فرجعت إليه فقلت : آخر . فاستكفنى فلم أُملّكه القول حتى غنيته :

غَيَّضْنَ مِن عَبَراتِهِنَّ وقُلْنَ لى ماذا لقيتَ مِنَ الهوَى ولقينا

فقال : مهلا مهلا ، فقلت : لا والله إلا بذاك الذى فيه تمر عجوة من صدقة عمر، فقال : هو لك ، فخرجت عليهم به وأنا أخطر ، فقالوا : مَهْ ، فقلت أطربتُ الشيخ حتى أعطانى هذا — وقال مرة أخرى : حتى فرض لى هذا — قال : ووالله ما فعلْ : وإنما كان فدية لأصْمُتَ ، وأخذت منهم الجُعْل .

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى المنجّم قال: حُدِّثت عن حماد بن إسحاق قال: حدثنى علّويه الأعسر قال : أتيت أباك فى داره هذه يوما وقد بنى إيوانها وسائرُها خراب ، فجلسنا على تلّ من تراب فغنانى لحنه فى :

غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فسألته أن يعيده علىّ ففعل ، وأتانا رسول أبيه بطبقِ رُطب فقال للرسول : قل له سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذى بعثتَ به إلىّ ، فأبلغه الرسول ذلك فقال له : ومن عنده ؟ فأخبره أنى عنده ، فقال : ما أخلقَه أن يكون قد أتانا بآبدة ، ثم أتانا رسوله بعد ساعة فقال: ما آن لرطبكم أن يأتينا ؟ فأرسلنى إليه وقد أخذتُ الصوت فغنيته إياه فقال : أجاد والله ، أأُلام على هذا وحُبِّه ، واللهِ لو لم يكن بينى وبينه قرابة لأحببته فكيف وهو ابنى ؟

صوت

ألست ترى يا ضَبُّ بالله أننى[1] مُصاحبةٌ نحو المدينة أرْكُبا

إذا قطعوا حزْنا تَخُبُّ ركابهم كما حرّكتْ رِيحٌ يَرَاعا مُثَقَّبا

عروضه من الطويل، والشعر لنائلة بنت الفرافصة ، والغناء لابن عائشة ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى ، ووجدت فى كتاب بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنه مما نحله يحيى المكى لابن عائشة .

(١) فى نسخة خطية : ألم ترنى بالله ياضب أننى

أخبار نائلة بنت الفرافصة ونسبها

هى نائلة بنت الفَرافصة [١] بن الأحوص بن عمرو ، وقيل : ابن عَفْر بن ثعلبة ، وقيل عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصْن بن ضَمْضَم بن عدىّ بن جناب الكلبيّة ، زوجة عثمان بن عفان رضى الله عنه تقوله لأخيها لما نقلها إلى عثمان .

أخبرنى بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال :

تزوج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هند بنت الفَرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ، فبلغ ذلك عثمان رضى الله عنه فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإنه قد بلغنى أنك تزوجت امرأة من كلب ، فاكتب إلىّ بنسبها وجمالها . فكتب إليه : أما بعد فإن نسبها أنها بنت الفَرافصة بن الأحوص ، وجمالها أنها بيضاء مديدة القامة . فكتب إليه : إن كانت لها أخت فزوجنيها . فبعث سعيد إلى الفرافصة يخطب إحدى بناته على عثمان ، فأمر الفرافصة ابنه ضَبًّا فزوجها إياه ، وكان ضبّ مسلما وكان الفرافصة نصرانيا ، فلما أرادوا حملها إليه قال لها أبوها : يا بنية إنك تَقْدَمين على نساء من نساء قريش هنّ أقدر على الطِّيب منك ، فاحفظى عنى خَصْلتين : تكحّلى وتطيّبى بالماء حتى يكون ريحك ريح شَنّ أصابه مطر ، فلما حُملتْ كرهت الغُربة وحزنت لفراق أهلها فأنشأت تقول :

ألستَ ترى يا ضَبُّ بالله أننى … مصاحبةٌ نحوَ المدينة أرْكُبا [٢]

إذا قطعوا حَزْنا تَخُبُّ ركابهم … كما زعزعت ريحٌ يَرَاعا مُثَقَّبا

لقدكان فى أبناء حِصْنِ بن ضَمضم … لك الويل مايغنى الخباء المُطَنَّبا

(١) فى اللسان « فرفص » : كل ما فى العرب فرافصة ، بضم الفاء ، إلا فرافصة أبا نائلة امرأة عثمان رحمه الله بفتح الفاء لا غير .

(٢) الأركب : جمع الركب .

فلما قدمت على عثمان رضى الله عنه قعد على سريره ووضع لها سريرا حياله ، فجلست عليه ، فوضع عثمان قَلَنْسِيَتَه فبدا الصَّلَع فقال : يا بنت الفرافصة ، لا يَهولَنَّكِ ما ترين من صلعي فإن وراءه ما تُحبين ، فسكتت ، فقال : إمَّا أن تقومى إلىّ وإما أن أقوم إليك ، فقالت : أما ما ذكرت من الصلع فإنى من نساء أحبُّ بعولتهن إليهن السادة الصُّلْع ، وأما قولكَ إما أن تقومى إلىّ وإما أن أقوم إليك ، فوالله ما تجشَّمت من جَنَبات السَّماوة أبعدُ مما بينى وبينك ، بل أقوم إليك ، فقامت فجلست إلى جنبه ، فمسح رأسها ودعا لها بالبركة ثم قال لها : اطرحى عنك رداءك ، فطرحته ، ثم قال لها : اطرحى خمارك ، فطرحته ، ثم قال لها انزعى دِرْعك فنزعته ، ثم قال : حُلّى إزارك ، فقالت : ذاك إليك ، فحلّ إزارها ، فكانت من أحظى نسائه عنده .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا على بن محمد عن عيسى بن يزيد ، عن عبد الواحد بن عمير .

عن أبى الجرّاح مولى أم حبيبة قال : كنت مع عثمان رضى الله عنه فى الدار فما شعرت [1] وقد خرج محمد بن أبى بكر ونحن نقول هم فى الصُّلح ، وإذا بالناس قد دخلوا من الخَوْخة ونزلوا بأمراس الحبال من سور الدار معهم السيوف ، فرميت بسيفى وجلست عليه وسمعت صياحهم ، فكأنى أنظر إلى مصحف فى يد عثمان وإلى حُمرة أديمه ، فنشرتْ نائلة بنت الفَرافصة شعرها ، فقال لها عثمان : خذى خمارك فلعمرى لَدخولُهم علىّ أعظمُ من حرمة شعرك ، وأهوى رجل إليه رضى الله عنه بالسيف فاتّقته بيدها فقطع أصبعين من أصابعها ، ثم قتلوه وخرجوا يكبرون ، ومرّبى محمد بن أبى بكر فقال : مالك يا عبدَ أمّ حبيبة ؟ ومضى فخرجت .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا عبد الله ابن حكيم الطائى ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال :

لما قُتل عثمانُ رحمة الله عليه قالت نائلة بنت الفَرافصة :

---

(١) لعلها : إلا وقد خرج .

ألا إنَّ خيرَ الناس بعــد ثلاثة قتيلُ التُّجِيبِيِّ الذى جاء من مصْرِ
ومالىَ لا أبكى وتبكى قرابتى وقد غُيِّبتْ عنَّا فضولُ أبى عمرِو

هكذا فى الرواية ، وقد قيل : إن هذين البيتين للوليد بن عقبة ؛

أخبرنى أحمد قال : حدثنى عُمر قال : حدثنا على بن محمد النوفلى عن أبى مِخْنف ،عن نُمير بن وَعْلة ، عن الشَّعبىّ . ومسلمة بن محارب ، عن حرب ابن خالد بن يزيد بن معاوية :

أن نائلة بنت الفرافصة كتبت إلى معاوية بن أبى سفيان وبعثت بقميص عثمان مع النعمان بن بشير أو عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة : من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبى سفيان ، أما بعد فإنى أذكركم بالله الذى أنعم عليكم وعلّمكم الإسلام[1] ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم النعمة ،وأنشدكم بالله عز وجل ، وأذكركم حقه وحق خليفته الذى لم تنصروه ، وبعزمة الله عليكم ،فإنه قال «وَإن طائِفتانِ من المؤْمنينَ اقتتلوا فأصْلحوا بينهما فإن بغتْ إحداهمَا على الأخرَى فقاتلوا التى تبغى حتى تفِىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما»[2] وإن أمير المؤمنين ممن بُغىِ عليه ، ولو لم يكن له عليكم حقٌ إلاّ حقّ الوِلاية ثم أتى إليه ما أتى لَحقّ على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره ، لِقِدَمِهِ فى الإسلام وحسن بلائه ، وإنه أجاب داعى الله وصدق رسوله[3] والله أعلم به إذ انتخبه فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة ، وإنى أقص عليكم خبره لأنى كنت مشاهدة أمره كله حتى أُفضِى إليه[4] إن أهل المدينة حصروه فى داره يحرسونه ليلهم ونهارهم ، قياما على أبوابه بسلاحهم ، يمنعونه كل شىء قدروا عليه ، حتى منعوه الماء ، يحْضُرونه الأذى ويقولون له الإفك ،

---

(١) فى مخطوط : أنعم علينا وعليكم بالإسلام .

(٢) سورة الحجرات ٩ .

(٣) فى مخطوط : كتابه .

(٤) فى المطبوع : حتى قضى الله عليه . وكذلك فى نسخة من المخطوطات .

فمكث هو ومن معه خمسين ليلة ، وأهلُ مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر ،وكان علىٌّ مع المحرِّضين من أهل المدينة ، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ولم ينصره ، ولم يأمر بالعدل الذى أمر الله تبارك وتعالى به ، فظلَّت تقاتل خُزاعة وسعد بن بكر وهُذيل وطوائف من مُزَينة وجُهينة وأنباطُ يثربَ ولا أرى سائرهم ، ولكنى سميت لكم الذين كانوا أشدَّ الناس عليه فى أول أمره وآخره ، ثم إنه رُمِى بالنبل والحجارة ،فقتل ممن كان فى الدار ثلاثة نفر ، فأتوه يصرخون إليه ليأذن لهم فى القتال فنهاهم عنه ، وأمرهم أن يردوا عليهم نبلهم ، فردوها إليهم ، فلم يزدهم ذلك على القتال إلا جراءة ، وفى الأمر إلا إغراء ثم أحرقوا باب الدار ، فجاءه نفر من أصحابه فقالوا: إن فى المسجد ناسا يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل فاخرجْ إلى المسجد حتى يأتوك ، فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحة القوم مُظلَّة عليه من كل ناحية ، وما أرى[1] أحدا يعدل ،فدخل الدار ، وقد كان نفر من قريش على عامَّتهم السلاح ، فلبس درعه وقال لأصحابه لولا أنتم ما لبست درعا، فوثب عليه القوم،فكلمهم ابنُ الزبير وأخذ عليهم ميثاقا فى صحيفة بعث بها إلى عثمان : أنَّ عليكم عهدَ الله وميثاقه ألا تغزوه بشىء ، فكلَّموه وتحرَّجوا ، فوضع السلاح ، فلم يكن إلا وضعُهُ حتى دخل عليه القوم يقدُمهم ابن أبى بكر ،حتى أخذوا بلحيته ودعَوه باللقب فقال : أنا عبد الله وخليفته ، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات ، وطعنوه فى صدره ثلاث طعنات ، وضربوه على مُقدَّم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعَتْ فى العظم ، فسقطتُ عليه وقد أثخنوه وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به ،فأتتنى بنتُ شيبة ابن ربيعة فألقت نفسها معى عليه،فتوُطِّئْنا وطأً شديدا وعُرِّينا من ثيابنا ، وحُرمةُ أمير المؤمنين أعظم ، فقتلوه رحمة الله عليه فى بيته وعلى فراشه ، وقد أرسلتُ إليكم بثوبه وعليه دمهُ ،وإنه والله لئن كان أَثِمَ مَنْ قتَله لَماسَلِمَ من خذَلَه ، فانظروا أين أنتم من الله جل وعز ، فإنا نشكُو ما مسَّنا إليه،ونستنصر وليَّه وصالحَ عباده ، ورحمةُ الله على عثمان ، ولعن الله من قتله ، وصرعهم فى الدنيا مصارع الخزى والمَذلَّة ، وشفى منهم الصدور .

(١) لعلها : وما رأى .

فحلف رجال من أهل الشام ألا يَطَئُوا النساء حتّى يقتلوا قتَلَته أو تذهب أرواحهم .

صوت

فيا راكباً إمّا عرضْتَ فبَلّغَنْ ندامايَ من نَجرانَ أنْ لا تلاقيا
أباكَرِبٍ والأَيهَمين كِليهما وقيسا بأعلى حَضرموتَ اليمانيا
وتضحكُ مِنّي شيخةٌ عَبْشَمِيّةٌ كأنْ لم تَرَىْ قبلي أسيرًا يمانيا
أقولُ وقد شَدّوا لسانى بنِسْعَةٍ أمعشرَ تَيْمٍ أَطلِقوا عن لسانيا

الشعر لعبد يغوث بن صَلاءة الحارثيّ ، والغناء لإسحاق ثقيل أول .

أخبار عبد يغوث ونسبه

هو عبد يغوث بن صَلاءة، وقيل : بل هو عبد يَغوث بن الحارث بن وقَّاص ابن صَلاءة ، وهو قول ابن الكلبي ، ابن المَعقِل واسم المعقل ربيعة بن كعب الأرَتّ بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعْرُب بن قحطان . قال ابن الكلبي : قحطان بن عامر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح . قال : وكان يقال ليعرب : المُرعِف .

وكان عبد يغوث بن صَلاءة شاعرا من شعراء الجاهلية فارسا سيدا لقومه من بنى الحارث بن كعب ، وهو كان قائدهم فى يوم الكُلابِ الثانى إلى بنى تميم ، وفى ذلك اليوم أُسر فقتل .

وعبد يغوث من أهل بيت شعر مُعْرِق لهم فى الجاهلية والإسلام ، منهم اللَّجلاجُ الحارثى وهو طُفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة ، وأخوه مُسْهِر فارس شاعر ، وهو الذى طعن عامر بن الطفيل فى عينه يوم فَيْفِ الريح (١) ، ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلْبَةَ بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث ابن الحارث بن معاوية بن صلاءة، وكان فارسا شاعرا صعلوكا، أُخذ فى دم فحُبس بالمدينة ثم قُتل صَبْرًا ، وخبره يذكر منفردا لأن له شعرا فيه غناء .

والشعر المذكور فى هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاءة يقوله فى يوم الكُلاب الثانى ، وهو اليوم الذى جمع فيه قومه وغزا بنى تميم فظفرت به بنو تميم وأسروه وقُتل يومئذ .

---

(١) انظر هذا اليوم فى العقد جـ ٥ ص ٢٣٥ طبعة لجنة التأليف .

يوم الكلاب الثانى :

وكان من حديث هذا اليوم فيما ذكر أبو عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء وهشام بن الكلبي عن أبيه والمفضل بن محمد الضبي وإسحاق بن الجصّاص عن العنبرى قالوا : لما أوقع كسرى ببنى تميم يوم الصَّفْقَة[١] بالمُشَقَّر فقتل المُقاتلة وبقيت الأموال والذرارى بلغ ذلك مَذْحِجا ، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : اغتنموا بنى تميم . ثم بعثوا الرسل فى قبائل اليمن وأحلافها من قُضَاعة فقالت مَذْحِج للمأمور الحارثى وهو كاهن : ما ترى ؟ فقال لهم : لا تغزوا بنى تميم فإنهم يسيرون أعقابا[٢] ويردون مياها جِبابا[٣] فتكون غنيمتكم ترابا . قال أبو عبيدة : فذكر أنه اجتمع من مذحج ولِفِّها اثنا عشر ألفا ، وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة ، ورئيس همدان يقال له مُسَرِّح[٤] ، ورئيس كندة البَرَاء بن قيس بن الحارث ، فأقبلوا إلى تميم ، فبلغ ذلك سعدا والرِّباب ، فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكثم بن صَيْفِىّ ، وهو قاضى العرب يومئذ ، فاستشاروه ، فقال لهم : أقِلُّوا الخلافَ على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، والمرء يَعْجِز لا المحالة . يا قوم تثبّتوا فإنّ أحزم الفريقين الرَّكين ، وربّ عَجَلة تَهَب رَيْثا ، واتّزروا[٥] للحرب ، وادّرعوا الليل فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف .

فلما انصرفوا من عند أكثم تهيئوا واستعدوا للحرب ، وأقبل أهل اليمن من بنى الحارث ، من أشرافهم : يَزيدُ بن عبد المَدَان ويزيد بن مُخَرَّم ويزيد بن الطيثم[٦] بن المأمور ويزيد بن هَوْبَر ، حتى إذا كانوا بِتَيْمَنَ[٧] نزلوا قريبا من

(١) انظر يوم الصفقة فى العقد ج ٥ ص ٢٢٤ . وفى الأصل : الصفا . والصفا : حصن يلى المشقر ، وهو حصن أيضا بالبحرين . وما أثبتنا عن النقائض ص ١٤٩ والعقد .

(٢) فى النقائض : أغبابا .

(٣) جباب : جمع جب ، وهو البئر الكثيرة الماء .

(٤) فى النقائض : مشرح « بكسر فسكون ففتح » .

(٥) فى النقائض : وابرزوا .

(٦) فى النقائض : الكيثم .

(٧) تيمن : ماء بين نجران إلى بلاد بنى تميم . وفى مخطوط : بثير .

الكُلاب ، ورجل من بنى زيد بن رِياح بن يربوع يقال له مُشَمِّت بن زِنباع فى إبل له عند خالٍ له من بنى سعد[١] يقال له زهير بن بوّ، فلما أبصرهم المُشمِّت قال لزهير : دونك الإبلَ وتنحَّ عن طريقهم حتى آتى الحىَّ فأنذرهم . قال : فركب المشمِّت ناقة ثم سار حتى أتى سعدا والرباب وهم على الكلاب فأنذرهم ، فأعدوا للقوم . وصبَّحوهم فأغاروا على النَّعم فطردوها ، وجعل رجل [من أهل اليمن] يرتجز ويقول :

فى كلّ عامٍ نَعَمٌ تَنْتابُهُ ... على الكُلاب غُيَّبا أربابُهُ

قال : فأجابه غلام من بنى سعد كان فى النَّعم على فرس له فقال :

عما قليل سَتُرَى أَرْبابُهُ ... صُلْبَ القناة حازما شبابُهُ

على جياد ضُمَّرٍ عِرابُهُ

قال : فأقبلت سعد والرِّباب ، ورئيس الرباب النُّعمان بن جِسَاس ، ورئيس بنى سعدٍ قيسُ بن عاصم المِنْقَرى [قال أبو عبيدة : أجمع العلماء على أن الرئيس كان يومئذ قيس بن عاصم] فقال [رجلٌ] ضَبِّىّ حين دنا من القوم .

فى كلّ عام نَعَمٌ تَحْوُونَهُ ... يُلْقِحهِ قومٌ وتُنْتِجونَهُ

أربابه نَوْكَى فلا يَحمونَهُ ... ولا يُلاقون طِعانا دُونَهُ

أَنَعَمَ الأبناءِ تَحسبونَهُ[٢] ... هيهات هيهات لما ترجُونَهُ

فقال ضمرة بن لبيد الحِماسىّ[٣] : انظروا إذا استقمّ النعم ، فإن أتتكم الخيل عُصَباً عُصبا وثبتت الأولى للأخرى حتى تلحق فإن أمر القوم هَيِّنٌ ، وإن لحق بكم القوم فلم ينظروا إليكم حتى يردُّوا وجوهَ النَّعم ولا ينتظر بعضهم بعضا فإن أمر القوم شديدٌ ، وتقدمت سعد والرباب فالتقوا فى أوائل الناس ، فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النَّعَم من قِبَل وجوهها فجعلوا يَصْرِفونها بأرماحهم ، واختلط

(١) فى النقائض : ومعه رجل يقال له زهير .

(٢) الأبناء : كل بنى سعد بن زيد مناة ، إلا بنى كعب بن سعد .

(٣) فى الأصل : صخرة بن أسد الحارثى ، والصواب من النقائض ، ومما سيأتى بعد ذلك صوابا .

القوم فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم ، حتى إذا كان من آخر النهار قُتِل النعمان بن جِساس ، قتله رجل من أهل اليمن كانت أمه من بني حنظلة يقال له عبد الله بن كعب ، وهو الذى رماه ، فقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحَنْظلِيَّة ، فقال النعمان : ثكِلتك أُمُّك ، رب حنظلية قد غاظتني ١ ، فذهبت مثلا ، وظن أهل اليمن أن بني تميم سيهزمهم قتلُ النعمان ، فلم يزدهم ذلك إلا جَرَاءة عليهم ، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، فباتوا يحرس بعضهم بعضا ، فلما أصبحوا غَدَوْا على القتال ، فنادى قيس بن عاصم : يا لَ سعد ، ونادى عبد يغوث : يا ل سعد. قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة ، فلما سمع ذلك قيس نادى : يا ل كعب ، فنادى عبد يغوث : يا ل كعب . قيس يدعو كعب بن سعد ، وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو ، فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث قال : مالهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلا دعوا بمثله ، فنادى قيس : يا ل مُقاعس ، يعني بني الحارث بن عمرو بن كعب ، وكان يلقب مُقاعسا ، فلما سمع وعْلَة بن عبد الله الجَرْميُّ الصوتَ وكان صاحب اللواء يومئذ طرحه ، وكان أول من انهزم من اليمن ، وحملت عليهم بنو سعد والرِّبابُ فهزموهم أفظع هزيمة ، وجعل رجل منهم يقول :

يا قومْ لا يُفْلِتكُمُ اليزيدانْ [يزيدُ حزْنٍ ويزيد الرَّيَّانْ]
مُخَرِّما أعنى به والدَّيَّانْ

وجعل قيس بن عاصم ينادى : يال تميم لا تقتلوا إلا فارسا فإن الرَّجَّالة لكم ، وجعل يرتجز ويقول :

لما تولَّوْا عُصَبا شَوَازِبا ٢ أقسمتُ لا أطعن إلاَّ راكبا
إني وجدت الطعن فيهم صائبا

وجعل يأخذ الأُسارى ، فإذا أخذ أسيرا قال له : ممن أنت ؟ فيقول : من بني زَعْبَل

---

(١) في النقائض : رب ابن حنظلية قد غاظني .

(٢) الشازب : الضامر من الناس وغيرهم .

وهو زَعبل بن كعب أخو الحارث بن كعب وهم أنذال ، فكان الأسارى يريدون بذلك رخص الفداء ، فجعل قيس إذا أخذ أسيرا منهم دفعه إلى من يليه من بنى تميم ويقول: أمسك حتى أصطاد لك زَعْبلة أخرى ، فذهبت مثلا ، فما زالوا فى آثارهم يقتلون ويأسرون حتى أُسِر عبد يغوث. أسره فتى من بنى عُمَير بن عبد شمس ، وقُتِل يومئذ علقمة بن سَبّاح [1] القُريعى ، وهو فارس هَبُّود ، وهبُّود فرس عمرو بن الجُعَيد المُرادى ، وأَسر الأهتمُ - واسمه سِنان بن سُمَىّ ابن خالد بن مِنقَر ،ويومئذ سمى الأهتمَ - رئيس كندة البراءَ بن قيس ، وقتلت التَّيمُ الأدبرَ [2] الحارثى وآخر من بنى الحارث يقال له معاوية ، قتلهما النعمان بن جِساس [قبل أن يُقتل] وقتل يومئذ من أشرافهم خمسة . وقتلت بنو ضَبَّة ضَمْرةَ ابنَ لبيد الحِماسىَّ الكاهنَ قتله قَبيصة بن ضِرار بن عمرو الضَّبّى .

وأما عبد يغوث فانطلق به العَبشمىُّ إلى أهله، وكان العبشمى أهوج ، فقالت له أُمّه ورأت عبد يغوث عظيما جميلا: من أنت ؟ قال: أنا سيِّد القوم، فضحكت وقالت: قبحك الله من سيِّدِ قومٍ حين أسرك هذا الأهوج . فقال عبد يغوث:

وتضحك منى شيخة عَبْشَمِيّةٌ كأن لم تَرَىْ قبلى أسيرا يمانيا

ثم قال لها : أيتها الحرة ، هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أُعطى ابنك مائةً من الإبل وينطلق بى إلى الأهتم، فإنى أتخوّف أن تنتزعنى سعدٌ والرِّبابُ منه ، فضمن لها مائة من الإبل وأرسل إلى بنى الحارث فوجّهوا بها إليه ، فقبضها العبشمىُّ ، وانطلق به إلى الأهتم ، وأنشأ عبد يغوث يقول :

أأهتمُ يا خير البريّة والدًا ورهطا إذا ما الناس عَدُّوا المساعيا
تَدارَكْ أسيرًا عانيًا فى بلادكم ولا تُثْقِفَنِّى التيمَ ألقَ الدواهيا

فمشت سعد والرباب فيه ، فقالت الرباب: يا بنى سعد قُتِلَ فارسُنا ولم يُقتل

(١) فى مخطوط : سباع . وأتى بعد ذلك فى المطبوع : سباع . وفى النقائض : سباح .
(٢) فى النقائض : الأوبر .

لكم فارس مذكور ، فدفعه الأهتم إليهم ، فأخذه عِصْمة بن أُبَير التيمى فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بنى تيم اقتلونى قِتْلة كريمة ، فقال له عصمة : وما تلك القتلة ؟ قال : اسقونى الخمر ودعونى أنُحْ على نفسى ، فقال له عصمة : نعم ، فسقاه الخمر ثم قطع له عِرْقا يقال له الأكحل وتركه يَنْزِف ، ومضى عنه عصمة وترك معه ابنين له فقالا : جمعت أهل اليمن وجئت لتصطلمنا فكيف رأيت الله صنع بك ؟ فقال عبد يغوث فى ذلك :

ألا لا تلومانى كفى اللومَ ما بيا ... فما لكما فى اللوم نفعٌ ولا ليا
ألمْ تَعلما أن الملامة نفعُها ... قليلٌ وما لومى أخى من شِماليا
فيا راكبًا إمَّا عرضْتَ فبلِّغَنْ ... نداماى من نَجران أنْ لا تلاقيا
أبا كَرِبٍ والأيهمين كليهما ... وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومى بالكُلاب ملامةً ... صَرِيحَهُمُ والآخَرِينَ المواليا
ولو شئتُ نجّتنى من الخيل نَهدةٌ ... ترى خلفها الحُوَّ الجياد تَواليا[١]
ولكننى أحمى ذمار أبيكمُ ... وكان الرماحُ يختطفن المُحاميا
وتضحك منى شيخةٌ عبشمية ... كأن لم ترَىْ قبلى أسيرًا يمانيا
وقد علمت عِرْسى مُليكةُ أننى ... أنا الليث مَعْدُوًّا عليه وعاديا
أقول وقد شدُّوا لسانى بِنسعةٍ ... أمعشرَ تيمٍ أطلقوا لى لسانيا
أمعشرَ تيم قد ملكتمْ فأسْجِحوا ... فإن أخاكمْ لم يكن من بَوائيا[٢]
أحقًّا عباد الله أن لستُ سامعا ... نَشيد الرِّعاءِ المُعْزِبين المتاليا[٣]
وقد كنتُ نحَّارَ الجزور ومعملَ الـ ... مَطىِّ وأمضى حيث لا حىَّ ماضيا
وأنحر للشَّرْبِ الكرامِ مَطيّتى ... وأصْدَعُ بين القَيْنتَين ردائيا
وعادِيَةٍ سومَ الجرادِ وَزَعْتُها ... بكفِّى وقد أنْحَوْا إلىَّ العواليا[٤]

(١) النهدة : المرتفعة . والحو : التى تضرب إلى خضرة ، وتواليا : جمع تالية ، أى تابعة .
(٢) أسجحوا : سهلوا أو يسروا . والبواء : السواء ، أى لم يكن نظيرا لى .
(٣) المعزبين : المبعدين . والمتالى : التى نتج بعضها وبقى بعضها .
(٤) العادية : القوم يركضون . وسوم الجراد : أى كانتشار الجراد . ووزعتها : كففتها . وأنحوا : أمالوا .

كأنىَ لم أركبْ جواداً ولم أقلْ   لخيلىَ كُرِّى نَفِّسى عن رِجاليا
ولم أسبأ الزِّقَّ الرَّوِىَّ ولم أقل   لأَيْسارِ صِدْقٍ أعظِموا ضوءَ ناريا

قال : فضحكت العبشمية ، وهُمْ آسروه [١] : وذلك أنه لما أُسر شَدّوا لسانه بنسعة لئلا يهجوهم وأبَوْا إلا قتله ، فقتلوه بالنعمان بن جِساس . فقالت صفية بنت الخرِع ترثى النعمان :

نِطاقُهُ هُنْدُوانِىٌّ وجُبّتُه   فضفاضةٌ كأَضاة النِّهْىِ مَوْضُونَهْ
[غابتْ تميمٌ فلم تشهد فوارسها   ولم يكونوا غداة الروع يَخْزُونَهْ] [٢]
لقد أخذنا شفاء النفس لو شفيت   وما قتلنا به إلا امرأً دُونَهْ

وقال علقمة بن سَبّاع [٣] لعمرو بن الجُعيد :

لما رأيت الأمرَ مَخْلُوجَــةً   أكرهت فيــه ذابلاً مارِنا
قلت له خُذْها فإنى امْرُؤٌ   يَعْرِفُ رُمحى الرَّجُلَ الكاهنا

قوله : يعرف رمحى الرجل الكاهنا ، يريد أن عمرو بن الجُعيد كان كاهنا ، وهو أحد بنى عامر بن الدِّيل بن شَنّ بن أَفصَى بن عبد القيس ، ولم يزل ذلك فى ولده ، ومنهم الرِّباب [٤] بن البرَاء كان يتكهن ثم طلب خِلاف أهل الجاهلية فصار على دين المسيح عليه السلام ، فذكر أبو اليقظان أن الناس سمعوا فى زمانه مناديا ينادى فى الليل وذلك قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم : خيرُ أهل الأرض رِبابٌ الشَّنّىُّ وبَحِيرَا الرَّاهب وآخرُ لم يأت بعدُ . قال : وكان لايموت أحد من ولد الرِّباب إلاَّ رأوا على قبره طَشًّا [٥] . ومن ولده مَخْرَبَة وهو أحد أجواد العرب وإنما سُمى مَخْرَبَة لأن السلاح خَرَبَه [٦] لكثرة لبسه إياه ، وقد أدرك النبىَّ صلى الله

(١) يريد أن بنى عبد شمس هم الذين أسروه.   (٢) زيادة من النقائض ١٥٤ .
(٣) سبق أنه علقمة بن السباح « بالحاء » ، وأن المخطوط فيه سباع .
(٤) يفهم من الإصابة فى ترجمة مخربة بن بشر أن اسمه الرباب بن زيد .
(٥) الطش : المطر .
(٦) خربه : جعل فيه ثقوبا .

عليه وسلم وأرسله إلى ابن الجُلُنْدَى العُمانِىّ . وابنه المُثَنّى بن مَخْرَبَة أحد وجوه أصحاب المُختار ، وكان قد وجّهه إلى البصرة ليأخذها فحاربه عبّاد بن الُحصين فهزمه ، وكان ابنه بَلْجُ بن المثنى جوادا ، وفيه يقول بعض شعراء عبد القيس :

ألا يا بلْجُ بَلْجَ بنى المُثَنَّى ... وأنت لكلّ مَكْرُمَة كِفاءُ
ألومُكَ طائعا ما دمتُ حيًّا ؟ ... علىّ إذًا من الله العَفاءُ
كفى قوما مكارمَ ضيّعوها ... وأحسن حين أبصرهم أساءوا

رجع الخبر إلى سياقة حديث عبد يغوث والوقعة

قال : فأما وَعْلة بن عبد الله الجرْمى فإنه لحقه رجل من بنى سعد فعَقَرَ به [1] فنزل وجعل يُحضِر على رجليه ، فلحق رجلا من بنى نَهْد يقال له سَليط ابن قَتَب من بنى رفاعة فقال له لما لحقه : أردفنى ، فأبى فطرحه عن فرسه [2] وركب عليها ، وأدركت الخيلُ النَّهدىّ فقتلوه ، فقال وعلة فى ذلك :

ولما سمعتُ الخيلَ تدعو مُقاعسا ... علمتُ بأنّ اليوم أغبرُ فاجرُ [3]
نجوتُ نَجاءً ليس فيه وتيرةٌ ... كأنى عقابٌ دُونَ تَيْمَنَ كاسرُ [4]
خُدَارِيّةٌ صقعاءُ لبّدَ رِيشَها ... بِطخْفَةَ يومٌ ذو أهاضِيبَ ماطرُ [5]
وقد قلتُ للنهدىّ هل أنت مُردفى ... وكيف رِدافُ الفَلّ أُمكَ عاثِرُ [6]
فإن أستطعْ لا تَلْتَبِسْ بى مقاعس ... ولا يرَنى باديهمُ والحواضرُ [7]
فِدًى لكما رَحْلى وأمى وخالتى ... غداةَ الكُلاب إذ تُحَزُّ الحناجرُ
فمن كان يرجو فى تميمٍ هَوادةً ... فليستْ لجَرْمٍ فى تميم أواصرُ

وقالت نائحة عمرو بن الجُعيد :

---

(١) عقربه : حبسه كأنه عقر بعيره فلم يقدر على السير .
(٢) فى المطبوع : قربوسه ، وكذلك الخزانة جـ ١ ص ١٩٩ ، وذكر أنه اسمه سليط بن قتب .
(٣) فى النقائض والخزانة : « تطلع منى ثغرة النحر حائر »
(٤) فى الأصل : تيماء ، والتصويب من النقائض ومعجم البلدان « تيمن » والخزانة .
(٥) خدارية : سوداء . وصقعاء : على رأسها بياض . والأهاضيب : جلبات القطر بعد القطر . وطخفة : موضع .
(٦) الفل : المنهزم . (٧) فى العقد الفريد جـ ٥ ص ٢٣٢ : لا تبتئس .

أشاب قَذَال الرَّأْسِ مصرعُ سَيِّد ... وفارسُ هَبُّودٍ أشابَ النَّواصيا

وقال مُحْرِزُ بن مُكَعْبَر الضَّبِّى :

فِدًى لقومى ماجمَّعتُ من نَشَبٍ ... إذ ساقت الحربُ أقواما لأقوامِ
قد حدَّثتْ مَذْحِج عنا وقد كذبت ... أن لا يُوَرِّعَ عن نسواننا حامى
دارتْ رَحاهمْ قليلا ثم واجههُمْ ... ضربٌ يُصَبِّحُ منهم مَسْكِنَ الهام[١]
ساروا إلينا وهمْ صِيدٌ رؤوسُهم ... فقد جعلنا لهم يوما كأيَّامِ
ظلَّت ضِباعُ مُجيراتٍ يَعُدْنَهم ... وأَلْحمُوهنَّ منهم أىَّ إلحامِ[٢]
ظلت تَدوس بنى كعب بكلكلها ... وهمَّ يومُ بنى نَهْدٍ بإظلامِ

وقال أوس بن مَغْراء :

وفى يوم الكُلاب إذا اعترَتْنا ... قبائلُ أقبلوا متناسبينا
قبائل مَذْحِجَ اجتمعتْ وجَرْمٍ ... وهمدان وكندةَ أجمعينا
وحِمْيَر ثم ساروا فى لُهام ... على حَرْدٍ جميعا قادرينا[٣]
فلما أنْ أتونا لم نُكَذِّبْ ... ولم نسألْهُمُ أنْ يُمهِلونا
قتلنا منهمُ قتلى ووَلَّى ... شريدُهمُ شَعاعا هاربينا
وفاضت منهمُ فينا أُسارى ... لدينا منهمُ مُتَخَشِّعينا

وقال ذو الرُّمَّة غَيْلان بن عُقْبة فى ذلك :

وعمى الذى قاد الرِّبابَ جماعةً ... وسعدُهمُ الرأسُ الرئيسُ المؤمَّرُ
عشيَّةَ أعطتْنا أزِمَّةَ أمرها ... ضِرارٌ بنو القَوْمِ الأغرِّ ومِنقَرُ
وعبدُ يغوثٍ تَحْجِلُ الطيرُ حوله ... قد احتزَّ عُرْشَيْه الحسام المذكَّرُ

العُرْشان : عرقان فى العنق :

عشيَّة فرَّ الحارثيُّون بعدما ... قضى نَحْبَه فى معرك الخيل هَوْبَرُ
وقال أخو جرْمٍ ألا لاهَوادةً ... ولا وَزَرٌ إلاَّ النَّجاءُ المُشمِّرُ

(١) فى مخطوط : يصحح منهم .
(٢) مجيرات : موضع تنسب إليه الضباع . وألحموهن : أطعموهن اللحم .
(٣) اللهام : الجيش العظيم . وعلى حرد : على غضب . وفى الأصل : جرد .

أبى اللهُ إلاّ أننا آلَ خِنْدِف ... بنا يَسمعُ الصوتَ الأنامُ ويُبصر
إذا ما تَمَضَّرنا فما الناس غيرُنا ... ونُضْعِفُ أحيانا ولا نتمضَّرُ[1]

وقال ذو الرمّة أيضا :

فما شهدَتْ خيلُ امرئِ القيس غارة ... بِثَهْلانَ تحمِى عن ثُغور الحقائقِ
أثَرْنا به نَقْعَ الكُلاب وأنتمُ ... تُثيرون نَقْعَ المُلتقى بالمَعازِقِ
أدرْنا على جَرْمٍ وأفناءِ مَذْحِجٍ ... رَحا الموت فوق اللامعات الخوافق
صدَمْناهم دُونَ الأمانىّ صدمة ... عَماسا بأطوادٍ طوالٍ شَوَاهق[2]
إذا نطحتْ شهباءُ شهباءَ بينها ... شُعاعُ القنا والمَشْرَفىِّ البوارقِ

وقال البرَاء بن قيس الكندى :

قَتَلَتْنا تميمُ يوما جديدا ... قَتْلَ عادٍ وذاك يومَ الكُلابِ
يوم جئنا يسوقنا الحَيْنُ سَوْقا ... نحو قوم كأنهم أُسْدُ غابِ
سرتُ فى الأزد والمذاحج طُرًّا ... وبَكيلٍ وحاشِدَ الأنْيابِ[3]
وبنى كندة الملوكِ ولَخْمٍ ... وجُذامٍ وحِميرَ الأربابِ
ومُرادٍ وخثعمٍ وزُبَيْدٍ ... وبنى الحارث الطوال الرِّغابِ
وحشدْنا الصميمَ نرجو نِهابا ... فلقينا البَوَارَ دون النِّهابِ
لقيتْنا أسودُ سعدٍ وسعدٌ ... خُلِقتْ فى الحروب سَوْطَ عذابِ
تركونى مُسهَّدًا فى وَثاقٍ ... أرقبُ النجم ما أُسيغُ شرابى
خائفا للرَّدى ولولا دِفاعى ... بِمِئينٍ عن مُهْجَتى كالهِضابِ
لسُقِيتُ الرَّدى وكنتُ كقومى ... فى ضريحٍ مُغيَّبًا فى التُّرابِ
تَذرِفُ الدَّمعَ بالعويل نسائى ... كنساءٍ بكتْ قتيلَ الرَّبابِ
فلِعَينِى على الأُولى فارقونى ... دُرَرٌ من دموعها بانسكابِ
كيف أبغى الحياةَ بعد رجالٍ ... قُتِلوا كالأُسود قتلَ الكِلابِ

(١) فى ديوان ذى الرمة ص ٢٣٦ : ونضعف أضعافا .
(٢) عماس : لا يهتدى لوجهها .
(٣) بكيل وحاشد : حيان من همدان . والأنياب صفة لهم ، ومعناها السادة . وفى مخطوط :
* بين صل و كاشر الأنياب *

منهم الحارِثىُّ عبدُ يغوثٍ ويزيدُ الفتيان وابنُ شِهابِ[١]
فى مئين نَعُدُّها ومئينٍ بعد ألفٍ مُنُوا بقوم غِضابِ
برجالٍ من العَرانينِ شُمٍّ أُسْدِ حَرْبٍ مَمْحُوضةِ الأنسابِ

وقال وعلة بن عبد الله الجرمىّ :

عذلتنى نَهْدٌ فقلتُ لنهدٍ حين حاسَتْ على الكُلاب أَخاها[٢]
يوم كنّا لديهمُ طَيْرَ ماءٍ وتميمٌ صُقورها وبُزَاها
لا تلوموا على الفِرار فسعْدٌ يالَ نَهْدٍ يخافها مَن يَراها
إنّما هَمُّها الطِّعانُ إذا ما كَرِهَ الطعنَ والضِّرابَ سِواها
تَرَكوا مذحِجا حديثا مُشاعا مثل طَسْمٍ وحِميرٍ وصُدَاها[٣]
يالَ قحطانَ وَادعُوا حىَّ سعد وابتغوا سِلْمَها وفضل نَداها
إنّ سعدَ السعودِ أُسْدُ غِياضٍ باسلٌ بأسُها شديدٌ قُواها
فضحتْ بالكُلابِ حارِ[٤] بن كعب وبنو كندة الملوك إماها
أسلموا للمَنُونِ عبدَ يغوث ويعضُّ الكُبولَ حولاً يَراها
بعد ألفٍ سُقوا المنيّة صِرْفًا فأصابتْ فى ذاك سعدٌ مُناها
ليت نَهْدًا وجَرْمَها ومُرادًا والمذاحِيج ذو أناة نَهاها
عن تميمٍ فلم تكن فَقْعَ قاعٍ تبتدرْها رِبابها ومَناها[٥]
قل لبَكْرِ العراق يَسْتَرْ عَمْرًا عمرَو قيس فرأْىُ عمرٍو قَرَاها[٦]
عن تميمٍ ولو غزَتْها لكانتْ مثل قَحطان مُستباحا حِماها

(١) فى مخطوط : ويزيد القيان .

(٢) حاست : خالطت ووطئت .

(٣) صداء : حى من اليمن .

(٤) حار : ترخيم حارث على غير قياس ، لأنه فى غير نداء .

(٥) المنى : الإزاء ، ولكن لعلها لغة فى مناة ويراد به زيد مناة بن تميم ، ويعنى بذلك أنها تعاجل ربابها وزيد مناة إليها . وتبتدرها : سكنت للضرورة . وقبائل نجد تسكن تخفيفا فى لغتها ، وذلك كثير الشواهد فى النحو .

(٦) قراها من قرا يقرو : طعنها . ومن قرى يقرى : أضافها ، على المجاز .

أخبار ذات الخال[1]

صوت

ما بال شمس أبى الخطاب قد حُجِبتْ   أظنّ ياصاحِبِىّ الساعةَ اقتربَتْ[2]
أوْلاَ فما بال رِيح كنتُ آنَسُها   عادتْ علىّ بِصِرّ بعد ما جَنَبَتْ[3]
إليك أشكو أبا الخطاب جارية   غَرِيرَةً بفؤادى اليوْمَ قد لعِبتْ
وأنتَ قَيِّمُها فانْظرْ لعاشِقِها   يا ليتها قربتْ منى وما بعدتْ

عروضه من البسيط ، الشعر والغناء لإبراهيم الموصلى رمل بالبنصر عن الهشامى وعلىّ بن يحيى ،وذكر محمد بن الحارث بن بسْخُنَر أن فيه هزجا بالبنصر لإبراهيم بن المهدى ، وذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصلى أيضا .

وأبو الخطاب الذى عناه إبراهيم الموصلى فى شعره هذا رجل نَخّاس يعرف بقَرِينٍ مولى العبّاسَة بنت المهدى ، وكان إبراهيم يهوى جارية له يقال لها خُنُثُ[4] وكانت من أجمل النساء وأكملهن ، وكان لها خال فوق شفتها العليا ،وكانت تُعرف بذات الخال ، ولإبراهيم ولغيره فيها أشعار كثيرة نذكر منها كل ما فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله .

أخبرنى بخبرها الحسين بن يحيى قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال :

حدثنى أبى أن جدّى كان يتعشّق جارية لقَرِين المكى بأبى الخطاب النخّاس ،

(١) هذا العنوان وضع فى مخطوط قبل قوله : « أخبرنى بخبرها الحسين بن يحيى . . . . » .
(٢) فى المطبوع : يا صاحبى لعل الساعة اقتربت .
(٣) فى مخطوط : أنسها . وجنبت : هبت جنوبا .
(٤) ضبطت هكذا بضم الخاء فى مخطوط . وفى اللسان مادة خنث : خنث بضم فسكون اسم امرأة . هذا ، وأعتقد أنها بفتحات كبلد . وفى نهاية الأرب ٥/ ٩١ : خشف .

وكان يقول فيها الشعر ويغنى فيه فشهرها بشعره وغنائه ، وبلغ الرشيدَ خبرُها فاشتراها بسبعين ألف درهم ، فقال لها ذات يوم : أسألك عن شىء فإن صدقتنى وإلا صدقنى غيرك وكذبتك ، قالت له: بل أصدقك ، قال : هل كان بينك وبين ابراهيم الموصلى شىء قط وأنا أُحلفه أن يصدقنى؟ قال: فتلكأت ساعة ثم قالت: نعم مرة واحدة ، فأبغضها ، وقال يومافى مجلسه: أيكم لايبالى أن يكون كَشْخانا حتى أهب له ذات الخال؟ فبدر حَمُّويةُ [1] الوصيف فقال : أنا ، فوهبها له .

وفيها يقول إبراهيم :

أتحسب ذات الخال راجيةً ربًّا ... وقد سلبت [2] قلبا يهيم بها حُبًّا
وما عُذْرُها نفسى فداها ولم تَدعْ ... على أعظمى لحما ولم تُبق لى لُبَّا

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالسبابة فى مجرى الوسطى .

وذكر أحمد بن أبى طاهر أن الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم ، وذكر قصة حَمّوية كما ذكرها حماد بن إسحاق وقال فى خبره : فاشتاقها الرشيد يوما بعدما وهبها لحموية فقال له : ويلك يا حمّوية ، وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك؟ فقال : يا أمير المؤمنين مُرْ فيها بأمرك ، قال : نحن عندك غداً ، فمضى فاستعدّ لذلك واستأجر لها من بعض الجوهريّين بَدَنَة [3] وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار ، فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها ، فلما رآه أنكره وقال : ويلك ياحموية ، من أين لك هذا وما ولّيتك عملا تكسب فيه مثله ولاوصل إليك منى هذا القدر ؟ فصدقه عن أمره ، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم واشترى الجوهر منهم ووهبه لها ، ثم حلف ألاّ تسأله فى يومه ذلك شيئا إلا أعطاها ولاحاجة إلا قضاها ، فسألته أن يولّى حموية الحربَ والخراج بفارس سبع سنين ، ففعل ذلك وكتب له عهده به ، وشرط على ولىّ العهد بعده أن يُتِمّها له إن لم تتم فى حياته .

حدثنى محمد بن يحيى الصولى قال : حدثنى محمد بن عبد الله العاصمى قال :

---

(١) ضبطه فى نهاية الأرب ٥/٩٢ حمويه « بفتحات وسكون الياء وآخره هاء » .
(٢) فى مخطوط : وقد فتنت .
(٣) البدنة : قميص لا كمين له تلبسه النساء .

حدثنى أحمد بن عبد الله طَمَّاس ، عن عبد الله وإبراهيم ابنى العباس الصولى قالا :

كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال ، فدعته يوما فوعدها أن يصير إليها وخرج يريدها ، فاعترضته جارية فسألته أن يدخل إليها فدخل وأقام عندها ، فشق ذلك على ذات الخال وقالت : والله لأطلبنَّ له شيئا أغيظه به ، وكانت أحسن الناس وجها ولها خال على خدها لم ير الناس أحسن منه فى موضعه ، فدعتْ بمقراض فقصّت الخال الذى كان فى خدها ، وبلغ ذلك الرشيدَ فشقّ عليه وبلغ منه ، فخرج من موضعه وقال للفضل بن الربيع : انظر من بالباب من الشعراء ، فقال : الساعة رأيت العباس بن الأحنف ، فقال : أدخِلْه ، فأدخله ، فعرّفه الرشيدُ الخبرَ وقال : اعمل فى هذا شيئا على معنًى رسمَه له فقال :

صوت

تخالَصْتُ ممن لم يكن ذا حفيظة ‏ ‏ ‏ ومِلْتُ إلى من لا يُغَيِّرُه حالُ
فإن كان قطعُ الخال لما تعطّفتْ ‏ ‏ ‏ على غيرها نفسى فقد ظَلِمَ الخالُ[1]

غناه إبراهيم .

فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعا مسترضيا لها ، وجعل هذين البيتين سببا ، وأمر للعباس بألفى دينار ، وأمر إبراهيم الموصلى فغناه فى هذا الشعر .

أخبرنى محمد بن يحيى قال : حدثنى محمد بن الفضل قال :

كان محمد بن موسى المنجِّم يعجبه التقسيم فى الشعر ويُشْغَف بجيد الأشعار ، فكان مما يعجبه قول نُصَيب :

صوت

أيا بَعْلَ ليلى كيف تجمع سِلْمها ‏ ‏ ‏ وحربى وفيما بيننا شبّتِ الحربُ
لها مثل ذنبى اليوم إن كنتُ مذنبا ‏ ‏ ‏ ولا ذنب لى إن كان ليس لها ذنب

(١) فى مخطوط : لما تطلعت إلى غيرها نفسى .

عروضه من الطويل والشعر لنصيب ويروى للمجنون ويروى لكعب بن مالك الخثعمى ، والغناء لمالك ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو .

قال : وكان محمد بن موسى ينشد كثيرا للعباس بن الأحنف .

صوت

ألا ليت ذاتَ الخال تلقى من الهوى عَشيرَ الّذى ألقى فيلتئمَ الشَّعْبُ
إذا رضيتْ لم يَهْنِنِى ذلك الرضا لعلمى به أن سوف يَتْبَعه عَتْبُ
وأبكى إذا أذنبتُ خوف صدودها وأسألها مرضاتَها ولها الذَّنْبُ
وِصالكُمُ صَرْمٌ وحبكمُ قِلًى وعطفُكمُ صدٌّ وسِلمكُمُ حرْبُ

ويقول: ما أحسن ما قسَّم حتى جعل بإزاء كل شيء ضده ، والله إن هذا لأحسنَ من تقسيات إقليدس .

الغناء فى هذه الأبياتِ الأربعة لإبراهيم الموصلى ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامى .

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجوارى اللواتى كان الرشيد يهواهن ويقول الشعر فيهن ، وهن سِحْر وضياء وخُنُث ، وفيهن يقول :

إن سِحْرًا وضياءً وخُنُثْ هُنَّ سِحْر وضياءٌ وخُنُثْ[١]
أخذتَ سِحْرُ ولا ذنبَ لها ثُلُثَىْ قلبى وتِربَاها الثُّلُثْ

حدثنى محمد بن يحيى الصولى قال : حدثنا أحمد بن محمد الأسدى قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن علىّ بن سويد بن مَنْجوف السدوسىّ قال : حدثنى محمد بن إسماعيل بن صبيح قال :

وجَّه الرشيد إلى جاريته سِحْر لتصير إليه ، فاعتلّت عليه ذلك اليوم بعِلّة ، ثم جاءته من الغد فقال الرشيد :

---

(١) الخنث بسكون النون : التكسر والتثنى ، وحرك وسط الكلمة للشعر كما فعل فى اسمها أيضا . وأعتقد أن ضبطها بفتحتين كبلد هو أولى ، فالخنث بفتحتين أيضا : التثنى والتكسر .

أيا من ردَّ ودّى أم … سِ لا أُعطيكه اليَوْما
ولا واللهِ لا أعطيـ … ـك إلاَّ الصدَّ واللَّوْما
وإن كان بقلبي منـ … ـك ما يمنعني النَّوما
أيا من سُمْتُه الوصْـ … ـلَ فأغلى المَهْرَ والسَّوْما

قال : وفيهن يقول وقد قيل : إن العباس بن الأحنف قالها على لسانه :

صوت

ملَك الثلاثُ الآنساتُ عِنانى … وحلَلْنَ من قلبي بكلِّ مكانِ
مالى تطاوعنى البريَّةُ كلُّها … وأطيعهن وهنَّ فى عِصيانى
ما ذاك إلاَّ أن سلطان الهوى … وبه قَوِينَ أعزُّ من سلطانى[1]

غنته عَريب خفيف ثقيل الأول بالوسطى .

وروى أحمد بن أبي طاهر عن إسحاق قال : وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر الليل ، فأُحضرت فخرجت جارية كأنها المهاة ، فأجلسها فى حجره ثم قال : غنى ، فغنيته :

جِئْن من الروم وقالِيقَلا … يَرْفُلْنَ فى المِرْط ولِين المُلا
مُقَرْطقات بصنوف الحُلَى … يا حبذا البيضُ وتلك الحُلا

فاستحسنه وشرب عليه ، ثم استؤذن للفضل بن الربيع فأذن له ، فلما دخل قال : ما وراءك فى هذا الوقت ؟ قال : كل خير يا أمير المؤمنين ، ولكن جرى لى الساعةَ سببٌ لم يجُزْ لى كتمانه ، قال : وما ذاك ؟ قال : أُخرِجَ إلىَّ فى هذا الوقت ثلاث جوارٍ لى : مكيَّة ومَدينية وعراقية ، فقبضت المدينية على ذكرى ، فلما أنعظ وثبت المكية فقعدت عليه ، فقالت لها المدينية : ما هذا التعدِّى ؟ ألم تعلمى أن مالكا حدثنا عن الزُّهرىّ عن عبد الله بن طاهر ، عن سعيد بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أحيا أرضا ميتة فهى له » فقالت الأخرى : أولم تعلمى

(١) فى مخطوط : وبه عززن .

أن سُفيانَ حدثنا عن أبي الزناد الأعرج عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الصيد لمن صاده لا لمن أثاره » فدفعتهما العراقيةُ عنه ووثبت عليه وقالت: هذا لي وفي يدي حتى تصطلحا . فضحك الرشيد وأمر بحملهن إليه، ففعل، وحظين عنده، وفيهن يقول:

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان

حدثنا محمد بن يحيي قال: حدثنا الغلابي [1] قال: حدثني مهدىُّ بن سابق قال:

حججت مع الرشيد آخر حجته فكان الناس يتناشدون له في جواريه:

ثلاث قد حللْنَ حِمَى فؤادى ويُعْطَيْنَ الرغائبَ من ودادى
نَظمتُ قلوبهنَّ بخيط قلبى فهنَّ قرابتى حتى التنادى
فمن يك حلَّ من قلبٍ مَحلاً فهنَّ مع النواظر والسَّوادِ

ومما قاله إبراهيم وغيره في ذات الخال وغنى فيه:

صوت

أذاتَ الخال أقصيتِ محبا بكمُ صَبَّا
فلا أنسى حياتى ما عبدْتُ الدهرَ لى رَبّاً
وقد قلتُ أنيليني فقالت أفْرَقُ الذَّنْبا

الشعر والغناء لإبراهيم هزج بالوسطى عن عمرو، ومنها:

صوت

أذاتَ الخال قد طال بمن أسقمتِه الوجَعُ
وليس إلى سواكم فى الـ ذى يلقَى له فزَعُ
أما يمنعُك الإسلا مُ من قتلى ولا الورَعُ

(١) فى مخطوط: العمرى.

وما ينفكُ لى فيك هوًى تَغتَرُه خُدَع[1]

الشعر والغناء لإبراهيم هزج بالوسطى عن عمرو ، ومنها :

صوت

ثَعْلَب يا هذا الكثير العَبَثْ بالله لمَّا قلتَ لى عن خُنُثْ
عن ظبية تَميس فى مشيْتها أحسنُ مَن أبصرتُه فى شَعَثْ
فقال قالت قل له أنت امرؤٌ موكّلٌ فيما ترى بالعَبَثْ
والله لولا خَصْلةٍ أرقُبها لقلَّ فى الدنيا لما به لَبَثْ

الشعر لإبراهيم ، وله فيه لحنان أحدهما ثقيل أول عن أبى العبيس والآخر هزج بالبنصر عن عمرو ، وفيه لعريب ثقيلُ أولٍ آخرُ ، وذكر حبش أن فيه لابن جامع هزجا آخر بالوسطى .

وذكر هارون بن الزيات أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه أن ثَعْلبا هذا كان مملوكا لإبراهيم فقال هذه الأبيات فى خنث جارية جزْء بن مِغْوَلٍ الموصلى ، وكانت مغنية محسنة ، وخاطب ثعلبا فيها مستخبرا له . وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه أنه قال فى خنث جارية جزْء بن مِغْوَل الموصلى ، وخاطب فى شعره غلاما يقال له ثعلب ، وكانت خنث مغنية محسنة وكانت تعرف بذات الخال .

صوت

ثعلب يا هذا الكثير الخبث[2] بالله إلاَّ قلت لى عن خنث

وذكر الأبيات ، قال : وقال له أيضا :

صوت

أبْدِ لذات الخال يا ثعْلَبُ قولَ امرئٍ فى الحبّ لا يكذِبُ

(١) فى مخطوط . مغتره جزع . (٢) فى مخطوط : العبث .

إنى أقول الحقّ فاستيقنى كلُّ امرئٍ فى حبه يلعبُ

الشعر والغناء لإبراهيم له فيه لحنان : رمل وخفيف ثقيل عن ابن المكى . ومنها :

صوت

جَزى الله خيرًا من كلِفتُ بحبه وليس به إلاّ المُمَوَّهُ من حُبى
وقالوا قلوب العاشقين رقيقة فما بال ذات الخال قاسية القلبِ
وقالوا لها هذا مُحِبُّك مُعرِضًا فقالت أرى إعراضَه أيسرَ الخطبِ
فما هو إلاّ نَظْرَةٌ بتبسُّمٍ فتنشَبُ رجلاه ويَسقط للجَنْبِ

ومنها :

صوت

إنْ لم يكن حبُّ ذات الخال عنَّانى إذًا فحوَّلْتُ فى مُسْكِ ابن زَيْدانِ[1]
فإنَّ هذى يمينٌ ما حلفتُ بها إلاّ على الحقّ فى سِرّى وإعلانى

الشعر والغناء لإبراهيم هزج بالبنصر : ومنها :

صوت

لقد أَخْلُو بذات الخا ل والحُرَّاسُ قد هجَعُوا
فمن يُبْصِرْ أبا الخطَّا بِ يطلبها ويَتَّبِعُ
ألا لم ترَ محزُونا تَستَّمَ صبرَه الجَزَعُ[2]
وقارعَنى ففزْتُ بها وحازتْها لى القُرَعُ

غناه إبراهيم من رواية بَذْل عنه ولم يذكر طريقته ، قال علىّ بن محمد الهشامى[3] حدثنى جدى يعنى ابن حمدون قال :

(١) المسك : العقل ، وأتى رواية أخرى « ملك » .
(٢) فى المطبوع : يتيم صبره .
(٣) فى مخطوط : البسامى .

حدثني مُخارق قال : كنت عند إبراهيم الموصلي ومعي ابنُ زيدان صاحب البرامكة وإبراهيم يلاعبه بالشطرنج، فدخل علينا إسحاق ، فقال له أبوه : ما أفدت اليوم ؟ فقال : أعظم فائدة ، سألني رجل : ما أفخم كلمة فى الفم ؟ فقلت : لا إله إلا الله، فقال له أبوه إبراهيم : أخطأت ، هلاَّ قلت : دُنْيا [1] ودينا ، فأخذ ابن زيدان الشَّاه فضرب به رأس إبراهيم وقال له : يا زنديق ، أتكفر بحضرتى ؟ فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضربا شديدا ، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى فحدثه بخبره ، قال ، وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى ، فركب إلى الفضل بن يحيى فاستجار به ، فاستوهبه الفضل من جعفر فوهبه له فانصرف وهو يقول :

صوت

إن لم يكن حبّ ذات الخال عنّانى ... إذاً فحوّلت فى مُسْك ابن زيدان[2]
فإن هذى يمين ما حلفت بهـا ... إلاّ على الصدق فى سِرّى وإعلانى

قال : وله فى هذين البيتين صنعة وهى هزج . ومنها :

صوت

من يرحم محـزونا[3] ... بذات الخال مفتـونا
أبى فيها فما يسـلو ... وكلُّ الناس يَسلُـونا
فقد أودى به السُّقْمُ ... وقد أصبح مجنونا
فإن دام على هـذا ... ثَوى فى اللّحدِ مَدْفونا

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل عن الهشامى . ومنها :

(١) كذا فى الأصل ، ولعلهما جاريتان ، أو أراد الدنيا الدنيا أو : ذات الخال دنياى ودينى .
(٢) فى مخطوط : « فى ملك » . وهذا يخالف الرواية السابقة .
(٣) فى المطبوع : مجنونا .

صوت

لذات الخال أرّقني خيالٌ بات يلثمني
بكى وجرى له دمعٌ لما فى القلب من حزنِ
فلا أنساه أو أُنسَى إذا أُدْرِجْتُ فى كفني

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى عن الهشامى . ومنها :

صوت

هل علمتَ اليوم ياعا صمُ يا خيرَ خدينِ
أنّ ذات الخال تأ تى على رغم قرينِ
لا تلُمْنى إنّ ذات الـ ـخال دنياى ودينى
وإلى حفصٍ خليلى ووزيرى وأمينى
بُحْتُ لا أكتمه شيـ ـئاً من الداء الدفين[1]
إن بى من حب ذات الـ ـخالِ شيئا كالجنون

فيه لإبراهيم هزج بالوسطى عن ابن المكى . ومنها :

صوت

تقول ذات الخالِ أيا خلِىّ البالِ
فقلت حاشاكِ من أنْ يكون حالك حالى
أعرضتِ عنّىَ لمّا أو قعتِنى فى الحِبال[2]
إنّ الخلِىّ هو الغا فِلُ الّذى لايبالى

لإبراهيم من كتابه عن حبش فيه لحن ، وذكر ابن المكّىّ أنه رمل . ومنها :

---

(١) فى مخطوط : من السحر الدفين .

(٢) لعلها أيضا : فى الحبال .

أما تعلم ذات الخا ل فوق الشفة العُليا
بأنى لست أهوى غيـ رها شيئا من الدُّنيا
وأنى عن جميع النا س إلاَّ عنهم أعمى
وأنى لو سُقيت الدَّه رَ من ريقك لا أرْوَى

الشعر والغناء لإبراهيم رمل بالوسطى عن عمرو وابن المكى وغيرهما ، وقد روى .

أما تعلم يا ذا الخال

وهذا هو الصحيح . ومنها .

صوت

يا ليت شعرى كيف ذاتُ الخالِ أم أين تحسب حالها من حالى
هل أنْسَيَنْ منها وضَمتْ مرَّةً رأسى إليها ثم قالت مالى
ألِزَلَّةٍ أقصيتَنى نفسى الفِدا لكَ أم أطعتَ مقالةالعُذَّالِ
واللهِ ما استحسنْتُ شيئا مُونِقا ألتذُّه إلاَّ خَطَرْتَ ببالى

الشعر و الغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان هزج بالأصابع كلها عن ابن المكى ، وثقيل أول بالوسطى عن حبش . ومنها :

صوت

ياليت شعرى والنساء غوادرٌ خُلُفُ العِداتِ وفاؤهنَّ قليلُ [1]
هل وَصْلُ ذات الخال يوماعائدٌ فتزولَ لَوْعاتى وحَرُّ غليلى
أم قد تناستْ عهدَنا وإخالها عن ذاكمِلْكٌ حال دونَ خليلى

الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه ثقيل أول بالبنصر عن إسحاق بن إبراهيم وابن المكىّ والمشامىّ [2] .

(١) فى هذا الشعر إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى بالجر والرفع .
(٢) فى المطبوع بعده : انقضت أخبارها .

[صوت]

إن من غَرَّه النساءُ بشيء بعد هنـد لجاهلٌ مغرورُ
حلْوةُ القول واللسان ومُرٌّ كُلُّ شيءٍ أجَنَّ منها الضميرُ
كلّ أنثى وإن بدا لك منها آيةُ الحبِّ حبُّها خيتعورُ[1]

الشعر لُحجْر بن عمرٍو آكلِ المُرار ،والغناء لُحنين ثانى ثقيل بالبنصر عن الهشامى
وفيه لنُبَيه ثقيل أول بالوسطى عن حبش ، وفيه رمل له .

(١) الخيتعور : كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب .

نسب حجر بن عمرو

والسبب الذى من أجله قال هذا الشعر

هو حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع واسمه عمرو بن ثور ، وقيل ابن معاوية بن ثور ، وهو كندة ، بن عُفير بن عدىّ ابن الحارث بن مرة بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يَعْرُب بن قحطان .

أخبرنى بخبره محمد بن الحسن بن دريد ، إجازة قال : حدثنى عمى ، عن ابن الكلبى ، عن أبيه ، عن الشرقىّ بن القطامىّ قال :

أقبل تُبَّعٌ أيامَ سار إلى العراق فنزل بأرض معَدٍّ ، فاستعمل عليهم حُجر ابن عمرو وهو آكل المُرارِ ، فلم يزل ملكا حتى خرف ، وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجَوْن ، ثم إن زياد بن الهَبُولة[1] ابن عمرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حَماطة بن سعد بن سَلِيح القُضَاعى أغار عليه ، وهو ملك فى ربيعة بن نزار ، ومنزله بِغَمْر ذى كندة ، وكان قد غزا بربيعة البَحْرين ، فبلغ زيادًا غزاتُه ، فأقبل حتى أغار فى مملكة حجر فأخذ مالا كثيرا وسبى امرأة حجر ، وهى هند ابنة ظالم ابن وهب بن الحارث بن معاوية ، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل ، فلما بلغ حُجرًا وبكرَ بن وائل غارتُهُ وما أخذ أقبلوا معه ، ومعه يومئذ أشراف بكر بن وائل ، منهم عوف بن مُحلِّم بن ذُهْل بن شيبان وصُليع بن عبد غَنْم بن ذهل ابن شيبان ، وسَدوس بن شيبان بن ذُهل ، وضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة ، وعامر ابن مالك بن تيم الله بن ثعلبة . فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محلّم وقالا

---

(١) ضبط فى مخطوط بتشديد اللام . أما فى اللسان « هبل » فبدون تشديد ، وعليه عولنا . وكذلك جاء فى اللسان بدون تشديد فى مادة « مرر » ، وذكر أن التى سبيت هى بنت آكل المرار .

لحجر : إنا متعجلان إلى الرجل لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا ، فلقياه دون عين أُباغ ، فكلمه عوف بن محلِّم وقال : يا خير الفتيان اردُدْ علىَّ ما أخذته منى ، فأعطاه إياه ، وكلمه عمرو بن معاوية فى فحل إبله فقال : خذه ، فأخذه عمرو وكان قويا ، فجعل الفحل ينزع إلى الإبل فاعتقله عمرو فصرعه ، فقال له ابن الهَبُولة : أما والله يا بنى شيبان لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم ، فقال عمرو : أما والله لقد وهبتَ قليلا وشتمت جليلا ، ولقد جررت على نفسك شرّا ولتجدنى عند ما ساءك . ثم ركض حتى صار إلى حجر فأخبره الخبر ، فأقبل حجر فى أصحابه حتى إذا كان بمكان يقال له الحَفِير بالبَرَدان وهو دون عين أُباغ ، بعث سَدوساً وصُليعا يتجسسان له الخبر ، ويعلمان له علم العسكر ، فخرجا حتى هجما على عسكره ، وقد أوقد نارا ونادى منادٍ له : من جاء بحُزمة من حطب فله قَدَره من تمر ، وكان ابن الهَبُولة قد أصاب فى عسكر حجر تمرا كثيرا ، فضرب قِبابه وأجّج ناره ونثر التمر بين يديه ، فمن جاء بحطب أعطاه تمرا ، فاحتطب سدوس وصليع ثم أتيا به ابن الهبولة ، فطرحاه بين يديه ، فناولهما من التمر وجلسا قريبا من القُبَّة ، فأما صليع فقال : هذه آيةٌ وعِلْمُ ما يريد ، فانصرف إلى حجر فأعلمه بعسكره ، وأراه التمر . وأما سدوس فقال : لا أبرح حتى آتيه بأمر جَلِىّ ، فلما ذهب هَزِيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه ، وقد تفرق أهل العسكر فى كل ناحية ، فضرب سدوس بيده إلى جليس له فقال له : من أنت ؟ مخافة أن يستنكر ، فقال : أنا فلان بن فلان ، قال : نعم ، ودنا سدوس من القُبَّة فكان حيث يسمع الكلام ، فدنا ابنُ الهبولة من هند امرأة حجر فقبَّلها وداعبها ثم قال لها فيما يقول : ما ظنك الآن بحجر لو علم بمكانى منك ؟ قالت : ظنى به والله أنه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر ، وكأنى أنظر إليه فى فوارس من بنى شيبان يَذْمُرهم ويَذْمُرونه [1] ، وهو شديد الكَلَب سريع الطَّلب ، يُزبِدُ شِدْقاه كأنه بعيرٌ آكِلُ مُرارٍ ، فسمى حجر آكِلَ المُرَارِ يومئذ ، قال : فرفع يده فلطمها ثم قال : ما قلتِ هذا إلا من عَجَبك به [2]

---

(١) ذمره على الأمر : حضه مع لوم ليجد فيه .

(٢) عجبك هنا بمعنى إعجابك به .

وحبك له ، فقالت : والله ما أبغضت ذا قَبْشَةٍ قطّ بُغْضى له، ولا رأيت رجلا قطُّ أحزمَ منه نائما ومستيقظا . إن كان لتنامُ عيناه وبعض أعضائه حيّ لاينام ، وكان إذا أراد النوم أمرنى أن أجعل عنده عُسًّا مملوءا لبنا ، فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه إذ أقبل أسودُ سالخ[١] إلى رأسه ، فنحّى رأسه ، فمال إلى يديه وإحداهما مقبوضة والأخرى مبسوطة فأهوى إليها ، فقبضها ، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة وبسط الأخرى فأهوى إليها ، فقبضها ، فمال إلى العُسّ فشربه ثم مجّه فقلت: يستيقظ فيشرب فيموت فأستريح منه، فانتبه من نومه فقال : علىّ بالإناء ، فناولته فشمّه فاضطربت يداه حتى سقط الإناء فأُهَرِيقَ. وذلك كلّه بأُذُنِ سدوس ، فلما نامت الأحراس خرج يسرى ليلته حتى صبّح حجرا فقال :

أتاك المُرجفون برَجْم غيبٍ على دَهَشٍ وجئتك باليقينِ
فمن يك قد أتاك بأمر لَبْسٍ فقد آتى بأمرٍ مُستبينِ

ثم قص عليه جميع ما سمع . فأُسِفَ[٢] ونادى فى الناس الرحيل،فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهَبولة ، فاقتتلوا قتالا شديدا،فانهزم أصحاب ابن الهبولة،وعرفه سدوس فحمل عليه فاعتنقه وصرعه فقتله ، وبَصُر به عمرو بن معاوية فشد عليه وأخذ رأسه منه ،وأخذ سدوس سَلَبه ، وأخذ حُجر هندًا فربطها بين فرسين ثم ركضا بها حتى قطعاها قطعا .

هذه رواية ابن الكلبى ،وأما أبوعبيدة فإنه ذكر أن ابن الهبولة لما غنم عسكر حجر غنم مع ذلك وجته هند بنت ظالم وأم إياس بنت عوف بن محلّم الشيبانى ، وهى أم الحارث بن حُجْر وهند بنت حجر ،ولابنها الحارث ابنٌ يقال له عمرو ، وله يقول بشر بن أبى خازم :

فإلى ابن أمّ إياسَ أُعمِلُ ناقتى عمرٍو فتُنْجِحُ حاجتى أو ترجُفُ

(١) الأسود السالخ : يريد به الحية التى سلخت جلدها .
(٢) أسف وجه فلان : تغير كأنه ذر عليه الرماد .

مَلِكٌ إذا نزل الوفودُ ببابه عرفوا غوارب مُزْنه ما تُنزَفُ

قال : وبنتها هند هي التي تزوجها المنذر بن ماء السماء اللخمي .

قال : وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السبايا والنَّعَم ويتصيَّد في المسير ولا يمرّ بواد فيعجبه إلا أقام به يوما أو يومين حتى أتى على ضَرِيَّةَ فوجدها مُعْشِبةً فأعجبته فأقام بها أياما ، وقالت له أم إياس : إني لأرى ذات وَدَكٍ [١] وسوء دَرَكٍ ، كأني قد نظرت إلى رجل أسود أدْلَم [٢] كأنَّ مشافره مشافر بعير آكل مُرارٍ قد أخذ برقبته . فسمي حجر آكل المرار بذلك . وذكر باقي القصة نحو ما مضى وقال في خبر ابن الهبولة : إن سدوسا أسره وإن عمرو بن معاوية لما رآه معه حسده فطعنه فقتله ، فغضب سدوس لذلك وقال : قتلت أسيرى وديته دِيَةُ الملوك ، وتحاكما إلى حجر فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك ، وأعانهم في ذلك بما له ، وقال سدوس في ذلك يعاتب بني شيبان :

ما بعدكمْ عيش ولا معكمْ عيش لذى أنَفٍ ولا حَسَبِ
لولا بنو ذُهْلٍ وجمعُ بنى قيسٍ وما جَمَّعْتَ من نَشَبِ
ما سُمْتمونى خطة غبَنَا [٣] وعلى ضَرِيَّةَ رُمْتُمُ غَلَبى

قال : وقد روى أن حجرا ليس بآكل المرار وإنما أبوه الحارث آكل المرار ، وروى أيضا أنه إنما سمى آكل المرار لأن سدوسا لما أتاه بخبر ابن الهُبولة ومداعبته لهند، وأن رأسه كان في حجرها ، وحدثه بقولها وقوله ، فيسمع ذلك وهو يعبث بالمُرار — وهو نبت شديد المرارة وكان جالسا في موضع فيه منه شيء كثير — فجعل يأكل من ذلك المُرار غضبا ، وهو يسمع من سدوس ولا يعلم أنه يأكله من شدة الغضب ، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث، فعلم حينئذ بذلك [٤] ووجد طَعْمَه ، فسمي يومئذ آكل المرار ، قال ابن الكلبي : وقال حجر في هند :

(١) الودك : الدسم من اللحم والشحم .

(٢) الأدلم : الطويل الأسود .

(٣) في مخطوط : خاصمتموني خطة عبثا .

(٤) في مخطوط : فأفاق حينئذ ووجد . . .

لمن النارُ أُوقدتْ بحَفِـيرِ لم يَنَمْ عند مُصْطَلٍ مَقْرُورِ
أو قدتْها إحدى الهنود وقالت أنتَ ذا مُوثَقٌ وَثاقَ الأسيرِ
إنَّ من غـرّه النّساء بشيء بعد هند لجاهل مغـرور[١]

وبعده باقى الأبيات المذكورة متقدما وفيها الغناء .

صوت

طرب الفؤاد وعاودت أحزانُهُ وتفرّقت فِرَقا[٢] به أشجانُهُ
وبدا له من بعـدما اندمل الهوى بَرْقٌ تألّق مَوْهِنا لمعانُه
يبدو كحاشية الرِّداءِ ودونه صعْبُ الذُّرى مُتمنّعٌ أركانُهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضلُوعه والماء ما جادت به أجفانُه

الشعر لمحمد بن صالح العَلَوِىّ ، والغناء لرَذاذ[٣] ويقال إنه لبنَان خفيف ثقيل ، وفيه ثقيل أول يقال : إنه لأبى العُبيس ، ويقال : إنه للقاسم بن زرزور ، وفيه لعمرو الميدانى رمل طنبورى وهو لحن مشهور .

(١) فى الشعر إقواء .
(٢) فى مخطوط : وتفرقت شعبا .
(٣) فى مخطوط : لزياد .

أخبار محمد بن صالح العلوى ونسبه

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب ، ويكنى أبا عبد الله ، شاعر حجازى ظريف صالح الشعر من شعراء أهل بيته المتقدّمين ، وكان جدّه موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن حسن بن حسن الحجازيَّين الخارجَين فى أيام المنصور ، أمهم جميعا هند بنت أبى عبيدة .

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء والطوسى قالا : حدثنا الزبير بن بكار . وأخبرنى أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانى قال : حدثنا يحيى بن الحسن العلوىّ قال : حدثنى الزبير بن بكار :

أن هندا حملت بموسى بن عبد الله ولها ستون سنة ، قال : ولا تحمل لستين إلاّ قرشية ، ولا تحمل لخمسين إلاّ عربية ، قال : وكان موسى آدَمَ شديدَ الأُدْمة وله تقول أمه هند :

إنك أنْ تكونَ جَوْنا أنزَعا[1] أجْدَرُ أنْ تَضرَّهم وتَنفَعا
وتَسلكَ العيسَ طريقا مَهْيَعا[2] فرداً من الأصحاب أومُشَيَّعا

وكان موسى استتر بعد قتل أخويه زمانا ، ثم ظفر به أبو جعفر فضربه بالسوط وحبسه مدة ثم عفا عنه وأطلقه ، وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها ، وكان محمد بن صالح خرج فى أيام المتوكل مع من بيَّض[3] فى تلك السنة فظفر به وبجماعة من أهل

---

(١) الجون : الأسود والأبيض . ضد ، والأحمر الخالص . والأنزع : من انحسر الشعر عن جانبى جبهته.

(٢) المهيع : الطريق الواسع البين .

(٣) المبيضة : فرقة من الثنوية سموا بذلك لتبييضهم ثيابهم مخالفة للمسودة من العباسيين ، لأن شعار العباسيين كان السواد .

بيته أبو السَّاج ، فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم وأخرب سُوَيْقَةَ وهى منزل للحسَنِيِّين ، ومن جملة صدقات أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وعقر بها نخلا كثيرا وحرّق منازلهم بها ، وأثّر فيهم وفيها آثارا قبيحة ، وحَمل محمدَ بن صالح فيمن حَمل منهم إلى سُرَّ من رأى ، فحُبِس ثلاث سنين ، ثم مدح المتوكل ، فأنشده الفتحُ قصيدته بعد أن غُنِّىَ فى شعره المذكور ، فطرب وسأل عن قائله فعرّفه ، وتلا ذلك إنشادُ الفتح قصيدته ، فأمر بإطلاقه .

وأخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدثنى أحمد بن أبى خَيْثمة قال :

أنكر موسى بن عبد الله بن موسى على ابن أخيه محمدِ بن صالح بن عبد الله ابن موسى بعضَ ما ينكره العُمومة على بنى أخيهم فى شىء من أمور السلطان ؛ وكان محمد بن صالح قد خرج بسُوَيقة ، فصار أبو الساج إلى سُوَيقة ، فأسلمه عمه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو الساج الأمان ، فطرح سلاحه ونزل إليه فقيَّده وحمله إلى سر من رأى ، فلم يزل محبوسا بها ثلاث سنين ، ثم أُطلق وأقام بها إلى أن مات وكان سبب موته أنه جُدِرَ فمات فى الجُدَرِىّ ، وهو الذى يقول فى الحبس :

طرب الفؤادُ وعاودَتْ أحزانُه ... وتشعبَتْ شُعَبا به أشجانُه
وبَدَا لهُ من بعد ما اندمل الهوى ... برقٌ تألَّق مَوْهِنا لمعانُه
يبدو كحاشيةِ الرِّداءِ ودونَه ... صعبُ الذُّرَى مُتَمنِّعٌ أركانُه
فدَنا لينظرَ كيف لاح فلم يُطِقْ ... نظرًا إليه وردَّه سجّانُه
فالنارُ ما اشتملتْ عليه ضُلوعُه ... والماء ما سحَّتْ به أجفانُه
ثم استعاذ من القبيحِ وردَّه ... نحوَ العزاءِ عن الصِّبا إيقانُه
وبدَا له أنَّ الذى قدْ نالهُ ... ما كان قدَّره له ديّانُه
حتى اطمأنَّ ضميرُه وكأنَّما ... هتَكَ العلائقَ عاملٌ وسِنانُه (١)
يا قلبُ لا يذهَبْ بحِلمك باخلٌ ... بالنَّيْلِ باذلُ تافهٍ منّانُه

(١) العامل من الرمح : صدره ، وهو ما يلى السنان .

يَعدُ القضاءَ وليس يُنجِز موعدا ... ويكون قبل قضائه ليّانُه[١]
خَدْل الشَّوَى حسن القَوام مُخَصَّرٌ ... عذبٌ لَماه طيِّب أردانُه[٢]
واقنع بما قسم الإله [فأمـره] ... ما لا يزَال عن الفتى إتيانُه
والبؤس ماضٍ ما يدوم كما مضى ... عَصْرُ النعيم وزال عنك أوانُه

أخبرني يحيي قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر قال : كنت مع أبي عبد الله محمد ابن صالح في منزل بعض إخواننا ، فأقمنا إلى أن غَسَقَ اللَّيلُ ، وأنا أرى أنه يَبَيت ، فإذا هو قد قام فتقلَّد سيفه وخرج ، فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت ، وسألته المُقام والمَبيت ، وأعلمته خوفي عليه ، فالتفت إليَّ متبسما وقال :

إذا ما اشتملْتُ السيفَ والليل لم أُبَلْ ... بشيء ولم تقرَعْ فؤادي القوارعُ[٣]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر قال :

مرّ محمد بن صالح بقبرٍ لبعض ولد المتوكل ، فرأى الجواريَ يَلْطِمْنَ عنده ، فأنشدني لنفسه :

رأيتُ بِسامُرَّا صبيحةَ جُمعةٍ ... عيونا يروق الناظرين فُتورُها
تزور العظامَ الباليات لدى الثرى ... تَجاوزَ عن تلك العظامِ غَفورُها
فلولا قضاءُ الله أن تُعْمَرَ الثرى ... إلى أن يُنادَى يوم يُنفَخ صُورُها
لقلتُ عساها أن تَعيش وأنها ... ستُنْشر من جرَّا عيونٍ تزورُها
أسيلاتُ مَجْرَى الدمع إمَّا تهلَّلت ... شُؤونُ المآقي ثم سَحَّ مَطيرُها
بوَبْلٍ كأتْوَامِ الجُمان تُفيضه[٤] ... على نَحْرِها أنفاسُها وزَفيرُها
فيا رحمةً ما قدْ رَحِمْتِ بواكيا ... ثِقالاً تَواليها لِطافا خُصورُها[٥]

---

(١) ليانه : مطله .
(٢) الخدل : الممتلئ الضخم . والشوى : اليدان والرجلان والأطراف . واللمى : سمرة أو سواد في الشفة يستحسن .
(٣) في المطبوع « أهل » ، وكلاهما يرجع إلى معنى واحد . ولم تقرع لعلها أيضا : ولم تفزع .
(٤) أتوام الجمان : حباته .
(٥) التوالي : يراد بها هنا الأرداف .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوية قال :

حدثنى إبراهيم بن المدبّر قال : جاءنى محمد بن صالح الحسنى فسألنى أن أخْطُبَ عليه بنتَ عيسى بن موسى بن أبى خالد الحربىّ أو أخته حمدونة ، ففعلت ذلك ،وصرت إلى عيسى فسألته أن يجيبه ، فأبى وقال لى : لا أكذبك ، والله ماأردّه لأنى لا أعرف أشرف وأشهر منه لمن يصاهره ، ولكنى أخاف المتوكل وولده بعده على نعمتى ونفسى . فرجعت إليه فأخبرته بذلك ، فأضرب عن ذلك مدة ثم عاودنى بعد ذلك وسألنى معاودته ، فعاودته ورفقت به حتى أجاب فزوّجه أخته ، فأنشدنى بعد ذلك محمد :

خَطبتُ إلى عيسى بن موسى فردّنى ... فلله وَالى حُرّةٍ وعَليقُها[1]

لقد ردّنى عيسى ويعلمُ أننى ... سَليلُ بناتِ المصطفى وعَريقُها

وأنّ لنا بعد الولادة نَبْعَةً ... نبىُّ الإلهِ صِنْوُها وشَقيقُها

فلما أبى بُخْلاً بها وتَمَنّعـا ... وصيّرنى ذا خلّةٍ لا يُطيقها[2]

تداركَنى المرءُ الذى لم يزَلْ له ... من المكرُمات رَحْبُها وطَليقها

سَمِىُّ خليل اللهِ وابنِ وَليِّه[3] ... وحمّالُ أعباءِ العُلا وطَريقُها

فزوّجها والمَنُّ عندى لغيره ... فيا بَيْعَةً وَفّتنى الرِّبحَ سُوقُها

ويا نعمةً لابن المدبّر عندنا ... يَجِدُّ على كرّ الزمان أنيقُها

قال ابن مَهْرُوية[4] : قال لى إبراهيم بن المدبر : فلما نُقِلت حمدونة إلى محمد شُغِفَ بها ، وكانت امرأة جميلة عاقلة ، فأنشدنى لنفسه فيها :

لَعَمْرُ حمدُونَةَ إنى بهـا ... لمغرمُ القلبِ طويلُ السَّقامِ

مجاوزٌ للقَدْرِ فى حُبّهـا ... مُباينٌ فيها لأهلِ المَلامِ

(١) عليقها : المتعلق بها . والشغوف : المحب .

(٢) لعلها : لا أطيقها .

(٣) إبراهيم بن المدبر : سمى إبراهيم الخليل ، وإبراهيم بن سيدنا محمد .

(٤) فى مخطوط : قال ابن حمدون .

مُطَّرِحٌ للعَذْلِ ماضٍ على مخافةِ النفسِ وهَوْلِ المَقامِ
مُشايِعِي قلبٌ يَخاف الخنا وصارمٌ يقطع صُمَّ العظامِ
جَشَّمَنى ذلك وَجْدى بها وفَضْلُها بين النساء الوِسامِ
ممكورةُ الساقِ رُدَيْنيّةٌ مع الشَّوَى الخَدْلِ وحُسنِ القوامِ
صامتةُ الحِجْلِ خفوقُ الحشا ما ثرةُ الساقِ ثقالُ القيامِ
ساجيةُ الطَّرْفِ نَؤُومُ الضُّحى منيرةُ الوجهِ كبَرْقِ الغمامِ
زيَّنَها اللهُ وما شانها وأُعْطِيتْ أُمْنِيّتَها مِنْ تمامِ
تلك التى لولا غرامى بها كنتُ بسامُرّا قليلَ المُقامِ

هكذا روى ابن مهرويه عن ابن المدبر فى خبر ابن صالح وتزويجه حمدونة .

وروى عمى عن أبى جعفر بن الدّهقانة النديم قال :

حدثنى إبراهيم بن المدبر قال : جاءنى يوما محمد بن صالح الحسنى العلوىّ بعد أن أُطلِق من الحبس فقال لى : إنى أريد المُقام عندك اليوم على خلوة لأبثك من أمرى ما لا يصلح أن يسمعه غيرنا . فقلت : أفعل . فصرفت من كان بحضرتى وخلوت معه وأمرت بربط دابته وأخذ ثيابه ، فلما اطمأنّ وأكلنا واضطجعنا قال لى : أعلمك ، أنى خرجت فى سنة كذا وكذا ومن معى من أصحابى على القافلة الفلانية ، فقاتلنا من كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة . فبينا أنا أحوزها وأُنيخ الجمال إذ طلعتْ علىّ امرأة من العَمارِيّةِ ما رأيت قط أحسنَ منها وجها ولا أحلى منطقا ، فقالت : يا فتى إن رأيتَ أن تدعوَ لى بالشريفِ المتولّى أمر هذا الجيش [فإن له عندى حاجة] فقلت : قد رأيتِه وسمع كلامكِ ، فقالت : سألتك بحقّ الله وحقّ رسوله صلى الله عليه وسلم أنت هو ؟ فقلت : نعم وحقّ الله وحقّ رسوله إنى لهو ، فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبى خالد الحربى ، ولأبى محلّ من سلطانه ، ولنا نعمة إن كنت سمعت بها فقد كفاك ما سمعتَ ، وإن كنتَ لم تسمع بها فسَلْ عنها غيرى ، ووالله لا استأثرت عليك بشىء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه علىّ . وما أسألك إلاّ أن تصوننى وتسترنى ، وهذه ألف دينار

معى لنفقتى فخذها حلالاً . وهذا حَلْىٌ علىّ من خمسمائة دينار فخذه ، وضمنّى ما شئتَ بعده آخذْه لك من تُجار المدينة أو مكة أو من أهل الموسم ، فليس منهم أحد يمنعنى شيئا أطلبه ، وادفعْ عنى واحْمِنى من أصحابك ومن عارٍ يلحقنى ، فوقع قولها من قلبى موقعا عظيما فقلت لها : قد وهب الله عز وجل لك مالك وجاهك وحالك ، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها . ثم خرجتُ فناديت فى أصحابى فاجتمعوا ، فناديت فيهم : إنى قد أجرت هذه القافلة وأهلها وخفرتها وحميتها ، ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتى ، فمن أخذ منها خيطا أو عقالا (١) فقد آذنته بحرب . فانصرفوا معى وانصرفت . فلما أُخذتُ وحُبستُ ، بينا أنا ذات يوم فى مَحْبسى إذ جاءنى السجّانُ وقال لى : إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك وقد حُظِر علىّ أن يَدْخل عليك أحدٌ ، إلاّ أنهما أعطتانى دُمْلُجَ ذهبٍ وجعلتاه لى إن أوصلتهما إليك ، وقد أذنت لهما وهاهما فى الدهليز ، فاخرج إليهما إنْ شئت . ففكرت فيمن يجيئنى فى هذا البلد وأنا به غريب لا يعرفنى أحد ، ثم قلت : لعلهما من ولد أبى أو بعض نساء أهلى ، فخرجت إليهما ، فإذا بصاحبتى ، فلما رأتنى بكت لما رأت من تغيّر خَلْقِى وثقلِ الحديث علىّ ، فأقبلتْ عليها الأخرى فقالت : أهو هو ؟ فقالت : إى واللهِ إنه لهو هو ، ثم أقبلت علىّ فقالت : فِداك أبى وأمى ، واللهِ لو استطعتُ أن أقِيكَ مما أنت فيه بنفسى وأهلى لفعلتُ وكنتَ بذلك منى حقيقا ، ووالله لا تركتُ المعاونة لك والسعىَ فى حاجتك وخلاصِك بكلّ حيلة ومال وشفاعة ، وهذه دنانير وثيابٌ وطيبٌ فاستعِنْ بها على موضعك ، ورسولى يأتيك فى كل يوم بما يُصْلِحك حتى يُفرج الله عنك ، ثم أخرجت إلىّ كسوة وطيبا ومائتى دينار ، وكان رسولها يأتينى فى كل يوم بطعام نظيف ، ويتواصل برُّها بالسجان فلا يمتنع من كل ما أريده ، حتى منّ اللهُ بخلاصى ، ثم راسلتها فخطبتها فقالت : أمّا من جهتى فأنا لك متابعة مطيعة ، والأمر إلى أبى ، فأتيته فخطبتها إليه فردنى وقال : ماكنتُ لأحقّق عليها ما قد

(١) فى مخطوط : خيطا أو مخيطا .

شاع فى الناس عنك فى أمرها وقد صيّرتنا فضيحة ، فقمت من عنده منكّسا مُستحيا وقلت له فى ذلك :

رمونى وإياها بشنعاء هُمْ بها أحقُّ أدالَ اللهُ منهم فعجّلا[1]
بأمرٍ تركناه وربِّ محمـــدٍ عِيانا فإمّا عِفّةً أو تجمُّلا

فقلت له : إن عيسى صنيعة أخى ، وهو لى مطيع ، وأنا أكفيك أمره ، فلما كان من الغد لقيت عيسى فى منزله وقلت له : قد جئتك فى حاجة لى ، فقال : مقضيّة ولو كنتَ استعملتَ ما أُحبُّه لأمرتنى فجئتك وكان أسرَّ إلىّ ، فقلت له : قد جئتك خاطبا إليك ابنتك ، فقال : هى لك أمَةٌ وأنا لك عبد وقد أجبتُك ، فقلت : إنى خطبتها على من هو خير منى أبا وأُمًّا وأشرف لك صِهرًا ومتّصَلاً محمدِ بنِ صالح العلوىّ ، فقال لى : يا سيدى هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظِنّةٌ ، وقيلت فينا أقوال ، فقلت : أفليست باطلة ؟ قال : بلى والحمدُ لله ، قلت : فكأنها لم تُقَلْ ، وإذا وقع النكاح زال كل قول وتشنيع ، ولم أزل أرفُق به حتى أجاب ، وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته ، وما برحت حتى زوجته وسقت الصداق عنه .

قال أبو الفرج الأصبهانى [2] : وقد مدح محمدُ بن صالح إبراهيمَ بن المدبر مدائح كثيرة لما أوْلاه من هذا الفعل ، ولصداقةٍ كانت بينهما ، فن جيّد ما قاله فيه قوله :

أتُخبر عنهم الدِّمَنُ الدُّثُورُ وقد يُنْبِى إذا سُئِل الخَبيرُ
وكيف تُبَيِّن الأنبـــاءَ دارٌ تَعاقَبُها الشَّمائِلُ والدَّبُورُ

يقول فيها فى مدحه :

فهـــلا فى الذى أوْلاك عُرْفاً تُسَدّى من مقاليك مايَسِيرُ

---

(١) أدال الله منهم : جعل الكرة لعدوهم عليهم .

(٢) فى مخطوط : قال مؤلف هذا الكتاب . هذا وكلاهما واحد .

ثناءً غيرَ مُختلَقٍ ومدْحا مع الرُّكبان يُنْجِدُ أوْ يغورُ
أخٌ واساك فى كَلَبِ اللَّيالى وقد خذَلَ الأقاربُ والنَّصيرُ
حِفاظا حين أسلمك الموالى وضَنَّ بنفسه الرَّجُلُ الصَّبورُ
فإن تَشكُرْ فقد أوْلى جميلا وإن تَكفُرْ فإنَّك للكَفُورُ
وما فى آل خاقانَ اعتصامٌ إذا ما عمَّكَ الخطْبُ الكبيرُ
لئامٌ الناس إثراءً وفقرًا وأعجزُهم إذا حَمِىَ القَتيرُ[1]
لئامٌ لا يُزَوِّجهم كريمٌ ولا تُثْنَى لنسوتِهم مُهورُ[2]

وإنما ذكر آل خاقان هاهنا لأنّ عبيد الله بن يحيى قصَّر به وتحامل عليه ، وكان يقولُ فيه ما يكره . ويؤكِّد ما يوجب حبسه ، وكان فيه وفى ولده نَصْبٌ[3] شديد .

ولمحمد بن صالح فى آل المدبر مدائح كثيرة لا معنى لذكرها فى هذا الكتاب .

أخبرنى علىّ بن العباس بن أبى طلحة الكاتب قال : حدثنى عبدالله بن طالب الكاتب قال :

كان محمد بن صالح العلوى حلوَ اللسان ظريفا أديبا ، فكان بسرَّ من رأى مخالطا لسَرَاة الناس ووُجوه أهل البلد ، وكان لا يكاد يفارق سعيد بن حميد ، وكانا يتقارضان الأشعار ويتكاتبان بها ، وفى سعيد يقول محمد بن صالح العلوى :

أصاحبُ من صاحبتُ ثمَّتَ أنثنى إليك أبا عثمانَ عطشانَ صاديا
أبى القلبُ أن يُرْوَى[4] بهم وهو حائم إليك وإن كانوا الفُروع العواليا
ولكن إذا جئناك لم نَبْغِ مشربا سواك ورَوَّينا العظامَ الصواديا

(١) القتير : الدرع أو رءوس مسامير الدرع ، ويراد هنا : توقدها فى الحرب .
(٢) لا تثنى : لا تجعل رفيعة ذات قيمة .
(٣) النصب : المعاداة ، ويطلق على من يعادى أهل البيت .
(٤) فى مخطوطين : « أن ينفع » ويكون الإسكان للشعر .

قال عبد الله بن طالب : وكان بعض بنى هاشم دعاه فمضى إليه وكتب سعيد إليه يسأله المصير إليه ، فأخبِرَ بموضعه عند الهاشمى ، فلما عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليه، فكتب إليه بهذه الأبيات — قال عبد الله : وشرب يوما هو وسعيد ابن حميد فسكر محمد بن صالح قبله فقام لينصرف والتفت إلى سعيد وقال له - :

لعمرك إننى لَمَّا افترقنا ... لذُومِقَةٍ [١] لِخُلْصانى سعيدِ
تبَقَّتْه المُدامُ وأزعجتنى [٢] ... إلى رحلى بتعجيلِ الوُرودِ

قال : وتوفى محمد بن صالح بسرمن رأى ، وكان يجْهَد فى أن يؤذَن له فى الرجوع إلى الحجاز فلا يُجاب إلى ذلك ، فقال سعيد يرثيه .

بأىّ يد أسطو على الدهر بعدما ... أبانَ يَدَى عَضْبُ الذُّبابَيْنِ قاضبُ [٣]
وهاضَ جناحى حادثٌ جلَّ خطبه ... وسُدَّتْ عن الصبر الجميل المذاهب
ومن عادة الأيام أنّ صُروفها ... إذا سَرَّ منها جانبٌ ساء جانبُ
لعمرى لقد غال التَّجلُّدَ أننا ... فقدناك فَقْدَ الغيثِ والعامُ جادبُ
فما أعرف الأيامَ إلاَّ ذميمةً ... ولا الدهرَ إلاَّ وهو بالثَّأرِ طالبُ
ولا لى من الإخوان إلاَّ مكاشِرٌ ... فوجْهٌ له راضٍ ووجهٌ مُغاضِبُ
فقدتُ فتى قد كان للأرض زينة ... كما زيَّنَتْ وجهَ السماءِ الكواكبُ
لعمرى لئن كان الرَّدَى بك فاتَنِى ... وكلُّ امرئٍ يوما إلى الله ذاهبُ
لقدْ أخذتْ منى النوائبُ حكمها ... فما تركتْ حقًا علىَّ النوائبُ
ولا تركَتْنى أرهب الدهرَ بعده ... لقد كَلَّ عنى نابهُ والمخالبُ
سقى جدثا أمسى الكريم ابن صالح ... يَحُلُّ به دانٍ من المُزْنِ ساكبُ
إذا بشَّر الرُّوَّادَ بالغيث برقُهُ ... مرَتْهُ الصَّبا واستجلبَتْه الجنائبُ [٤]

(١) فى المطبوع وبعض المخطوطات : « أخوضن » هذا ،والمقة : الحب . والخلصان : الصديق الخالص .
(٢) فى مخطوط : تتبعت المدام .
(٣) العضب : القاطع . وذباب السيف : طرفه الذى يضرب به . وقاضب : قاطع .
(٤) مرته : استدرته . والجنائب جمع جنوب ، وهى ريح تهب من الجنوب . والصبا : ريح تهب من الشرق .

فَغا وَرَبا فى الدَّهرِ تأثيرُ صَوْبِهِ ربيعا زهتْ منه الرُّبا والمَذانبُ[١]

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال : حدثنا المبرد قال :

لم يزل محمد بن صالح محبوسا حتى توصّل بُنان له بأن غنى بين يدى المتوكل فى شعره يقول :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برْقٌ تألَّق مَوْهنا لمعـانُهُ

فاستحسن المتوكل الشعر واللحن وسأل عن قائله فأخبر به ، وكُلِّم فى أمره ، وأحسنت الجماعة رِفْدَه ، وقام الفتح بأمره قياما تامًّا ، فأمر بإطلاقه من حبسه على أن يكون عند الفتح وفى يده حتى يقيم كفيلا بنفسه ألا يبرح من سُرَّ من رأى ، فأُطلق وأخذ عليه الفتحُ الأيمانَ المُوثَّقة ألاَّ يبرح من سرَّ من رأى إلا بإذنه ، ثم أطلقه . ولمحمد بن صالح فى المتوكل والمنتصر مدائح جياد كثيرة ، منها قوله فى المتوكل من قصيدة أولها قوله :

أَلِفَ التُّقَى وَوَفَى بنذْرِ الناذرِ وأبى الوُقوفَ على المحلِّ الدَّاثِرِ
ولقد تَهيجُ له الديارُ صَبابةً حينا ويكلَفُ بالخليط السائر
فرأى الهِدَايةَ أنْ أناب وأنَّه قَصَرَ المديحَ على الإمام العاشِرِ
يا ابن الخلائف والَّذين بِهَدْيِهم ظهرَ الوفاءُ وبان غدْرُ الغادرِ
وابنَ الذين حَوَوْا تُراثَ مُحمَّد دون الأقارب بالنصيب الوافرِ
نطق الكتابُ لكمْ بذاك مُصدِّقًا ومضتْ به سُنَنُ النبىِّ الطاهرِ
ووصلْتَ أسباب الخلافة بالهُدى إذ نِلْتَها وأَنَمْتَ عين الساهرِ
أحييتَ سنةَ من مضى فتجددتْ وأبَنْتَ بِدْعة ذى الضلال الخاسرِ
فافخرْ بنفسك أو بجدِّك مُعْلِنا أوْدَعْ فقدْ جاوزْتَ فخرَ الفاخرِ

(١) المذانب : الجداول ومسايل المياه . وفغا : فشا . وربا : زاد . وفى المطبوع : فنادر باقى الدهر . وفى مخطوط : الذرى والمراتب .

ما للمكارم غيرُكمْ مِنْ أوَّلٍ بعد النبيِّ وما لها من آخرِ
إنى دعوتك فاستجبتَ لدعوتى والموتُ منى قِيدَ شبرِ الشابرِ
فانْتَشْتَنى من قعرِ مُوردةِ الرّدى منّا ولم تسمعْ مقالة زاجرِ[١]
وفككتَ أسرى والبلاءُ مُوكّلٌ وجبرْتَ كسْرًا ماله من جابرِ
وعطفتَ بالرّحم التى ترجو بها قُرْبَ المحلِّ من المليك القادرِ
وأنا أعوذ بفضل عفوك أن أُرى غرَضًا ببابك لِلمُلِمِّ الفاقرِ[٢]
أو أنْ أُضَيَّعَ بعد ما أنقذتنى[٣] من ريْبِ مهلكةٍ وجَدٍّ عاثِرِ
ولقد مننْتَ فكنْتَ غيرَ مكدِّرٍ ولقدَ نهضْتُ بها نُهوضَ الشاكرِ

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار ومحمد بن خلف وكيع قالا : حدثنا الفضل بن سعيد بن أبى حرب قال : حدثنا أبو عبد الله الجُهَنِىُّ قال :

دخلت على محمد بن صالح الحسنى فى حبس المتوكل فأنشدنى لنفسه يهجو أبا السّاج :

ألم يحزُنْكِ يا ذَلْفاءُ أنّى سكنتُ مساكن الأمواتِ حيّا
وأن حمائلى ونجادَ سيفى علَوْن مجُدَّعا أشِرًا سَنِيّا
فقصّرهُنَّ لما طُلْنَ حتى اسـ ـتوين عليه لا أمْسَى سَوِيّا
أمَا والراقصات بذات عِرْقٍ تريد البيت تحسبها قِسِيّا
لو امكننى غداتئذٍ جِلادٌ لألفونى به سَمْحا سَخِيّا

قال ابن عمار: وأنشدنى عبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمد بن صالح أيضا :

نظرت ودونى ماء دجلة مَوْهِنًا بمَطروفةِ الإنسانِ محسورةٍ جِدّا
لِتُؤْنِسَ لى نارًا بتثليثَ أُوقدت[٤] وتا لله ما كلّفتُها مَنْظرًا قصْدَا

(١) انتاشه : تناوله وأخرجه وأنقذه .
(٢) الملم الفاقر : الداهية التى تنزل وكأنها كسرت فقار الظهر .
(٣) فى مخطوط : « أوأن أضيع بعيد أن أنقذتنى » .
(٤) فى مخطوط : « أتؤنس لى نارا لعليك أوقدت » وفى المطبوع : « بليل توقدت » . والتصويب من معجم البلدان « تثليث » . وتثليث : موضع بالحجاز قرب مكة .

فلو أنها منها لقلتُ كأننى أرى النارَ قد أمست تضىء لنا هِنْدا
تضىء لنا منها جبينا ومَحْجِرًا ومُبْتَسَمًا عذْبا وذا غُدُرٍ جَعْدا

انقضت أخباره .

صوت

يا عَدِيًّا لقلبك المهتاجِ إنْ عفا رَسْم منزل بالنَّباج
غيرَّتْه الصَّبا ، وكلُّ مُلِثٍّ دائم الوَدْقِ ذى أهاضيبَ داجِ [1]
وحملنا غلامنا ثمَّ قُلْنا هاجِرُ العيس ليس منك بناجِ
فانتحى مثل ماانتحى بازُ دَجْنٍ جوَّعَتْه القُنَّاصُ للدُّرَّاجِ

الشعر لأبى دُوَاد الإيادى ، والغناء لُحنين ثانى ثقيل بالبنصر فى مجراها عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن عائشة ، وفيه لعريب هزج ، وفيه ثقيل أول ينسب إلى يزيد حوراء وإلى أحمد النَّصيبى .

(١) الملث : الدائم ويريد المطر ، والودق : القطر ، والأهاضيب جمع أهضوبة وهى الدفعة .

ذكر أخبار أبي دواد الايادى ونسبه

هو، فيما ذكر يعقوب بن السكيت، جاريةُ بن الحجّاج، وكان الحجاج يلقب حمران بن بحر بن عصام بن مُنَبِّه بن حُذَافة بن زُهير بن إياد بن نِزار بن معدّ. وقال ابن حبيب: هو جارية بن الحجّاج أحد بنى برد بن دُعْمِىّ بن إياد بن نزار، شاعر قديم من شعراء الجاهلية وكان وصّافا للخيل، وأكثر أشعاره فى وصفها، وله فى غير وصفها تصرُّفٌ بين مدح وفخر وغير ذلك، إلاّ أن شعره فى وصف الفرس أكثر [وأشهر].

أخبرنى الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه قال: حدثنى الهيثم بن عدى، وابن الكلبى عن أبيه، والشرقى.

أن أبا داود الإيادى مدح الحارثَ بن هَمّام بن مُرّة بن ذُهْل بن شيبان، فأعطاه عطايا كثيرة، ثم مات ابنٌ لأبى دواد وهو فى جواره فوَدَاه، فمدحه أبو دواد، فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه، ولا يذهب له مال إلا أخلفه، فضربت العرب المثل بجار أبى داود، وفيه يقول قيس بن زهير:

أُطَوِّفُ ما أُطوِّف ثم آوى إلى جار كجار أبى دُوادِ

هذه رواية هؤلاء، وأبو عبيدة يخالف ذلك.

أخبرنى ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم، عن أبى عبيدة قال:

جاور أبو دواد الإيادى كَعْبَ بن مامَة الإيادى، فكان إذا هلك له [ولد وداه، وإن هلك له] بعير أو شاة أخلفها له، وفيه يقول طَرَفةُ يمدح عمرو بن هند:

جارٌ كجار الُحذاقىّ الذى اتصفا[1]

(١) صدره فى اللسان «حذق ووصف» إنى كفانى من أمر هممت به. هذا والحذاق: الفصيح اللسان، وعنى به أبا دواد. وفى مخطوط: الدوادى.

وكان لأبي دواد ابن يقال له دُواد شاعر ، وهو الذي يقول يرثي أباه :

فبات فينا وأمسى تحت هادية ... ما بعد يومك من ممسى وإصباح
لايدفع السُّقمَ إلاّ أن تُفدّيَهُ ... ولوملكنا مَسكْنا السُّقمَ با لراح

اخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني عليّ بن الصباح قال : أخبرنا أبو المنذر عن أبيه قال :

تزوج أبو دواد امرأة من قومه فولدت له دوادا ثم ماتت ، ثم تزوج أخرى فأُولِعَت بدواد وأمرت أباه أن يجفوه ويبعده ، وكان يحبها ، فلما أكثرت عليه قالت : أخرجه عني ، فخرج به وقد أردفه خلفه إلى أن انتهى إلى أرض جرداء ليس فيها شيء ، فألقى سوطه متعمدا ، وقال : أيْ دُواد انزل فناولني سوطي ، فنزل ، فدفع بعيره وناداه :

أدُوَادُ إنّ الأمر أصبح ما ترى ... فانظر دُوَادُ لأى أرض تَعْمِدُ

فقال له دواد : على رِسْلك ، فوقف له فناداه :

وبأيّ ظنّك أن أقيم ببلـــــدة ... جرداءَ ليس بغيرها مُتَلَدّدُ[1]

فرجع إليه وقال له : أنت والله ابني حقا ، ثم رده إلى منزله وطلق امرأته .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد ، عن أبيه ، عن أبي عمرو الشيباني قال : كانت لأبي دواد امرأة يقال لها أم حَبْتَر وفيها يقول :

أصبحتْ أمُّ حبتر تشكوني ... في ثلاثين زَعزعتْها حقــوقُ
زعمت لي بأنني أُفسِدُ الما ... لَ وأَزْوِيه عن قضاء ديوني
أمَلَتْ أن أكون عبدًا لمالى ... وَتَهنًا بنافع المالِ دوني[2]

وهي طويلة ، قال : ولها يقول وقد عاتبته على سماحته بما له فلم يُعْتِبها فصَرمته :

حاولتِ حين صَرمْتِنِي ... والمَرءُ يَعْجِز لا المَحالَهْ
والدهـــر أروغُ من ثُعالَهْ ... والدَّهر يلعب بالفـــتى

(١) متلدد : تلبث . (٢) في المطبوع : ويهنا بها مع المال .

والمرء يكسب ماله والشحُّ يُورثه الكلاله[1]
والعبدُ يُقرع بالعصا والحرّ تكفيه المقاله
والسكتُ خيرٌ للفتى فالحينُ من بعض المقاله[2]

أخبرني يحيى بن علىّ بن يحيى [قال : حدثنى أبى] عن إسحاق ، عن الأصمعى قال :

ثلاثة كانوا يصفون الخيل لايقاربهم أحد : طُفيل وأبو دواد والجعدىّ ، فأمّا أبو دواد فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر ، وأما طفيل فإنه كان يركبها وهو أغرل[3] إلى أن كبر ، وأما الجعدىّ فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء فأخذ عنهم .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنى أبو حاتم ، عن أبى عبيدة قال :

أبو دواد أوصف الناس للخيل فى الجاهلية والإسلام ، وبعده طفيل الغنوى والنابغة الجعدى .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن ابن الأعرابى قال :

لم يصف أحد قطّ الخيلَ إلاّ احتاج إلى أبى دواد ، ولاوصف الحمر إلا احتاج إلى أوْس بن حجر ، ولا وصف أحد نعامة إلا احتاج إلى علقمة بن عبَدة ولا اعتذر أحد فى شعره إلا احتاج إلى النابغة الذُّبيانى .

أخبرنى عمى قال : حدثنا جعفر بن محمد العاصمى[4] قال : حدثنى عيينة

---

(١) فى اللسان « حول » : بالشح يورثه الكلاله .

(٢) فى مخطوط : فى الحين .

(٣) أغرل : يريد ركبها فى صغره ، واعتادها قبل أن يختن .

(٤) فى مخطوط : القاسى .

ابن المنهال قال: حدثني شدّاد بن عبيد الله [١] قال: حدثني عبيد الله بن الحارث العنزي [٢] القاضي، عن أبي عرّادة قال:

كان عليّ عليه السلام يُفطر [٣] الناسَ في شهر رمضان، فإذا فرِغ من العَشاء تكلّم فأقلّ، وأوجز فأبلغ. فاختصم الناس ليلةً حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس، فقال عليّ عليه السلام لأبي الأسود الدُّؤَلي: قل يا أبا الأسود. فقال أبو الأسود: وكان يتعصّب لأبي دواد الإيادي: أشعرهم الذي يقول:

ولقد أغتدي يُدافعُ ركني ... أحوذيٌّ ذو مَيْعَةٍ إضريجُ [٤]
مِخلَطٌ مِزيَلٌ مِكرٌّ مِفرٌّ ... مِنفَحٌ مِطرَحٌ سَبوحٌ خَرُوجُ [٥]
سَلْهَبٌ شَرْحَبٌ كأنّ رماحا ... حملته وفي السَّراة دُموجُ [٦]

قال: وكان لأبي الأسود رأي في أبي دواد. فأقبل عليّ عليه السلام على الناس فقال: كل شعرائكم مُحسن، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك، وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن فيه، وإن يكن أحد فضَلهُم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجر، فإنه كان أصحّهم بادرةً وأجودهم نادرة.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه، عن إسحاق، عن الأصمعي قال:

كانت الرواة لا تروي شعر أبي دواد ولا عديّ بن زيد لمخالفتهما مذاهب

---

(١) في مخطوط: بن عبد الله.

(٢) في المطبوع: بن الحر العنبري.

(٣) في مخطوط: يعشّ الناس.

(٤) الإضريج: الواسع اللبان، أو الفرس الجواد الشديد العدو. والميعة: أول جري الفرس وأنشطه. والأحوذي: السريع في كل ما أخذ فيه. وفي اللسان: ضرج وجول: «أجولي» والأجولي «السريع».

(٥) مخلط: لعلها من الخلط، وهو تداخل أجزاء الشيء بعضه في بعض. والمربذ: من الربذ، وهو خفة القوائم في المشي. وفي المطبوع: مزيل. والمطرح: البعيد الطويل. والفحل المطرح: البعيد موقع الماء في الرحم. والمنفح: لعله من نفح الريح، وهو شدة هبوبها.

(٦) السلهب والشرحب: الطويل. والسراة: الظهر. والدموج: التداخل والاستحكام.

الشعراء من العرب ، قال : وكان أبو دواد على خيل المنذر بن ماء السماء فأكثر وصفه للخيل .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهروية قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى ابن أبى الهيذام قال :

اسم أبى دواد الإيادى جُوَيْرية بن الحجّاج ، وكانت له ناقة يقال لها الزّبّاء ، وكانت بنو إياد يتبرّكون بها ، فلما أصابتهم السَّنَةُ تفرقوا ثلاث فرق : فرقة منهم سلكت فى البحر فهلكت ، وفرقة قصدت اليمن فسلِمت ، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل فنزلوا على الحارث بن همّام ، وكان السببُ فى ذلك أنهم أرسلوا الزبّاء وقالوا : إنها ناقة ميمونة فخلُّوها فحيثُ توجّهت فاتبعوها ، وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نُجْعة ، فخرجت تخوض العرب حتى بركت بفناء الحارث بن همّام ، وكان أكرم الناس جوارا ، وهو جار أبى دواد المضروب به المثل ، فقال أبو دواد يمدح الحارث ويذكر ناقته الزّبّاء :

فإلى ابن همام بن مرّة أصعدتْ ... ظُعُنُ الخليط بهم فقَلّ زِيالُها
أنعمتَ نعمةَ ماجدٍ ذى مِنّة ... نُصِبَتْ عليك من العلا أظلالُها
وجعلتَنا دون الولىّ فأصبحتْ ... زبّاءُ منقطِعا إليك عِقالُها

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنا يحيى بن سعيد قال :

كانت إياد تفخر على العرب تقول : منا أجود الناس كعبُ بن مامة ، ومنا أشعر الناس أبو دواد ، ومنا أنكح الناس ابن ألْغَزَ .

ابن ألغز :

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل تِينةُ قال : حدثنى القحذمىّ قال :

كان ابن ألغز أُيارِيًّا[1] ، فكان إذا أنعظ احتكّت الفِصال بأيره ، قال :

(١) فى الأصل : أيرا .

وكان في إياد امرأة تستصغر أُيور الرجال ، فجامعها ابن ألغز فقالت : يا معشر إياد أَبِالرُّكَب تجامعون النساء ؟ قال فضرب بيده على استها وقال : ما هذا ؟ فقالت ، وهي لا تعقل ما تقول : هذا القمر ، فضربت العرب بها المثل « أُريها استَها وتُريني القمر » .

وأُنْشِد وقد كان الحجاج منع من لحوم البقر خوفا من قلة العِمارة في السواد فقيل فيه :

شكونا إليه خراب السَّوادِ فحرَّم فينا لحوم البقرْ
فكُنَّا كمن قال من قبلنا أُريها استَها وتُريني القمرْ

أخبرني عمي ، عن الكرانيّ ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ بنحوه .

أخبرني عمي قال : حدثنا محمد بن سعد الكراني قال : حدثني العمري ، عن لقيط قال : أخبرني التَّوَّزي ، عن أبي عبيدة قال :

كان الحُطيئة عند سعيد بن العاص ليلة فتذاكروا الشعراء وفضّلوا بعضهم على بعض وهو ساكت ، فقال له : يا أبا مُلَيْكة ما تقول ؟ فقال : ما ذكرتم والله أشعر الشعراء ولا أنشدتم أجود الشعر ، فقالوا : فمن أشعر الشعراء؟ فقال : الذي يقول :

لا أعُدُّ الإقتار عُدْما ولكن فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِئْتَهُ الإعدامُ[1]

والشعر لأبي دواد الإيادي ، قالوا : ثم من ؟ قال : ثم عَبِيد بن الأبرص ، قالوا : ثم من ؟ قال : كفاكم والله بي إذا أخذتني رغبةٌ أو رهبة ثم عَوَيْتُ في أثر القوافي عواء الفصيل في أثر أمه[2] .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي

(١) في أصل مخطوط : ليس عدم الأموال عدما ولكن . . . » وبهامشه كالأصل هذا . وفي الشعر والشعراء ترجمة الحطيئة بعده : قال : ثم من ؟ قال : الذي يقول .

أفلح بما شئت فقد يبلغ بالضـ ـعف وقد يخدع الأريب

(٢) في الشعر والشعراء : فحسبك والله بي عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلي عن الأخرى ، ثم عويت عواء الفصيل في أثر القوافي .

قال : حدثني عمي ، وأخبرنا أبو حاتم قال : أخبرنا الأصمعي ، عن أبي عمرو ابن العلاء ، عن هجّاس بن مَرِير[1] الإيادي عن أبيه ، وكان قد أدرك الجاهلية قال :

بينا أبو دواد وزوجته وابنه وابنته على ربوة وإياد إذ ذاك بالسَّواد ، إذ خرج ثورٌ من أجمة ، فقال أبو دواد :

وبدت له أُذُنٌ توجَّـ ـسُ حرَّةٌ وأحَمُّ واردْ
وقوائمٌ عُوجٌ لها من خلفها زَمَعٌ زوائدْ[2]
كمقاعد الرُّقَباءِ لِلـ ـضُّرَباءِ أيديهم نواهد[3]

ثم قال : أنفذي يا أم دُواد فقالت :

وبدت له أذن توجَّـ ـس حرَّةٌ وأحمُّ مُولِقْ[4]
وقوائم عوج لها من خلفها زمع معلَّق
كمقاعد الرُّقَباء لِلـ ـضُّرباء أيديهم تألَّقْ

ثم قال : أنفذ يادواد فقال :

وبدت له أذن توجَّـ ـس حرة وأحمُّ مُرْهَفْ
وقوائم عوج لها من خلفها زمع مُلَفَّفْ
كمقاعد الرقباء لِلـ ـضرباء أيديهم تلقَّفْ

ثم قال : أنفذي يادوادة[5] ، قالت : وما أقول مع من أخطأ ؟ قالوا : ومن أين أخطأنا ؟ قالت : جعلتم له قرنا واحدا وله قرنان ، قالوا : فقولي ، قالت :

وبدت له أذن توجَّـ ـس حرّة وأحمّتانِ
وقوائم عوج لها من خلفها زمع ثمانِ
كمقاعدِ الرُّقباء لِلـ ـضرباء أيديهم دواني

(١) في الأصل : مرين ، والتصويب من الإصابة .
(٢) الزمع : جمع زمعة ، وهي هنة زائدة وراء الظلف .
(٣) الضرباء : جمع ضريب ، وهو الموكل بالقداح . ونواهد قائمة .
(٤) لعلها أيضا : أولق .
(٥) في مخطوط : يارايدة .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنى عمى ، عن العباس بن هشام ، عن أبيه قال :

كان أبو دواد الإيادى الشاعر جارا للمنذر بن ماء السماء . وإن أبا دواد نازع رجلا بالحيرة من بَهْرَاء يقال له رَقَبَة بن عامر بن كعب بن عمرو ، فقال له رقبة : صالحنى وحالفنى [١] فقال له أبو دواد : فمن أين يعيش أبو دواد [٢] إذاً فوالله لولا ما نُصيب من بهراء لهلكت ، وانصرفا على تلك الحال ، ثم إن أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة فى تجارة إلى الشام . فبلغ ذلك رقبة البهرانىّ ، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبودواد عند المنذر ، وأخبرهم أن القوم ولد أبى دواد ، فخرجوا إلى الشام فلقوهم فقتلوهم وبعثوا برءوسهم إلى رقبة ، فلما أتته الرءوس صنع طعاما كثيرا ثم أتى المنذر فقال له : قد اصطنعت لك طعاما كثيرا ، فأنا أحب أن تتغذى عندى ، فأتاه المنذر وأبو دواد معه ، فبينا الجِفانُ ترفع وتوضع إذ جاءته جَفْنة عليها أحد رءوس بنى أبى دواد ، فوثب وقال : أبيت اللعن ، إنى جارك ، وقد ترى ما صُنِع بى ، وكان رقبة أيضاجارا للمنذر ، فوقع المنذر بينهما فى سوْأة وأمر برقبة فحُبس ، وقال لأبى دواد : أما يرضيك توجيهى بكتيبتَىّ : الشهباءِ والدَّوْسَرِ إليهم ؟ قال : بلى ، قال : قد فعلت ، فوجّه إليهم بالكتيبتين ، فلما بلغ ذلك رقبة قال لامرأته : ويحك الحقِى بقومك فأنذريهم ، فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته ، ثم خرجت حتى أتت قومها ، فلما قربت منهم تعرّت [٣] من ثيابها وصاحت وقالت : أنا النذير العُرْيان . فأرسلتها مثلا ، فعرف القوم ما تريد فصعدوا إلى أعالى الشام ، وأقبلت الكتيبتان فلم تُصيبا منهم أحدا ، فقال المنذر لأبى دواد : قد رأيت ماكان منهم وأنا أدِى كلّ ابنٍ لك بمائتى بعير ، فأمر له بستمائة بعير ، فرضى بذلك ، فقال فيه قيس بن زُهير العبسى :

سأفعلُ ما بدا لى ثم آوِى ... إلى جار كجار أبى دواد

(١) فى مخطوط : وخالصنى .

(٢) فى المطبوع : تعيش أبا دواد . وفى مخطوط : يعيش باداد .

(٣) فى مخطوط : تجردت .

صوت

وركبٍ كأطرافِ الأسِنَّة عرّسوا على مثلها والليلُ داجٍ غَياهِبُه
لأمرٍ عليهم أن تتمّ صدورُه وليس عليهم أن تتمّ عواقِبُه

الشعر لأبى تمّام الطائى ، والغناء للقاسم بن زُرْزور ثانى ثقيل بالوسطى[1] فى مجرى البنصر ، وفيه لجعفر بن رفعة[2] خفيف ثقيل .

أخبرنى إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه وحدثنى المظفر بن كيغلغ[3] ، عن القاسم أيضا .

أن المكتفى بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرَّقّة فى رقعة وهو أمير ، وأمر أن يُصنع فيهما لحن ، فصنع القاسم هذا اللحن ، وصنع جعفر خفيف الثقيل .

(١) فى مخطوط : بالسبابة .
(٢) فى مخطوط : بن رومة ثانى ثقيل .
(٣) فى مخطوط : كيلغلغ .

أخبار أبي تمام ونسبه

أبو تمَّام حبيب بن أوس الطائى ، من نفس طيئ صليبة [١] ، مولده ومنشؤه بناحية منبِج بقرية منها يقال لها جاسم ، شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعانى غوّاص على ما يُستصعب منها ويعسر متناوله على غيره ، وله مذهب فى المطابقة [٢] هو كالسابق إليه لجميع الشعراء ، وإن كانوا قد فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه ، فإن له فضل الإكثار فيه ، والسلوك فى جميع طرقه ، والسليم من شعره النادر شىء لايتعلَّق به أحد ، وله أشياء متوسطة ورديئة رَذْلة جداً ، وفى عصرنا هذا من يتعصَّب له فيُفرِط حتى يفضِّله على كلّ سالف وخالف ، وأقوام يتعمَّدون الردىء من شعره فينشرونه ويَطْوون محاسنه ، ويستعملون القِحَة والمكابرة فى ذلك ، ليقول الجاهل بهم : إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه إلا بأدب فاضل وعلم ثاقب ، وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى مَجراه من ثَلْب الناس وطَلَبِ معايبهم سببا للترفُّع وطلبا للرياسة ، وليست إساءة مَن أساءَ فى القليل وأحسن فى الكثير مُسقطةً إحسانَه ، ولو كثرت إساءته أيضا ثم أحسن لم يُقَلْ له عند الإحسان : أسأت ، ولا عند الصواب : أخطأت ، والتوسط فى كلّ شىء أجمل ، والحقّ أحقّ أن يُتَّبع ، وقد روى عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن فى جميعها إلاَّ فى بيت واحد فقال له : يا أبا تمام لو ألقيت هذا البيت ما كان فى قصيدتك عيبٌ ، فقال له : أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم ، ولكنْ مَثَلُ شعر الرجل عنده مَثَلُ أولاده ، فيهم الجميل والقبيح ،

(١) فى مخطوط : « من أنفس طيئ وصليبة » . وصليبة : خالص النسب .

(٢) المطابقة : الجمع بين الضدين ، أو اشتراك المعنيين فى لفظ واحد . وفى الأصل : المطابق . . هذا ، وانظر بحث المطابقة والطباق فى خزانة ابن حجة ص ٨٥ فهى من أنواع البديع .

والرشيد والساقط ، وكلهم حُلْوٌ فى نفسه ، فهو وإن أحب الفاضل لم يبغض الناقص ، وإن هَوِىَ بقاء المتقدّم لم يَهْوَ موت المتأخر . واعتذاره بهذا ضِدٌّ لما وَصف به نفسه فى مدحه الواثق حيث يقول :

جاءتْك من نظم اللسان قلادةٌ ... سِمْطان فيها اللُّؤلؤُ المكنونُ
أهداكها صَنَعُ اللِّسانِ يَمُدُّه ... جَفْرٌ إذا نَضَبَ الكلامُ مَعِينُ[١]
ويُسِىءُ بالإحسان ظنًّا لا كمَنْ ... هو بابنه وبشعره مفتونُ

فلو كان يسىء بالإساءة ظنا ولا يفتتن بشعره كنا فى [عافية و] غنى عن الاعتذار له . وقد فضّل أبا تمامٍ من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يَشُقُّ الطاعنون عليه غُبارَه ، ولا يدركون وإن جَدُّوا آثاره ، وما أرى الناس بعده إلى حيث انتهوا له فى جِدّه نظيرًا ولا شكلا، ولولا أن الرواة قد أكثروا فى الاحتجاج له وعليه ، وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره ، وأفرط معادوه فى التسطير لرديئه ، والتنبيه على رَذْلِه ودنيئه ، لذكرت منه طرفا ، ولكن[٢] قد آتى من ذلك مالا مزيد عليه.

أخبرنى عمى قال : حدثنى أبى قال : سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول : أشعر الناس طرًّا الذى يقول :

وما أُبالى وخيرُ القول أَصدقُه ... حقنتَ لى ماءَ وجهى أو حقنتَ دمى

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس ، وكان فى نفسى أعلمَ من محمد وآدبَ ، فجلست إليه وكنت أجرى عنده مَجْرَى الولد فقلت له : من أشعر أهل زماننا هذا ؟ فقال : الذى يقول :

مَطَرٌ أبوك أبو أَهلَّةِ وائلٍ ... ملأ البسيطة عُدَّةً وعَديدَا
نسبٌ كأنَّ عليه من شمس الضحى ... نُورًا ومن فَلَقِ الصباح عَمودا
وَرِثوا الأُبوّةَ والحظوظَ فأصبحوا ... جمعوا جُدودا فى العلى وجُدودا[٣]

---

(١) الجفر : البئر الواسعة وفى الأصل : إحداهما .   (٢) لعلها أيضا : ولكان .

(٣) جدودا وجدودا : إحداهما جمع لمعنى الحظ ، والأخرى للأجداد .

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي وعليّ بن سليمان الأخفش قالا : حدثنا محمد ابن يزيد النحوي قال :

قدم عُمارة بن عقيل بغداد ، فاجتمع الناس إليه وكتبوا شعره وشعر أبيه ، وعرضوا عليه الأشعار ، فقال بعضهم : هاهنا شاعر يزعم أنه أشعر الناس طُرًّا ، ويزعم غيره ضدّ ذلك ، فقال : أنشدوني له ، فأنشدوه :

غَدَتْ تستجير الدّمعَ خوفَ نَوَى غدِ ... وعاد قَتادًا عندها كلُّ مَرْقَدِ
وأنقذها من غَمْرة الموت أنّه ... صُدودُ فراقٍ لا صدودُ تَعَمُّدِ
فأجرى لها الإشفاقُ دمعا مُورّدا ... من الدم يجرى فوق خد مُوَرّدِ
هى البدر يُغنيها توردُّ وجهها ... إلى كل من لاقت وإن لم تَوَدَّدِ

ثم قطع المنشد ، فقال له عمارة : زدنا من هذا ، فوصل نشيده وقال :

ولكننى لم أحْوِ وَفْرًا مُجمَّعا ... ففزتُ به إلاّ بشملٍ مُبَدَّدِ
ولم تعطنى الأيامُ نوما مُسكَّنا ... ألذُّ به إلاّ بنوم مُشَرَّدِ

فقال عمارة : لله درّه ، لقد تقدم فى هذا المعنى من سبقه إليه على كثرة القول فيه حتى لقد حبب الاغتراب . هيه ، فأنشده :

وطول مُقام المرءِ فى الحىّ مخلقٌ ... لديباجتيه فاغتربْ تتجدَّدِ
فإنى رأيتُ الشمس زِيدتْ محبّةً ... إلى الناس أنْ ليْستْ عليهم بِسرْمدِ

فقال عمارة: كمل والله ، ولئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعانى واطّراد المُراد واتّساق الكلام فإن صاحبكم هذا أشعر الناس .

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال : حدثنى محمد بن موسى بن حماد قال : سمعت عليّ بن الجهم يصف أبا تمام ويفضّله ، فقال له رجل : والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا ، فقال : إن لم يكن أخا بالنسب فإنه أخ بالأدب والمودّة ، أما سمعت ما خاطبنى به حيث يقول :

إنْ يُكْدِ مُطَّرِفُ الإخاء فإننا نغدو ونسرى فى إخاء تالدِ
أو يختلفْ ماءُ الوصال فماؤنا عذبٌ تحدَّر من غمام واحدِ
أو يفترقْ نسبٌ يُؤَلِّفْ بيننا أدبٌ أقمناه مقام الوالدِ

أخبرنى محمد قال : حدثنى هارون بن عبد الله المهلّبى قال :

كنا فى حلقة دعبل ، فجرى ذكر أبى تمام فقال دعبل : كان يتبع معانىَّ فيأخذها ، فقال له رجل فى مجلسه: وأى شيء من ذلك[1] أعزك الله ؟ قال: قولى:

وإن امرأً أسدى إلىَّ بشافع إليه ويرجو الشكر منى لأحمقُ
شفيعَكَ فاشكرْ فى الحوائج إنه يصونك عن مكروهها وهو يُخلِق

فقال له الرجل : فكيف قال أبو تمام ؟ فقال : قال :

فلقيتُ بين يديه حُلْوَ عطائِه ولقيت بين يدىَّ مُرَّ سؤالِه
وإذا امرؤٌ أسدى إليك صنيعةً من جاهه فكأنَّها من مالِه

فقال له الرجل : أحسن واللهِ ، فقال : كذبت قبحك الله ، فقال : والله لئن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى بهمنك ، وإن كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه . فغضب دعبل وانصرف .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنى ابن مهرويه قال : حدثنى عبد الله بن محمد بن جرير قال :

سمعت محمد بن حازم الباهلى يقدِّم أبا تمام ويفضله ويقول : لو لم يقل شيئا إلاَّ مرثيته التى أولها :

أصمَّ بك النـــاعى وإن كان أسمعا

وقوله :

لو يَقْدُرون مشوا على وَجناتهم وجباهِهم فضلا عن الأقدامِ

لكفتاه .

(١) فى مخطوط : وأى ذلك .

أخبرنى عمى قال : حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

كان عمارة بن عقيل عندنا يوما فسمع مؤدبا كان لولد أخى يرويهم قصيدة أبى تمام :

الحقُّ أبلجُ والسيوف عوارِى

فلما بلغ إلى قوله :

سودُ اللبّاس كأنما نَسجتْ لهم — أيدى السَّمُوم مَدارِعاً من قارِ
بكَرُوا وأسرَوْا فى متُون ضوامرٍ — قِيدتْ لهم من مَرْبط النجّارِ
لا يبرحون ومن رآهم خالَهمْ — أبدا على سفر من الأسفارِ

فقال عمارة : لله درّه ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه كأنه موقوف عليه .

أخبرنى محمد بن يحيي الصولى قال حدثنى أبو ذكوان قال :

قال لى إبراهيم بن العباس : ما اتّكلت فى مكاتبتى قطّ إلا على ما جاش به صدرى وجلبه خاطرى ، إلا أنى قد استحسنت قول أبى تمام :

فإن باشر الإصحارَ فالبيض والقنا[1] — قِرَاهُ وأحواضُ المنايا مناهِلُهْ
وإنْ يبْنِ حيطانا عليه فإنما — أولئك عُقّالاته لا معاقِلُهْ
وإلاّ فأعلمه بأنك ساخط — عليه فإن الخوف لا شكّ قاتلُهْ

فأخذت هذا المعنى فى بعض رسائلى فقلت : فصار ما كان يُحْرِزهم يُبرِزهم ، وما كان يعقِلهم يعتقلهم. قال : ثم قال لى إبراهيم : إن أبا تمام اختُرِم وما استمتع بخاطره ، ولا نَزَح رَكِيّ فكره حتى انقطع رِشاءُ عمره .

أخبرنى محمد : قال حدثنى أبو الحسين بن السَّخيّ قال : حدثنى الحسين ابن عبد الله قال :

سمعت عمى إبراهيم بن العباس يقول لأبى تمام ، وقد أنشد شعرا له فى المعتصم : يا أبا تمام أُمراء الكلام رَعيّة لإحسانك .

(١) الإصحار : الخروج إلى الصحراء ، ويراد به هنا الخروج للحرب .

أخبرنى محمد قال : حدثنى هارون بن عبد الله قال :

قال لى محمد بن جابر الأزدىّ وكان يتعصب لأبى تمام : أنشدتُ دعبلَ بن علىّ شعرا [١] لأبى تمام ولم أُعلمه أنه له ، ثم قلت له : كيف تراه ؟ قال : أحسن من عافية بعد يأس ، فقلت : إنه لأبى تمام ، فقال : لعله سرقه .

أخبرنى محمد قال : حدثنى أحمد بن يزيد المهلبى ، عن أبيه قال :

ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهما بالشعر فى حياة أبى تمام ، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه .

أخبرنى عمى والحسن بن علىّ ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا ، وأظن أيضًا جحظة حدثنا به قالوا : حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

لمّا قدم أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه وسألوه أن يُنشدهم فقال : قد وعدنى الأمير أن أنشده غدا وستسمعونّى ، فلما دخل على عبد الله أنشده :

هُنّ عوادى يوسفٍ وصواحبُهْ ... فعزْماً فقِدْماً أدركَ السؤْلَ طالبُهْ

فلما بلغ إلى قوله :

وقلقلَ نأىٌ من خُراسان جأشَها ... فقلت اطمئنى أنضرُ الروضِ عازبُهْ

وركبٍ كأطراف الأسنّة عرّسوا ... على مثلها والليلُ تسطو غياهبُهْ

لأمرٍ عليهم أنْ تتمّ صُدورُه ... وليس عليهم أن تتمّ عواقبُهْ

فصاح الشعراء بالأمير أبى العباس : ما يستحق مثلَ هذا الشعر غيرُ الأمير أعزّه الله، وقال شاعر منهم يعرف بالرِّياحى : لى عند الأمير أعزّه الله جائزة وعدنى بها وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير ، فقال له : بل نُضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا ، فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار ، فلقطها الغلمانُ

(١) فى مخطوط : أنشدت فلانا شعرا .

ولم يمسّ منها شيئا فوَجَد عليه عبدُ الله وقال : يترفَّع عن برّى ، ويتهاون بما أكرمته به . فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك .

أخبرنى أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمى ، عن الحُزُنْبُل ، عن سعيد بن جابر الكَرْخىّ عن أبيه .

أنه حضر أبا دُلَفَ القاسمَ بنَ عيسى وعنده أبو تمام الطائى وقد أنشده قصيدته :

على مِثلها من أَرْبُعٍ وملاعِبِ ... أُذِيلت مصوناتُ الدموع السواكبِ

فلما بلغ إلى قوله :

إذا افتخرتْ يوما تميمٌ بقَوْسها[1] ... وزادت على ما وطّدتْ من مناقبِ

فأنتم بذى قارٍ أمالت سيوفُكم[2] ... عُروشَ الذين استرْهنوا قوْسَ حاجبِ

محاسنُ من مجْدٍ متى تقرِنوا بها ... محاسنَ أقوام تكُنْ كالمعايبِ

فقال أبو دلف : يا معشر ربيعة ، ما مُدحتم بمثل هذا الشعر قط ، فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارفهم يرمونها إليه ، فقال أبو دلف : قد قبِلها وأعاركم لُبْسها ، وسأنوب عنكم فى ثوابه ، تمِّم القصيدة يا أبا تمام ، فتممها ، فأمر له بخمسين ألف درهم وقال : والله ما هى بإزاء استحقاقك وقدرِك فاعذِرنا ، فشكره وقام ليقبل يده فحلف ألاّ يفعل ، ثم قال له : أنشدنى قولك فى محمد بن حُميد :

وما مات حتى مات مَضْرِبُ سيفه ... من الضرب واعتلّت عليه القنا السُّمْرُ

وقد كان فوتُ الموتِ سهلا فردّه ... إليه الحِفاظُ المرُّ والخلُق الوَعْرُ[3]

فأثبتَ فى مُستنقَعِ الموت رِجلَه ... وقال لها من تحت أخمصكِ الحَشرُ

(١) قوس تميم : هى القوس التى رهنها حاجب بن زرارة ضمانا لعهده ، فوفى بما وعد .

(٢) يوم ذى قار : كان للعرب على العجم ، وقادة العرب فى ذلك شيبان من ربيعة .

(٣) الحفاظ : الذب عن المحارم .

غدا غدوةً والحمد حَشْوُ ردائه فلم ينصرف إلاّ وأكفانه الأجْرُ
كأنّ بنى نَبهانَ يومَ مُصابِــه نجومُ سماءٍ خرّ من بينها البَدْرُ
يُعَزَّوْنَ عن ثاوٍ يُعَزَّى به العُلا ويبكى عليه البأسُ والجُودُ والشّعْرُ

فأنشده إياها فقال : والله لوددت أنها فىّ ؛ فقال : بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المقدم ، فقال : إنه لم يمت من رُثى بهذا الشعر أو مثله .

أخبرنى أبو الحسن الأسدىّ قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزىّ قال : حدثنى إسحاق بن يحيى الكاتب قال :

قال الواثق لأحمد بن أبى دُواد : بلغنى أنك أعطيت أبا تمام الطائى فى قصيدة مدحك بها ألف دينار ، قال : لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ولكنى أعطيته خمسمائة دينار رعاية للذى قاله للمعتصم [1] :

فاشْدُدْ بهارونَ الخلافةَ إنّه سكَنٌ لوحشتها ودارُ قرارِ
ولقد علمتُ بأن ذلك مِعْصَمٌ ما كنتَ تتركه بغير سِوارِ

فتبسم وقال : إنه لحقيق بذلك .

أخبرنى على بن سليمان قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال :

خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مَزْيَد وهو بأرْمِينية فامتدحه ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وقال : تكون العشرة الآلاف موفورة ، فإن أردت الشخوص فاعجَل ، وإن أردت المقام عندنا فلك الحِباء والبِرّ ، قال : بل أشخص ، فودّعه ومضت أيام وركب خالد يتصيّد ، فرآه تحت شجرة وبين يديه زُكْرَةٌ فيها شراب ، وغلام يغنيه بالطنْبور ، فقال : أبو تمام ؟ قال : خادمك وعبدك ، قال : ما فعل المال ؟ فقال :

(١) فى مخطوط : للمعتصم صلوات الله عليه ، وهذا مقبول لأنه تقرب من ابن أبى دواد إلى الواثق ، وهو المراد بالشعر لأن اسمه هارون وأبوه المعتصم .

علَّمنى جودُك السَّماحَ فما ... أبقيتُ شيئا لدىَّ من صِلَتِك

ما مرَّ شهر حتى سمحتُ به ... كأنَّ لى قُدرةً كمقدرتِك

تُنفق فى اليوم بالهبات وفى الـ ... ساعة ما تجتنيه فى سنَتِك

فلستُ أدرى من أين تنفق لو ... لا أنَّ ربى يمُدُّ فى هِبَتِك

فأمر له بعشرة أخرى ، فأخذها وخرج .

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال : حدثنا عون بن محمد الكندىّ قال : حدثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقىّ وكان يكتب للحسن بن رجاء قال :

قدم أبو تمام مادحا للحسن بن رجاء ، فرأيت منه رجلا عقله وعلمه فوق شعره ، فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدتَه اللامية التى امتدحه بها ، فلما انتهى إلى قوله :

أنا من عرفتَ فإن عرَتْك جهالةٌ ... فأنا المقيم قيامة العُـذّال[1]

عادتْ له أيامه مسودَّةً ... حتى توهَّم أنهن ليالى

فقال الحسن : والله لا تسودّ عليك بعد اليوم ، فلما قال :

لاتُنكرى عطَل الكريم من الغنى ... فالسيل حرْبٌ للمكان العالى

وتنظَّرى حيث الركاب ينُصُّها[2] ... مُحيِى القريضِ إلى مُميت المالِ

فقام الحسن بن رجاء على رجليه وقال : والله لا أتممتَها إلاَّ وأنا قائم ، فقام أبو تمام لقيامه وقال :

لما بلغنا ساحةَ الحسن انقضى ... عنَّا تملُّكُ دولة الإمحالِ

بَسط الرَّجاءَ لنا برغم نوائبٍ ... كثرتْ بهن مصارعُ الآمالِ

---

(١) فى مخطوط : « أنا ذو عرفت . . . مقالة العذال » ، وفى هامشه : ذو بمعنى الذى ، وهى لغة طيّ .

(٢) ينصها : يستحثها شديدا . وروبت : خبب الركاب .

أغلى عذارَى الشِّعرِ إنَّ مُهورها عند الكرام وإن رَخُصْنَ غَوالى
ترنو الظنونُ به على تصديقها[1] ويُحكِّمُ الآمال فى الأموال
أضحى سَمِىُّ أبيك فيكَ مُصَدِّقا بأجلِّ فائدة وأيمن فالِ[2]
ورأيتَنى فسألتَ نفسك سَيْبَها لى ثم جُدْتَ وما انتظرتَ سؤالى
كالغيث ليس له - أُرِيدَ غَمامُه أوْ لم يُرَدْ - بُدٌّ من التَّهطالِ

فتعانقا وجلسا وقال له الحسن : ما أحسن ماجلوت هذه العروس ، فقال : والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورِها ، قال محمد بن سعد : وأقام شهرين فأخذ على يدىَّ عشرة آلاف درهم ، وأخذ غير ذلك مما لم أعلم به ، على بُخْل كان فى الحسن بن رجاء .

أخبرنى الصولى قال : حدثنى عون بن محمد قال :

شهدت دِعبلا عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبى تمام ، فاعترضه عِصَابةُ الجَرْجَرَائىُّ فقال : يا أبا علىٍّ اسمع منى ما قاله ، فإن أنت رضيتَه فذاك وإلا وافقتك على ما تذمُّه منه ، وأعوذ بالله فيك من أن لا ترضاه ، ثم أنشده ، قوله :

أمَا إنه لولا الخليطُ المُوَدَّعُ ومغْنًى عفا منه مَصِيفٌ ومَرْبَعُ

فلما بلغ إلى قوله :

هو السَّيل إنْ واجهته انقَدْتَ طَوْعَه وتقتاده من جانِبَيْه فيَتْبَعُ
ولم أرَ نفْعا عند من ليس ضائرا ولم أر ضَرًّا عند من ليس يَنفعُ
مَعادُ الوَرَى بعد الممات . وسَيْبُه مَعادٌ لنا قبل الممات ومَرْجِعُ

فقال له دعبل : لم ندفع فضل هذا الرجل ، ولكنكم ترفعونه فوق قدره ، وتقدِّمونه على من يتقدمه ، وتنسبون إليه ما قد سرقه ، فقال له عصابة : إحسانه صَيَّرك له عائبا وعليه عاتبا .

(١) فى مخطوط : ترد الظنون .
(٢) سمى أبيه : يريد به الرجاء .

أخبرني الصولى قال : حدثنا الحسن بن وَداع كاتب الحسن بن رجاء قال : حضرت أبا الحُسين محمد بن الهيثم بالجَبَل وأبو تمام يُنشده :

أَسْقَى دِيارَهُمُ أَجشُّ هَزِيمُ وغدَتْ عليهم نَضْرَةٌ ونَعيمُ

قال : فلما فرغ أمر له بألف دينار وخلع عليه خِلعة حسنة ، وأقمنا عنده يومنا ، فلما كان من غد كتب إليه أبو تمام :

قد كسانا من كسوة الصيف خِرْقٌ مكتسٍ من مكارمٍ ومساعى[1]

حُــلَّةً سابِرِيَّةً ورِدَاءً كسَحا القَيْضِ أو رِداءِ الشُّجاعِ[2]

كالسراب الرقراق فى الحُسْنِ إلاَّ أنه ليس مثــله فى الخداعِ

قَصَبِيًّا] تسترجف الريح متنيـ ـه بأمر من الهبوب مُطاعِ[3]

رجفانا كأنه الدهرَ منـه كِبدُ الصَّبِّ أو حشا المُرتاعِ

لازما ما يليـه تحسبه جُـزْ ءًا من المتنتَـين والأضلاعِ[4]

يطرُدُ اليومَ ذا الهجير ولوْشُبْـ ـهَ فى حَـرِّه بيوم الوَداعِ

خلعة من أغرَّ أروعَ رَحْبِ الصَّـ ـدْرِ رحْبِ الفؤاد رحبِ الذّراعِ

سوف أكسوك ما يُعَفِّى عليها من ثناءٍ كالـبُرْدِ بُرْدِ الصَّناعِ

حُسْنُ هاتيك فى العُيون وهذا حُسْــنُهُ فى القلوب والأسماعِ

فقال محمد بن الهيثم : ومن لايعطى على هذا ملكه ؟ والله ، لابقِىَ فى دارى ثوب إلا دفعته إلى أبى تمام ، فأمر له بكل ثوب كان يملكه فى ذلك الوقت .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنى عمى الفضل قال :

لما شخص أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان أقبل الشتاء وهو هناك ،

(١) الخرق : الكريم السخى . وفى هامش مخطوط : قد كسانا الأمير كسوة خز .

(٢) السحا : غلاف الدماغ . والقيض ، قال فى هامش مخطوط : « النشر الذى تحت القشر » ، وفى اللغة : قشرة البيضة اليابسة . هذا ولعله يريد بالشجاع هنا الثعبان .

(٣) القصبى نوع من الثياب رقيقة ناعمة .

(٤) المتنتان : جنبتا الظهر .

فاستثقل البلد ، وقد كان عبد الله وَجَد عليه وأبطأ بجائزته ، لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمسسها بيده ترفعًا عنها فأغضبه وقال : يحتقر فعلي ويترفع عليّ ؛ فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت . فقال أبو تمام :

لم يبقَ للصيفِ لارَسْمٌ ولا طَلَلُ ... ولا قَشيبٌ فيُستكسى ولا سَمَلُ
عدْلٌ من الدمع أن يُبكَى المصيفُ كما ... يُبكَى الشَّبابُ ويُبكَى اللَّهوُ والغزَلُ
يُمنَى الزَّمانِ انقضى معروفُها وغدَتْ ... يُسراه وهْى لنا من بعدها بَدَلُ

فبلغت الأبياتُ أبا العَمَيْثَل شاعر آل عبد الله بن طاهر ، فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر ، وعاتبه على ماعتب عليه من أجله ، وتضمَّن له ما يُحبُّه ، ثم دخل إلى عبد الله فقال : أيها الأمير ، أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه ، فوالله لو لم يكن له مالَه من النباهة في قَدره ، والإحسان في شعره ، والشائعِ من ذِكره ، لكان الخوف من شرّه والتوقّي لذمّه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقِه السَّكن ، وقد قصدك عاقدا بك أمله ، مُعْمِلا إليك رِكابَه ، متعبا فيك فِكره وجسمه ، وفي ذلك ما يلزمك قضاءَ حقِّه حتى ينصرف راضيا ، ولو لم يأت بفائدة ولا سُمِع فيك منه ما سُمِع إلا قوله :

يقول في قُومِسٍ صحبي وقد أخذتْ ... منا السُّرَى وخُطا المَهْرِيَّةِ القُودِ[1]
أَمَطْلِعَ الشَّمسِ تبغى أن تؤُمَّ بنا ... فقلت كلا ولكن مَطْلِعَ الجُودِ

فقال له عبد الله : لقد نبَّهت فأحسنت ، وشفعت فلطفت ، وعاتبت فأوجعت ، ولك ولأبي تمام العُتْبى ، ادْعُه ياغلام ، فدُعى له فنادمه يومه وأمر له بألفي دينار وما يحمله من الظَّهْر ، وخلع عليه خلعة تامَّة من ثيابه ، وأمر بِبَذْرقتِهِ[2] إلى آخر عمله .

(١) قومس : مكان . والمهرية : إبل سريعة الجرى تنسب إلى مهرة بن حيدان .
(٢) البذرقة : الخفارة .

أخبرنى جحظة قال : حدثنى ميمون بن هارون قال :

مر أبو تمام بمخنَّث يقول لآخر : جئتك أمسِ فاحتجبت عنى ، فقال له : السماء إذا احتجبت بالغيم رُجِّىَ خيرُها . فتبيَّنت فى وجه أبى تمام أنه قد أخذ المعنى لينظمه [١] فى شعره فما لبثنا إلا أياما حتى أُنشِدْتُ قوله :

ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لى أملاً ... إنَّ السماء تُرَجَّى حين تحتجِبُ

أخبرنى أبو العباس أحمد بن وصيف وأبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهانى ابن عمى قالا : حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال :

كنا عند دعبل أنا والقاسم [٢] فى سنة خمس وثلاثين ومائتين بعد قدومه من الشام ، فذكرنا أبا تمام فثلَبه وقال : هو سَرُوق للشعر . ثم قال لغلامه : يا ثقيف [٣] هاتِ تلك المِخلاة ، فجاء بمخلاة فيها دفاتر ، فجعل يُمِرُّها على يده حتى أخرج منها دفترا فقال : اقرءوا هذا ، فنظرنا فيه فإذا فيه : قال مُكْنِف أبو سُلْمَى من ولد زهير بن أبى سلمى ، وكان هجا ذُفافةَ العَبْسىَّ بأبيات منها :

إن الضِّراط به تصاعدَ جدُّكُمْ ... فتعاظموا ضَرْطا بنى القعقاعِ

قال : ثم مات ذُفافة بعد ذلك فرثاه فقال :

أبعْدَ أبى العباس يُستعذبُ الشِّعْرُ ... فما بعده للدهر حُسْنٌ ولا عُذْرُ

ألا أيها الناعى ذُفافةَ والنَّدَى ... تَعِسْتَ وشُلَّتْ من أناملك العَشْرُ

أتَنْعَى لنا من قيسِ عيلانَ صخرةً ... تفلَّق عنها من جبال العِدَا الصَّخْرُ

إذا ما أبو العباس خلَّى مكانه ... فلا حملتْ أنثى ولا نالها طُهْرُ

ولا أمطرتْ أرضًا سماءٌ ولاجرتْ ... نجومٌ ولا لذَّتْ لشاربها الخمْرُ

---

(١) فى المطبوع : ليضمنه .

(٢) فى مخطوط : والعمراوى .

(٣) فى مخطوط : ياثقف .

كأنّ بنى القعقاع يوم مُصابه نجومُ سماءٍ خرّ من بينها البدْرُ
تُوُفّيتِ الآمال يوم وفاته وأصبح فى شُغْلٍ عن السَّفرِ السَّفْرُ

ثم قال : سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة فأدخلها فى قصيدته :

كذا فليجلّ الخطْبُ وليَفْدحِ الأمْرُ وليس لعين لم يفِضْ ماؤُها عُذْرُ

أخبرنى الصولى قال : حدثنى محمد بن موسى قال : كان أبو تمام يعشق غلاما خزَرِيّا للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشق غلاما روميّا لأبى تمام ، فرآه أبو تمام يوما يعبث بغلامه فقال له : والله لئن أعنقتَ إلى الروم لنركُضَنّ إلى الخزَر ، فقال له الحسن : لو شئت حكّمْتَنا واحتكمتَ ، فقال له أبو تمام : أنا أشبهك بدواد عليه السلام وأشبه نفسى بخصمه [1] . فقال الحسن : لو كان هذا منظوما خفناه ، فأما وهو منثور فلا ، لأنه عارض لا حقيقة له ، فقال أبو تمام :

أبا علىّ لِصَرْفِ الدّهر والغِيَرِ وللحوادث والأيام والعِبَرِ
أذْكرْتَنى أمْرَ داودٍ وكنت فتى مُصَرَّفَ القلبِ فى الأهواء والفكرِ
أعندك الشّمسُ لم يحظَ المغيبُ بها وأنت مضطربُ الأحشاءِ للقمَرِ
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى جآذر الرومِ أعنقْنا إلى الخزَرِ
إنّ القُطُوبَ له منى مَحَلٌّ هوًى يَحُلُّ منى مَحَلّ السّمع والبصَرِ
ورُبَّ أمْنَعَ منه جانبا وحِمًى أمسى ولكنّه منى على خطر
جرّدتُ فيه جنودَ العزْم فانكشفت منه غَيَابتُها عن نَبْكةٍ هدَرِ [2]
سبحانَ من سبّحتْه كلُّ جارحةٍ ما فيك من طَمَحان الأيْرِ والنّظرِ
أنت المقيمُ فما تغدو رواحلُه وأيره أبدًا منه على سفَرِ

أخبرنى الصولى قال : حدثنى عبد الله بن الحسين قال : حدثنى وهب بن سعيد قال :

---

(١) يريد القصة التى وردت فى القرآن ، وفسرت كناية عن النساء فى قوله تعالى « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة » سورة ص الآية ٢٣ .

(٢) النبكة : الأكمة المحددة الرأس ، أو هى التل الصغير .

جاء دعبل إلى الحسن بن وهب فى حاجة بعد موت أبى تمام ، فقال له رجل فى المجلس : يا أبا علىّ أنت الذى تطعن على من يقول :

شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكُمُ بعدى ومحّتْ كما محّتْ وشائعُ من بُرْدِ [1]
وأنجدْتُمُ من بعد إتهامِ دارِكُم فيا دمعُ أنجِدْنى على ساكنى نجْدِ

فصاح دعبل : أحسن والله ، وجعل يردد :

فيا دمع أنجدنى على ساكنى نجد

ثم قال : رحمه الله ، لو كان ترك لى شيئا من شعره لقلت : إنه أشعر الناس .

أخبرنى على بن سليمان ومحمد بن يحيى قالا : حدثنا محمد بن يزيد قال : مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران فى يوم واحد ، فدخل عليه أبو تمام فأنشده :

ما زالت الأيام تخبر سائلاً أنْ سوف تفجع مُسْهِلاً أو عاقِلا [2]
مجدٌ تأوّب طارقا حتى إذ قلنا أقام الدهرَ أصبح راحِلا
نجمان شاء اللهُ ألاّ يطْلُعا إلاّ ارتدادَ الطرف حتى يأفُلا
إنّ الفجيعة بالرياض نواضرًا لأجَلُّ منها بالرياض ذَوابلا
لو يُنْسَأان لكان هذا غارِبا للمكرُماتِ وكان هذا كاهِلا [3]
لهفى على تلك المخايلِ منهما لو أُمْهِلتْ حتى تكون شَمائِلا
لغدا سكونُهما حِجًى وصِباهما حِلْمًا وتلك الأرْيحيّةُ نائِلا
إنّ الهلال إذا رأيت نموَّه أيقنتَ أنْ سيكون بَدْرًا كامِلا

(١) الوشائع : جمع وشيعة ، ومن معانيها : الطريقة فى البرد .
(٢) المسهل : من أتى السهل . والعاقل : من صعد وامتنع فى الجبل العالى .
(٣) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق . والغارب : الكاهل ؛ أو ما بين السنام والعنق .

صوت

بالله ِ قُلْ يا طَلَـــلُ أهلُك ماذا فعلوا
فإن قلبى حَـــذِرٌ من أنْ يَبِينوا وَجِلُ

عروضه من الرجز . الشعر لأبى الشّيص . والغناء لأحمد بن يحيى المكّىّ خفيف ثقيل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية ، ومن رواية الهشامى :

أخبار أبي الشيص ونسبه

إسمه محمد بن رَزِين بن سُليمان بن تَميم بن نَهْشل ، وقيل : ابن بُهَيس بن خِرَاش بن خالد بن عبد بن دِعْبل بن أنس بن خُزيمة بن سَلامان بن أَسلم ابن أَفصى بن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر بن ثعلبة .

وكان أبو الشيص لقبا غلب عليه ، وكنيته أبو جعفر ، وهو عم دِعْبل بن عليّ بن رَزِين لحًّا ، وكان أبو الشيص من شعراء عصره ، متوسط المحلّ فيهم ، غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين مُسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس فَخَمل ، وانقطع إلى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخُزاعى ، وكان أميرًا على الرَّقَّة ، فمدحه بأكثر شعره ، فقلَّما يُروى له فى غيره ، وكان عقبةُ جوادًا فأغناه عن غيره .

ولأبي الشيص ابنٌ يقال له عبد الله شاعر أيضا صالح الشعر ، وكان منقطعا إلى محمد بن طالب ، فأخذ منه جامع شعر أبيه ، ومن جهته خرج إلى الناس .

وعمِيَ أبو الشيص فى آخر عمره ، وله مراث فى عينيه قبل ذهابهما وبعده ، نذكر منها مختارها مع أخباره .

وكان سريع الهاجس جدًّا فيما ذُكر عنه ، فحكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامريّ قال له : من أخبرك أنه كان فى الدنيا أشعَرُ من أبي الشيص فكذّبه ، واللهِ لكان الشعرُ عليه أهون من شرب الماء على العطشان ، وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك . وهكذا ذكر ابن المعتز ، وليس توجد هذه الصفات كما ذكر فى ديوان شعره ، ولا هو بساقط ، ولكن هذا سرف شديد [1] .

---

(١) انظره فى طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيقنا ، وعدة قصائد له طوال ص ٧٢ — ٨٧ ، ٤٦٤ .

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكُرانى ، عن النضر بن عمر قال .

قال لى أبو الشيص : لما مدحت عقبة بن جعفر بقصيدتى التى أولها [١] :

لاتُنْكِرِى صَدّى ولا إعراضى ليس المُقِلُّ عن الزمان بِراضِ

أمر بأن تُعَدَّ وأعطانى لكل بيت ألف درهم .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال :

حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : أنشدت إبراهيم بن المدبِّر أبيات أبى يعقوب الخُرَيْمىّ التى يَرْثى بها عينه يقول فيها :

إذا ما مات بعضُك فابْكِ بعضًا فإن البعض من بعضٍ قريبُ

فأنشدنى لأبى الشيص يبكى عينيه :

يا نفسُ بَكّى بأدْمُعٍ هُتُنِ وواكفٍ كالجُمان فى سَنَنِ [٢]

على دليلى وقائدى ويـدى ونور وجهى وسائس البَدَنِ

أبكى عليها بها مخافـة أن تَقْرِننى والظَّلامَ فى قَرَنِ [٣]

وقال أبو هِفّان : حدثنى دعبل أن امرأة لقيت أباالشيص فقالت : يا أباالشيص عميتَ بعدى ، فقال : قبحكِ الله دعوتنى باللقب وعيّرتنى بالضرر .

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارى قال : حدثنى أبى ، عن أحمد بن عُبيد قال :

اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل فى مجلس فقالوا : لِيُنْشِدْ كلُّ واحد منكم أجودَ ما قاله من الشعر ، فاندفع رجل كان معهم فقال : اسمعوا منى أخبركم بما يُنْشِد كلُّ واحد منكم قبل أن ينشِد ، قالوا : هاتِ ، فقال لمسلم : أما أنت يا أبا الوليد فكأنى بك قد أنشدت :

إذا ما عَلَتْ منّا ذُوابةَ واحدٍ وإنْ كان ذا حلم دعَتْه إلى الجهل

(١) انظر هذه فى طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيقنا ٢٦ بيتا ص ٧٠ .

(٢) الواكف : السائل قليلا قليلا من الدمع . فى سنن : فى طريقة واحدة .

(٣) القرن : حبل يقرن به البعيران .

هل العيشُ إلاّ أن تَروح مع الصِّبا ... وتغدو صريعَ الكأس والأعين النُّجْلِ

قال : وبهذا البيت لُقِّبَ صريعَ الغوانى ، لقبه به الرشيد . فقال له مسلم : صدقت ، ثم أقبل على أبي نواس فقال له : كأنى بك يا أبا على قد أنشدت :

لاتَبْكِ ليلى ولا تَطْرَبْ إلى هنْدِ ... واشربْ على الورد من حمراء كالوَرْدِ [1]

تسقيك من عينها خمرًا ومن يدها ... خمرًا فما لَكَ من سُكْرَيْنِ من بُدِّ

فقال له : صدقت ، ثم أقبل على دعبل فقال له : وأنت يا أبا علىّ فكأنى بك تنشد قولك :

أين الشبابُ وأيّةً سلكَا ... لا أين يُطْلَبَ ضلَّ بل هلَكَا

لاتعجبى يا سَلْمَ من رجُلٍ ... ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

فقال : صدقت ، ثم أقبل على أبي الشيص فقال له :وأنت يا أبا جعفر فكأنى بك وقد أنشدت قولك :

لا تُنْكرى صدّى ولا إعراضى ... ليس المُقِلُّ عن الزمان براضِى

فقال له : لا ، ما هذا أردتُ أن أنشد ، ولا هذا بأجودِ شىءٍ قلتُه ،قالوا : فأنشِدْنا ما بدا لك ، فأنشدهم قوله :

صوت

وقف الهوى بى حيث أنتِ فليس لى ... متأخَّرٌ عنه ولا مُتَقدَّمُ

أجدُ الملامةَ فى هواكِ لذيذةً ... حبًا لذِكْرِك فليَلُمْنى اللُّوَّمُ

أشبهتِ أعدائى فصرتُ أحبُّهم ... إذْ كان حظّى منك حظّى منهم

وأهنْتِنى فأهنتُ نفسى عامدًا ... ما من يهون عليك ممن أكرمُ [2]

(١) فى هامش مخطوط : هذا الوزن لا يجىء إلا وفيه حرف من حروف اللين ، وقد شذت هذه الأبيات فى العروض .

(٢) فى المطبوع : نفسى صاغرا . . . ممن يكرم .

لعَرِيب فى هذا الشعر لحنان ثقيل أول ورمل ، قال : فقال أبو نواس : أحسنت والله وجوّدت ، وحياتِك لأسرِقَنّ هذا المعنى منك ، ثم لأغلبنّك عليه فيشتهر ما أقول ، ويموت ما قلتَ ، قال : فسرق قوله :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى   متأخر عنه ولا متقدَّمُ

سرَقا خفيًّا فقال فى الخصيب :

فما جازه جودٌ ولاحلّ دونه   ولكن يسير الجود حيث يسيرُ

فسار بيت أبى نواس وسقط بيت أبى الشيص .

نسخت من كتاب جدى لأُمى يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه : حدثنى الحسن ابن سعد قال :

حدثنى رَزين بن علىّ الخزاعى أخو دعبل قال : كنا عند أبى نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الأنصارى ، فقال أبو نواس لأبى الشيص : أنشدنى قصيدتك المُخْزِيَة ، قال : وما هى ؟ قال : الضاديَّة ، فما خطَر بخَلَدى قولُك .

ليس المقلُّ عن الزمان براضى

إلا أخزيتك استحسانا لها ، فإن الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته — وقد كان ثقّفها وعلمها ما بلغتْ به استحقاق التحكيم والاختيار لجيِّد الكلام — ثم يقول لها عُدّى لى المخزيات ، فتعدّ قوله :

أغرُّ أروعُ يُستسقى الغمامُ به   لو قارع الناسَ عن أحسابهم قرَعا

وما أشبهها من شعره . قال أبو الشيص : لا أقول إنها ليست عندى عِقْدُ دُرٍ مفصَّل ، ولكنى أكاثر بغيرها ، ثم أنشده قوله :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى   متأخر عنه ولا متقدمُ

الأبيات المذكورة ، فقال له أبو نواس : قد أردتُ صرْفَك عنها فأبيت أن

تخلَّى عن سَلَبك أو تُدْرَك فى هَربك ، قال : بل أقول فى طلَبى ١ ، فكيف رأيت هذا الطراز ؟ قال ، أرى نمطا خُسْرُوانيًّا مُذْهبا حسنا فكيف تركت :

فى رداءٍ من الصفيح صَقيلٍ وقميصٍ من الحديد مُذَالِ ٢

قال : تركته كما ترك مختار الدُّرّتين إحداهما بما سبق فى ألحاظه وزُيِّن فى ناظره .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مُهرويه قال : حدثنى أبى قال :

حدثنى من قال لأبى نواس : مَن أشعر طبقات المحدَثين؟ قال : الذى يقول :

يطوف علينا بها أحْـوَرٌ يداه من الكأس مَخضُوبتانِ ٣

والشعر لأبى الشيص .

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبى قال : حدثنى الفضل بن موسى بن معروف الأصبهانى قال : حدثنى أبى قال :

دخل أبو الشيص على أبى دُلف وهو يلاعب خادما له بالشطرنج ، فقيل له : يا أبا الشيص سَلْ هذا الخادم أن يَحلّ أزرار قميصه ، فقال أبو الشيص : الأمير أعزّه الله أحق بمسألته ، قال : قد سألته فزعم أنه يخاف العين على صدره فقل فيه شيئا ، فقال :

وشادنٍ كالبدر يجلو الدُّجى فى الفرْقِ منه المِسْكُ مَذْرُورُ
يُحاذِرِ العَين على صـدْره فالجَيْبُ منه الدَّهْرَ مَزرورُ

فقال أبو دلف : وحياتى لقد أحسنت ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال الخادم : قد والله أحسن كما قلت ، ولكنك أنت ما أحسنت ، فضحك وأمر له بخمسة آلاف أخرى .

---

(١) أى أبيت أن يدركنى أحد فى طلبى لا فى هربى .

(٢) مذال : طويل الذيل .

(٣) انظر هذه القصيدة ، ٤ بيتا فى طبقات ابن المعتز تحقيقنا ص ٧٨ .

أخبرنى محمد بن عمران الصيرفى قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزى قال : حدثنى على بن سعد بن إياس الشيبانى قال :

تعشّق أبو الشيص محمدُ بن رزين قينةً لرجل من أهل بغداد ، فكان يختلف إليها وينفق عليها فى منزل الرجل حتى أتلف مالا كثيرا ، فلما كُفَّ بصره وأخفق جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حجبه ومنعه من الدخول ، فجاءنى أبو الشيص فشكا إلىّ وَجْدَه بالجارية واستخفاف مولاها به ، وسألنى المضىّ معه إليه ، فمضيت معه فاستؤذن لنا عليه فأذن ، فدخلت أنا وأبو الشيص فعاتبته فى أمره وعظّمت عليه حقه ، وخوفته من لسانه ومن اخوانه ، فجعل له يوما فى الجمعة يزورها فيه ، فكان يأكل فى بيته ويحمل معه نبيذه ونَقْلَه ، فمضيت معه ذات يوم إليها ؟ فلما وقفنا على بابهم سمعنا صراخا شديدا من الدار ، فقال لى : مالها تصرخ ، أتُراه قد مات لعنه الله ؟ فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا ، فإذا هو قد حَسَر كُمَّيه ، وبيده سوط وقال لنا : ادخلا فدخلنا ، وإنما حمله على الإذن لنا الفَرَقُ منى ، فدخلنا وعاد الرجل إلى داخل يضربها ، فاستمعنا عليه واطّلعنا فإذا هى مشدودة على سُلَّم ، وهو يضربها أشدّ ضرب ، وهى تصرخ وهو يقول : وأنت أيضا فاسْرِقى الخبز ، فاندفع أبو الشيص على المكان يقول فى ذلك :

يقول والسوط على كَفِّه ... قد حزّ فى جلدتها حَزّا
وهْىَ على السُّلَّم مشدودةٌ ... وأنتِ أيضا فاسرقى الخُبزا

قال : وجعل أبو الشيص يرددهما ، فسمعهما الرجل فخرج إلينا مبادرا وقال له : أنشدنى البيتين اللذين قلتهما ، فدافعه فحلف أنه لابد من إنشادهما ، فأنشده إياهما فقال لى : يا أبا الحسن أنت كنت شفيعَ هذا وقد أسعفتُك بما تُحِبُّ ، فإن شاع هذان البيتان فضحتَنى ، فقُلْ له يقطع هذا ولايُسمعهما وله علىّ يومان فى الجمعة ، ففعلت ذلك ووافقته عليه ، فلم يزل يتردد إليه يومين فى الجمعة حتى مات .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنى أحمد بن عبد الرحمن الكاتب، عن أبيه قال:

كانت لأبى الشيص جارية سوداء اسمها تِبْرٌ وكان يتعشقها وفيها يقول:

لم تنصفى يا سَمِيَّةَ الذَّهبِ تتلَفُ نفسى وأنت فى لَعِبِ
يا ابنةَ عمِّ المسك الذَّكىِّ ومَن لولاك لم يُتَّخَذْ ولم يَطِبِ
ناسبكِ المسكُ فى السَّواد وفى الريـ ـحِ فأكرِمْ بذاك مِن نَسَبِ

أخبرنى الحسن بن على قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال: حدثنا على بن محمد النوفلى، عن عمه قال:

كان أبو الشيص صديقا لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشمى، وهما حينئذ مُمْلِقان، فنال محمدُ بنُ إسحاق مرتبةً عند سلطانه واستغنى، فجفا أبا الشيص وتغير له فكتب إليه:

الحمـــد لله ربِّ العالمين على قربى وبعدِك منه يا ابن إسحاقِ
ياليت شعرى متى تُجدِى علىَّ وقد أصبحتَ ربَّ دنانيرٍ وأوراقِ[1]
تُجدى علىَّ إذا ماقيل مَنْ راقِ والتفَّتِ السَّاقُ عند الموتِ بالساق
يومٌ لعمرى تُهِمُّ الناسَ أنفسُهُمْ وليس ينفع فيه رُقْيَةُ الرّاقى

حدثنى محمد بن العباس اليزيدى قال: حدثنى أبو العباس بن الفرات قال:

كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان، فاستقبله جعفر بن حفص على دابَّةٍ هزيل وخلْفَه غلامٌ له وشيخ على بغل له هرم، وما فيهم إلا نِضْوٌ، فأقبل علىَّ عبيدُ الله بنُ سليمانَ فقال: كأنهم والله صِفَةُ أبى الشيص حيث يقول:

أكل الوَجيفُ لحومَها ولحومَهم[2] فأتوكَ أنقاضا على أنقاضِ

وقال عبد الله بن المعتز[3]: حدثنى أبو مالك عبد الله[4] قال: قال لى عبد الله بن الأعمش.

---

(١) تجدى على: تعطينى. والأوراق: جمع ورق وهى الدراهم المضروبة.
(٢) الوجيف: العدو والسير السريع.
(٣) انظر هذا النص فى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٧٤ بتحقيقنا.
(٤) فى طبقات الشعراء لابن المعتز: عبيد الله.

كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخُزاعى يشرب ، فلما ثمل نام عنده ، ثم انتبه فى بعض الليل فذهب يَدِبّ إلى خادم له ، فوجأه بسكِّين ، فقال له : ويحك قتلتنى والله ، وما أحب والله أن أفتضح أنى قُتِلْتُ فى مثل هذا ولا تَفتضح أنت بى ، ولكن خذ دَسْتَجة [1] فاكسرها ولوِّثها بدمى واجعل زجاجها فى الجرح ، فإذا سئلتَ عن خبرى فقل : إنى سقطت فى سُكرى على الدَّسْتَجة فانكسرت فقتلتنى . ومات من ساعته ، ففعل الخادم ما أمره به ، ودُفِن أبو الشيص ، وجزع عقبة عليه جزعا شديدا ، فلما كان بعد أيام سكر الخادمُ فصَدَق عقبة عن خبره وأنه هو قتله ، فلم يُلبثه [2] أن قام إليه بسيفه فلم يزل يضربه حتى قتله .

صوت

هلاَّ سألتَ معالمَ الأطـلالِ والرَّسمَ بعد تقادُمِ الأحوالِ
دِمَناً تَهيجُ رسومُها بعد البِلَى طرَبا وكيف سؤالُ أعجمَ بالِ
يمشين مَشْىَ قَطا البِطاحِ تأوُّدا قُبَّ البُطونِ رواجِحَ الأكفالِ
من كُلِّ آنسةِ الحديثِ حَيِيَّةٍ ليست بفاحشةٍ ولا مِتْفالِ
أقصى مذاهبِها إذا لاقيتَها فى الشَّهرِ بين أَسِرَّةٍ وحِجالِ [3]
وتكون ريقتُها إذا نبَّهتَها كالشَّهد أو كسلافة الجِرْيالِ

المتفال : المنتنة الريح . والجِريال فيما قيل : اسم للون الخمر ، وقيل : بل هو من أسمائها ، والدليل على أنه لونها قول الأعشى :

وسلافة مما تُعَتِّقُ بابِـلٌ كدَمِ الذبيح سلبتُها جِرْيالَها

(١) الدستجة : إناء كبير من الزجاج . وفى طبقات ابن المعتز : هات قرابا . : والقراب غمد السيف .

(٢) فى طبقات ابن المعتز : فلم يهنه .

(٣) فى مخطوط بين أسنة وحجال . هذا والحجال : جمع حجلة ، وهى ستر يضرب للعروس فى جوف البيت .

قال سِماكُ بن حرب : حدثني يُحَنَّسُ بن مَتَّى الحِيرى راويةُ الأعشى : أنه سأله عن هذا البيت فقال : سلبتُها لونها : شَرِبْتُها حمراء وبُلْتُها بيضاء .

الشعر في هذا الغناء المذكور للكُمَيت بن زيد ، والغناء لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة ، وذكر ابن المكى[1] أنه لابن مُحْرِز وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل ، وهذا الشعر من قصيدة للكميت يمدح بها مَخلد بن يزيد بن المهلَّب يقول فيها :

قاد الجيوش لخمسَ عشرة حجَّةً ... ولِداتُه عن ذاك في أشغالِ
قعدتْ بهمْ هِمَّاتُهمْ وسمتْ به ... هِمَمُ الملوكِ وسَوْرةُ الأبطالِ
فكأنما عاش المهلَّبُ بينهم ... بأغرَّ قاسَ مِثالَه بمِثالِ
في كفِّه قَصَباتُ كلَّ مقلَّد ... يوم الرهان وفوزُ كل نِصال[2]
ومتى أزِنْكَ بمعشرٍ وأزِنُهمْ ... بك أُلْفِ وَزْنَكَ أرجحَ الأثقالِ

(١) في مخطوط : ابن الكلبي وهو تحريف .
(٢) في المطبوع : وقوت كل نصال .

ذكر الكميت ونسبه وخبره

هو الكميت بن زيد بن خُنَيس بن مُجالد بن وُهيب بن عمرو بن سُبَيع ، وقيل : الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن ذُؤَيبة بن قيس بن عمرو بن سُبيع ابن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس ابن مضر بن نزار .

شاعر مقدّم عالم بلغات العرب ، خبير بأيامها ، من شعراء مضر وألسنتها ، والمتعصبين على القحطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها ، وكان فى أيام بنى أمية ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها ، وكان معروفا بالتشيُّع لبنى هاشم مشهورًا بذلك ، وقصائده الهاشميات من جيِّد شعره ومختاره ، ولم تزل عصبيته للعدْنانية ومهاجاته شعراء اليمن متصلة ، والمناقضة بينه وبينهم شائعة فى حياته وبعد وفاته ، حتى ناقض دِعْبلٌ وابنُ أبى عُيينة قصيدتَه المُذهبة بعد وفاته ، وأجابهما أبو الزلفاء [1] البصرى مولى بنى هاشم عنها وذلك يذكر فى موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله .

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُريد ، عن أبى حاتم ، عن الأصمعى .

عن خَلَف الأحمر : أنه رأى الكميت يُعلم الصبيان فى مسجدٍ بالكوفة ، قال ابن قتيبة فى خبره خاصة : وكانت بينه وبين الطِّرِمّاح خُلْطة ومودّة وصفاء لم يكن بين اثنين ، قال : فحدثنى بعض أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكميت قال : أنشدت الكميت قول الطرماح :

إذا قُبضتْ نفسُ الطِّرِمّاح أخلقتْ عُرَا المجد واسترخى عِنانُ القصائدِ

---

(١) فى مخطوط : أبو البلقاء . ولعل الأصل : أبو الدلفاء فهى أقرب للتسمية .

قال : إى والله وعِنانُ الخطابة والرّواية . قال : وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة : كان الكميت شيعيًّا عصبيا عدنانيا من شعراء مضر متعصّبا لأهل الكوفة ، والطرماح خارجىّ صُفْرِىٌّ[1] قحطانى عصبي لقحطان من شعراء اليمن متعصب لأهل الشام، فقيل لهما : ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء[2] ؟ قالا : اتفقنا على بغض العامة .

أخبرنى عمى قال : حدثنى محمد بن سعد الكُرانىّ قال : حدثنا أبو عمر العُمرىّ ، عن لقيط قال :

اجتمع الكميت بن زيد وحمّادٌ الراوية فى مسجد الكوفة ، فتذاكرا أشعار العرب وأيامها ، فخالفه حمادٌ فى شىء ونازعه ، فقال له الكميت : أتظن أنك أعلم منى بأيام العرب وأشعارها ؟ قال : وما هو إلا الظن ؟ هذا واللهِ هو اليقين ، فغضب الكميت ثم قال له : ألكَمْ شاعرٍ بصير يقال له عمرو بن فلان تروى ؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان بن عمرو تروى ؟ فقال حماد قولا لم يحفظه ، فجعل الكميت يذكر رجلا رجلا من صنف صنف ويسأل حمادًا هل يعرفه ، فإذا قال : لا ، أنشده من شعره جزءا جزءا حتى ضجرنا ، ثم قال له الكميت فإنى سائلك عن شىء من الشعر ، فسأله عن قول الشاعر :

طرحوا أصحابهم فى ورْطَةٍ ... قَذْفَكَ المَقْلَةَ شَطْرَ المُعتَرَكْ[3]

فلم يعلم حماد تفسيره ، فسأله عن قول الآخر :

تَدَرَّيْنَنَا بالقول حتى كأنما ... تَدَرَّيْنَ وِلدانا تصيد الرَّهادِنا[4]

فأُفحم حمادٌ ، فقال له : قد أجّلتك إلى الجمعة الأخرى ، فجاء حماد ولم يأت

(١) الصفرية : قوم من الحرورية من الخوارج نسبوا إلى عبد الله بن صفار ، أو إلى زياد بن الأصفر رئيسهم ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لخلوهم من الدين .

(٢) فى مخطوط : مع سائر اختلاف الأهواء .

(٣) فى مخطوط : وسط المبترك . هذا وانظر اللسان « مقل » فهو ليزيد بن طعمة الخطمى .

(٤) فى اللسان رهدن .

تدرينا بالقول حتى كأنه ... تدرى ولدان يصدن رهادنا

بتفسيرهما ، وسأل الكميت أن يفسرهما له فقال : المَقْلَة : حصاة أو نواة من نوى المُقْل يحملها القوم معهم إذا سافروا ، وتوضع فى الإناء ويصبّ عليها الماء حتى يغمرَها ، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء . والشَّطر : النصيب ، والمُعْتَرك : الموضع الذى يختصمون فيه فى الماء فيلقونها هناك عند الشرّ ، وقوله : تَدَرَّيْننا يعنى النساء أى ختَلْننا فرميننا ، والرَّهادِنُ : طير بمكة كالعصافير .

وكان خالد بن عبد الله القسرى — فيما حدثنى به عيسى بن الحسين الوراق قال : أخبرنا أحمد بن الحارث الفزارى ، عن ابن الأعرابى ، وذكره محمد بن أنس السلامى ، عن المُستَهلّ بن الكُميت ، وذكره ابن كناسة عن جماعة من بنى أسد .

— أن الكميت أنشد قصيدته التى يهجو فيها اليمن وهى :

ألا حُيِّيتِ عنَّا يا مَدِينا

فأحفَظَتْه عليه ، فروّى جارية حسناء قصائدَه الهاشميات وأعدّها ليُهدِيها إلى هشام ، وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بنى أمية ، وأنفذ إليه قصيدته التى يقول فيها :

فيارَبِّ هل إلاّ بك النَّصْرُ يُبتغى ويارَبِّ هل إلاّ عليك المُعَوَّلُ

وهى طويلة ، يرثى فيها زيد بن علىّ وابنه الحسين بن زيد [1] ويمدح بنى هاشم ، فلما قرأها أكبرها وعظمتْ عليه واستنكرها ، وكتب إلى خالد يُقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويدَه ، فلم يشعر الكميت إلاّ والخيلُ مُحدِقة بداره ، فأُخذ وحبس فى المحبس ، وكان أبانُ بن الوليد عاملا على واسط ، وكان الكميت صديقَه ، فبعث إليه بغلام على بغل وقال له : أنت حُرّ إنْ لحقته والبغلُ لك ، وكتب إليه : قد بلغنى ما صرتَ إليه وهو القتل إلاّ أن يدفع الله جل وعزّ ، وأرى لك أن تبعث إلى حُبّى — يعنى زوجة الكميت ، وهى بنت نُكَيف بن عبد الواحد وهى ممن يتشيّع أيضا — فإذا دخلتْ إليك تنقَّبْتَ نِقابها ولبستَ ثيابها وخرجتَ ،

(١) فى هامش مخطوط ما يأتى : هذا غلط من وجهين : أحدهما إنفاذ خالد إلى هشام بمرثية زيد ، وزيد إنما قتل فى إمارة يوسف بن عمر بعد خالد . والثانى جعله الحسن بن زيد مرثيا أيضا ، والحسن لم يقتل ، ولا كان ممن يرى الخروج .

فإنى أرجو أن لا يُؤْبه لك. فأرسل الكميت إلى أبى وضّاح حبيب بن بُديل وإلى فتيان من بنى عمه من مالك بن سَعيد، فدخل عليه حبيب فأخبره الخبر وشاوره فيه، فسدّد رأيه، ثم بعث إلى حُبّى امرأته فقصّ عليها القصة، وقال لها: أى ابنة عمّ إن الوالى لا يُقْدِم عليك، ولا يُسلمك قَوْمك، ولو خِفْتُه عليك لما عرّضتك له. فألبسته ثيابها وإزارها وخمّرته وقالت له: أَقْبِلْ وأَدْبِرْ، ففعل فقالت: ما أُنكر منك شيئا إلا يُبْسا فى كتفك فاخرج على اسم الله، وأخرجت معه جارية لها، فخرج وعلى باب السجن أبو وَضّاح ومعه فتيانٌ من أسد، فلم يُؤْبه له، ومشى والفتيان بين يديه إلى سِكّة شبيب بناحية الكِناس [1]، فمر بمجلس من مجالس بنى تميم، فقال بعضهم: رَجُلٌ وربِّ الكعبة، وأمر غلامه فاتبعه. فصاح به أبو الوضّاح: ياكذا وكذا، لا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم، وأومأ إليه بنعله، فولى العبد مدبرا، وأدخله أبو الوضاح منزله، ولما طال على السجان الأمرُ نادى الكميت فلم يجبه، فدخل ليعرف خبره فصاحت به المرأة: وراءك لا أمّ لك، فشقّ ثوبه ومضى صارخا إلى باب خالد فأخبره الخبر، فأحضر حُبّى فقال لها: ياعدوة الله احتلتِ على أمير المؤمنين وأخرجتِ عدوّه، لأُمَثّلنّ بك ولأصنعنّ ولأفعلنّ، فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا: ما سبيلك على امرأة منا خُدِعَتْ؟ فخافهم فخلّى سبيلها. قال: وسقط غراب على الحائط فنعب، فقال الكميت لأبى وضاح إنى لمأخوذ، وإن حائطك لساقط، فقال: سبحان الله، هذا ما لا يكون إن شاء الله، فقال له: لابد من أنْ تحوّلنى، فخرج به إلى بنى علقمة، وكانوا يتشيّعون، فأقام فيهم، ولم يصبح حتى سقط الحائط الذى سقط عليه الغراب.

قال ابن الأعرابى: قال المُستهلّ: وأقام الكميت مدّة متواريا، حتى إذا أيقن أن الطلب قد خفّ عنه خرج ليلا فى جماعة من بنى أسد على خوف ووجل

(١) لعلها الكناسة بضم الكاف: وهى محلة بالكوفة. أما الكناس بكسر الكاف: فهو موضع من بلاد غنى.

وفيمن معه صاعدٌ غلامه ، قال : وأخذ الطريق على القُطقُطانة[١] ، وكان عالما بالنجوم مهتديا بها ، فلما صار سُحَير صاح بنا : هَوِّموا يا فتيان ، فهوَّمنا وقام يصلى ، قال المستهل[٢] : فرأيت شخصا فتضعضعت له فقال : مالك ؟ قلت : أرى شيئا مقبلا ، فنظر إليه فقال : هذا ذئب قد جاء يستطعمكم ، فجاء الذئب فربض ناحية فأطعمناه يدَ جزور فتعرَّقها، ثم أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه وارتحلنا ، فجعل الذئب يعوى . فقال الكميت : ما له ويله ؟ ألم نطعمه ونسقيه ؟ وما أعرفنى بما يريد، هو يعلمنا أنّا لسنا على الطريق ، تيامنوا يا فتيان . فتيامنّا فسكن عُوَاؤه ، فلم نزل نسير حتى جئنا الشام ، فتوارى فى بنى أسد وبنى تميم ، وأرسل إلى أشراف قريش وكان سيِّدهم يومئذ عَنبسةَ بنَ سعيدِ بن العاص ، فمشت رجالاتُ قريش بعضُها إلى بعضٍ وأتوا عنبسة فقالوا : يا أبا خالد ، هذه مكرمة قد أتاك الله بها ، هذا الكميت بن زيد لسانُ مُضَر ، وكان أميرُ المؤمنين كتب فى قتله فنجا حتى تخلَّص إليك وإلينا ، قال : فمُرُوه أن يعوذ بقبر معاوية ابن هشام بدير حَنِيناء[٣] ، فمضى الكميت فضرب فُسطاطه عند قبره ، ومضى عنبسة فأتى مَسْلمة بن هِشام فقال له : يا أبا شاكر ، مكرمةٌ أتيتك بها تبلغ الثُّرَيّا إن اعتقدتها ، فإن علمتُ أنك تفى بها وإلا كتمتُها ، قال : وما هى ؟ فأخبره الخبر وقال : إنه قد مدحكم عامّةً وإياك خاصّةً بما لم يُسمع بمثله ، فقال : علَىَّ ، فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه فى غير وقت دخول ، فقال له هشام : أجئت لحاجة ؟ قال : نعم ، قال : هى مقضية إلا أن يكون الكميت ، فقال : ما أحب أن تستثنى علىَّ فى حاجتى ، وما أنا والكميت ؟ فقالت أمه : والله لتقضينَّ حاجته كائنة ما كانت ، قال : قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها ، قال : هى الكميت يا أمير المؤمنين وهو آمن بأمان الله عزّ وجل وأمانى ، وهو شاعر مضر وقد قال فينا قولا لم يُقَلْ مثلُه ، قال : قد أمَّنْتُه وأجزت أمانك له فاجلس

(١) القطقطانة : موضع قرب الكوفة .

(٢) فى الأصل : قال أبو المستهل .

(٣) دير حنيناء : من أعمال دمشق ، معجم البلدان « حنيناء » .

له مجلسا ينشدك فيه ما قال فينا ، فعقد له وعنده الأبرش الكلبىّ ، فتكلم بخُطبة ارتجلها ما سُمع بمثلها قطّ ، وامتدحه بقصيدته الرائية ، ويقال إنه قالها ارتجالا وهى قوله :

قفْ بالديار وقوف زائرْ

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله :

ماذا عليـك من الوقو ... ف بها وأنك غيرُ صاغرْ
درَجَتْ عليهـــا الغاديا ... تُ الرائحات من الأعاصرْ

وفيها يقول :

فالآن صرتُ إلى أميَّـ ... ـةَ والأمور إلى المصايرْ

وجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب فى يده فيقول : اسمع اسمع ، ثم استأذنه فى مرثية ابنه معاوية فأذن له فأنشده قوله :

سأبكيك للدنيا وللدين إننى ... ،أيت يدَ المعروف بعدك شُلَّتِ
فدامتْ عليك بالسلام تحيَّةٌ ... ملائكةُ اللهِ الكرام وصلَّتِ

فبكى هشام بكاء شديدا ، فوثب الحاجب فسكّته ، ثم جاء الكميت إلى منزله آمنا ، فحشدت له المُضَرِيَّة بالهدايا ، وأمر له مسلمةُ بعشرين ألف درهم ، وأمر له هشامٌ بأربعين ألف درهم ، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته ، وأنه لا سلطان له عليهم . قال : وجمعت له بنو أمية بينها مالا كثيرا ، قال : ولم يُجمع من قصيدته تلك يومئذ إلاّ ما حفظه الناس منها فأُلِفَ ، وسئل عنها فقال : ما أحفظ منها شيئا ، إنما هو كلام ارتجلته .

فقال وودّع هشاما وأنشده قوله فيه :

ذكر القلب إلفَه المذكورا

قال محمد بن كُناسة : وكان الكميت يقول : سبقت الناس فى هذه القصيدة من أهل الجاهلية والإسلام إلى معنى ما سُبِقْتُ إليه فى صفة الفرس حين أقول :

يبحثُ التُّربَ عن كواسره فى المَ ... شرب لا يُجشِمُ السُّقاةَ الصَّفيرا

هذه رواية ابن عمّار . وقد روى فيه غير هذا ، وقيل فى سبب المنافرة بين خالد والكميت غير هذا ، نسخته من كتاب محمد بن يحيي الخراز قال : حدثنى أحمد بن إبراهيم الحاسب قال : حدثنى عبد الرحمن بن داود بن أبى أُمية البَلْخىّ قال :

كان حكيم بن عياش الأعور الكلبى [1] ولِعا بهجاء مُضر ، فكانت شعراء مضر تهجوه ويجيبهم ، وكان الكميت يقول : هو والله أشعر منكم ، قالوا : فأجب الرجل ، قال : إن خالد بن عبد الله القسرىّ محسن إلىّ فلا أقدر أن أرد عليه ، قالوا : فاسمع بأذنك ما يقول فى بنات عمك وبنات خالك من الهجاء ، وأنشدوه ذلك ، فحَمِىَ الكميتُ لعشيرته فقال المُذْهَبة :

ألا حُيِّيتِ عنا يا مَدِينا

فأحسن فيها وبلغ خالداً خبرُها فقال : لا أبالى ما لم يَجْرِ لعشيرتى ذِكْرٌ ، فأنشدوه قوله :

ومن عَجَبٍ علىَّ لعمر أُمٍّ ... غَذَتْك وغير هاتيًا يَمينا
تجاوزتَ المياهَ بلا دليـــل ... ولا علَم تَعَسُّفَ مُخطئينا
فإنك والتَّحوُّلَ من مَعَدّ ... كهيلة قبلنا والحالبينا
تخطَّتْ خيرهم حلبًا ونَسْئًا ... إلى الوالى المغادر هاربينا [2]
كعنز السوء تنطح عالفيها ... وترميها عِصِيُّ الذابحينا

فبلغ ذلك خالدا فقال : فعلها ، والله لأقتلنَّه ، ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن ، وتخيرهن نهايةً فى حسن الوجوه والكمال والأدب ، فروَّاهن الهاشميات ، ودسّهن مع نخّاس إلى هشام بن عبد الملك ، فاشتراهن جميعا ، فلما أنِسَ بهن

(١) انظره فى تهذيب ابن عساكر ج ٤ ص ٤٢٢ : حكيم بن عباس . وفى الخزانة ١/٨٦ : حكيم بن عياش . وفى الأصل : حكيم بن عباس ، وجاء بعد ذلك عياش .

(٢) فى مخطوط : ومسا ٭ إلى المولى . هذا والنسء من معانيه : اللبن الرقيق الكثير الماء والسمن ، وقيل : بدء السمن .

استنطقهن فرأى فصاحة وأدبا ، فاستقرأهن القرآن فقرأن ، واستنشدهن الشعر فأنشدنه قصائد الكميت الهاشميات ، فقال : ويلكن ، مَن قائل هذا الشعر ؟ قلن : الكميت بن زيد الأسدى ، قال : وفى أى بلد هو ؟ قلن : فى العراق ثم بالكوفة ، فكتب إلى خالد وهو عامله على العراق : ابعث إلىّ برأس الكميت بن زيد ، فبعث خالد إلى الكميت فى الليل فأخذه وأودعه السجن ، ولما كان من الغد أقرأ من حضره من مُضر كتابَ هشام ، واعتذر إليهم من قتله وآذنهم فى إنفاذ الأمر فيه فى غد ، فقال لأبان بن الوليد البَجَلىّ ، وكان صديقا للكميت : انظر ما ورد فى صديقك ، فقال : عزّ علىّ والله به ، ثم قام أبان فبعث إلى الكميت فأنذره ، فوجّه إلى امرأته .

ثم ذكر الخبر فى خروجه ومقامها مكانه كما ذكر من تقدمه ، وقال فيه : فأتى مسلمة بن عبد الملك فاستجار به ، فقال : إنى أخشى أن لا ينفعك جِوارى عنده ، ولكن استجر بابنه مسلمة بن هشام ، فقال : كن أنت السفير بينى وبينه فى ذلك ، ففعل مسلمة وقال لابن أخيه : قد أتيتك بشرف الدهر واعتقادِ الصَّنيعة فى مضر ، وأخبره الخبر ، فأجاره مسلمة بن هشام ، وبلغ ذلك هشاما فدعا به ثم قال : أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره ؟ فقال : كلا ولكنى انتظرت سكون غضبه ، قال : أحضرنيه الساعة فإنه لا جوار لك ، فقال مسلمة للكميت : ياأبا المُستهِلّ ، إن أمير المؤمنين أمرنى باحضارك ، قال : أتسلمنى يا أبا شاكر ؟ قال : كلا ولكنى أحتال لك ، ثم قال له : إن معاوية بن هشام مات قريبا ، وقد جزع عليه جزعا شديدا ، فإذا كان من الليل فاضرب رُواقك على قبره ، وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك فى الرواق ، فإذا دعا بك تقدّمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولوا : هذا استجار بقبر أبينا ونحن أحقّ من أجاره . فأصبح هشام على عادته متطلّعا من قصره إلى القبر فقال : من هذا ؟ فقالوا لعلّه مستجير بالقبر ، فقال : يجار من كان إلا الكميت فإنه لا جوار له ، فقيل : فإنه الكميت قال : يُحضر أعنف إحضار ، فلما دُعِيَ به ربَط الصبيانُ ثيابَهم بثيابه ، فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر ، وهم يقولون : يا أمير المؤمنين استجار

بقبر أبينا ، وقد مات ومات حظّه من الدنيا، فاجعله هبة له ولنا ولا تفضحنا فيمن استجار به . فبكى هشام حتى انتحب ، ثم أقبل على الكميت فقال له: يا كميت أنت القائل :

وإلاّ تقولوا غيرَها تتعرَّفُوا ... نواصِيَها تَرْدِى بنا وهى شُزَّبُ[1]

لا والله[2] ولا أتان من أُتُنِ الحجازِ وحْشِيَّة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال : أما بعد فإنى كنت أَتَدَهْدَى فى غمرة، وأعوم فى بحرِ غَوَايةٍ، أخنى علىّ خَطَلُها ، واستفزّنى وَهَلُها ، فتحيرتُ فى الضَّلالة ، وتسكّعت فى الجهالة ، مُهْرِعاً عن الحق ، جائرا عن القَصْد ، أقول الباطلَ ضلالا ، وأفُوه بالبهتان وَبالا ، وهذا مَقامُ العائذِ مُبْصِرِ الهُدى ورافض العَمَاية ، فاغسِلْ عنّى يا أمير المومنين الحَوْبَةَ بالتَّوْبة ، واصفح عن الزَّلّة ، واعفُ عن الجُرْمَة ثم قال :

كم قال قائلكم لَعاً[3] ... لك عند عثْرته لعاثرْ

وغفرتمُ لذوى الذنو ... ب من الأكابر والأصاغرْ

أبَنِى أُميّةَ إنكمْ ... أهل الوسائل والأوامرْ

ثِقَتى لكلِّ مُلِمَّةٍ ... وعشيرتى دون العشائرْ

أنتمْ معادنُ للخِلا ... فةِ كابرًا من بعد كابرْ

بالتسعة المتتابعيـ ... ـن خلائفًا وبخير عاشرْ

وإلى القيامة لا تزا ... ل لشافع منكمْ وواترْ

ثم قطع الإنشاد وعاد إلى خطبته فقال : إغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصَباحته ، ومناط المنتجعين بحبله ، من لا تُحلّ حَبْوَته لإساءة المذنبين فضلا عن استشاطة غضبه بجهل الجاهلين. فقال له : ويلك يا كميتُ ، مَن زيَّن لك الغَوَاية ودلاّك

(١) شزب : جمع شازب ، وهو الضامر . وتردى : تضرب بحوافرها الأرض .
(٢) فى الأصل : فقال لا والله .
(٣) لعا : كلمة يدعى بها العاثر ، ومعناها : الارتفاع والانتعاش .

فى العَماية ؟ قال : الذى أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزما ، فقال : إيه أنت القائل :

فيا موقدًا نارًا لغيرك ضَوءُها ويا حاطبا فى غير حبلك تَحْطِبُ

فقال : بل أنا القائل :

إلى آل بيت أبى مالـك مُناخٌ هو الأرحبُ الأسْهلُ
نَمُتُّ بأرحامنا الداخــلا تِ من حيث لا يُنْكَر المَدْخَلُ
بِبَرَّة والنَّضْرِ والمالِكيـ ن رَهْط هم الأنْبَلُ الأنْبَلُ[١]
وبابْنَىْ خُزَيمـة بَدْرِ السما ءِ والشمس مفتاح ما نأمُلُ[٢]
وجدنا قُريشا قُريشَ البِطاحِ على ما بَنَى الأوّلُ الأوّلُ
بهمْ صَلَح الناسُ بعد الفسا دِ وَحِيص من الفتق ما رَعْبَلوا[٣]

قال له : وأنت القائل :

لا كعبد المَليك أو كوَلِيـدٍ أو سليمانَ بعدُ أو كهِشامِ
مَنْ يَمُتْ لا يمتْ فقيدا ومن يحـ ىَ فلا ذُو إلٍّ ولا ذو ذِمام[٤]

ويلك يا كمت ، جعلتنا ممن لا يَرْقُبُ فى مؤمن إلاًّ ولا ذِمَّة ، فقال : بل أنا القائل يا أمير المؤمنين :

فالآن صرتُ إلى أُميّـ ـة والأمور إلى المصايرْ
والآن صرتُ بها المصيـ ـبَ كمُهتدٍ بالأمس حائرْ

(١) فى هامش مخطوط : برة بنت مر أخت تميم ، وكانت عند خزيمة فولدت له أسدا ثم مات ، فخلف عليها ابنه كنانة فولدت له النضر ، وهو قريش أبو مالك ، فبنو أسد ينتمون إلى قريش بهذا النسب .

(٢) فى المطبوع : وبارى خزيمة .

(٣) حيص من حاصه يحوصه : خاطه . وفى هامش مخطوط : رعبل الشئ : إذا قطعه ، ومنه ثوب رعابيل : إذا كان قطعا .

(٤) الإل : العهد والحلف .

يا ابن العقائل للعقا ئل والجحاجحة الأخاير[١]
من عبد شمسٍ والأكا بر من أمية فالأكابر
إنّ الخلافةَ والإلا فَ برغم ذى حسَدٍ وواغر[٢]
دَلفا من الشّرف التليـ د إليك بالرِّفد المَوافر
فحللتَ مُعْتلِجَ البطا ح وحلّ غيرُك بالظّواهر

قال له : إيه فأنت القائل :

فقل لبنى أمية حيث حلّوا وإن خِفتَ المُهنّد والقَطيعا[٣]
أجاع اللهُ مَنْ أشبعتموه وأشْبَعَ من بجَوْرِكمُ أُجيعا
بمَرْضىٍّ السياسة هاشميّ يكون حياً لأُمّتِه رَبيعا

فقال : لا تثريب يا أمير المؤمنين إن رأيتَ أن تمحو عنى قولى الكاذبَ ، قال : بماذا ؟ قال : بقولى الصادق :

أورثتْه الحَصان أمُّ هِشامٍ حَسبا ثاقبا ووجها نَضيرًا
وتعاطى به ابنُ عائشة البد رَ فأمسى له رقيبا نظيرا[٤]
وكساه أبو الخلائف مروا نُ سناءَ المكارمِ المأثورا
لم تَجَهّمْ له البِطاحُ ولكن وجدَتها له مَغارًا ودورا[٥]

وكان هشام متكئا فاستوى جالسا وقال : هكذا فليكن الشعر ، يقولها لسالم بن

(١) الجحاجحة : جمع الجحجاح ، وهو السيد المسارع إلى المكارم .
(٢) الواغر : المتوقد صدره غيظا .
(٣) القطيع من معانيه : القضيب تبرى منه السهام : السوط المنقطع طرفه . وفى هامش مخطوط : السوط .
(٤) عائشة : هى أم هشام ، وهى بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد من بنى مخزوم . والرقيب : من معانيه النجم الذى فى المشرق ، وخلف الرجل من ولده وعشيرته . وفى مخطوط : وضيئا . وتعاطى : تناول ويكون فى الرفعة .
(٥) المغار : الكهف . ولعلها أيضا وجدته لها .

عبد الله بن عُمَر وكان إلى جانبه ، ثم قال : قد رضيت عنك يا كميت ، فقبّل يده وقال : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تزيد فى تشريفى ولا تجعل لخالد علىّ إمارة ، قال : قد فعلت ، وكتب له بذلك ، وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ، هشامية ثوبا وكتب إلى خالد أن يُخلى سبيل امرأته ويُعطيها عشرين ألفا وثلاثين ثوبا ، ففعل ذلك .

وله مع خالد أخبار بعد قدومه الكوفة بالعهد الذى كُتِبَ له : منها أنه مرّ به خالد يوما وقد تحدّث الناس بعزله عن العراق ، فلما جاز تمثل الكميت :

أراها وإن كانتْ تُحَبُّ كأنها ... سحابةُ صيف عن قليل تقَشَّعُ

فسمعه خالد فرجع وقال : أما والله لاتنقشع حتى يغشاك منها شُؤْبُوب [1] برد ، ثم أمر به فجُرِّد فضربه مائة سوط ثم خلى عنه ومضى .

هذه رواية ابن حبيب .

وقد أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا النوفلى علىّ بن محمد بن سليمان أبو الحسن قال : حدثنى أبى قال :

كان هشام بن عبد الملك قد اتّهم خالد بن عبد الله ، وكان يقال : إنه يريد خلعك ، فوُجِد بباب هشام يوما رُقعة فيها شعر ، فدُخِل بها على هشام فقرئت عليه وهى :

تألّق برْقٌ عندنا وتقابلتْ ... أثاف لِقِدْرِ الحرب أخشى اقتبالها [2]

فدونَكَ قِدْرَ الحرب وهْىَ مُقِرَّة ... لكفَّيْكَ واجعلْ دون قِدْرٍ جِعالها [3]

ولن تنتهى أو يَبلغَ الأمرُ حَدَّهُ ... فنَلْها بِرِسْلٍ قبل أن لا تنالها [4]

(١) فى مخطوط : شر برد ، هذا والشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٢) اقتبله اقتبالا : استأنفه .

(٣) الجعال : خرقة تنزل بها القدر . وأقر القدر : نزع ما فيها مما لصق بها .

(٤) الرسل : الرفق والتؤدة .

فتجشّم منها ما جشمتَ من التى ... بسوراء هرّت نحو حالك حالها
تلافَ أمورَ الناس قبل تفاقمٍ ... بعقدة حزمٍ لا تخاف انحلالها
فما أبرم الأقوامُ يوما لحيلةٍ ... من الأمر إلاّ قلّدوك احتيالها
وقد تُخبِر الحربُ العوانُ بسرّها ... وإن لم تُبِح مَن لا يريد سؤالها

فأمر هشام أن يُجمع له من بحضرته من الرواة فجُمِعوا ، فأمر بالأبيات فقرئت عليهم فقال : شعر من تشبه هذه الأبيات ؟ فأجمعوا جميعا من ساعتهم أنه كلام الكميت بن زيد الأسدى ، فقال هشام : نعم هذا الكميت ينذرنى بخالد بن عبد الله ثم كتب إلى خالد يخبره ، وكتب إليه بالأبيات ، وخالد يومئذ بواسط ، فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذه ، فأخذ الكميت وحبسه ، وقال لأصحابه : إنه بلغنى أن هذا يمدح بنى هاشم ويهجو بنى أمية ، فأتونى من شعر هذا بشىء ، فأُتى بقصيدته اللامية التى أولها :

ألا هل عمٍ فى رأيه متأملُ ... وهل مدبرٌ بعد الإساءة مقبلُ

فكتبها وأدرجها فى كتاب إلى هشام يقول : هذا شعر الكميت ، فإن كان قد صدق فى هذا فقد صدق فى ذاك . فلما قُرِئت على هشام اغتاظ ، فلما قال :

فيا ساسةً هاتوا لنا من جوابكم ... ففيكم لعمرى ذو أفانين مِقوَلُ

اشتد غيظه فكتب إلى خالد يأمره أن يقطع يدَىِ الكميت ورِجليه ، ويضرب عنقه ، ويهدم داره ويصلبه على ترابها ، فلما قرأ خالد الكتاب كره أن يستفسد عشيرته ، وأعلن الأمر رجاء أن يتخلّص الكميت فقال : لقد كتب إلىّ أميرُ المؤمنين ، وإنى لأكره أن أستفسد عشيرته ؛ وسمّاه ، فعرف عبدُ الرحمن بن عنبسة ابن سعيد ما أراد ، فأخرج غلاما له مولَّدا ظريفا ، فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة وقال : إن أنت وردتَ الكوفة فأنذرت الكميت لعله أن يتخلص من الحبس فأنت حرّ لوجه الله ، والبغلة لك ، ولك علىّ بعد ذلك إكرامُك والإحسان إليك . فركب البغلة فسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها ، فدخل

الحبس مُتنكرا فخبَّر الكميت بالقصة ، فأرسل إلى امرأته وهى ابنة عمه يأمرها أن تجيئه ومعها ثياب من لباسها وخُفَّانِ ، ففعلت ، فقال : ألبسينى لبْسَة النساء ، ففعلت ، ثم قالت له : أقبِل ، فأقبلَ : وأدْبِرْ ، فأدبرَ ، فقالت : ما أرى إلاَّ يُبْسا فى منكبيك ، اذهب فى حفظ الله ، فخرج فمرّ بالسجان فظن أنه المرأة فلم يعرض له فنجا . وأنشأ يقول :

خرجتُ خروجَ القِدحِ قِدحِ ابن مُقْبِلٍ على الرَّغم من تلك النوابح والمُشْلِى[1]

علىَّ ثيابُ الغانيات وتحتهـــا عزيمةُ أمْرٍ أشبهتْ سلَّةَ النَّصْلِ

وورد كتاب خالد على والى الكوفة يأمره فيه بما كتب به إليه هشام ، فأرسل إلى الكميت ليُؤتَى به من الحبس فيُنْفذ فيه أمْر خالد ، فدنا من باب البيت فكلمتهم المرأة ، وخبرتهم أنها فى البيت وأن الكميت قد خرج ، فكتب بذلك إلى خالد فأجابه : حُرَّة كريمة فدت[2] ابن عمها بنفسها . وأمر بتخليتها ، فبلغ الخبرُ الأعورَ الكلبى[3] بالشام فقال قصيدته التى يرمى فيها امرأة الكميت بأهل الحبس ويقول :

أسودين وأحمرينا[4]

فهاج الكميتَ ذلك حتى قال :

ألا حُيِّيت عنَّا يا مَدِينا[5]

(١) المشلى : المغرى . هذا ، وفى هامش مخطوط ما يأتى : العرب تضرب المثل بقدح ابن مقبل ، وهو تميم بن أبى بن مقبل أحد بنى عجلان ، وكان يكثر من القداح فضرب به المثل عبد الملك بن مروان « الحجاج قدح من قداح ابن مقبل » فلم يعرفه ، فسأل الحجاج عنه قتيبة بن مسلم الباهلى فأخبره ، فولاه خراسان .

(٢) فى مخطوط : آست . وفى المطبوع : أندت .

(٣) فى مخطوط : السلمى .

(٤) أوله : « فما وجدت بنات بنى نزار حلائل » . انظر الخزانة ١/٨٦ .

(٥) فى مخطوط ما يأتى : مدينا : أراد به مدينة ، والعرب تقول لابن الأمة مدينة . قال الأخطل .

ربت وربانى حجرها ابن مدينة يظل على مسحاته يتركل

وهى ثلاثمائة بيت ، لم يترك فيها حيًّا من أحياء اليمن إلا هجاهم ، وتوارى وطلب فمضى إلى الشام فقال شعره الذى يقول فيه :

قف بالديار وقوف زائرْ

فى مسلمة بن عبد الملك ويقول :

يا مَسْلَمُ ابن أبى الولـيـ ـد لِمَيّتٍ إنْ شئت ناشِرْ
اليـوم صرتُ إلى أميّـ ـة والأمور إلى المصايِرْ

قال أبو الحسن : قال أبى : إنما أراد اليوم صرت إلى أمية والأمور إلى مصايرها أى بنى هاشم ، وبذلك احتجّ ابنُه المستهلُّ على أبى العباس حين عيّره بقول أبيه هذا الشعر .

فأذن له ليلا فسأله أن يجيره على هشام فقال : إنى قد أجرت على أمير المؤمنين فأخفر جوارى وقبيح برجل مثلى أن يُخفر فى كل يوم ، ولكنى أدلُّك ، فاستجِرْ بمسلمة بن هشام وبأُمّه أم الحكم بنت يحيى بن الحكم ، فإن أمير المؤمنين قد رشحه لولاية العهد ، فقال الكميت : بئس الرأى ، أضيع دمى بين صبى وامرأة ، فهل غير هذا ؟ قال نعم ، مات معاوية بن أمير المؤمنين وكان يُحبه ، وقد جعل أمير المؤمنين على نفسه أن يزور قبره فى كلّ أسبوع يوما ، وسمى يوما بعينه ، وهو يزوره فى ذلك اليوم ، فامض فاضرب بناءك عند قبره استجرْ به ، فإنى سأحضر [١] معه وأكلمه بأكثر من الجوار ، ففعل ذلك الكميت فى اليوم الذى يأتيه فيه أبوه ، فجاء هشام ومعه مسلمة ، فنظر إلى البناء فقال لبعض أعوانه : انظر ما هذا ، فرجع فقال : الكميت بن زيد مستجير بقبر معاوية بن أمير المؤمنين ، فأمر بقتله ، فكلّمه مسلمة وقال : يا أمير المؤمنين إن إخفار الأموات عار على الأحياء ، فلم يزل يُعظم عليه الأمر حتى أجاره .

فحدثنا محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنا حُجْر بن عبد الجبار قال :

خرجت الجَعفريّةُ على خالد بن عبد الله القسرى وهو يخطب على المنبر وهو

(١) فى مخطوط : فاضرب خباءك . . . فإنى سأشخص .

لايعلم بهم ، فخرجوا فى البيانيين[1] ينادون : لبَّيك جعفر ، لبيك جعفر ، وعرف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر فدهش فلم يعلم ما يقول فزعا ، فقال : أطعمونى ماءً ، ثم خرج الناس إليهم فأُخذوا ، فجعل يجىء بهم إلى المسجد ويؤخذ طُنُّ قصبٍ[2] فيُطلى بالنِّفْط ويقال للرجل : احتضِنْه ، ويُضرب حتى يفعل ، ثم يحرق ، فحرقهم جميعا ، فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن علىّ فأنشده قوله فيه :

خرجتَ لهم تمشى البراحَ ولم تكُنْ ... كمن حِصْنُه فيه الرَّتاجُ المُضَبَّبُ[3]

وما خالدٌ يَسْتطعم الماء فاغِرًا ... بِعِدْلِك والداعى إلى الموت يَنعَبُ[4]

قال : والجند قيام على رأس يوسف بن عمر وهم يمانية ، فتعصبوا لخالد ، فوضعوا ذباب سيوفهم فى بطن الكميت فوجئوه بها وقالوا : أتنشد الأمير ولم تستأمره ؟ فلم يزل ينزف الدمَ حتى مات .

أخبرنى عمى قال : حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال : حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطَّلحى ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل[5] قال :

لما دخل الكميت بن زيد على هشام سلم ثم قال : يا أمير المؤمنين ، غائب آب ، ومذنب تاب ، محا بالإنابة ذنبه ، وبالصدق كذبه ، والتوبةُ تُذهب الحَوْبة ، ومثلك حلُم عن ذى الجريمة ، وصفح عن ذى الرِّيبة ، فقال له هشام :

(١) فى الأصل : التبابين : جمع تبان ، وهو سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين . ولكن ما ورد فى الطبرى يؤيد ما أثبتنا ، إذ جاء فى حوادث سنة ١١٩ ص ١٦١٩ : وفى هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان فى نفر ، فأخذهم خالد فقتلهم . وفى ص ١٦٢٠ رأيت خالدا حين أتى بالمغيرة وبيان فى ستة رهطأو سبعة ، أمر بسريره فأخرج إلى المسجد الجامع ، وأمر بأطنان قصب ونفط فأحضرا ، ثم أمر المغيرة أن يتناول طنا ... ثم أمر بيانا آخرهم ، فقدم إلى الطن مبادرا فاحتضنه .

(٢) طن قصب : حزمة قصب .

(٣) فى مخطوط : « الرياح » بدل « الرتاج » .

(٤) العدل : النظير والمثل .

(٥) فى مخطوط : بن أبى تبيل .

ما الذى نجّاك من القَسْرِيّ ؟ قال : صدق النيّة فى التوبة ، قال : ومن سنّ لك الغيّ وأورطك فيه ؟ قال : الذى أغوى آدم فنسى ولم يجد له عزما ، فإن رأيت يا أمير المؤمنين — فدتك نفسى — أن تأذن لى بمحو الباطل بالحق بالاستماع لما قلته ، فأنشده :

ذكَرَ القلبُ إلْفَه المَذْكورا وتلافى من الشباب أخيرا

حدثنى أحمد بن عبيدالله بن عمار قال : حدثنا الحسن بن عُلَيل العنزى قال : حدثنى أحمد بن بُكَير الأسدى قال : [حدثنى محمد بن أنس قال :] حدثنى محمد بن سَهْل الأسدى قال :

دخل المُستهِلّ بن الكميت على عبد الصمد بن علىّ فقال له : من أنت ؟ فأخبره ، فقال : لا حيّاك الله ولا حيّا أباك ، هو الذى يقول :

فالآن صرتُ إلى أمية والأمور إلى المصايرْ

قال : فأطرقت استحياء مما قال ، وعرفت البيت ، قال : ثم قال لى : ارفع رأسك يا بُنَىّ ، فلئن كان قال هذا فلقد قال :

بخاتَمِكمْ كرْها تجوز أمورهم فلم أرَ غصْبا مثله حين يُغصَبُ

قال : فسلّى بعض ما كان بى وحادثنى ساعة ثم قال : ما يعجبك من النساء يامستهل؟ قلت :

غرّاءُ تَسحب من قِيامٍ فَرْعَها جَثْلاً يُزَيّنه سوادٌ أسْحَمُ[1]

فكأنها فيــه نهار مُشرق وكأنه ليــل عليها مظلمُ

قال : يا بنىّ ، هذه لا تُصاب إلاّ فى الفردوس ، وأمر له بجائزة .

أخبرنى عمى قال : حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال : حدثنى إبرهيم بن عبد الله الخَصّاف الطّلحىُّ ، عن محمد بن أنس السلامىّ قال :

---

(١) فى مخطوط بهامشه ما يأتى : صوابه : وتغيب فيه وهو جثل أسحم .
هذا ، وانظر شرح الحماسة ص ١٢٨٥ ، والقائل بكر بن النطاح . والجثل : الكثير اللين .

كان هشام بن عبد الملك مشغوفا بجارية له يقال لها صَدُوف مَدَنيَّة اشْتُرِيت له بمال جزيل ، فعتب عليها ذات يوم فى شىء وهجرها وحلف ألا يبدأها بكلام، فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك فقال : مالى أراك مغموما يا أمير المؤمنين؛ لا غمك الله ، فأخبره هشام بالقصة ، فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول :

أعتبتَ أم عتبَتْ عليك صَدوفُ وعتابُ مثلِك مثلَها تشريفُ
لا تقعدنّ تلومُ نفسَك دائبا فيها وأنت بحُبِّها مَشغوفُ
إن الصَّريمة لا يقــوم بثِقلْها إلاّ القَوىُّ بها وأنت ضَعيفُ

فقال هشام : صدقت واللهِ ، ونهض من مجلسه فدخل إليها ، ونهضت إليه فاعتنقته ، وانصرف الكميت ، فبعث إليه هشام بألف دينار ، وبعثت إليه بمثلها .

قال الطلحى[1] : أخبرنى حبيش بن الكميت أخو المستهل بن الكميت بن زيد قال :

وفد الكميت بن زيد على يزيد بن عبد الملك ، فدخل عليه يوما وقد اشترُيت له سَلاَّمَةُ القَسّ ، فأدخلها إليه والكميتُ حاضر ، فقال له : يا أبا المستهل ، هذه جارية تُباع ، أفترى أن نبتاعها ؟ قال : إى واللهِ يا أمير المؤمنين وما أرى أنّ لها مِثْلاً فى الدنيا فلا تفوتَنَّك ، قال : فصفها لى فى شعر حتى أقبل رأيك ، فقال الكميت :

هى شمس النهار فى الحســن إلاّ أنها فُضِّلَتْ بقَتْلِ الظِّرافِ[2]
غضَّة بضَّة رَخيمٌ لعــوبٌ وَعْثَةُ المَتنِ شَخْتَةُ الأطرافِ[3]
زانَها دَلُّها وثغرٌ نقــىّ وحديثٌ مُرَتَّل غيرُ جافى
خُلِقَتْ فوق مُنْيَةِ المُتمنّى فاقبل النُّصْحَ يا ابنَ عبدِ منافِ

فضحك يزيد وقال : قد قبلنا نصحك يا أبا المستهلّ ، وأمر له بجائزة سنيّة .

(١) فى مخطوط : الكلبى .
(٢) فى مخطوط : بفتك الظراف .
(٣) الشختة : الضامرة من غير هزال . والوعثة : يراد به اللينة السهلة ، كالمكان السهل الكثير الدهس تغيب فيه الأقدام . والمتن : الظهر .

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى[1] قال . وأخبرنى إبراهيم بن أيوب ، عن ابن قتيبة قال :

مرّ الفرزدق بالكميت وهو ينشد ، والكميت يومئذ صبى ، فقال له الفرزدق : يا غلام ، أيسرّك أنى أبوك ؟ قال : لا ولكن يسرنى أن تكون أمى ، فحصِر الفرزدقُ فأقبل على جلسائه وقال : ما مرّ بى مثلها قطّ .

أخبرنى أحمد بن [محمد بن] سعيد الهمدانى بن عقدة قال : أخبرنا على بن محمد الحُسينى قال : حدثنا جعفر بن محمد بن عيسى الحمّال قال : حدثنا مُصَبِّح ابن الهِلْقام قال :

حدثنا محمد بن سهل صاحب الكميت قال : دخلت مع الكميت على أبى عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام فقال له : جُعلتُ فداك ألا أُنشدك ؟ قال : إنها أيام عظام ، قال : إنها فيكم ، قال : هات ، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب ، فأنشده فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت :

يُصيب به الرامون عن قوسِ غيرهم ... فيا آخرًا سدّى له الغَىَّ أوّلُ

فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه فقال : اللهم اغفر للكميت ما قدّم وما أخّر وما أسرّ وما أعلن ، وأعطه حتى يرضى .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : قال محمد بن كناسة :

حدثنى صاعد مولى الكميت قال : دخلنا على أبى جعفر محمد بن علىّ عليهما السلام فأنشده الكميت قصيدته التى أولها :

من لقلب مُتَيَّم مستهامِ[2]

فقال : اللهم اغفر للكميت ، اللهم اغفر للكميت .

(١) جملة « أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال » لا توجد فى مخطوطين . هذا وهاشم من روى عنه أبو الفرج ، وكذلك إبراهيم بن أيوب الذى يروى عن ابن قتيبة ، ولهذا فقد أبقينا أخبرنى هاشم ، وزدنا واوا بعده .

(٢) فى مخطوط : مشتاق .

قال : ودخلنا يوما على أبى جعفر محمد بن علىّ فأعطانا ألف دينار وكسوة ، فقال له الكميت : واللهِ ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيت من هى فى يديه ، ولكنى أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها ، وأما المال فلا أقبله ، فرده وقبل الثياب .

قال : ودخلنا على فاطمة بنت الحسين عليهما السلام فقالت : هذا شاعرنا أهلَ البيت ، وجاءت بقدح فيه سَوِيق فحرّكته بيدها وسقت الكميت فشربه ، ثم أمرت له بثلاثين دينارا ومركب ، فهملت عيناه وقال : لا واللهِ لا أقبلها ، إنى لم أحبكم للدُّنيا .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال : أخبرنى عمى ، عن عبيد الله بن محمد ابن حبيب ، عن ابن كناسة قال :

لما جاءت المسودة [1] ، سخّروا المستهلّ بن الكميت وحملوا عليه حملا ثقيلا وضربوه ، فمر ببنى أسد فقال : أترضون أن يُفْعَل بى هذا الفعل ؟ قالوا له : هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم :

والمصيبون بابَ ما أخطأ النّا سُ ومُؤْسو قواعدِ الإسلامِ

قد أصابوا فيك فلا تكذّب أباك .

قال : ودخل المستهَل على أبى مُسلم فقال له : أبوك الذى كفر بعد إسلامه ، فقال : كيف وهو الذى يقول :

بخاتمكم كرها تجــوز أمورهم فلم أر غَصْبا مثله حين يُغْصَبُ

فأطرق أبو مسلم مستحيا منه .

أخبرنى عمى قال : حدثنا محمد بن سعد الكرانى قال : حدثنا الحسن بن بِشر السعدى قال : أخذ العَسَسُ المستهلَّ بنَ الكميت فى أيام أبى جعفر ، وكان الأمرُ صعبا ، فحُبِس ، فكتب إلى أبى جعفر يشكو حاله وكتب فى آخر الرقعة :

(١) المسودة : لقب للعباسيين لأن شعارهم كان السواد .

لئن نحن خِفْنا فى زمان عَدُوِّكم وخفناكُمُ إن البلاءَ لَرَاكِدُ

فلما قرأها أبو جعفر قال : صدق المستهلُّ ، وأمر بتخليته .

حدثنى على بن محمد بن علىّ إمام مسجد الكوفة[1] قال : أخبرنا إسماعيل بن على الخزاعى بن أخى دعبل قال :

حدثنى عمى دعبل بن على قال : رأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى : مالك وللكميت بن زيد ؟ فقلت : يا رسول الله مابينى وبينه إلاَّ كما بين الشعراء ، فقال : لاتفعل ، أليس هو القائل :

فلا زلتُ فيهم حيث يتَّهِموننى ولا زلت فى أشياعهم أتقلَّبُ

فإن الله قد غفر له بهذا البيتِ ، قال : فانتهيت عن الكميت بعدها .

حدثنى على بن محمد قال : حدثنى إسماعيل بن علىّ قال :

حدثنى إبراهيم بن سعد الأسدى قال : سمعت أبى يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال : من أىّ الناس أنت ؟ قلت : من العرب ، قال : أعلَمُ ، فمن أىّ العرب ؟ قلت : من بنى أسد، قال: من أسد بن خزيمة ؟ قلت: نعم ، قال لى : أهِلالِىّ أنت ؟ قلت : نعم ، قال : أتعرف الكميت بن زيد ؟ قلت : يا رسول الله ، عمِّى ومِن قبيلَتى ، قال : أتحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدنى :

طرِبْتُ وما شَوْقا إلى البيض أطرَبُ

قال : فأنشدته حتّى بلغت إلى قوله :

فما لىَ إلاَّ آل أحمدَ شيعَةٌ ومالىَ إلاَّ مَشْعب الحقِّ مشعبُ

فقال لى : إذا أصبحت فاقرَأْ عليه السلام وقل له : قد غفر الله لك بهذه القصيدة.

---

(١) فى مخطوط : السوطى .

وجدت فى كتاب بخط المُرْهبي الكوفى : حدثنى سليمان بن الربيع بن هشام النَّهدى الخرّاز قال :

حدثنى نصر بن مُزاجم المِنْقرى أنه رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم فى النوم وبين يديه رجل ينشده .

مَنْ لقلبٍ مُتَيَّمٍ مستهام[1]

قال : فسألت عنه ،فقيل لى : هذا الكميت بن زيد الأسدى ، قال : فجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول له : جزاك الله خيرا ، وأثنى عليه .

أخبرنى الحسن بن على الخفاف قال : حدثنا الحسن بن عُليل العنزى. قال : حدثنى أحمد بن بُكَير الأسدى.قال : حدثنى محمد بن أنس السلامى [2] . قال : حدثنى محمد بن سهل راوية الكميت قال :

جاء الكميت إلى الفرزدق لما قدم الكوفة فقال له : إنى قد قلت شيئا فاسمعه منى يا أبا فِراس ، قال : هاته ، فأنشده قوله :

طربتُ وما شوقا إلى البيض أطرب ... ولا لعبا منى وذو الشوق يلعبُ
ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهى ... وخيرِ بنى حوّاء والخيرُ يُطلبُ

فقال له : قد طربتَ إلى شىء ما طرِب إليه أحدٌ قبلك ، فأمّا نحن فما نطرب ولا طَرِب من كان قبلنا إلاّ إلى ما تركت أنتَ الطرَب إليه .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا محمد بن علىّ النوفلى قال : سمعت أبى يقول :

لما قال الكميت بن زيد الشعر ، كان أوّل ما قال الهاشميّات ، فسترها ثم أتى الفرزدق بن غالب فقال له : يا أبا فراس إنك شيخ مُضر وشاعرها ، وأنا ابن

(١) فى مخطوط : مشتاق .

(٢) فى المطبوع : « أحمد بن بكير قال : حدثنى محمد بن أنس الأسدى السلامى » . وفى مخطوط : « أحمد بن بكير الأسدى السلامى . قال : حدثنى محمد بن سهل » . واعتمدنا رواية مخطوط آخر .

أخيك الكميت بن زيد الأسدى ، قال له : صدقت أنت ابن أخى فما حاجتك ؟ قال : نُفِثَ على لسانى فقلت شعرا فأحببت أن أعرضه عليك ، فإن كان حسنا أمرتنى بإذاعته ، وإن كان قبيحا أمرتنى بستره وكنت أولى [1] مَن ستره علىّ ، فقال له الفرزدق : أمّا عقلك فحسن ، وإنى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك ، فأنشدنى ما قلت ، فأنشده :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرَبُ

قال : فقال لى : فيم تطرب يا ابن أخى ؟ فقال :

ولا لعبا منى وذو الشوقِ يلعَبُ [2]

فقال : بل يا ابن أخى فالعَبْ فإنك فى أوان اللعب فقال ، :

ولم يُلْهِنِى دارٌ ولا رَسْمُ مَنزِل ... ولم يتَطرَّبْنِى بَنانٌ مُخضَّبُ

فقال : ما يطربك يا ابن أخى ؟ فقال :

ولا السانحات البارحات عَشِيّةً ... أمَرَّ سَلِيمُ القَرْنِ أم مرّ أعضَبُ [3]

فقال : أجَلْ لا تتَطيرْ ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهَى [4] ... وخير بنى حوّاءَ والخيرُ يُطلبُ

فقال : ومن هؤلاء ويحك ؟ فقال :

إلى النَّفَرِ البيضِ الذين بحبهِمْ ... إلى الله فيما نابنى أتقرّب

قال : أرحنى ويحك مَنْ هؤلاء ؟ قال :

(١) فى نسختين مخطوطتين . « وكنت أول من ستره » .

(٢) فى الأصل : وذو الشيب .

(٣) الأعضب : المكسور القرن .

(٤) فى رواية : والتقى .

بنى هاشمٍ رهطِ النبىّ فإننى ... بهم ولهم أرضى مرارا وأغضبُ
خفضتُ لهم منى جناحىْ مودّة ... إلى كَنَفٍ عِطْفاه أهلٌ ومرْحب
وكنت لهم من هؤلاءِ وهؤلا ... مُحِبّا على أنى أُذَمُّ وأُقضَبُ[١]
وأُرْمَى وأرْمِى بالعداوة أهلَها ... وإنى لأُوذَى فيهمُ وأُؤَنَّبُ

فقال له الفرزدق: يا ابن أخى أذِعْ ثم أذِعْ، فأنت والله أشعرُ مَن مضى وأشعر من بقى.

أخبرنى الحسن قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزىّ. قال: حدثنى أحمد بن بكير. قال: حدثنى محمد بن أنس. قال: حدثنى محمد بن سهل راوية الكميت.

عن الكميت قال: لما قدم ذو الرمة أتيته فقلت له: إنى قد قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك.

ما بال عينك منها الماءُ ينسكبُ

فقال لى: وأىّ شىء قلت؟ قال: قلت:

هل أنت عن طلب الإيفاعِ منقلِبُ[٢] ... أم كيف يحسُنُ من ذى الشَّيبة اللعِبُ

حتى أنشدته إياها فقال لى: ويحك، إنك لتقول قولا ما يقدر إنسان أن يقول لك أصبت ولا أخطأت، وذلك أنك تصف الشىء فلا تجىء به، ولا تقع بعيدا منه، بل تقع قريبا، قلت له: أو تدرى لم ذلك؟ قال: لا، قلت: لأنك تصف شيئا رأيته بعينك، وأنا أصف شيئا وُصِف لى، وليست المعاينةُ كالوَصْف، قال: فسكت.

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حدثنى إسماعيل بن عبد الله الطَّلحىّ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل[٣]، عن حماد الراوية قال:

(١) أقضب: أقطع أو أضرب بالقضيب.
(٢) الإيفاع: المراهقة ومناهزة البلوغ، ويراد هنا: طيش الشباب.
(٣) ق مخطوط: بن أبى تبيل.

كانت للكميت جدّتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس فى الجاهلية ، فإذا شك فى شعر أو خبر عرضه عليهما فيخبرانه عنه ، فمن هناك كان علمه .

أخبرنى الحسن بن القاسم البَجَلِىُّ الكوفى . قال : حدثنا على بن إبراهيم بن المُعَلّىّ . قال : حدثنا مُحمد بن فُضَيل – يعنى الصّيرفىّ – عن أبى بكر الحَضْرمى قال :

استأذنت للكميت على أبى جعفر محمد بن علىّ عليهما السلام فى أيام التشريق بِمنىً ، فأذن له فقال له الكميت : جعلت فداك ، إنى قلت فيكم شعرا أحب أن أنشدكَه ، فقال : يا كميت ، اذكر الله فى هذه الأيام المعلومات وفى هذه الأيام المعدودات فأعاد عليه الكميت القول ، فرقّ له أبو جعفر عليه السلام فقال : هات ، فأنشده قصيدته حتى بلغ :

يُصيب به الرّامون عن قوس غيرهم فيا آخِرًا سَدّى له الغىَّ أوّلُ

فرفع أبو جعفر يديه إلى السماء . وقال : اللهم اغفر للكميت .

أخبرنى جعفر بن محمد بن مروان الغزّال الكوفىّ . قال : حدثنى أبى . قال : حدثنا أرطاة بن حبيب ، عن فُضَيل الرّسّان .

عن وَرْد بن زيد أخى الكميت قال : أرسلنى الكميت إلى أبى جعفر فقلت له : إن الكميت أرسلنى إليك وقد صنع بنفسه ما صنع ، فتأذن له أن يمدح بنى أمية ؟ قال : نعم هو فى حِلّ فليقل ما شاء .

أخبرنى محمد بن العباس قال : أخبرنى عمى ، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب ، عن ابن كُناسة قال :

مات وردٌ أخو الكميت ، فقيل للكميت : ألا ترثى أخاك ؟ فقال : مَرْثيتُه ومَرْزِيتُه عندى سواء ، وإنى لا أطيق أن أرثيه جزعا عليه .

وقد روى الكميت بن زيد الحديث ورُوِى عنه .

أخبرنى جعفر بن محمد بن عبيد بن عتبة فى كتابه إلىّ قال : حدثنى الحسين ابن محمد بن علىّ الأزدى قال : حدثنى الوليد بن صالح قال : حدثنى محمد بن سعيد بن عُمَير الصَّيْدَاوِىُّ ، عن أبيه .

عن الكميت بن زيد قال : حدثنى عكرمة أن عبد الله بن عباس بعثه مع الحسين بن علىّ عليهما السلام ، فجعل يُهِلُّ حتى [1] رمى جمْرة العقبة ، أو حين رمى جمرة العقبة ، فسألته عن ذلك فأخبرنى أن أباه فعله ، فحدثت به ابن عباس فقال لى : لا أُمَّ لك ، أتسألنى عن شىء أخبرك به الحسين بن علىّ عن أبيه ؟ والله إنها لَسُنَّة .

أخبرنا أبو الحسن بن سراج الجاحظ قال : حدثنا مسروق بن عبد الرحمن أبو صالح ، عن الحسن بن محمد بن أعين ، عن حفص بن محمد الأسدى قال : حدثنا الكميت بن زيد ، عن مذكور مولى زينب ، عن زينب قالت : دخل علىَّ النبى صلى الله عليه وسلم وأنا فُضُل [2] ، قالت : فقلت بيدى هكذا ، واستترتُ ، قالت : فقال لى : إن الله عز وجل زوجنيك .

حدثنى أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة . قال : حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن سراح . قال : حدثنى الحسن بن أيوب الخثعمى . قال : حدثنا فُرات ابن حبيب الأسدى . قال : حدثنى أبى حبيبُ بن أُبى سليمان قال :

حدثنى الكميت بن زيد قال : سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل «إنَّ الَّذى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرادُّكَ إلى مَعَاد» [3] قال : دخلت أنا وأبى إلى أبى سعيد الخُدْرِىّ ، فسأله أبى عنها فقال : مَعادُ آخِرَتِهِ : الموت .

(١) أهل : رفع صوته بالتلبية .

(٢) امرأة فضل : فى ثوب يبتذل فى الشغل أو للنوم . هذا ، وفى مخطوطين : وأنا أصلى .

(٣) سورة القصص الآية ٨٥ .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني إسحاق بن محمد بن أبان قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مِهْران قال: حدثني رِبْعِيُّ بن عبد الله بن الجارود ابن أبي سَبْرة، عن أبيه قال:

دخل الكميت بن زيد الأسدي على أبي جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام فقال له: يا كميت أنت القائل:

فالآن صرتُ إلى أميَّـ ـة والأمورُ إلى المصايرْ

قال: نعم، قد قلت، ولا واللهِ ما أردت به إلاّ الدنيا، ولقد عرفت فضلكم، قال: أما أنْ قلتَ ذلك إنَّ التَّقيَّةَ[1] لتَحِلُّ.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الربعي قال: حدثنا أحمد بن بُكير الأسدي قال: حدثنا محمد بن أنس السلامي الأسدي قال:

سئل مُعاذٌ الهرَّاءُ: من أشعر الناس؟ قال: أمن الجاهليين أم من الإسلاميين؟ قالوا: بل من الجاهليين، قال: امرؤ القيس وزُهير وعَبيد بن الأبرص، قالوا: فمن الإسلاميين، قال: الفرزدق وجرير والأخطل والراعي، قال: فقيل له: يا أبا محمد، ما رأيناك ذكرتَ الكميت فيمن ذكرتَ، قال: ذاك أشعر الأوَّلين والآخرين.

أخبرني الحسن بن عليّ. قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي. قال: حدثنا العباس[2] بن بكَّار. قال: حدثنا أبو بكر الهُذليّ. قال:

لما خرج زيد بن عليّ كتب إلى الكميت: اخرج معنا يا أُعيمش، ألست القائل:

ما أبالي إذا حفظْتُ أبا القا سم فيكمْ ملامةَ اللُّوَّامِ

فكتب إليه الكميت:

---

(١) التقية: يراد بها إظهار خلاف ما يبطن ليقي نفسه من شر الظالم.

(٢) لعله الزبير بن بكار.

تجُود لكم نفسى بما دون وَثْبَة ... تظلُّ لها الغِرْبان حَوْلى تَحْجُلُ

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنى عمى ، عن عبيد الله بن محمد ابن حبيب ، عن محمد بن كناسة قال :

لما أُنشِدَ هشامُ بن عبد الملك قولَ الكميت :

فبِهمْ صِرْتُ للبعيدِ ابنَ عم ... واتَّهمت القريبَ أىَّ اتهام
مُبْدِيا صَفحتى على الموْقفِ المُعْ ... لَمِ باللهِ قُوَّتى واعتِصامِى

قال : استقتل المرائى[1] :

قال : ودخل الكميت على خالد القسرى فأنشده قوله فيه :

لو قيل للجود من حليفُكَ ما ... إن كان إلاَّ إليك ينتسِبُ
أنت أخوه وأنت صُورتُه ... والرأسُ منه وغيرُك الذَّنَبُ
أحرزْتَ فضل النِّضال فى مَهَلٍ ... فكلُّ يوم بكفِّك القَصَبُ
لو أنَّ كعْبا وحاتِما نُشِرَا ... كانا جميعا مِنْ بعض ما تَهَبُ
لا تُخْلِفُ الوعد إن وعدتَ ولا ... أنت عن المُعْتَفِين تَحْتَجِبُ
مادُونك اليوم من نوال ولا ... خلفك للراغبين مُنْقَلَبُ

فأمر له بمائة ألف درهم .

قال : وحضر المستَهلّ بن الكميت باب عيسى بن موسى وكان يكرمه ، فبلغه أنه قد غلب عليه الشراب ، فاستخفَّ به ، وكان آخر من يدخل إلى عيسى بن موسى قومٌ يقال لهم الرَّاشِدون يُؤْذن لهم فى القعود ، فأُدْخِل المستَهلّ معهم فقال :

ألم تَرَ أنّىَ لمَّا حَضَرْتُ ... دُعِيتُ فكنتُ مع الراشدينا
ففزتُ بأحسَنِ أسمائهم ... وأقبحِ منزلةِ الداخلينا

أخبرنى حبيب بن نصر المهلَّبى قال : حدثنا عمر بن شبة قال :

(١) فى مخطوط : قال : أشرك الزانى .

دخل الكميت على مَخْلَد بن يزيد بن المهلَّب فأنشده :

قاد الجيوش لخمسَ عشرة حجَّة ولِدَاتُه عن ذاك فى أشغالِ
قعدَتْ بهم هِمَّاتُهُمْ وسمَتْ به هِمَمُ الملوكِ وسَوْرَةُ الأبطال

قال : وقُدَّامَ مخلد دراهمُ يقال لها الرويجة[1] فقال : خذ وِقْرَكَ منها ، فقال له : البغلة بالباب وهى أجلد منى ، فقال : خذ وِقْرَها ، فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم ، فقيل لأبيه فى ذلك فقال : لا أردُّ مكرمةً فعلها ابنى :

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدثنى أبو بكر الأموى . قال: حدثنى إسماعيل بن حَفْص . قال: حدثنا ابنُ فُضيل . قال :

سمعت ابنَ شُبْرُمة قال : قلت للكميت : إنك قلتَ فى بنى هاشم فأحسنت ، وقلت فى بنى أمية أفضل ، قال : إنى إذا قلت أحببت أن أحسن .

أخبرنى الحسن بن علىّ ومحمد بن عمران الصيرفى قالا : حدثنا الحسن بن علُيل العنزى قال : حدثنا محمد بن معاوية ، عن ابن كناسة قال :

كان الكميت بن زيد طويلا أصمَّ ،ولم يكن حسن الصوت ولاجيِّد الإنشاد، فكان إذا استُنْشِدَ أمر ابنَه المستهلَّ فأنشد ، وكان فصيحا حسن الإنشاد .

أخبرنى عمِّى وابنُ عمار قالا : حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال : حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحى ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل .

أن سبب هجاء الكميت أهل اليمن أن شاعرا من أهل الشام يقال له حكيم بن عيَّاش الكلبى كان يهجو علىّ بن أبى طالب عليه السلام وبنى هاشم جميعا ، وكان منقطعا إلى بنى أمية ، فانْتَدَبَ له الكميتُ فهجاه وسبَّه ، فأجابه ، ولجَّ الهجاء بينهما ، وكان الكميت يخاف أن ينضح فى شعره عن علىّ عليه السلام لِما وقع بينه وبين هشام ، وكان يُظْهِر أنَّ هجاءه إياه فى العصبية التى بين بنى عدنان وقحطان ، فكان ولد إسماعيل بن الصباح بن الأشعث بن قيس وولد علقمة

(١) فى مخطوط : الروبجة .

ابن وائل الحضرمى يروون شعر الكلبى ، فهجا أهل اليمن جميعا إلا هذين فإنه قال فى آل علقمة :

ولولا آلُ علقمةَ اجتَدَعْنا ... بقايا من أُنوفٍ مُصَلَّمينا[1]

وقال فى إسماعيل :

فإنّ لإسماعيل حقًّا وإننـــا ... له شاعبو الصَّدْعِ المُقارِبِ للشَّعبِ

وكانت لآل علقمة عنده يدٌ ، لأن علقمة آواه ليلةَ خرج إلى الشام ، وأمّ إسماعيل من بنى أسد ، فكفّ عنهما لذلك .

قال الطلحىّ : قال أبو سلمة : حدثنى محمد بن سهل قال : قال الكَلْبِيُّ :

ما سَرّنى أنّ أُمىَ من بنى أسد ... وأنّ رَبىَ نجّانى من النـــارِ

وأنّهمْ زوّجونى من بناتِهِمُ ... وأن لى كلّ يومٍ ألفَ دينارِ

فأجابه الكميت :

يا كلبُ مالكَ أُمٌّ من بنى أسد ... معروفةٌ فاحترِقْ يا كلبُ بالنارِ

لكنّ أمّكَ من قومٍ شَنِئْتَ بهم ... قد قنّعوك قِناعَ الخِزْيِ والعارِ[2]

قال فقال له الكلبى :

لن يبرح اللؤمُ هذا الحىَّ من أسد ... حتى يُفَرّقَ بين السَّبْتِ والأحدِ

قال محمد بن أنس : حدثنى المستهلُّ بن الكميت قال : قلت لأبى : يا أبت إنك هجوت الكلبى فقلت :

ألاَ يا سَلْمَ يا تِربى ... أفى أسماءَ من تِرْبِ[3]

---

(١) مصلمين : مقطعين . وجدع أنفه : قطعه .

(٢) فى هامش مخطوط شئٌ فلان بكذا : إذا أقر به قال :

ولو كان هذا الأمر فى جاهلية ... شنيت به أو غص بالماء شاربه

(٣) فى المطبوع : « ألا ياسلم من ترب » ، وكذلك فيما سيأتى .

وغمزتَ عليه فيها ففخرت ببنى أمية وأنت تشهد عليها بالكفر ، فألاّ فخرت بعلىّ وبنى هاشم الذين تتولاّهم[١]؟ فقال: يا بنىّ ، أنت تعلم انقطاع الكلبىّ إلى بنى أمية ، وهم أعداء علىّ عليه السلام ، فلو ذكرتُ عليًا لترك ذكرى وأقبل على هجائه فأكون قد عرّضتُ عليًا له ولا أجد له ناصرا من بنى أمية ، ففخرتُ عليه ببنى أمية وقلت : إن نقضها علىّ قتلوه ، وإن أمسك عن ذكرهم قتلته غمًّا وغلبتُه . فكان كما قال ، أمسك الكلبىُّ عن جوابه فغُلِّب عليه وأُفحم الكلبىّ.

وفى أوّل هذه القصيدة غناء نسبته :

صوت

ألاَ يا سلْمَ يا تربى ... أفى أسماءَ من ترب

ألا يا سلم حُيِّيتِ ... سَلِى عنى وعن صَحبى

ألا يا سلمَ غنِّينا ... وإن هيَّجتما حُبِّى[٢]

على حادثة الأيا ... م لى نَصْبا من النَّصْبِ[٣]

الغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو .

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : أخبرنى أبو سعيد السُّكرىُّ ، عن محمد بن حبيب ، عن إبراهيم بن عبد الله الطلحى قال : قال محمد بن سلمة :

كان الكميت مدَّاحا لأبان بن الوليد البَجلىّ ، وكان أبان له مُحبًا وإليه محسنا ، فمدح الكميتُ الحكَمَ بن الصَّلْت ، وهو يومئذ يَخلُف يوسفَ بنَ عُمر بقصيدته التى أولها :

طربتَ وهاجك الشَّوقُ الحثيثُ

فلما أنشده إياها وفرغ دعا الحكمُ بخازنه ليعطيه الجائزة ، ثم دعا بأبان بن

---

(١) تتولاهم : تتخذهم أولياء .

(٢) لعلها أيضا : وإن هيجت لى حبى .

(٣) النصب : نوع من الغناء .

الوليد فأُدخل إليه وهو مُكبَّل فى الحديد ، فطالبه بالمال ، فالتفت الكميتُ فرآه فدمعت عيناه ، وأقبل على الحكم فقال : أصلح الله الأمير ، اجعلْ جائزتى لأبان واحتسب بها له من هذا النَّجْم ، فقال الحكم : قد فعلت ، رُدُّوه إلى السجن ، فقال له أبان : يا أبا المستهلّ ما حلّ له علىّ شىء بَعْدُ ، فقال الكميت للحكم : أبى تسخر أصلح الله الأمير ؟ فقال الحكم : كذب ، قد حلّ عليه المالُ ، ولو لم يَحِلّ لا حتسبنا له مما يَحِلّ ، فقال له حَوْشَبُ بنُ يزيد الشيبانى ، وكان خليفة الحَكَم ، أصلح الله الأمير أتُشَفِّع حمار بنى أسد فى عبْدِ بَجِيلة؟ فقال له الكميت : لئن قلتَ ذاك فوالله ما فررنا عن آبائنا حتى قُتلوا ، ولا نكحنا حلائل آبائنا بعد أن ماتوا . وكان يقال : إن حَوْشبا فرَّ عن أبيه فى بعض الحروب فقُتل أبوه ونجا هو ، ويقال : إنه وطئ جارية لأبيه بعد وفاته . فسكت حوشب مُفْحَما خَجلا ، فقال له الحكم : ماكان تَعَرُّضُك للسان الكميت ؟

قال : وفى حوشب يقول الشاعر :

نَجَّى حُشاشتَه وأسلم شَيْخَه لمّا رأى وقع الأسنَّة حَوْشَبُ

قال الطلحى فى هذا الخبر : وحدثنى إبراهيم بن علىّ الأسدى قال :

التقت ربَّا بنتُ الكميت بن زيد وفاطمةُ بنت أبان بنِ الوليد بمكة وهما حاجَّتان ، فتساءلتا حتى تعارفتا ، فدفعت بنتُ أبان إلى بنتِ الكميت خَلْخالَىْ ذَهَب كانا عليها ، فقالت لها بنتُ الكميت : جزاكم الله خيرا يا آل أبان ، فما تتركون بِرَّكُمْ بنا قديما ولا حديثا ، فقالت لها بنتُ أبان : بل أنتم فجزاكم الله خيرا ، فإنا أعطيناكم ما يَبيدُ ويَفنى ، وأعطيتمونا من المجد والشرف ما يبقى أبدا ولا يبيد ، يتناشده الناس فى المحافل فيُحْيى ميِّتَ الذكر ، ويرفع بقيَّة العَقِب .

أخبرنى عمى وابنُ عمَّار قالا : حدثنا يعقوب بن إسرائيل (١) قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن زيد الخصَّاف الطلحى قال : قال محمد بن سلمة بن أرتبيل .

وُلد الكميتُ أيام مقتل الحسين بن على سنة ستين ، ومات فى سنة ست وعشرين ومائة

---

(١) فى الأصل : يعقوب بن نعيم . هذا ، ويعقوب بن إسرائيل هو الذى يروى عنه ابن عمار وعم المؤلف ، وجاء بعد ذلك صوابا .

فى خلافة مروان بن محمد ، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتا .

وقال يعقوب بن إسرائيل فى رواية عمى خاصة عنه : حُدثت عن المستهل بن الكميت أنه قال : حضرتُ أبى عند الموت وهو يجَوّدُ بنفسه ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال : اللهمّ آل محمد ، اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد، ثلاثا ، ثم قال لى : يا بنى وَدِدْتُ أنى لم أكن هجوتُ نساء بنى كلب بهذا البيت :

مع العُضْرُوطِ والعُسَفاء ألْقوا ... ¹بَرَاذِعَهُنّ غيرَ مُحَصَّنينا

فعَمَمْتُهُن قذفا بالفجور ، والله ما خرجت بليل قط إلا خشيت أن أُرمى بنجوم السماء لذلك ، ثم قال : يا بنى إنه بلغنى فى الروايات أنه يُحفر بظهر الكوفة خندق يُخْرج فيه الموتى من قبورهم ويُنْبشون منها ، فيحوّلون إلى قبور غير قبورهم ، فلا تدفنِى فى الظهر ، ولكن إذا متّ فامض بى إلى موضع يقال له مكْرَان ٢ فادفنى فيه . فدفن فى ذلك الموضع وكان أوّل من دفن فيه ، وهى مقبرة بنى أسد إلى الساعة . قال المستهلّ : ومات أبى فى خلافة مروان بن محمد سنة ست وعشرين ومائة .

مضى الحديث .

صوت

أستعينُ الّذى بِكفّيْهِ نَفْعى ... ورجائى على التى قتَلَتْنى

ولقـــد كنتُ قد عرفت وأبصر ... تُ أمورًا لو أنها نفعَتْنى

قلتُ إنى أهوى شِفا ما أُلاقى ... مِنْ خطوبٍ تتابعتْ فَدَحَتْنى

عروضه من السريع ، يقال : إن الشعر لعُمَر ٣ ، والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن حماد عن أبيه ، وفيه لحن للهُذَلىّ ، وقيل : بل لحن ابن سُريج للهذلى ، ذكر ذلك حبش ، وقيل : بل هو مما نُسب من غناء ابن سريج إلى الهذلى .

(١) العضروط : الخادم على طعام بطنه والأجير . والعسيف ، وجمعه عسفاء : الأجير ، وقيل المدلوك المستهان به .

(٢) مكران : بفتح الميم ، موضع فى بلاد العرب . ومكران بضم الميم : من بلاد فارس ، ولعل مقبرة بنى أسد سميت بأحد هذين .

(٣) الشعر فى ديوان عمر بن أبى ربيعة ص ٥٨٦ مطبعة السعادة .

تصويب

الصفحة	السطر		الصواب
١٦	١٤	:	والأمر هاشم
٢٤	٣	:	بن غنم بن ثعلبة
٤٤	٤	:	القدح بعد القدح
٧٩	٢	:	فصَعِدَ المولى
٨٩	٧ – ٨	:	بن تغلب بن [حلوان] بن عمران بن الحاف بن قضاعة وأمها هند بنت الربيع بن مسعود بن مَصاد بن حِصن
١٣٧	١٠	:	ابن كم أنت
١١٤	١٦	:	فيُخْطَى
١٥٠	١١	:	للمعضلات
١٦٤	١٣	:	معن بن عمرو
١٨٩	١٥	:	سالمَ المالَ
٢١٦	٢٣	:	مهذب الأغانى

استدراك

٢٤	٣	:	« علقمة بن جذل الطعان » لعلها : علقمة جذل الطعان
٦٩	١٩	:	« يشفق عليك » لعلها : يَشْقُقْ عليك
٩١	٢	:	« فعرفه عمر » لعلها : فما عرفه عمر
١٣٧	هامش ٢	:	جعلها من العقل وهو دفع الديات ، أو من عقله بمعنى قيده ، والقود وهو القتل بالقتيل أو من قيده تقييدا بتشديد الياء
١٦٤	٤	:	« بن يزيد بن جشم » فى شرح القاموس مادة سرد : تزيد ويزيد بالمثناة الفوقية والتحتية
١٨٧	٧	:	« القصعتين » فى المطبوع « القصفين » ويراد مثنى القصف ومن معانيه الأقامة فى الأكل والشرب .

فهرس

المجلد السادس عشر

واقتصرنا على الطرائف

صفحة

نسب حجر بن عمرو

أخبار محمد بن صالح العلوى

ذكر أخبار أبى دواد الإيادى

أخبار أبى تمام ونسبه

أخبار أبى الشيص

ذكر الكميت ونسبه وخبره

تراجم

المجلد السادس عشر

صفحة

بدل الاشتراك بكتاب الأغانى

« يصدر الكتاب ٢٥ مجلدا بما فيه الفهارس » .

بدل الاشتراك بكامل كتاب الأغانى فى عموم البلاد العربية :

١٥٠ ليرة لبنانية (غلاف) أو ما يعادلها ، بما فيه أجور البريد العادى .

٢٠٠ ليرة لبنانية (مجلد ومبصوم بالذهب) بما فيه أجرة البريد العادى .

ثمن الجزء (غلاف) ٦ ليرات لبنانية (مجلد ومبصوم بالذهب) ٨ ليرات

بدل الاشتراك خارج البلاد العربية يضاف إليه فرق أجور البريد ترسل قيمة الاشتراك باسم السيد خليل طعمه ص . ب ٥٤٣

بيروت

وكلاء التوزيع والاشتراكات

الوكلاء العموميون	: دار الثقافة ومكتبتها	— ساحة رياض الصلح — بيروت	
مصر والسودان	: مؤسسة المطبوعات الحديثة	— شارع مسبيرو	القاهرة
العراق	: مكتبة المثنى	— قاسم الرجب	بغداد
شرق الأردن والقدس	: مكتب التوزيع العربى	— محمد المحتسب	القدس
المملكة العربية	: مكتبة دار الفكر	— عبد الرحمن المنيعى	الرياض
إيران	: مكتبة الأسدى	— محمد الأسدى	طهران
الكويت	: مكتبة الطلبة	— عبد الرحمن الخرجى	الكويت
الخليج الفارسى	: مكتبة الأندلس	— فيصل عليوات	البحرين
عـدن	: أحمد سعيد حداد		المكلا
تونس	: دار الكتب الشرقية	— محمد الخوجة	تونس
الجزائر	: المكتبة الجزائرية	— شريفى عمرو	الجزائر
المغرب	: دار الكتاب	— ساحة المسجد	الدار البيضاء
طنجة	: المكتبة العصرية	— نصر الله الحريشى	طنجة
فرنسا	: المكتبة الشرقية	— صموليان	باريس

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

الثمن ٦٠٠ غ . ل . أو ما يعادلها